المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ شعبان ١٣٣٤ — ٨ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ش ٣٠ يونيو ١٩١٦

فاتحة السنة التاسعة عشرة للمنار

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك أنت المحمود على كل حال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، قوي المحال عظيم النوال ، تعطي من تشاء ولو بغير سؤال ، وتحوّل ما شئت من حال الى حال ، قوة بعد ضعف ، وغنى بعد فقر ، وعز بعد ذل ، وكل ضد يعقبه ضد ، فما رفع الله شيئا الا وضعه ، ولا وضع شيئا الا رفعه ، وكل شيء عنده بمقدار (١٣: ١٢ إنّ الله لا يُغيّرُ ما بقوم حتى يُغيّرُوا ما بأنفُسِهم وإذا أرادَ الله بقومٍ سوءاً فلا مَرَدَّ له وما لهم من دُونهِ من والٍ)

نحمدك اللهم بالغدوّ والآصال ، ونصلي ونسلم على محمد خاتم رسلك وآله

وصحبه خير صحب وآل، وعلى من تقدمه وتقدمهم من النبيين والمرسلين، ومن تأخر عنهم من الصديقين والشهداء والصالحين، واهدنا اللهم صراطهم المستقيم في الدنيا من الاخلاق والاعمال، (١٤: ٢٣ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال)

أما بعد فان المنار يذكر قراءه على رأس عامه التاسع عشر، بأن يعتبروا بما نزل بأقوى أمم البشر، من آثار عزته تعالى وقوته، ومظاهر عدله وحكمته، الدالة على انه هو الذي يغير ولا يتغير، ويبدل ماشاء بماشاء ولا يتبدل، وأن الامن من مكره غرور ووبال، والقنوط من رحمته كفر وضلال، وأن القوة لا تغلب الحق، ولكنها قد تكون بالحق وللحق ومن الحق، وان الحق ليس بمجرد دعوى اللسان، ولا مجرد ما يجري عليه الناس من عرف واصطلاح، فحق الملك وسياسة العباد، لا يجب أن يورث عن الآباء والاجداد، وانما أحق الناس بأمر الناس، من كان أنفعهم للناس، واقامة سنن الله تعالى في الاجتماع (١٣: ١٨ أنزل من السماء ماء فسالت أوديةٌ بقدَرها فاحتملَ السيلُ زبدًا رابيا، ومما يُوقدون عليه في النار ابتغاءَ حليةٍ أو متاعٍ زَبدٌ مثلهُ، كذلك يضربُ اللهُ الحقَّ والباطلَ، فأما الزبدُ فيذهبُ جُفاء وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الارضِ، كذلك يضربُ الله الامثال)

ثم يذكرهم على عادته بما طرأ على سير الاصلاح، بعد أن خفتت أصوات المعارضة في جميع الاقطار، وهو شيء حدث في هذه الديار، ذلك بأن فيها كغيرها أناسا اغتروا بمظاهر القوة المادية، فاحتقروا قوى العقائد والفضائل الروحية، وفتنوا بتقليد الاقوياء بما هو من آفات القوة

ومفاسدها ، لا من أسبابها ولا من محامدها ، كالسرف في الزينة والترف ، والانغماس في الشهوات واللذات ، وأعجب أمرهم أن منهم من يدعون الدعوة الى الاصلاح ، والصعود بالضعفاء الى مستوى الاقوياء ، أولئك هم الملاحدة المتفرنجون ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، وانما حجتهم على عامة المسلمين ، سوء حال كثير من المعممين ، وتذللهم للامراء والحاكمين ، وذمهم بعصبية الدين ، وان لهؤلاء الملاحدة لقوة من غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يغترون بها ، وإن منهم من يكيد للمؤمنين مكايد لا يفطنون لها ، وان للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها ، وانما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه ، فاذا قذف عليه دمغه ، وان بقاء الباطل لا إلى زوال (٤٠ : ٢٥ وما كيد الكافرين الا في ضلال)

قد كان ملاحدة قطرنا هذا أجبن ملاحدة المسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر ، على كونهم أجرأهم على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ أفراد منهم منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد ، بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ، ومنهم من الف كتبا أو رسائل في ذلك ، ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لاجل التعاون على تشكيك الناس في الإسلام وجذبهم الى الإلحاد ، والطعن في عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا سيما الآداب والاحكام الخاصة بالنساء . وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس ، وبث الوساوس ، وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس ، وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه ، والتنويه بالجديد والترغيب فيه ، وان لهم لأنصارا في القصور والدواوين ، وفي المدارس واكبر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييد

حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كفوا به أقلام من تصدّى لاحباط بعض دسائسهم من أهل الحق ، وانهم ليختلبون ألباب المختبلين من الشبان والشابات ، بما ينمقون من زخرف الشبهات ، (٢ : ٢٠٣ ومن الناس من يُعجبُكَ قوله في الحياة الدنيا ويُشهِدُ اللهَ على مافي قلبه وهو ألدُّ الخصام ٢٠٤ واذا تولى سعى في الارض ليُفسدفيها ويهلكَ الحرْثَ والنسلَ واللهُ لايحب الفساد)

فبهذا قد وجب على أهل الاصلاح أخذ الاهبة لجهاد جديد ، هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عُزْلٌ وهؤلاء الملاحدة مسلحون ، وأولئك ضعفاء متفرقون ، وهؤلاء أقوياء مجتمعون ، وأولئك غافلون متواكلون ، وهؤلاء أيقاظ حذِرون ، فاذا جاهد أهل الاصلاح أباطيلهم بمثل ما يجاهدون به الحق ، من الاجتماع والتعاون والحزم ، كانوا حزبَ الله الغالبين (ولينصُرَنَّ اللهُ مَن ينصُرُهُ إن اللهَ لقويٌ عزيز ٤٠ : ٥١ إنّا لننصُرُ رسلنا والذين آمنوا في الحياةِ الدنيا ويومَ يقومُ الاشهادُ ٥٢ يومَ لاينفعُ الظالمين معذرتُهم ولهمُ اللعنةُ ولهم سوءُ الدار)

إن هؤلاء الملاحدة لايخافون من الازهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ماداموا يدعون الاسلام بألسنتهم ، بل لا يعدمون هنالك أولياء وأنصاراً لهم ، لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الاعمال ، من رابطة التناسب والاتصال ، ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركناً في الازهر ركيناً ، وانهم بذلك أوشكوا ان يحدثوا فيه حدثاً مبيناً ، ولكنهم لم يصيبوا به الا خذلاناً وفشلا مهيناً ، ولان كلا منهما يؤثر المنافع الخاصة ، ويتوسل اليها بما في يده من المصالح العامة ، ولان أكثر الازهريين ، لا يُعنَون بالنظر في مكتوبات المتفرنجين ، وما كل من ينظر فيها ، يفهم المراد منها ، وما

كل من يفهم أن فيها طعناً على الدين يهتم بالدفاع عنه ، وما كل من يهتم منهم بذلك يقدر عليه ، وما كل من يقدر عليه يقوم به . — لأجل ذلك كله لايحسب هؤلاء الملاحدة للازهريين حسابا ، وقد يكذب الازهر ظنهم فيه كذابا ، وانما يخافون من رجال الاصلاح سواء كانوا من الازهر أو من غير الازهر لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم ، وتقليم أظفارهم ، ولأن كل مايزعمونه ويتقربون به الى الامة من السعي الى ترقيتها وتمدينها ، قدسبقهم اليه طلاب الاصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقوّمات الامة ومشخصاتها ، وإنما أركانها الدين واللغة والعادات والازياء ، وهم يحاولون هدم ذلك كله بلااستثناء.

واضرب لهم مثلا ماقاله أحدالظرفاء مفاكها للاستاذ الامام — وهو في مرض موته — قال: ان طريقتك في تفسير القرآن قد أضرت الامة أعظم الضرر! قال الاستاذ لماذا ؟ قال لانها أبانت للناس أن الدين موافق للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى انه عقبة في سبيل ترقينا في دنيانا. فمن هذه الجملة التي عبر قائلها عن خدمة الاستاذ الامام العليا للدين وللمسلمين ، ينجلي لنا رأي هؤلاء الملاحدة في الاصلاح والمصلحين (١٤ :٢٧ يثبّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) .

من أجل هذا كانت مدرسة الدعوة والارشاد قذى في أعينهم ، وشجى في حلوقهم ، وطخا على قلوبهم ، وما زالوا يكيدون لها ، حتى حالوا دون أعظم اعانة كانت تنتظرها ، وقد كان أشدهم سعيا وسعاية ، أشدهم استهزاء بالدين وزراية ، ذلك الذي كلما عنّ مطعن يلوي عنقه ويهز أكتافه ،

وينغض رأسه ويثني أعطافه، ويتبسم ساخرا، أو يغرب ضاحكا — ذلك الذي يعلم رئيسه الآن، أنه يأكل لحم الخنزير جهرا في نهار رمضان، ولو زدنا في وصفه لعرفه كثير من الناس، وانما الغرض بيان الصفات والاعمال وعلى هذه الشاكلة كل اولئك الضلال، الذين لم يرضوا بسكوت المسلمين لهم على الضلال، حتى تصدوا للمدوان والصيال، (١٤: ٥٨ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال)

فهم على ماهم، (٤٧: ٣١ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن القول) وفيما يوجهون اليه القوة والحول، فمنهم من يحاول هدم الاسلام، بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن، ومنهم من يبتغي التشكيك فيه بنشر آراء الماديين، من القدماء والاوربيين، ومنهم من يصد عن محجته، بتفضيل ماعرفوا من القوانين على ماجهلوا من شريعته، ومنهم من ينفر عما حرمه من آدابه الروحية والاجتماعية، تلذذا بما حرمه من الشهوات الضارة والعادات البهيمية، ومنهم من هم أقصر من هؤلاء نظرا، وأظلم بصيرة وأفسد ذوقا، وهم الذين يحتقرون مشخصات أمتهم (كالجبة والعمامة) ويهزؤن بها، ويرغبون في الاستعاضة بالازياء الغربية عنها، ويتوهمون أنهم قد عرجوا بذلك الى مستوى من فلسفة الذوق والجمال، لايعرفه الامن حلق في جو الخيال الى أوج الكمال، كمخترعات الازياء الجديدة (المودة) من ربات الغنج والدلال، ولو عقلوا ماتجره هذه الفلسفة النسائية أو الصبيانية من الخزي والنكال، أو قرؤا وفهموا ماقاله الدكتور سنوك الهولندي في خطبته في مستقبل الاسلام، لودوا لو كانوا من ربات الحجال، راجعين عن مذهب السفور ومخالطة نسائهم للرجال، وانما يلوذ هؤلاء وأولئك بخلابة

المقال (٢ : ٢١١ زُيِّنَ للذين كفروا الحياةُ الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة، والله يرزق من يشاء بغير حساب)

وجملة القول اننا بعد ان فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين ، قد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين ، يواليه أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين ، فاذا ترك هؤلاء وشأنهم ، وسكت لهم أهل الحق على ما ينفثون من سموم أباطيلهم، تعظم جرأتهم، وتنتشر دعوتهم، وتكبر فتنتهم ، وليس الاستظهار عليهم بالامر العسير، فان حجتهم داحضة،وغواياتهم متناقضة،وغاياتهم متعارضة، ويخافون الردة الصريحة،ان تحرمهم احترام الامة وبعض مناصب الحكومة،فالجريء منهم على التصريح بالكفر على رءوس الاشهاد قليل، وانما يصرحون غالبا بما يظنون أنه يحتمل التأويل، كزعمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام،أقرّ العرب على بعض عباداتهم الوثنية لاجل استمالتهم كما فعل بعض البابوات، وهذا من أقبح البهتان ، فان ما أقره الاسلام من مناسك الحج كان من شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام، فهو الذي بنى بمساعدة ولده اسماعيل البيت العتيق، وطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج فلبوه من كل فج عميق ومن دعائه عليه الصلاة والسلام، (١٤ : ٣٥ رَبِّ اجعلْ هذا البلدَ آمِنًا واجْنبني وبَنيَّ أن نَعْبدَ الاصنام)

هذا وإن سواد المصريين الاعظم يغار على دينه ، ويذب عنه بشماله ويمينه،حتى ان أكثر المتعلمين فى المدارس المتفرنجة والافرنجية،ليتعصبون له عصبية سياسية اجتماعية، لا يشعر بمثلها المتعلمون في المعاهد الدينية ، فهم يمقتون من يجعل نفسه داعية للكفر ، ويلفظونه كما تلفظ النخامة

من الفم، ويعلمون أن ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الاوربيين ، والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين، ليس بالغرض الصحيح الذي يعذرون فيه ، ولا العمل المفيد للدنيا فيساعدهم من لا يؤمن بالآخرة عليه، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الاسباب التي حملت بعض كتاب أوربة وجمعياتها السياسية ، على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن في نفس النصرانية ، فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم العقلية والكونية ، وأوجب الفنون والصناعات المدنية ، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية ، وأما رجال الدين الرسميين في مصر فلا مجال لاتهامهم بعصبية دينية ، ولا بمقاومة الحرية العلمية ولا العملية ، أنى وشيخ الازهر ومفتي الديار المصرية ، وشيخ مشايخ طرق الصوفية ، قد اشتركوا في جمع الاعانة لجمعية الصليب الاحمر ، حتى فرضها الاول على جميع أصحاب الرواتب في الجامع الازهر ، وحضروا ما كانوا يتحامون من المحافل ، في معاهد التمثيل والفنادق ، وقد حضر المفتي حفلة الصلاة على روح لورد كتشنر في هذه الايام ، كما حضر الصلاة على روح بطرس باشا منذ أعوام ، فلم يبق لهؤلاء الملاحدة ما ينقمونه من هؤلاء العلماء، الا عدم مشايعتهم إياهم على السفور ومخالطة النساء، ولعلهم لا يرضونه منهم الا أن يغيروا هذه الازياء (٣: ٧ رَبَّنا لا تُزِغ قلوبَنا بعدَ اذ هديتَنا وهَبْ لنا من لدُنك رحمةً انك أنتَ الوهَّاب ٨ ربنا انك جامعُ الناسِ ليومٍ لاريب فيه ان الله لا يُخلِفُ الميعاد)

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

السنة وصحتها والشريعة ومتانتها

رد على دعاة النصرانية بمصر

تمهيد في بيان حالنا مع المبشرين

لا يزل دعاة النصرانية (المبشرون) يطعنون على الاسلام بما ينشرون من الرسائل والمقالات ، واني أتعمد ترك قراءة ما يصل الي من مجلاتهم ورسائلهم حتى لا أفتح على نفسي باب الرد عليهم ، اذ رد الشبهات الموجهة الى الاسلام انما يجب على من علمه وجوبا كفائيا ، وقد كنت أكره الرد عليهم لولا ذلك وان كانوا يظنون أنه من مقاصد المنار ومشروع الدعوة والارشاد الذي اكبروا أمره ، على أنه لم ينلهم منه أذى بقول ولا فعل ، وجميع الطلبة في دار الدعوة والارشاد من قسم المرشدين الذين يُعدُّون لارشاد العوام لمقاومة الشرور والمعاصي الفاشية فيهم ، فقد كثرت في هذه البلاد جناياتهم في الانفس والاموال والزروع ، وفشا فيهم السكر والقمار والفحش ، نعم ان من مقاصد المنار رد الشبهات عن الاسلام مقاومة للشك والتشكيك فيه . وإنما أكره الجدل ، وأكره تعمد مناقشتهم أو فتح بابها عليّ لأنهم هم الذين يتعرضون لها وينتفعون بها ، وما أكثرت من محاجة أهل الكتاب في سنتي المنار الاخيرتين الا في التفسير اذ انفق بلوغي فيه الى سورتي النساء والمائدة المدنيتين ، وأكثر ما في القرآن من محاجة أهل الكتاب في هاتين السورتين وأقله فيما قبلهما . على ان فيه أيضا ما أوجبه الاسلام من إنصافهم والعدل فيهم ، وبيان مودة النصارى منهم . وقد انتهينا من ذلك ، ووصلنا الى تفسير السور المكية التي خوطب بها المشركون وقلما يذكر فيها أهل الكتاب الا في سياق بيان سنة الله تعالى في الرسل وأممهم .

لهذا كنا نظن أن باب محاجة أهل الكتاب يكون مقفلا في المنار الى ماشاء الله ، ولكن مجلة المبشرين العربية (الشرق والغرب) نشرت في العدد الذي صدر منها في أول الشهر الماضي (ابريل) مقالة عنوانها (السنة وصحتها) طعنت فيها على السنة

النبوية وزعمت أن طعنها يوجب الريب في الشريعة وترك العمل بها، وأنها لا قيمة لها في نفسها ، وقد جاءتنا المجلة فلم نفتحها، ثم علمنا بتلك المقالة فلم نقرأها ، ثم رأينا لهذه المقالة تأثيرا سيئا في المسلمين حتى إن منهم من نقلها عن المجلة وطبع كثيرا من نسخها بمطبعة الجلادين ووزعت على الناس ووصلت الينا نسخة منها ، واقترح علينا كثيرون أن نرد عليها فوجب شرعا اجابة طلبهم

ومما أكد وجوب الرد ما رأيناه في المقالة من مطالبة ثلاث مئة مليون من أهل السنة بالجواب عنها ! فلا ندع لهم مجالا أن يقولوا للمسلمين إنه لم يستطع أحد من علمائكم أن يدافع عن سنتكم وشريعتكم ، ولا أن يرد شيئا من حججنا عليها !

فها نحن أولاء نرد عليهم ردا يعلمون ويعلم الناس به أنهم لم يتحروا الامانة فيما نقلوا من كتبنا، ولم يفهموا ما قرؤا منها وما نقلوا عنها ، وأن طعنهم في أبي هريرة رضي الله عنه خطأ ، وأنه لو صح لم يترتب عليه بطلان الثقة بالسنة ، ولا ما رتبوه على ذلك من عدم وجوب طاعة الشريعة ، وانما قصاراه أنهم افتجروا دعاوى نسبوها الى الاسلام ، وردوا عليها بما لا يصلح أن يكون ردا

وقد رأينا أن ننقل كلامهم برمته على ما فيه من الركاكة واللحن والضعف ، واطلاق بعض الكلم على غير المعاني التي نطلقها عليها ، ولكن لا نناقشهم في شيء من الالفاظ لذاتها ، ولا في العبارة من حيث ضعفها ، بل في المسائل والمعاني ، وقد كان الغرض الاول من نقل عبارتهم بنصها، وعدم تلخيص مسائلها والرد عليها، أن لا يتوهم أحد منهم أو من غيرهم أننا تصرفنا في التلخيص تصرفا يخل بالمعنى المراد، أو حذفنا منه ما لا يمكن رده بنقض ولا انتقاد ، واستتبع ذلك بيان أن القوم لا يوثق بنقلهم ولا بفهمهم ، ومن المعلوم بالضرورة أنهم ليسوا كالفلاسفة الذين يبحثون في المسائل لأجل استبانة الحق في ذاته ، وانما يتحرون بالبحث ما يرون فيه سبيلا للطعن والاعتراض، ومجالا للتشكيك واثارة الشبهات، كما يعلم مما يأتي

﴿ الجملة الاولى من مقدمة الطاعن ﴾

افتتح طاعنهم مقالته بجملة تتضمن عدة دعاوى هذا نصها :

« ان صحة الشريعة قضية لا بد لكل مسلم سني من التسليم بها وذلك متوقف على صحة السنة . فاذا ارتاب أحد في صحة السنة فليس ثمة داع منطقي يوجب إطاعة الشريعة لأن جانبا قليلا منها فقط يتوقف على القرآن ، والجانب الا كبر يتوقف على السنة التي اجتمعت في الاحاديث . فاذا ثبت الريب في هذه الاحاديث تزعزعت أركان الشريعة وأركان تابعيها من حنفي ومالكي وشافعي وحنبلي . وعددهم لا يقل عن ثلاث مئة مليون من الاتباع » اه

نلخص هذه الجملة من كلامه في ثلاث قضايا ونبين ما فيها

القضية الاولى

﴿ زعمه اذا ارتاب أحد في السنة ينتفي وجوب طاعة الشريعة ﴾

هذه القضية بديهية البطلان فان الاطلاق في جزاء الشرط يدل على ان المراد من القضية الشرطية ان ارتياب فرد من الافراد في صحة السنة يستلزم انتفاء وجوب اتباع الشريعة على جميع الافراد . وانما المعقول الموافق للمنطق ان ارتياب الفرد أو ظنه أو علمه يترتب عليه ما يستلزمه في حق نفسه ولا يكون ذلك مؤثرا في غيره ممن لم يرتب ارتيابه أو لم يعلم علمه ، وكذلك ارتياب الافراد الكثيرين . وقد ارتاب بعض علماء أوربة الاحرار في وجود المسيح عليه السلام وزعموا أنه شخص خيالي — أو متخيل — لم يوجد ، كما زعم بعض المؤرخين مثل ذلك في هوميروس شاعر أساطير اليونان — فهل استلزم ارتياب أولئك المرتابين فيه انتفاء إيمان مئات الملايين من المسلمين والنصارى وغيرهم بوجوده عليه السلام ؟

القضية الثانية

﴿ زعمه ان أكثر الشريعة يتوقف على الاحاديث ﴾

هذه القضية غير مسلمة فان الشريعة عندنا تشمل العقائد والعبرة فيها بالدلالة القطعية وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الاسلام ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين ، وإثبات الالوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين العقلية ، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتياب في بعضها . وكذلك أصول العبادات

كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أحاديث الآحاد. وما ثبت من احكام العبادات بأحاديث الآحاد ولم يجمع عليه أئمة العلم فلا تتوقف عليه صحة الاسلام وان كان صحيحا في نفسه ، وانما هو مزيد كمال في علم السنة . وأما أحكام الشرع في المعاملات فأ كثرها مأخوذ من القواعد والاصول وكذا الفروع الواردة في القرآن إما بالنص وإما بدلالة النص وفحواه، ومن القياس الذي توسع فيه بعضهم كالحنفية فالشافعية ،والمصالح العامة التي توسع المالكية والحنابلة. وأقلها من حديث الآحاد . وما بقي من أركان الشريعة بعد العقائد والاحكام العملية الا الاخلاق والآداب ، وجميع ما ورد في الاحاديث من الحكم والفضائل والآداب فهو مستمد من القرآن الحكيم وشرح له ،بل السنة كلها بيان للقرآن لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل اليهم) وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها وصفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقولها: كان خلقه القرآن .

وقد اختلف العلماء في أحكام السنة التي لا تستند الى نص من القرآن فقيل إنها بوحي من الله تعالى وان الوحي لا ينحصر في القرآن ولكن للقرآن مزايا ليست لغيره من وحي الله الى خاتم رسله ولا الى الرسل قبله ، أعظمها إعجازه والتعبد بتلاوته. وقيل ان الله تعالى أذن لرسوله بأن يحكم ويشرع برأيه واجتهاده

ومن تأمل كثيرا من الاحكام التي استدلوا عليها بالسنة وحدها يرى لها مآخذ من القرآن كتحريم الجمع بين المرأة وبين عمتها أو خالتها في الزواج وكتحريم الاكل والشرب فى آنية الذهب والفضة ،وقد بينا ذلك في المنار، كما بينا تفاوت الافهام في الغوص على درر القرآن ، وأين أفهام الناس كلهم فيه من فهمه عليه الصلاة والسلام ، وقد ثبت مع ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يقضي في المسائل السياسية والادارية باجتهاده ، ويستشير فيها أصحابه

القضية الثالثة

﴿ زعمه أنه اذا ثبت الريب في الاحاديث تزلزلت أركان الشريعة ﴾

هذه القضية غير مسلمة أيضا وفيها إجمال وإبهام . فاذا أراد بثبوت الريب في

الاحاديث ما أفادته جملته الاولى من ارتياب بعض الافراد ولو واحداً — فقد بينا ان هذا لايترتب عليه الا ما يستلزمه الارتياب في نفس المرتاب وحده ، واذا أراد ارتياب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع الاحاديث فهذا ماوقع ولن يقع ولا يعقل أن يقع، وسنشرح ذلك على وضوحه في نفسه، فإن فرضنا جدلاً انه يقع فانما يترتب عليه حينئذ الاكتفاء في الدين بما في القرآن والسنة العملية المنقولة بعمل مئات الالوف وألوف الالوف منذ العصر الاول ككيفية الصلاة والصيام والحج وغير ذلك وبما ثبت بالاجماع والقياس الصحيح ، ولا ينقص من كتب الشريعة حينئذ الا الاحكام والحكم التي ثبتت بأحاديث الآحاد وحدها كما بيناه في الكلام على القضية الثانية

وبهذا وذاك يظهر لك بطلان قوله « تزعزعت أركان الشريعة وأركان تابعيها » فان أراد بأركان الشريعة أصول العقائد وقضايا الايمان التي يكون بها المرء مؤمناً فقد علمت انه لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد ، وان أراد أركان الاسلام الخمسة فكذلك ، فان معرفة هذه الاركان لا تتوقف على ثبوت الاحاديث الواردة فيها فانها مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة ، سواء صح ما ورد فيها من الحديث أم لم يصح ، على انه صحيح ولله الحمد، وإن أراد بأركان الشريعة أو أركان تابعيها أصولها المستمدة منها عند الأئمة الاربعة فقوله أظهر بطلاناً فان هذه الاركان أربعة — الكتاب والسنة والاجماع والقياس — وما ألحق بها عند بعضهم كالمصالح والاستحسان ، فالاحاديث جزء من السنة التي هي ركن من هذه الاركان ، فالارتياب في هذا الجزء لايوجب الارتياب في الجزء الآخر منها وهو ماثبت بالتواتر عملا أو قولا ، فكيف يوجب الارتياب في القرآن وكله متواتر ، وفي الاجماع والقياس ؟

قلنا ان ارتياب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع أحاديث الآحاد ما وقع ولن يقع ولا يعقل ان يقع . وبيان ذلك ان المعهود من البشر في كل زمان ومكان ان يصدقوا خبر كل مخبر — لان الاصل الغالب في أخبار الناس الصدق — الا اذا وجدت علة في الخبر أو المخبر تقتضي الارتياب ، كأن يكون الخبر غير معقول أو يكون المخبر معروفاً بالكذب . على أننا نرى الناس يصدقون أكثر أخبار الجرائد

السياسية والشركات البرقية على كثرة ما عرفوا من كذبهما ، واعتقادهم أن لأصحابهما أهواء سياسية يحاولون تأييدها بالحق وبالباطل . فاذا كان هذا شأن البشر في أمثال هذه الاخبار التي تحوم حولها الشبهات في أنفسها وفي سيرة رواتها ، فكيف يعقل ان يرتابوا في صحة جميع الاحاديث التي صححها حفاظ المحدثين بعد نقد متونها وإقامة ميزان الجرح والتعديل لكل فرد من أفراد رواتها ، وقد علم انهم لا يقبلون في الاحتجاج حديثا منقطع الاسناد ولا حديثا في رواته مجهول أو أحد ثبت عليه الكذب أو سوء الحفظ أو النسيان أو مخالفة الثقات الاثبات في روايته ؟

ها أنتم أولاء تصدقون أخبار أناجيلكم الاربعة وغيرها من كتبكم وليس عندكم سند متصل لشيء منها ، وقد اختلف علماؤكم ومؤرخوكم في كتابها وفي اللغات التي كتبت بها ، وفي التواريخ التي كتبت فيها ، فلم يتوفر لكم فيها شيء من النقد والتمحيص الذي توفر لنا في نقل الحديث ، أفتعقلون مع هذا أن نرتاب في تصديق جميع الاحاديث التي نقلت لنا بدقة لم يعهد لها البشر نظيرا في تاريخهم القديم ولا الحديث — وأنتم ترون أنفسكم وسائر البشر يصدقون أكثر ما يروى لهم بلا سند ولا بحث في رواته ، بل كثيرا ما يصدقون أخبار من ثبت عليهم الكذب مرارا كثيرة ، كرواة البرقيات والجرائد ؟

﴿ الجملة الثانية من كلام الطاعن ﴾

قال : « وسنثبت في الفصول التالية ان من السهل اثبات الشبهات الملقاة على تلك الأحاديث . ونحن مثبتون في هذا الفصل وهن الاعتماد على بعض الصحابة التي تتوقف مئات من الاحاديث على شهادتهم حتى قامت عليها الشريعة ومنها نشأت السنة ، على ان البخاري الذي اشتهر بنقد رجال الحديث لم يخطر له ان يرتاب في صدق الصحابة لانهم كانوا في نظره معصومين من الكذب ، وهذا يدلك على ضعف حجته ، فقد ثبت بوجه لا يقبل الشك ان أبا هريرة وابن عباس لم يكونا ممحصين في رواية الاحاديث . وغرضنا الآن ان نبين أن الريب في أحاديث أبي هريرة تسرب الى نفوس معاصريه ونفوس الذين جاؤا بعده ومع ذلك فقد نقل

عنه البخاري الاحاديث بالمئات فتداولتها ألسنة المجتهدين الذين اسسوا المذاهب الاربعة وبنوا عليها نظامهم الشرعي »

أقول تلخص هذه الجملة في قضايا تابعة في العدد لما تقدم ونبين ما فيها من الخطإ والاباطيل

القضية الرابعة

﴿ زعمه وهن الاعتماد على رواة المئات الاحاديث من الصحابة كأبي هريرة ﴾

هذه القضية باطلة فانها توهم القارئ ان الكاتب يثبت في هذا الفصل مطاعن في عدالة عدة من الصحابة الذين رووا المئات الكثيرة من الاحاديث — حتى اذا ما قرأ الفصل كله لم يجد فيه الا روايات في واحد منهم — وهو أبو هريرة رضي الله عنه — ويرى ان هذه الروايات لا تسقط عدالته كما نبسطه في هذا المقال . وهذا مما يزيد قولنا ان هؤلاء الناس يكتبون ما لا يفهمون لانهم اعتادوا الجرأة على إلقاء المطاعن من غير تفكير ولا روية ، فهم ينقضون ما يبنون ولا يشعرون

القضية الخامسة

﴿ زعمه أن البخاري لم يخطر بباله الارتياب في صدق الصحابة لاعتقاده عصمتهم ﴾

هذه القضية باطلة أيضا لا لانها حكم بعموم السلب ، على شيء يتعلق بالقلب لا يعلمه الا الرب ، فان مثل هذا الكاتب لا يناقش في مثل هذا التعبير لانه لا يفرق بينه وبين القول بأن البخاري لا يتهم أحدا من رواة الصحابة بالكذب ، ولا بغيره من العلل القادحة في الرواية ، وإنما نريد بيان بطلان زعمه ان البخاري كان يرى أن رواة الصحابة معصومون . والصواب انه كان يرى ويقول إنهم عدول صادقون لا معصومون ، وما قال هذا القول هو وغيره من نقاد المحدثين الا بعد تتبع تاريخهم كغيرهم من الرواة ، وقد نقل عنه الطاعن ما أراد أن يسقط به عدالة أبي هريرة وشيئاً من تمحيصه لما يرويه ، فالبخاري كان أعلم من الطاعن بكل ما قيل في أبي هريرة وبما رواه أبو هريرة ولم يره مسقطا لعدالته ، ولو رآه مسقطا لها لما روى عنه في صحيحه . وقد كان البخاري من أئمة أهل السنة الذين لا يقولون بأن أحدا

من البشر معصوم من الكذب الا الانبياء عليهم السلام . وصدق الرواية لا يتوقف على العصمة والا لما قبل أحـد من البشر قول أحد بعـد تبليغ أنبيائهم الوحي . وانما يكتفى في تصديق الرواية بالعلم بعدالة الراوي وجودة حفظه وضبطه لما يرويه ، ولم ينقل عن أحد من مؤرخي البشر ونقلة الاخبار مثلما نقل عن البخاري من شدة التحري في كتابه الجامع الصحيح ، فليأتنا هذا الطاعن بمثله أو بما يقرب منهم من علمائهم ؟ كيف وكتبهم المقدسة تنسب الكذب وغيره من كبائر المعاصي الى الانبياء برأهم الله تعالى وصلى الله عليهم وسلم، وهؤلاء المبشرون وأهل نحلتهم لا يقولون بعصمة الانبياء دع عصمة ناقلي كتبهم بغير أسانيد متصلة ولكنهم يقبلون ما عزي اليهم . وسنشير الى المقابلة بين رجالنا ورجالهم في هذا المقال ، ولا حاجة الى تفنيد قوله بضعف حجة البخاري الذي بناه على زعمه أن البخاري يعتقد عصمـة الصحابة ، فهو ساقط في نفسـه وأضعف منه وأسقط ما بناه عليه

القضية السادسة

﴿ زعمه أن الائمة الاربعة أسسوا مذاهبهم على مارواه البخاري عن أبي هريرة ﴾

هذه القضية البـاطلة تدل على مبلغ علم المبشرين الناشرين لهذا المقال وعلى درجة تحريهم وصدقهم فيما يقولون وينقلون

الحافظ البخاري متأخر عن الائمة الاربعة أدرك رابعهم الامام أحمد ابن حنبل وتلقى الحديث عنه. وقد جاء في تهذيب التهذيب عن العقيلي أن البخاري لما ألف كتابه الصحيح عرضه على علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل (وكلهم من كبار شيوخه) وغيرهم فامتحنوه وكلهم قال : كتابك صحيح الا أربعة أحاديث . قال العقيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة . والشاهد في هذا النقل أن البخاري أخذ عمن أدرك من الأئمة الاربعة ولم يأخذ أحد منهم عنـه شيئا ، ولم يكن أحد من المجتهدين يقلد أحدا في رواية ولا دراية ، وانمـا يأخذ كل منهم بمـا صح عنده من الرواية

ولد الامام أبو حنيفة سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ وولد الامام مالك سنة ٩٣ وتوفي

سنة ١٧٩ وولد الامام الشافعي سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٠٤ وولد الامام احمد ١٦٢ وتوفي ٢٤١ وولد الامام محمد بن اسماعيل البخاري سنة ١٩٤ وتوفي سنة ٢٥٦ وقد رحل من بلاده لطلب العلم سنة ٢١٠ أي بعد وفاة الامام الشافعي ببضع سنين وبعد وفاة مالك باحدى وثلاثين سنة وبعد وفاة أبي حنيفة بستين سنة

فكيف اجاز لهذا الطاعن في السنة والشريعة دينه وعقله أن يقول ان الائمة الاربعة أخذوا عن البخاري ماروا من الاحاديث عن أبي هريرة وبنوا عليه نظامهم الشرعي ؟ وكيف توهم أنه جاء بعلوم وحقائق تزعزع هذه الشريعة التي هي أثبت من الجبال الرواسي ؟ أبمثل هذه الدعاوى المخترعة تهدم الحقائق الثابتة ؟

﴿ الجملة الثالثة من كلام الطاعن ﴾

الشبهات في أبي هريرة

الشبهة الاولى

(١) قال الطاعن: الارتياب العام في أبي هريرة (بشهادة نفسه) حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله ...عن أبي هريرة قال « ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة » ولولا آيتان من كتاب ما حدثت حديثا...ان إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم ، وأن أبا هريرة كان يلزم رسول الله (صلعم) بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون .
(البخاري جزء أول كتاب العلم صفحة ٣٧) وكتب في الحاشية ما نصه :
(جاء في الاصابة لابن حجر جزء ٧ : ٢٣ قوله « انكم تزعمون ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله » وقد علل هذا الاكثار برواية غريبة) اه كلام الطاعن

الجواب عن هذه الشبهة

استدل الطاعن بهاتين الروايتين على ما سماه الارتياب العام في أبي هريرة ، ويفهم من هذا أنه يوهم قارئ مقالته أن جميع أهل عصره أو أكثرهم كان يرتاب في صحة روايته . وهذه دعوى باطلة ، ولفظ الناس يصدق بالقليل والكثير قال الله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) روي في التفسير

المأثور أن الذي قال ذلك هو نعيم بن مسعود قال ان أبا سفيان يجمع لكم الجيش الخ وقيل ان القائل ركب عبد القيس . فالناس اسم جنس يطلق على الواحد كما يقال : فلان يركب الخيل . وان لم يركب الا فرسا واحدا ، و يطلق على الكثير .

وقد ثبت أن بعض الصحابة أنكروا اكثار أبي هريرة من التحديث كما هو صريح هذا الحديث الذي اختصره الطاعن من البخاري • وقد صرح في رواية أخرى له بزيادة «ويقولون ما للمهاجرين والانصار لا يحدثون مثل حديثه» ووجه الانكار أن أبا هريرة من متأخري الصحابة فينبغي ان يكون أقل سماعا منهم . ومن المعلوم بالبداهة المتفق عليه من العقلاء الذي يقضون به في محا كمهم ان الاستنكار والاستغراب في مثل هذا لا يقتضي الاتهام بالكذب ، وأن التهمة لا تقتضي بمجردها سلب العدالة ، لان من التهم ما يبنى على شبهات وأوهام ، ومنه ما هنا

وقد أجاب أبو هريرة عن الاكثار هنا بأنه كان يلزم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكاد يفارقه اذ لا تجارة له كالمهاجرين ولا حرث له كالانصار فيشغله هذا أو ذاك ، فكان بهذه الملازمة يسمع ما لا يسمعون ويحفظ ما لا يحفظون . و يضاف الى هذا الجواب أنه حدث بما سمعه و بما رواه ، وأجوبة أخرى سيأتي بيانها — وأجاب عن أصل التحديث بالآيتين الدالتين على وجوب اظهار العلم وحرمة كتمانه ، وهما قوله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله) الى قوله (التواب الرحيم) وقد حذف ذلك الطاعن

وأما الرواية الثانية وهي مانقله الطاعن في الحاشية عن الاصابة لابن حجر فهي رواية أخرى لهذا الاثر نفسه رواها البخاري عن الاعرج (عبد الرحمن بن هرمز) عن أبي هريرة، وقال الطاعن انه علل الاكثار برواية غريبة؟ أي علل كثرة تحديثه بعلة غريبة أي عند الطاعن، ولم يذكر هذه العلة! وهي عين العلة التي في الرواية الأخرى مع زيادة تعد من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته — ولذلك لم يذكرها الطاعن وهي : فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فقال« من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئا سمعه مني » فبسطت بردة علي

حتى قضى حديثه ثم قبضتها الي فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئا سمعته منه بعد
وروى هذا الحديث احمد ومسلم والنسائي وغيرهم من طرق. وقد فهم أبو هريرة من الحديث عموم السلب المطلق وصدق عليه ذلك ، وان كان لفظ الحديث يحتمل تقييد العموم بما يقوله صلى الله عليه وسلم مدة بسط الرداء . وسنذكر بعض ماقاله الائمة النقاد في حفظ أبي هريرة ، ولم يروعنه في الصحيح انه نسي شيئا حدث به الا حديث « لا عدوى » فانه أنكره بعد ان روى ما يدل على ثبوت العدوى، (*) ولعله كان من مراسيله لا من سماعه ، فلا يتعارض مع قوله أنه ما سمع شيئا ونسيه أي بعد مسألة الرداء ، أو كان من سماعه قبل بسط الرداء

الشبهة الثانية

(٢) قال الطاعن : تهمة أبي هريرة بالكذب (بشهادة نفسه) : « عن أبي الرزين قال خرج الينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته فقال : ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله لتهتدوا وأضل ألا واني أشهد لسمعت رسول الله (صلعم) يقول اذا انقطع شسع أحدكم فلا يمشي في الاخرى حتى يصلحها » (جزء ٤ : ٤٤٠) (لا يخفى ما في هذا من الضعف)

(٣) ونقل ابن حجر عن احمد بن حنبل (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) قوله « قيل له ا كثرت فقال لو حدثتكم بما سمعت لرميتموني بالقشع أي الجلود » وقد أردف هذا بشكوى أخرى وهي قوله « أ كثر علينا أبو هريرة »

(٤) نقل ابن حجر عن عائشة (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) ما يأتي : قالت عائشة لأبي هريرة « إنك تحدث بشيء ما سمعته » فأجابها أبو هريرة بما مؤداه انها كانت مهتمة بزينتها فلم تسمع ما سمعه هو

(٥) عبدالله بن عمرو بن العاص جاء في كتاب أخبار مكة للازرقي صفحة ١٣٥ قوله : حدثنا أبو الوليد ... عن عبيدالله بن سعد انه دخل مع عبدالله بن عمرو ابن العاص المسجد الحرام والكعبة محرقة حين ادبر جيش الحصين بن نمير والكعبة تتناثر حجارتها فوقف ومعه ناس غير قليل فبكى حتى أني لا نظر الى دموعه تحدّر

*) راجع ص ٧٨١ م ١٨ أي مجلد سنة المنار الماضية

كلاقي عينيه... فقال يا أيها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم انكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت الله ربكم لقلتم ما من أحد أكذب من أبي هريرة »

(٦) عبدالله بن عمر. جاء في الترمذي جزء ١ صفحة ٢٨١ قوله : حدثنا ابن عمر ... فقال ان رسول الله (صلعم) أمر بقتل الكلاب الا كلب صيد أو كلب ماشية. قيل له إن أبا هريرة كان يقول أو كلب زرع . فقال ان أبا هريرة له زرع » (ولا يخفى ما في هذا من التقريع اللطيف)

(٧) — عن الاصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ . كان أبو هريرة قد روى حديثا عن الصلاة لم يعجب مروان فسأل عبد الله بن عمر فقال عبدالله : لقد أكثر أبو هريرة . فقالوا له أتنكر شيئا مما يقولون ؟ فقال لا ولكن أجرأ وجبنا . وبلغ ذلك أبا هريرة فقال : ما ذنبي ان كنت حفظت ونسوا ؟

ولا نظن قوله « أجرأ وجبنا » من قبيل الازدراء فان ابن عمر ما كان ينسب الجبن الى نفسه . اما الجرأة التي نسبها الى ابي هريرة فمعناها التهجم والتحدي . ولعل في هذا ما يميط لنا اللثام عن مصادر الاحاديث فانه يدلنا على عظم الاستسلام الى رواة الاحاديث غير المدققين . والارجح ان عبد الله لم يكن ليجسر على مقاومة أبي هريرة وإنما جاهر برأيه بلجهة الازدراء

(٨) جاء في الاصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ ان مروان استاء من كلمة قالها أبو هريرة فاتهمه بالاكثار من الرواية وأردف ذلك بقوله : انما قدم أبو هريرة قبل وفاة رسول الله ... بيسير. فقال أبو هريرة : قدمت ورسول الله ... بخيبر وانا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقمت حتى مات »

[ملاحظة — كان محمد في خيبر في سنة سبع هجرية أي قبل موته بنحو أربع سنوات . فالحادثة المذكورة هنا تبين ان معاصري أبي هريرة أنفسهم كانوا يرون المدة قصيرة جدا لا تعلل إكثاره من رواية الاحاديث التي كان يستشهد بها كلما شاء]

اه كلام الطاعن بحروفه وإشاراته ورموزه وحذفه من الروايات وغلطه فيها وهو كثير ، ومنه قوله « أتنكر شيئا مما يقولون » وصوابه « مما يقول » يعني أبا هريرة، وقوله « أجرأ وجبنا » وصوابه « اجترأ وجبنا » ولعل هذا الخطأ من الطبع لا من

تحريف الناقل ، ولكن بعض غلطه من سوء الفهم قطعا كقوله بعد الحديث الذي عزاه إلى أحمد : وقد أردف هذا بشكوى أخرى الخ والصواب ان هذه الزيادة ليست من حديث أحمد . ومنه ما فهمه من كلام ابن عمر

الجواب عن هذه الشبهة

نقول ـ (أولا) ليس في هذه الروايات التي أوردها الطاعن تصريح من أحد بأن أبا هريرة قد ثبت عليه الكذب

ـ وثانيا ـ إن التهمة لاتثبت الا بالبينه والدليل ، باتفاق الشرائع والقوانين وعرف أهل العقل والعدل من البشر أجمعين ، ولم يقم أحد دليلا ولا بينة على أن أبا هريرة كذب ، وإنما عرض لبعض الصحابه شبهة في رواية أبي هريرة ، ولو ثبتت الشبهه وظلت مجهولة وسببا خفيا لصح أن تجعل علة لعدم إلحاق روايته برتبة الصحيح احتياطا ، ولكن سبب الشبهه معروف وهو لا يقتضي سلب العدالة ولا عدم الثقه بالروايه

ـ وثالثا ـ ان لتلك الشبهه سببين (أحدهما) خاص بكثرة الروايه وفيه ورد أكثر الروايات ، وحاصلها أن مدة صحبته للنبي ﷺ ثلاث سنين وأشهر وهي لا تتسع للأحاديث الكثيرة التي كان يرويها (والثاني) خاص ببعض عيون الاحاديث ، وهي التي كان يتوقع التكذيب بها ، أو الايذاء أو القتل إذا حدث بها ، لانها من أخبار الفتن التي أخبرهم بها النبي ﷺ قبل وقوعها ، وهي مايسميه النصارى بالنبوات ، ولما عرف أهل الحديث سبب الشبهه ظهر لهم أنها لاتدل على أدنى طعن في عدالة أبي هريرة ، وبيان ذلك من وجوه

أسباب كثرة حديث أبي هريرة

لكثرة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أسباب استخرجناها من عدة روايات (أحدها) أنه قصد حفظ أقوال الرسول ﷺ وضبط أحواله لاجل أن يستفيد منها ويفيد الناس ، ولاجل هذا كان يلازمه ويسأله ، وكان أكثر الصحابه لايجترءون على سؤاله الا عند الضرورة ، وقد ثبت انهم كانوا يسرون إذا جاء بعض

الاعراب من البدو واسلموا لانهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم . ومن الدلائل على هذا السبب ماروواه عنه البخاري قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال « لقد ظننت أن يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث » وما رواه أحمد عن أبي بن كعب: ان أبا هريرة كان جريّاً على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره.

(ثانيها) أنه كان يلازم النبي صلى الله عليه وسلم ويتبعه حتى في زيارته لنسائه وأصحابه ليستفيد منه ولو في أثناء الطريق ، فكانت السنين القليلة من صحبته له كالسنين الكثيرة من صحبة كثير من الصحابة الذين لم يكونوا يرونه صلى الله عليه وسلم الا في وقت الصلاة أو الاجتماع لمصلحة يدعوهم اليها أو حاجة يفزعون اليه فيها ، وقد صرح بذلك لمروان، وكما سنبين ذلك في كلامنا على الشاهد السابع من شواهد الطاعن

وأخرج البغوي بسند جيد — كما قال الحافظ ابن حجر — عن ابن عمر انه قال لأبي هريرة : أنت كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه. وفي الاصابة عنه انه قال: أبو هريرة خير مني وأعلم بما يحدث، وعن طلحة بن عبيد الله : لا أشك ان أبا هريرة سمع من رسول الله (ص) مالم نسمع

(ثالثها) انه كان جيد الحفظ قوي الذاكرة ، وهذه مزية امتاز بها أفراد من الناس كانوا كثيرين في زمن البداوة وما يقرب منه اذ كانوا يعتمدون على حفظهم، ومما نقله التاريخ لنا عن اليونان أن كثيرين منهم كرهوا بدعة الكتابة عند ما ابتدؤا يأخذونها وقالوا ان الانسان يتكل على مايكتب فيضعف حفظه، وأننا نفاخر بحفاظ أمتنا جميع الامم وتاريخهم ثابت محفوظ ، قال الامام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره . وقال البخاري مثل ذلك الا أنه قال عصره بدل دهره . وأعظم من ذلك ما رواه الترمذي عن عمر (رض) انه قال لابي هريرة : أنت كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظنا لحديثه

(رابعها) بشارة النبي صلى الله عليه وسلم له بعدم النسيان كما ثبت في حديث بسط الرداء المتقدم وهو مروي من طرق متعددة في الصحاح والسنن

(خامسها) دعاؤه له بذلك كما ثبت في حديث زيد بن ثابت عالم الصحابة

الكبير (رض) عند النسائي . وهو ان رجلا جاء الى زيد بن ثابت فسأله فقال له زيد: عليك بأبي هريرة فاني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ندعو الله ونذكره اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس الينا فقال « عودوا للذي كنتم فيه » قال زيد فدعوت أنا وصاحبي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمّن على دعائنا ، ودعا أبو هريرة فقال: إني أسألك مثل ماسأل صاحباي وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «آمين» فقلنا يارسول الله ونحن نسألك علما لا ينسى . فقال « سبقكم بها الغلام الدوسي »

(سادسها) انه تصدى للتحديث عن قصد لانه كان يحفظ الحديث لاجل ان ينشره ، وأكثر الصحابة كانوا ينشرون الحديث عند الحاجة الى ذكره في حكم أو فتوى او استدلال ، والمتصدي للشيء يكون اشد تذكرًا له ويذكره بمناسبة وبغير مناسبة لانه يقصد التعليم لذاته ، وهذا السبب لازم للسبب الاول من اسباب كثرة حديثه

(سابعها) انه كان يحدث بما سمعه وبما رواه عن غيره من الصحابة كما تقدم فقد ثبت عنه انه كان يتحرى رواية الحديث عن قدماء الصحابة فروى عن أبي بكر وعمر والفضل بن العباس وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة و بصرة الغفاري، أي انه صرح بالرواية عن هؤلاء ، ومن المقطوع به ان بعض أحاديثه التي يصرح فيها باسم صحابي كانت مراسيل لانها في وقائع كانت قبل اسلامه ، ومراسيل الصحابة حجة عند الجمهور ، وقد روى أيضا عن كعب الاحبار وهو من علماء يهود أسلم في أيام أبي بكر وقيل في ايام عمر ، ووثقه المحدثون ولكن روى البخاري عن معاوية انه قال فيه : ان كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب . ولم يرو البخاري في صحيحه شيئا لكعب. وقد كان في نفسي شيء من رواية كعب قبل ان أرى ما قاله فيه معاوية، وأعلم ان كثيرًا من الناس يتهمونه بالكذب. ثم رأيت للحافظ ابن كثير كلاما في ذلك

فمن تدبر هذه الاسباب لم يستغرب كثرة رواية أبي هريرة ولم ير استنكار افراد من أهل عصره لها موجبا للارتياب في عدالته وصدقه ، اذ علم أن سبب

ذلك الاستنكار ، عدم الوقوف على هذه الاسباب ،

على أن جميع ما أخرجه البخاري في صحيحه له ٤٤٦ حديثا بعضها من سماعه وبعضها من روايته عن بعض الصحابة ، وهي لو جمعت لأمكن قراءتها في مجلس واحد لأن أكثر الاحاديث النبوية جمل مختصرة ، فهل يستكثر عاقل هذا المقدار على مثل أبي هريرة او من هو دونه حفظا وحرصا على تحمل الرواية واداءها فيجاري هذا الطاعن في الشريعة على الطعن في الامام البخاري لتخريجها ؟؟ كيف وهذا الطاعن لا يوثق بنقله ولا بفهمه ولا بقصده الى بيان الحقيقة بل نعلم علم اليقين أنه يريد التشكيك والطعن لان هذا هو عمله الذي يعيش له وبه ؟

سبب استنكار بعض حديث أبي هريرة

قال الطاعن في الشاهد الثاني عن ابي رزين أن أبا هريرة قال على مسمع منه « ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعزى هذا الى (جزء ٤: ٤٤٠) ولم يذكر اسم الكتاب وظاهر عزوه الشاهد الذي قبله الى البخاري انه يعني ان هذا في البخاري أيضا، وانما نعرفه من رواية مسلم. وذكر في الشاهد الثالث انه قال لو حدثتكم بما سمعت لرميتموني بالقشع . وصوابه : لو حدثتكم بكل ما سمعت، وذكر في الشاهد الخامس عن كتاب أخبار مكة للازرقي أنه قال حين رأى الكعبة محرقة بعد انصراف جيش الحصين بن نمير : يا أيها الناس لو أن أبا هريرة أخبركم انكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت ربكم — لقلتم ما من أحد اكذب من ابي هريرة. يعني لو حدثهم قبل إحراق بني امية للكعبة بذلك لكذبوه لان الخبر مما يستبعد تصديقه . فعلم من قوله انه كان يعلم بهذا الحدث قبل وقوعه لانه سمعه من الرسول (ص) ودليل هذا انه قرنه بخبر مثله في بعده عن الوقوع ولم يكن قد وقع وهو انهم سيقتلون ابن نبيهم يعني الحسين عليه السلام وقد وقع ذلك بعد وفاته رضي الله عنه

كان أبو هريرة يعلم ان كثيرا من الناس لا يصدقون الروايات التي تستبعد عقولهم وقوعها، وان كانت جائزة في نفسها، فيتوقع أن يكذبوه اذا هو حدث بها، ويظنون أنه عزاها الى الرسول لاجل قبولها ، وكان يعتقد ان بني أمية يقتلونه اذا هو حدث بكل ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم عن احداثهم ومفاسدهم، وهذا

هو مراده بقوله الذي رواه عنه البخاري في صحيحه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين من العلم فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثتـه لقطع مني هذا البلعوم . — يشير الى عنقه

قال الحافظ في الفتح : وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الاحاديث التي فيها تبيين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولايصرح خوفا على نفسه منهم ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان . يشير الى خلافة يزيد بن معاوية لانها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة . وسيأتي الاشارة الى شيء من ذلك في كتاب الفتن . اه

وقد وفى الحافظ بوعده هذا في شرح حـديث أبي هريرة في أوائل كتاب الفتن من صحيح البخـاري وهو قوله لسعيد بن العاص ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية: سمعت الصادق المصدوق يقول «هلكة أمتي على يدي غلمة[1] من قريش — وفي رواية أحمد والنسائي «ان فساد أمتي على يدي غلمة سفهاء من قريش» فقال مروان : لعنة الله عليهم غلمة . فقال أبو هريرة : لو شئت ان أقول بني فلان وفلان لفعلت . أي ولم يكن مروان يعلم حين لعنهم أنهم قومه وأبنـاؤه ولكن أبا هريرة هو الذي يعلم ولم يصرح .

وذكر الحافظ في شرحه لهذا الحديث حديثا آخر له من المرفوع في بيان معناه أخرجه علي بن معبد وابن أبي شيبة عنه وهو « أعوذ بالله من امارة الصبيان — قالوا وما امارة الصبيان ؟ قال — ان أطعتموهم هلكتم في دينكم وان عصيتموهم أهلكوكم في دنياكم »

فتبين بهذا أن الأحاديث التي كان يتوقع أبو هريرة تكذيب بعض الناس له فيها هي ما كان من هذا النوع ، وظهر بهـذا أن ما أورده الطاعن من الشواهد على اتهامه بالكذب لا يفيد شيء منه اثبات التهمة . وقد بينا آنفا أن رواية أبي

(١) هو جمع غلام ولم يقولوا غلمة مع كونه القياس استغناء عنه بغلمة كما في الفتح وفي رواية اغيلمة تصغير غلمة . والغلام الصبي من حين يولد ان يحتلم قال الحافظ وقد يطلق الصبي والغليم بالتصغير على الضعيف العقل والتدبير والدين ولو كان محتلما وهو المراد هنا فان الخلفاء من بني أمية لم يكن فيهم من استخلف وهو دون البلوغ وكذا من أمروه على الاعمال اه المراد منه

رزين عند مسلم والرواية التي عزاها الى أحمد وهي من طريق يزيد بن الاصم عن أبي هريرة ورواية عبد الله بن سعد عند الازرقي — كلها صريحة في أن أبا هريرة كان يعتقد أو يظن أن بعض الناس يكذبونه في بعض أحاديث الفتن إذا هو حدث بها قبل وقوعها لغرابة موضوعها .

بقي من شواهد الطاعن أربعة (أحدها) قول عائشة له: انك لتحدث بشيء ماسمعته. وقد عزا الحافظ هذا الى تخريج ابن سعد وكتابه ليس في أيدينا فلاندري أذكر سببه بعينه أم لا، والظاهر من جواب أبي هريرة أنها أنكرت حديثا رواه لانها لم تسمعه هي من النبي (ص) ومثل هذا وقع لها في أحاديث غير واحد من الصحابة لهذه العلة كارثيابها في حديث المعراج وفي حديث الرؤية في الآخرة وفي حديث عبد الله ابن عمرو في موت العلماء واتخاذ الرؤساء الجهال الذين يضلون و يضلون، ففي صحيح مسلم أن عروة بن الزبير سمع هذا الحديث من عبد الله بن عمرو فأخبر به خالته عائشة فأعظمت ذلك وأنكرته وقالت له : أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ على أنها هي التي أرسلته اليه ليأخذ عنه الحديث قال « قالت لي عائشه : يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌّ بنا الى الحج فالقه فسائله فانه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا » ثم انها مع هذا ومع ما تعلم و يعلم كل الصحابة من ورع عبد الله وعدالته قد ارتابت في هذا الحديث و بقيت مرتابة فيه مدة حول كامل — قال عروة : فلما كان قابل (أي العام الذي بعد ذلك العام) قالت له: ان ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكر لك في العلم قال فلقيته فساءلتـه فذكره لي نحو ما حدثني به مرته الاولى . فلما أخبرتهـا بذلك قالت : ما أحسبه الا قد صدق اراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص . والجواب المشهور عند العلماء في مثل هذه المسألة ان من حفظ حجة على من لم يحفظ

(ثانيها) حديث عبد الله بن عمر في قتل الكلاب ، نقله الطاعن عن الترمذي وهو في صحيح مسلم وسنن النسائي وابن ماجه ايضا . وقد قال العلماء ان مراد ابن عمر بقوله « ان لأبي هريرة زرعا » هو أن أبا هريرة كان محتاجا الى معرفة حكم اتخاذ الكلب للزرع لان له زرعا فسأل عن ذلك وحفظه وعمل به . ويؤيد هذا

ويفند زعم الطاعن أنه يريد التقريع ما صح عن ابن عمر من تفضيل أبي هريرة على نفسه وتقدم بعض كلامه في ذلك ، ومنه الشاهد الآتي الذي عده الطاعن تكذيبا لابي هريرة وهو عين التصديق والتعديل — وهو — :

(ثالثها) مانقله عن الاصابة — وهو الشاهد السابع — من ان مروان سمع من ابي هريرة حديثا لم يعجبه الخ ما تقدم ، وقد حرف الطاعن الرواية . وهذا نصها :

وروينا في فوائد المزكي تخريج الدارقطني من طريق عبد الواحد بن زياد عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رفعه « اذا صلى احدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه » فقال مروان : أما يكفي أحدنا ممشاه الى المسجد حتى يضطجع على يمينه ؟ قال لا . فبلغ ذلك ابن عمر فقال : أكثر أبو هريرة . فقيل لابن عمر هل تنكر شيئا مما يقول ؟ قال لا ولكنه اجترأ وجبنا اه بحروفه (١)

وعبارة المبشر الطاعن توهم ان ما أورده هو نص ما في الاصابة ولعله يريد بقوله في الحديث « لم يعجب مروان » ايهام القارئ أن موضوع الحديث قبيح أو منكر أدبا . ثم انه فسر الجرأة التي وصف ابن عمر بها أباهريرة بالتهجم والتحدي. وهذا من أكبر الجرأة على القول بغير علم فالتحدي معناه المباراة والمعارضة ولا محل له هنا ، فالطاعن أثبت بهواه معنى غير صحيح ، ونفي معنى صحيحا ، وهو وصف ابن عمر نفسه بالجبن ، والمراد به كما تقدم في بيان السبب الاول من أسباب كثرة حديث أبي هريرة انه كان جريئا على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم وكان أكثر الصحابة يهابون سؤاله فلا يكادون يسألونه الا لضرورة * فهذا معنى قول ابن عمر اجترأ وجبنا . وهو قد صرح هنا بأنه لا ينكر شيئا من قول أبي هريرة . ولكن القسيس المبشر يريد أن يقنعنا مع هذا التصريح بأنه أنكر كلامه و كذبه !! وقد فسر ابن الاثير « اجترأ وجبنا » بقوله : يريد انه أقدم على الاكثار من الحديث عن النبي (ص) وجبنا نحن عنه فكثر حديثه وقل حديثنا اه

هذا وان هذا الحديث عن أبي هريرة مطعون في سنده فان راويه عبدالواحد ابن زياد ليس ثقة فيما يرويه عن الاعمش عن أبي صالح كما صرح به الذهبي في

(١) يراجع نقل الطاعن لهذا الحديث وتحريفه في ص ٣٦

الميزان وذكر هذا الحديث من منا كبره منه

وأما جملة التحدي التي كتبها الطاعن بغير فهم فهي مصحفة عليه من أثر في الاصابة عن عبد الله بن عمر. قال الراوي: كان ابن عمر اذا سمع أبا هريرة يتكلم قال: انا نعرف ما تقول ولكنا نجبن وتجتري. أي نجبن عن كثرة التحديث وتجترئ أنت عليه. فيكون هذا بمعنى رواية عبد الواحد على الوجه الذي فسرها به ابن الاثير. ولكن كلمة تجتري صحفت في طبعة الهند للاصابة هكذا «نحتزي» ولعل الطاعن رآها في طبعة مصر مصحفة أيضا بفعل من التحدي أو ما يقرب منه، وأنى له ان يعرف الاصل ؟

وهذا يثبت قولنا ان هذا الطاعن يكتب ما لا يفهم وانه لا ثقة بنقله ولا بفهمه، ومن الغريب انه ترجى أن يكون هذا التفسير الباطل لتلك الكلمة المحرفة من تلك الرواية المنكرة أصلا للطعن في جميع الاحاديث لا لتكذيب أبي هريرة وحده فقال « ولعل في هذا ما يميط لنا اللثام عن مصادر الاحاديث فانه يدلنا على عظم الاستسلام الى رواة الاحاديث غير المدققين ، والارجح ان عبد الله لم يكن ليجسر على مقاومة أبي هريرة وانما جاهر برأيه بلهجة الازدراء » اه

فليهنأ المسلمون بهذا الطاعن بشر يعتهم بمثل هذا الخبط والخلط والتحريف والدعاوي المضحكة . ومن ذا الذي لا يضحك من ادعاء هذا المبشر أن عبد الله ابن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين القرشي ما كان يجسر على تخطئة أبي هريرة الدوسي الضعيف ؟

كان ينبغي لك أيها القس المحترم أن تلمّ قبل تصديك لتشكيك المسلمين في دينهم ، وتهجمك على الطعن بشر يعتهم ، أن تلمّ قليلا بتاريخهم ، فاننا نرى عوام نصارى بلادنا العربية يعلمون كخواصهم ان حرية النقد واستقلال الرأي عند الصحابة رضي الله عنهم قد بلغت أوج الكمال ، وان أرقى الاوربيين حرية كالانكليز لم يبلغوا درجتهم في ذلك ، انهم يعلمون ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كانت تخشى بأسه ملوك الارض وتهابه الانس والجن كان يقول الكلمة على المنبر في المسجد الجامع فتخطئه بها المرأة أو الأعرابي فيعترف بخطئه اذا كان

خطئاء فهل يقال في هؤلاء أن أعظمهم مكانة في العلم والشرف لايجسر أن يصرح برأيه في تخطئة أضعفهم ؟؟ على انه كان يكفيك ان تفهم شاهدك الآتي — وهو —

(رابعها) ما نقله عن الاصابة محرفا ناقصا كالذى قبله — وهو الشاهد الثامن — ونحن ننقله بنصه ليقابله القراء بما نقله[1] ويروا درجة أمانته . قال الحافظ :

« وأخرج ابن سعد من طريق الوليد بن رباح : سمعت أبا هريرة يقول لمروان حين أرادوا ان يدفنوا الحسن عند جده : تدخل فيما لا يعنيك . — وكان الامير يومئذ غيره — ولكنك تريد رضا الغائب . فغضب مروان وقال ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة الحديث وانما قدم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير . فقال أبو هريرة قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقمت معه حتى مات و(كنت) أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحج، فكنت أعلم الناس بحديثه، وقد والله سبقني قوم بصحبته فكانوا يعرفون لزومي له فيسألونني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، ولا والله لا يخفى علي كل حديث كان بالمدينة ، وكل من كانت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة، ومن أخرجه من المدينة أن يساكنه. قال فوالله ما زال مروان بعد ذلك كافًّا عنه »

فخلاصة هذه الرواية أن مروان بن الحكم غضب لانكار أبي هريرة عليه أمرا كان لاهل بيته (بني أمية) فيه سياسة — والدولة دولتهم — فلم يجد كلمة يشفي بها غيظه الا قول بعض الناس : أكثر أبو هريرة ، فلما بين له أبو هريرة سبب اكثاره أذعن له ولم يعد الى مثل ذلك ، أليس من العجائب أن يعمد هذا القس المبشر الى هذه الرواية فيحرفها ليستدل بها على كذب أبي هريرة أو تكذيب الناس له ، وما هي الا حكاية لشبهة الاكثار التي فندها أبوهريرة وأجبنا نحن عنها بما استنبطناه من مجموع الروايات المبينة لاسبابها وهي سبعة ؟

وجواب ابي هريرة يدل على جرأته وعلى سعة حرية العرب حتى في عهد معاوية أيضا ، فانه ذكر لمروان نفي النبي (ص) لوالده الحكم ، وسيأتي بيان ذلك

---

(١) براجع نقل الطاعن لهذا في ص ٣٦

﴿ الجملة الرابعة من كلام الطاعن ﴾

(شبهات أخرى فى أبى هريرة)

قال : « ١ جاء فى مجموعة الرسائل للغزالى فى كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول صفحة ٣٢ قوله : « أقلد جميع الصحابة ولا أستجيز خلافهم برأيى إلا ثلاثة نفر أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة بن جندب ... وأما أبو هريرة كان يروى كلما سمع من غير أن يتأمل فى المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ »

« اقتبس كولد زير هذا القول فى كتابه (الظاهرية) صفحة ٧٩ ولكن بدون إشارة إلى القيد المذكور ، فأبو حنيفة لم يرتب فى وثائق أبى هريرة ولكنه ارتاب فى قيمة أحاديثه باعتبارها أركانا للشريعة »

« ٢ حلقة أبى حنيفة : على أن ارتياب أبى حنيفة وأتباعه فى قبول كلام أبى هريرة كان مبنياً على ارتيابهم فى وثائقه . فقد نقل الدميرى فى كتاب الحيوان أنه وقع خلاف بين بضعة من رجال الافقاه فى جامع ببغداد ، فأنكر الحنفيون الاستشهاد بأبى هريرة لاشتباههم فى صدق روايته ، وكان الخليفة هارون الرشيد فى جانب الفريق المرتاب » اه

هذا ماقاله الطاعن بنصه على مافيه من الغلط والتحريف والايهام من وجوه :

(منها) أن مجموعة الرسائل ليست للغزالى وإنما هى رسائل لكثير ممن قبله وبعده

(ومنها) أن كتاب المؤمل فى الرد إلى الأمر الأول ليس للغزالى كما توهمه عبارته

(ومنها) أن قوله « أقلد جميع الصحابة » الخ منقول فى كتاب المؤمل عن أبى حنيفة . وظاهر عبارة الطاعن انه للغزالى لأنه هو الذى سبق ذكره فى كلامه . ولهذا يتعجب من يرى لاحق كلامه وذكره فيه لأبى حنيفة

(ومنها) أن الأصل (يروى كل ما سمع) لا (كلما سمع) كما كتب الطاعن والفرق بينهما معروف لكل من له إلمام بالعربية

(ومنها) أنه أورد شبهة واحدة ، وإنما عقد العنوان لشبهات متعددة ، ولكنه قسم هذه الشبهة إلى قسمين (احدهما) ادعاؤه ان ابا حنيفة لا يحتج بالاحاديث التى يرويها ابوهريرة (والثانية) ان اتباعه كذلك لايحتجون بها

ولعلنا لو راجعنا عبارة حياة الحيوان لاستخرجنا من نقله لها بالمعنى الذي اراده اغلاطا وتحريفات اخرى ، والغرض من هذا بيان ماقلناه اولا من انه لا يوثق بنقله ولا بفهمه، مع القطع بأنه يقصد الطعن لتشكيك المسلمين في الاسلام لا تمحيص الحقيقة ، ولكن بعض خطئه مما لا يهتدي عاقل الى تعليله ، كنسبته كتاب المؤمل ومجموعة الرسائل الى الغزالي !!

أما الجواب عن هذه الشبهة فهي أن أبا حنيفة لم يطعن في رواية أبي هريرة بهذه العبارة ولا بغيرها ولم يتهمه بالكذب ، وهذه العبارة التي فسرها الطاعن بهواه لا بما تدل عليه في عرف الفقهاء لا تنهض حجة له ، فالتقليد عند علماء الشرع هو العمل برأي المقلَّد (بفتح اللام) لا بروايته ، لا خلاف بين المذاهب في هذا . فأبو حنيفة يقول في هذه الرواية عنه انه يقدم رأي الصحابي على رأيه — أي رأيه الذي يستنبطه من الكتاب أو السنة بالقياس — الا رأي هؤلاء الثلاثة ، وعلل ذلك بقوله « أما أنس فاختلط في آخر عمره وكان يفتي من عقله وانا لا أقلد عقله ، واما أبو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير ان يتأمل في المعنى ومن غير ان يعرف الناسخ والمنسوخ » فقد صرح بأنه كان يروي ماسمعه وهذا ينفي اتهامه بأنه يكذب، وصرح بأنه ماكان يقصد من الرواية استنباط الاحكام منها بالتأمل في معاني الاحاديث والبحث عن الناسخ والمنسوخ منها ليقدم الاول عند التعارض ، وحاصل ذلك انه راو غير مستنبط فيؤخذ بروايته لا برأيه وفهمه . وهذا صحيح فان ابا هريرة كان يقصد بحفظ الحديث اولا روايته والاهتداء به بنفسه، وثانيا نشر السنة وايصالها الى الناس ليهتدوا بها بحسب اجتهادهم عملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة في خطبة حجة الوداع اذ قال « ليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو اوعى له منه » وفي رواية « رب مبلَّغ اوعى من سامع » وكلتاهما في البخاري وغيره . وفي معنى هذا الحديث مارواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت مرفوعا « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »

والرواية الاخرى عن أبي حنيفة وهي الاشهر انه قال : أقلد من كان من القضاة

المفتين من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعبادلة الثلاثة ولا أستجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر . — وذكرهم — والمراد بالعبادلة الثلاثة عبد الله بن مسعود وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر . وقد ترك الطاعن نقل هذه الرواية من كتاب المؤمل ، لانها أظهر في المراد الذي بيناه ، وأبعد عن التحريف الذي ادعاه .

وما زعمه من رد الحنفية الاستشهاد بحديث أبي هريرة لاشتباههم في صدق روايته اعتمادا على حكاية محرفة نسبها الى حياة الحيوان فهو باطل ، وهذه كتب الحنفية في الحديث والفقه تكذب هذه الدعوى ، وصاحب الدار أدرى . ومذهب السواد الاعظم من الفقهاء المجتهدين ان رأي الصحابة ليس بحجة في الشريعة سواء كانوا فقهاء مستنبطين أو رواة ناقلين ، وانما الحجة في الرواية اذا صحت .

خلاصة الطعن في أبي هريرة والاجوبة عنه

ينحصر طعنه في أبي هريرة في ثلاثة أشياء — ١ — استكثار بعض الصحابة لروايته، وقد بينا أسبابها المزيلة لاستغرابها، — ٢ — توقع أبي هريرة لتكذيب بعض الناس له اذا هو صرح بكل ما سمعه . وقد بينا ان هذا خاص بما سمعه من أخبار الفتن التي اسرّ اليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا كثيرا منها ، ومثله في ذلك حذيفة ابن اليمان ، وقد ذكر كل منهما بعض ما سمع تصريحا أو تلويحا فوقع كما قالا فكان من دلائل النبوة التي لاتحتمل التأويل — ٣ — ان الحنفية لا يحتجون بروايته وإنهم يعتقدون انه كان كاذبا — وهذه دعوى باطلة تكذبها الالوف من كتب المذهب والملايين من أتباعها

ويعارض هذه الشبهات الباطلة إجماع أئمة الفقه ومنهم الاربعة المشهورون على الاحتجاج بما صح عندهم من أحاديث أبي هريرة المرفوعة — وكذا المرسلة عند الجمهور — وثناء كثير من الصحابة ومن بعدهم على سعة حفظه وجودة ضبطه ، وقد ذكرنا بعضها

ومن الغريب ان أبا هريرة اغضب مروان بن الحكم الاموي — الذي كان أمير المدينة ثم صار أمير المؤمنين — وعرض أمامه تعريضا يقرب من التصريح بأن عشيرته هي التي تفسد على المسلمين أمرهم ، ولم يجد مروان كلمة يقولها فيه الا حكاية

قول من قال : أكثر أبو هريرة . ولما جبهه بتذكيره بنفي النبي صلى الله عليه وسلم لوالده (الحكم) من المدينة لم يعد الى تلك الكلمة ولا غيرها ، ولو وجد فيه مطعنا لما قصر في التشنيع عليه به

وقد ورد ان مروان امتحنه لعله يعثر عثرة يؤاخذه بها . قال الحافظ في الاصابة : وقال أبو الزعيزعة كاتب مروان : أرسل مروان الى أبي هريرة فجعل يحدثه وكان اجلسني خلف السرير اكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان في رأس الحول أرسل اليه فسأله وأمرني ان أنظر فما غير حرفاً عن حرف . اه

فياليت شعري ماذا كان يقول هذا الطاعن لو نقل أن أبا هريرة غير أو بدّل أو زاد أو نقص في الاحاديث التي حدث بها مروان — واذًا لعاقبه مروان وشهر به حتى لا يقبل أحد حديثه — أو لو طعن في دينه وإيمانه غير مروان ؟ بل ماذا يقول هو وسائر دعاة النصرانية لو نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم طرده كما طرد المسيح عليه السلام بطرس وسماه شيطانا وهو كبير تلاميذه ورسله؟ ففي الفصل ١٦ من انجيل متى انه طوبه وجعله الصخرة التي يبني عليها كنيسته وقال له (١٩ واعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولا في السموات (قال متى) ٢٠ حينئذ أوصى تلاميذه ان لا يقولوا لأحد انه يسوع المسيح ٢١ من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه انه ينبغي ان يذهب الى أورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم ٢٢ فأخذه بطرس اليه وابتدأ ينتهره قائلا حاشاك يارب ٢٣ فالتفت وقال لبطرس اذهب عني ياشيطان ، أنت معثرة لي لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس)

فهذه الشهادة على بطرس وهذا اللقب كان على رواية متى بعد تلك المنحة والخصوصية التي خصه بها ، فهل نسختها أم يجوز الجمع بينهما ؟ نحن نجل حواريي المسيح ولا نؤمن بهذه الرواية حتى نحتاج الى الجواب عنها . وفي متى (١٤ : ٣١) ان المسيح قال لبطرس أيضا « ياقليل الايمان » وفي ١٧ : ٢٠ وصف التلاميذ كلهم

بعدم الإيمان وانه ليس لهم منه ولا مثل حبة خردل . ومثل هذه الشهادة متعددة في غيره من الاناجيل . حتى ان منها ما جاء بصيغة المستقبل كقوله لهم بعد ما رأوا آية إطعام خمسة آلاف من خمسة ارغفة « انكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون » (يوحنا ٦: ٣٦) وكما وصفهم بعدم الايمان وصفهم بأنهم أشرار ، روى ذلك لوقا في (١١ : ١٣) من انجيله

ثم ياليت شعري لو وصف النبي صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بمثل هذين الوصفين — أو لو وصف بذلك في كتاب الله المجيد — ماذا كان يقول فيه وفي روايته هذا المبشر المحترم والقس الجدل الذي وضعته جمعيته في أشهر البلاد الاسلامية بالعلم ليتنصّر المسلمين فيها؟ وهل يقبل منا أن نقول له لماذا تقبل رواية تلاميذ المسيح بلا سند مع وصف المسيح لهم بما ذكر وهو المعصوم من الخطأ — ولا تسمح لنا بقبول رواية أبي هريرة ولم يجرحه من دون المسيح بمثل ذلك ؟ (للرد بقية)

التعريف بكتابي
منازل السائرين — ومدارج السالكين
وترجمة مؤلفيهما

(بيان وجه الحاجة الى تحرير التصوف ومكانة الكتابين والشيخين منه)

علماء الاسلام أربعة أصناف : أهل الأثر والمتكلمون والصوفية والفقهاء . والتفسير مشترك بينهم ففي كل صنف منهم مفسرون . ونقول باعتبار آخر : ان علماء الاسلام صنفان علماء الاثر وغيرهم ، أو علماء المنقول وعلماء المعقول ، ومن كل صنف مفسرون وفقهاء . ولا يكاد يكون الأثري متكلما ، وقد يكون صوفيا في النادر . والأثري الفقيه اذا احتج بالقياس فانما يحتج بما كانت علته ثابتة في الكتاب أو السنة ثم إن علم الأثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا

بالآخر، فمن اتقن علم الرواية بحفظ الأثر أو الحديث وضبطه ومعرفة رواته وعلله والتمييز بين الصحيح وغيره منه ولم تكن له دراية تامة بفهمه والاستنباط كان جل النفع بعلمه لغيره ، وهو اذا خاض في معاني الحديث بغير استعداد تام للفهم فانه ربما يضل ويضل كثيرا ، وفي مثله ورد الحديث الصحيح « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه» رواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت . وفي معناه حديث « نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلَّغ أوعى من سامع » رواه احمد والترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود . وأما من لم يتقن علم السنة من المتكلمين والفقهاء والصوفية فضلالهم وإضلالهم أشد

وقد وجد في كل طائفة علماء أعلام خدموا الاسلام أجل خدمة ، فصالحو المتكلمين خدموه بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، على ان بعض الشبه والبدع ما جاءت الا من علمهم المبتدع ، وانما ينتفع بعلمهم من جمع بينه وبين علم السنة.

وصالحو الصوفية خدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتربية الاخلاق والآداب ، ولكن البدع التي حدثت من قبلهم أكثر وأرسخ من سائر البدع التي حدثت في الاسلام ، وسبب ذلك الجهل بالسنة .

والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والاحكام المدنية والسياسية والتأديبية ، وقد جنى الجاهلون بالسنن منهم على الاسلام جناية عظيمة بما أحدثوا بأقيستهم البعيدة عن نصوص الشريعة ومقاصدها من الاحكام الكثيرة المنافية ليسر الدين ورفع الحرج منه

تفرق المسلمون بهذه العلوم الى فرق وأحزاب كثيرة كل ينتحل مذهبا ينتصر له ويدافع عنه ، فكانت جناية الخلاف على الاسلام وأهله أشد ضررا مما أخطأ به كل فريق منهم . وقد رد بعضهم على بعض ردودا كان يعدها كل منهم من التعصب أو من باب « من جهل شيئا عاداه » والحق انه قلما يخلو ردّ طائفة على أخرى من ذلك. ومنشأ الخطإ والضرر الاكبر هو التزام مذهب والرد على مخالفه ، فان هذا هو اتباع الهوى، وأهله هم أهل الاهواء، وان سموا أنفسهم بأفضل الاسماء

أما أهل الحق الذين لا يدخلون في عموم (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فهم الذين يجعلون كتاب الله تعالى وما بينه من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فوق الخلاف، بل هو الحكم العدل في الخلاف، لانه تعالى أخبرنا انه أنزل الكتاب (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم — فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

وأجدر هؤلاء المهديين ببيان التحقيق الذي يزيل الخلاف من كان جامعا بين المنقول والمعقول غير متعصب لمذهب من المذاهب التي تعزى الى أفراد العلماء . ولم نر في هذا الصنف أوسع علما وأنهض حجة وأقوى عارضة من شيخ الاسلام احمد ابن تيمية، وتلميذه الامام المحقق محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم أو ابن قيم الجوزية، فقد جمع الله لكل منهما بين الرسوخ في علوم السنة حفظا وفهما واستحضارا واستنباطا وبين التمكن من سائر العلوم التي دونت بالعربية ومذاهب الفرق وأدلتها ، فبينا في كتبهما المتمة ما أخطأ فيه الذين انحرفوا عن الكتاب والسنة من أهل هذه المذاهب، وقد كان ابن تيمية السابق الى تحرير تلك المسائل، وتلاه ابن القيم فكان الموضح المكمل لها ، والمستدرك المدرك لما فاته منها

وأهم ما انفرد به ابن القيم فيما نعلم الاطالة بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم بشرحه لكتاب [منازل السائرين] لشيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي

الصوفية ثلاث: صوفية الارزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق، وبدع الفريقين المقلدين يعرفها كل من له إلمام بالسنة والفقه . وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رءوس الفقهاء والمتكلمين ، فهم في الحقيقة علماء حكماء ، ولكن ضل بما دخل في الاسلام من باب فلسفتهم الروحية، أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية ، من إلهية وطبيعية ، وسبب ذلك ما بيناه آنفا من جهل بعض شيوخهم بالسنة النبوية، فمن أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشريعة ، وجعل الامر الكوني القدري كالامر

الشرعي في كون كل منهما يجب الرضاء به والاذعان والاستسلام له ، ومن مفاسد هذا الأصل قولهم «من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم » ومن مفاسده الرضاء بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الافراد وحقوق الأمة . ومن مفاسده الجبر وسلب الاختيار وناهيك بما يتبعه من المفاسد والمضار

ومن أصول الضلالة التي دخلت من ذلك الباب جعل الذوق والحال من قبيل دلائل الشريعة وأصولها ، بل هو عند كثير من غلاتهم الركن الاعظم المقدم على كل ما يعارضه ، ومن فروع هذا الاصل ما ابتدعوه من الاذكار والاوراد والسماع وتعظيم القبور وجعلوه من شعائر الاسلام فان عمدتهم فيه انهم ذاقوا ما أثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة في الآخرة ، ومن أمثالهم «من ذاق عرف» وجهلوا ان مثل هذا الذوق حاصل للكفار فيما يأتونه في عباداتهم من الاغاني والاناشيد وآلات الطرب ، ومايشاهدونه في معابدهم ومقابرهم من الصور والتماثيل التي وضعت لسلفهم من النبيين والكهنة وغيرهم من الصالحين عندهم ، فاذا كانت العبادة تشرع بالذوق ، فقد هضم حق الوحي وهدم أساس الشرع

ومن أصول تلك الضلالات دعوى ان للدين ظاهراً وباطناً مخالفاً لما يفهما الجمهور منه ، وهذه الضلالة من ابتداع زنادقة الباطنية وقد كانت سبباً لارتداد كثير من المسلمين فتكونت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية البهائية والأزلية وغيرهم

ومنها أصل الاصول عند غلاتهم ، وهو ما يعبرون عنه بوحدة الوجود بالمعنى الذي يمثله الكتاب المسمى (بالانسان الكامل) وأمثاله وهذا الاصل مخالف لنصوص القرآن الصريحة ، ولنصوص السنة الصحيحة ، وفيه مفاسد كثيرة جداً ، ولكن من الناس من يفهم وحدة الوجود على غير هذا الوجه .

قد افتتنت كل فرقة انشقت من جماعة المسلمين وأهل كل مذهب خالفوا السنة وماجرى عليه سلفها الصالح بفتنة تأويل مايخالف مذاهبهم وآراءهم من آيات الكتاب العزيز ومتون الأحاديث ، حتى انهم ليؤولون السنن العملية أو يعارضونها بروايات قولية شاذة أو منكرة ، وغلاة الصوفية أبرع الفرق في التأويل وأشدهم اسرافاً

فيه بعد الباطنية الذين يشتبهون بهم كثيرا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون في التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكناية ، بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الاشارة وباب الرموز ، ولذلك نرى كلامهم ممزوجا بالآيات والاحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التي تدل عليها في اللغة ، ولاجله ترى كلامهم مقبولا عند الجماهير من غير تأمل ولا تفكر ، حتى ان المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص أو يبتدع في الدين ما لم يكن في الصدر الاول

فمن تدبر ما ذكرنا علم ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا في علم الكتاب والسنة أتم الرسوخ ، وعارفا بالتصوف معرفة علم وذوق وعمل، وقد ادخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين العارفين الذائقين المفسرين المحدثين — شيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي الانصاري، ومحقق الاسلام ابن القيم الدمشقي — فالاول عالم أثري غلب عليه التصوف ، والثاني صوفي ذائق غلب عليه علم السنة ، جمع الاول زبدة التصوف جمعا موجزا في كتابه [منازل السائرين] وشرحه الثاني وبين ماله وما عليه في كتابه [مدارج السالكين] وها نحن أولاء ننقل من كتب العلماء ترجمة وجيزة لكل من الشيخين ، ونقفي عليها بالتعريف بكل من الكتابين :

﴿ ترجمة شيخ الاسلام الهروي ﴾

جاء في حوادث سنة ٤٨١ من كتاب (شذرات الذهب) ما نصه :

وفيها توفي أبو اسماعيل شيخ الاسلام الانصاري الحنبلي عبد الله بن محمد بن علي الهروي الصوفي القدوة الحافظ أحد الاعلام ، توفي في ذي الحجة وله ثمانون سنة وأشهر

سمع من عبد الجبار الجراحي وأبي منصور محمد بن منصور الازدي وخلق كثير وبنيسابور من أبي سعيد الصيرفي واحمد السليطي صاحبي الاصم ، وكان قذى في أعين المبتدعة وسيفا على الجهمية. وقد امتحن مرات. وصنف عدة مصنفات، وكان

شيخ خراسان في زمانه غير مدافع ، قاله في العبر

ومن شعره

سبحان من أجمل الحسنى لطالبها	حتى اذا ظهرت في عبده مدحا
ليس الكريم الذي يعطي لتمدحه	ان الكريم الذي يثني بما منحا

وجاء في أول حرف العين من (الكواكب الدرية) في طبقات الصوفية للمناوي :

«عبدالله بن محمد بن علي شيخ الاسلام ابو اسماعيل الانصاري الهروي الحافظ العالم العارف الصوفي صاحب [منازل السائرين] كان اماما في التفسير والحديث ، حسن السيرة[١] في التصوف والعربية والتاريخ والانساب وغير ذلك. وكان لا يخاف في الله لومة لائم ولذلك ....[٢] في هلاكه مرارا فحفظ منهم . وكان آية في التذكير والوعظ. مات سنة احدى وثمانين وأربعمائة » اه

وذكره الحافظ الذهبي في كتاب العلو وجعل عنوانه «شيخ الاسلام الانصاري» ولقبه بالامام الكبير، على كونه لم ينقم منه سوى تأليفه لكتاب المنازل وقال فيه ما نصه:

« كان ابو اسماعيل آية في التفسير، رأسا في التذكير، عالما بالحديث وطرقه ، بصيرا باللغة ، صاحب أحوال ومقامات ، فياليته لا ألف كتاب المنازل ففيه اشياء منافية للسلف وشمائلهم، قيل انه عقد على تفسير (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) ثلاث مئة وستين مجلسا . وقد هدد بالقتل مرات ليقصر من مبالغته في إثبات الصفات ، وليكف عن مخالفيه من علماء الكلام ، فلم يرعو لتهديدهم، ولا خاف من وعيدهم ، ومات في سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، وله خمس وثمانون سنة ، سمع من عبد الجبار الجراحي وابي سعيد الصيرفي وطبقتهما »

﴿ ترجمة محقق الاسلام ابن القيم ﴾

قال العلامة السيد نعمان خير الدين ابن الآلوسي البغدادي في كتابه (جلاء العينين) :

العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي

---

(١) لعله سقط شيء من هنا (٢) ههنا كلمة ممحوة في الاصل لعلها : سعى علماء الكلام

ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر النحوي الاصولي المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية.
قال في الشذرات: بل هو المجتهد المطلق. قال ابن رجب: ولد شيخنا سنة احدى وتسعين وستمائة ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه وتفنن في كافة علوم الاسلام وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين واليه فيه المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك، وبالفقه والاصول والعربية وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام والتصوف. حبس مدة لانكاره شد الرحيل الى قبر الخليل، وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى، ولم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله. وقد امتحن وأوذي مرات وحبس مع شيخه شيخ الاسلام تقي الدين في المرة الاخيرة بالقلعة منفردا عنه ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ؛ وكان في مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكر ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الاذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والخوض في غوامضهم وتصانيفه ممتلئة بذلك؛ وحج مرات كثيرة وجاور بمكة، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته؛ وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة وأشياء من تصانيفه غيرها، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه والى أن مات وانتفعوا به. قال القاضي برهان الدين الزرعي: وما تحت أديم السماء أوسع علما منه، ودرس بالصدرية وأم بالجوزية، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة، وصنف تصانيف كثيرة جدا في أنواع العلوم وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره

فمن تصانيفه: تهذيب سنن أبي داود وايضاح مشكلاته، وسفر الهجرتين. ومراحل السائرين. والكلم الطيب. وزاد المسافرين، وزاد المعاد أربع مجلدات، وهو كتاب جليل. وكتاب نقد المنقول. وكتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين، ثلاث مجلدات. وكتاب بدائع الفوائد مجلدان. النونية الشهيرة بالشافية الكافية. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. حادي الارواح الى بلاد الافراح. ونزهة المشتاقين. وكتاب الداء والدواء. وكتاب مفتاح دار السعادة مجلد ضخم غريب

الاسلوب . واجتماع الجيوش الاسلامية . وكتاب الطرق الحكمية . وكتاب عـدة الصابرين وكتاب أغاثة اللهفان. كتاب الروح . وكتاب الصراط المستقيم. والفتح القدسي. والتحفة المكية. والفتاوى، وغير ذلك . توفي ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير بعد ان صلي عليه بمواضع عديدة ، وكان قد رأى قبل موته شيخه تقي لدين في النوم وسأله عن منزلته فأشار الى علوها فوق بعض الاكابر ، ثم قال له : وأنت كدت تلحق بنا ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة ، رحمهم الله تعالى . انتهى باقتصار

مكانة كتاب منازل السائرين

جاء في كشف الظنون مانصه :

(منازل السائرين) أوله « الحمد لله الواحد الاحد » الخ . وهو لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن(علي أبو) اسماعيل الانصاري الهروي الحنبلي الصوفي المتوفى سنة ٤٨١ إحدى وثمانين وأربعمائة.وهو كتاب في أحوال السلوك قال فيه : هذه المقامات يجمعها رتب ثلاث : الاولى اخذ المريد في السير، الثانية دخوله في الغربة ، الثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة الى عين التوحيد . الفه حين سأله جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين الى الحق من أهل هراة فأجاب ، ورتبه لهم فصولا وأبوابا ، وجعله مائة مقسومة على عشرة أقسام ، كل منها يحتوي على عشرة مقالات ،

« وقد شرحه جماعة منهم الشيخ كمال الدين عبد الرزاق الكاشي المتوفى سنة ٧٣٠ ثلاثين وسبعمائة لغياث الدين محمد بن رشيد الدين محمد بن محمد بن طاهر الوزير ، أوله « الحمد لله الذي خص العارفين بمعرفة ما لا يعرفه الا هو » الخ . وذكر الكاشاني ان النسخ كانت مختلفة وألفاظها متباينة حتى ساق اليه القدر نسخة مقروءة على المصنف موشحة بإجازة بخطه ، قال وهو كتاب فاق على كل ما صنف في هذه الطريقة. وشرحه المولى شمس الدين محمد البادكاني الطوسي المتوفى سنة ٨٩١ احدى وتسعين وثمانمائة وهو شرح ممزوج بالفارسية سماه (تسنيم المقربين في شرح منازل السائرين) وشرحه محمود بن محمد الدركزيني المتوفى سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة سماه (تنزل السائرين) ولاحمد بن ابراهيم الواسطي المتوفى سنة ٧١١ احدى عشرة وسبعمائة شرح نافع

« ولشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ احدى وخمسين وسبعمائة شرح سماه (مدارج السالكين) وهو شرح مبسوط . وعلق عليه أبو طاهر محمد بن احمد الفيشي المتوفى سنة ٧٤٧ سبع وأربعين وسبعمائة ؛ وترجمه الشيخ مصلح الدين المعروف بابن نور الدين المتوفى سنة ٩٨١ احدى وثمانين وتسعمائة بالتركية؛ واختصرته الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية وسمته(الاشارات الخفية في المنازل العلية) وشرحه الشيخ الامام عبد الغني التلمساني . وشرحه أيضا الشيخ الامام سليمان بن علي بن عبدالله التلمساني الصوفي المتوفى سنة ٦٩٠ تسعين وستمائة بأمر الشيخ الزاهد ناصر الدين أبي بكر بن فليح وهو شرح أوله « الحمد لله الذي روحنا بالحمد » الخ اه

مكانة كتاب مدارج السالكين

مصنفات ابن القيم في كتب علماء الاسلام نادرة ، وكتاب مدارج السالكين في كتب ابن القيم نادرة ، فاذا كان كل كتاب منها ممتازا بتحقيق واحاطة في مباحث العلوم فلا يستغني عنه بغيره في الجملة ، فكتاب المدارج أولى بأن لا يستغنى عنه بغيره في الجملة ولا في التفصيل. ذلك بأن مباحث كل كتاب من تلك الكتب قد توجد مجملة أو مفصلة في كتبه الاخرى أوكتب شيخه وغيرهما من المحققين. وأما مباحث المدارج فما يوجد منها في تلك الكتب قليل جدا، فهو الكتاب الذي قد انفرد بتحرير علوم الصوفية ، ووزنها بميزان الكتاب العزيز والسنة النبوية ، وما كان عليه صفوة المسلمين في الصدر الاول . قدر الله تعالى أن يجمع مباحثها له امام من أكبر أئمتهم المتقدنين في أوجز عبارة، وألطف اشارة، يعز على غيره الحكم لها وعليها ، بل يقل في االناس من يفهم الغايات التي ترمي اليها ، وأنما أحجم غير ابن القيم من علماء السنة الاعلام عن شرح كتاب المنازل بمثل ما شرحه به ، أو إنشاء كتاب مستقل في موضوعه ، لان الصوفي القح منهم — وهو قليل — لا يرجى منه احسن مما جاء به الهروي ، والبعيد عن التصوف منهم لا يفهم رموزهم ومقاصدهم ، ولا يدرك أحوالهم وأذواقهم ، فهو اما أن يحكم عليهم بالتضليل ، أو يعذرهم بضرب من التأويل ؛ ألم تر الى الحافظ الذهبي كيف تمنى لو لم يؤلف الانصاري كتاب المنازل ، ولو لم

يكن من أكبر علماء التفسير والحديث ، ومقاومي الجهمية وغيرهم من أهل التعطيل والتأويل ، لضلاله بهذا الكتاب تضليلا

اذا كان لكتاب المدارج عيب يوقيه من العين فعيبه أن اكثر ما فيه من الاحاديث غير معزو الى مواضعه من دواوين السنة ، خلافا لعادة مؤلفه وأمثاله كأن العدوى سرت الى مصنفه من كتب التصوف ، ولكن لم يصل فعلها فيه الى ايراد الاحاديث الموضوعة ، أو الاستدلال بالاحاديث المنكرة والضعيفة، فان هذا لا يأتي من أثري محقق مثل ابن القيم

وجملة ما نقول في هذا الكتاب أنه أفضل ما عرفنا وسمعنا به من كتب التصوف والاخلاق الدينية، وقد نقد ما ذكرنا وما لم نذكر من دخائل كتب التصوف وبدعها فهو غاية الغايات في هذا الباب، والله أعلم بالصواب . والحمد لله الذي وفقنا لطبعه ونشره ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ؟

***

أعظم معركة بحرية بين أعظم أساطيل العالم

نشرت الحكومة الانكليزية في ٣ يونيو ١٩١٦ بلاغا رسميا في مصر هذا نصه: كما نشر في المقطم وغيره :

أعلنت وزارة البحرية البريطانية أنه بعد ظهر يوم الاربعاء في ٣١ مايو حاول الاسطول الالماني الاكبر أن يخترق نطاق الحصر البحري الذي ضربناه على المانيا فجاء من جهة بحر كاتغات قاصدا دخول البحر الشمال وكان هذا الاسطول مؤلفا من أساطيل الدردنوطات والطرادات الكبرى والطرادات والمدمرات الخ

فانبرى له أسطول من الطرادات البريطانية الكبرى تعززه الطرادات والمدمرات واحتدم القتال بين الفريقين وأسفرت المعركة عن خسارة عظيمة من الجانبين

وبعد مدة وجيزة وصل أسطول الدردنوطات البريطانية الى مكان المعركة فكف العدو عن القتال وعادت بوارجه قاصدة الموانئ الالمانية

وقد اغرقت البوارج الالمانية التالية وهي

بارجة دردنوط من طرز « كيز » نسفت نسفا و بارجة أخرى من الطرز عينه أغرقت بنار المدافع

أما الطرادت الالمانية الثلاثة الكبرى التي قاتلت في المعركة (و بينها الطراد العظيم لتزوف والطراد العظيم درفلنجر على ما يظن) فقد نسف واحد منها وعطل الثاني ووقف عن الحركة ورؤي الثالث مصابا بعطل كبير

ورؤي طراد الماني من الطرادات الخفيفة وهو يغرق ، ومما يجدر ذكره أن الالمان اعترفوا بضياع ثلاثة من طراداتهم الخفيفة وهي فرونلوب وفسبادن و بومرن وغرقت ست مدمرات المانية ونطحت غواصة المانية فاغرقت

هذه الخسارة التي أرسل القائد العام للاسطول البريطاني خبرها كما رؤيت ولكن ثلاث بوارج ألمانية من البوارج الكبرى أصيبت بعطب كبير والمرجح أن العدو أصيب بخسارة أخرى لم يستطع اسطولنا رؤيتها بسبب صعوبة الرؤية من جراء الاحوال الجوية

والظاهر أن المعركة دارت في آخر الامر والبوارج الالمانية تجد في السير وقد ساقها البريطانيون أمامهم من السكو الى مصب نهر الالب

أما خسارة الاسطول البريطاني فهي من الطرادات الكبرى « كوين ماري » و « انفيتجابل » و « وأنفنسبل » ومن الطرادات « دفنس » و « بلاك برنس » وهذه البوارج الخمس أغرقت ، والطراد « واريور » وقد تعطل فتركناه وشأنه ، ومن المدمرات « تبراري » و « تر بيولنت » و « فرتشون » و « وسبرهوك » و « أردنت » وثلاث مدمرات أخرى ضاعت . ولم يغرق للبريطانيين شيء من بوارج الدردنوط ولا من الطرادات الخفيفة

وقد وقع عبء القتال قبل وصول الاسطول البريطاني الاكبر على قسم من أسطول الطرادات الكبرى البريطانية فقاتل هذا القسم أسطول العدو الاكبر وأصيب بالخسارة المتقدمة وهو يقاتل أسطولا يفوقه كثيرا في قوة البوارج وعددها اه

وقد شرح كل من المقطم والاهرام هذا البلاغ شرحا صرحا فيه بأن الطرادت الكبرى التي غرقت من نوع الدردنوط أيضا وقد آثرنا شرح الاهرام للخسائر وهذا نصه

خسائر الالمان

جاء في البلاغ البريطاني ان الالمان فقدوا بارجتين من طراز «كيزر»[1] احداهما نسفت نسفاً والاخرى اغرقت بنار المدافع

ومحمول كل بارجة من هذه البوارج ٢٤٧٠٠ طن وهي من بوارج الدردنوط الالمانية وسلاحها ١٠ مدافع قطر ١٢ بوصة و ١٤ مدفعا قطر ٦ بوصات و ١٢ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٤ ثقل ٢٤ رطلا وهي لمقاومة الطيارات وفيها ٥ انابيب للطوربيد (الواحدة ٢٠ بوصة) مغمورة بالمياه ٤ منها في جانبها وواحدة في المؤخرة

وقد بنيت بوارج الدردنوط الالمانية التي من طراز «كيزر» (لقب الامبراطور) سنة ١٩١٢ — ١٩١٣ وعددها خمس وهي «كيزر» و «فردريك درجروس» و «كيزرين» و «برنس رجنت لويتبولد» و «كوينج البرت» فاذا كانت اثنتان قد دمرتا على ما جاء في البلاغ يكون الباقي عند الالمان من هذا الطراز ثلاث

وليس عند الالمان أكبر من هذه البوارج سوى ثلاث محمول الواحدة منها ٢٨ الف طن وهي «ارزتس فردريك الثالث» و «ارزانس ورث» و «T» وأربع محمول الواحدة ٢٥ الف طن وهي «ارزانس براندنبرج» و «كوينج» و «جروس كورفرست» و «مرجراف»

وأما الطرادات الالمانية التي يقول البلاغ ان منها لتزوف ودرفلنجر فهي من طرادات القتال الكبرى وليس لدى ألمانية منها سوى ثلاثة وهي «در فلنجر» و «لتزوف» و «أرزانس هرثا» ومحمولها ٢٨ ألف طن وسلاحها ٨ مدافع قطر ١٢ بوصه و ١٢ مدفعا قطر ٦ بوصات و ١٢ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٥ أنابيب للطوربيد (٢٢ بوصة) مغمورة بالمياه أربعة منها في الجوانب و واحدة في المؤخرة

أما الطرادات الثلاث التي يعترف الالمان بضياعها فهي

١ — بومرن ومحمولها ١٢٢٠٠ طن وسلاحها ٤ مدافع قطر ١١ بوصة و ١٤ مدفعا قطر ٦ر٧ بوصة و ٢٠ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٤ ثقل رطل واحد (أي ثقل

---

(١) المنار : تعريب كيزر قيصر ، والالمان يطلقون لقب قيصر على عاهلهم كالروس

مقذوفها) وأربع مدافع رشاشة و ٦ أنابيب للطوربيد مغمورة بالمياه في جوانبها وفي المقدمة والمؤخرة . وللامان من هذا الطراز أربع بوارج أخرى وهي « دنشلند » و « هنوفر » و « شاسويج هولستين » « و شلسين »

٢ — فرونلوب وهوطراز صغير محموله ٢٧١٤ طنا وسلاحه ١٠ مدافع قطر ٤ بوصات و ١٠ مدافع ثقل رطل و ٤ مدافع رشاشة وأنبوبان للطوربيد مغموران تحت الماء

٣ — « وستفالن » وهي دردنوط كبيرة ومن طراز « نساو » ومحمولها ١٨٠٠ طن وسلاحها ١٢ مدفعا قطر ١١ بوصة و ١٢ قطر ٦ بوصات و ١٦ ثقل ٢٤ رطلا و ٦ انابيب للطوربيد في المقدمة والمؤخرة والجانبين مغمورة تحت الماء

ولالمانيا من هذه الطراز أربع بوارج فقط وهي [وستفالن . ونساو . و بوزن . ورينلاند]

وخسر الالمان عدا ما تقدم ست مدمرات لم تذكر أسماؤها

هذه خسارة الاسطول الالماني ولا نستطيع تقدير خسارة الأنفس لعدم التحقق من عدد البوارج والطرادات التي اغرقت تماماً بمن فيها على انا اذا سلمنا بأنه لم يغرق سوى بومرن وفرونلوب ووستفالن وهي الثلاث التي اعترف الالمان انفسهم بضياعها فلا تقل خسارتهم في الرجال عن الف رجل في وستفالن و ٨٠٠ في بومرن و ٢٥٠ في فرونلوب (أي ٢٠٥٠)

***

خسارة البريطانيين

أما خسارة الاسطول البريطاني فاذا بحثنا فيها فانما نذكر أمورا صحيحة اعتمادا على البلاغ الذي لدينا فلا وجه للحدس والتخمين ولا للظن والشك وهذا بيان الخسائر على ماجاء في البلاغ وقدذكرنا سلاحها منذ يومين فلانعود الى ذكره اليوم

	محمولها طن	سرعتها عقدة	عدد رجالها
كوين ماري	٢٨٠٠٠	٢٨	١٠٠٠

	محمولها طن	سرعتها عقدة	عدد رجالها
انديفا تجبل	١٨٧٥٠	٢٥	٧٩٠
انفنسبل	١٧٢٥٠	٢٦	٧٨٠
دفنس	١٤٦٠٠	٢٣٫٥	٨٥٠
بلاك برنس	١٣٥٥٠	٢٢٫٦٥	٧٠٤
وريور	١٣٥٥٠	٢٢٫٩	٧٠٤
			٤٨٢٨

والبارجة كوين ماري هي من احدث الدردنوطات الكبرى . ولا يوجد أكبر منها في الاسطول البريطاني من حيث المحمول سوى ثلاث قطع وهي البارجة « تيجر » ومحمولها ٢٨ الف طن والبارجة « وورسبيت » والبارجة « فليانت » والبارجة « كوين اليزابث » ومحمول كل منهما ٢٧٥٠٠ طن على ان « كوين ماري » تمتاز عن الثلاث بوارج الاخيرة بسرعتها فهي تجتاز ٢٨ عقدة في الساعة بينما « كوين اليزابث » و « وورسبيت » و « فليانت » سرعة الواحدة منها لا تزيد على ٢٥ عقدة مثل « كوين ماري » وقد كانت البارجة « كوين ماري » من فرقة الطرادات الكبرى في الاسطول الاكبر

ويظهر ان عبء القتال في هذه المعركة وقع على الاسطول البريطاني الذي كان في البحر الابيض المتوسط وهو الآن في البحر الشمالي فان الطرادات [انديفاتجبل] و [انفنسبل] و [دفنس] و [بلاك برنس] و [وريور] جميعها كانت من هذا الاسطول ولضباط هذه البوارج اصدقاء عديدون في الاسكندرية و بور سعيد والسويس وغيرها من موانئ البحر المتوسط سيحزنون لما أصابهم و يأسفون أشد الاسف لفقدهم. وقد ظل (بلاك برنس] مدة طويلة في مياه البحر الاحمر وخليج السويس بعد شبوب هذه الحرب واسر جملة بواخر من بواخر الاعداء في أوائلها

أما المدمرات الانكليزية التي غرقت وهي [فرتشون] و [سباروهوك] و [اردنت] و [تيبراري] فهذه جميعها من المدمرات الاوقيانوسية وقد بنيت عام

١٩١٣ وطول الواحدة منها ٢٦٠ قدما ومحمولها ٩٣٥ طنا وسرعتها ٣٠٧ عقدة في الساعة وسلاحها ٣ مدافع قطر ٤ بوصات وانبوبان للطوربيد وعدد رجال الواحدة منها مئة رجل

ولعل الثلاث المدمرات الاخرى التي ضاعت ولم يذكر اسمها في البلاغ من نوعها أيضاً فتكون خسارة البريطانيين من الرجال في المدمرات نحو ٧٠٠اه شرح الاهرام

[المنار] ظاهر البلاغ الرسمي ان خسارة الاسطول الانكليزي أكبر من خسارة الاسطول الالماني . وقد ورد في البرقيات ان الالمان تبجحوا وافتخروا بهذه المعركة وخطب قيصرهم خطبة قال فيها الآن ألقينا الرعب في أعماق قلوب أعدائنا. ثم وردت برقيات أخرى بأن خسارة الالمان كانت أعظم مما ورد في البلاغ الانكليزي وفي بلاغاتهم الرسمية . وقد قال ناظر البحرية البريطانية إنه جازم بأن خسارة العدو لم تكن أقل من خسارتهم وان لم يسهل بيان ذلك بالتفصيل . وصرح هو وغيره بما لا مراء فيه وهو ان الاسطول البريطاني لا يزال صاحب السلطان الاعلى على البحار

المنار

الدعوة الى انتقاده

جرت عادتنا بأن ندعو قراء المنار في أول كل سنة الى انتقاد ما يرونه منتقدا فيه بالشروط التي كررنا بيانها ، ونعني بقراء المنار هنا كل من اطلع عليه وقرأ شيئا فيه لا المشتركين خاصة ، ونعد بأن ننشر كل ما يكتب الينا في ذلك بشروطه وأهم الشروط ان ينتقد القارئ للكلام ما يراه خطأ ويبين ذلك بالدليل من غير استطراد ولا تطويل

حجم المنار في هذه السنة

ذكرنا في الجزء الماضي أن قلة الورق اضطرتنا الى ان نجعل كل جزء من أجزاء هذه السنة ثمانية كراريس (ملازم) واننا اذا ظفرنا في أثناء السنة بورق كاف نجعل السنة اثني عشر شهرا فيكون حجم مجلد هذه السنة من سني الحرب كمجلد التي قبلها

مباحث هذا الجزء

ضاق هذا الجزء عما وعدنا به فيما قبله من كتابة مقالة في حال المسلمين الاجتماعية وحال أغنيائهم وسائر أصنافهم في التعاون على الاعمال النافعة ، وسننشر المقالة ان شاء الله في الجزءين الثاني والثالث

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ١٥ رمضان ١٣٣٤ — ٢٣ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ش ١٥ يوليو ١٩١٦

العصبية الجنسية التركية

(وعاقبة قتل نابغي العرب بسوريه)

لعلنا قد سبقنا جميع الكتاب الى بيان خطر العصبية الجنسية على الدولة العثمانية في عصر الدستور فاننا أشرنا الى ذلك في أول مقالة كتبناها عند حدوث الانقلاب واعلان الدستور اذ كان جميع العثمانيين يصفقون طربا ويحسبون انهم نالوا السعادة صفوا من كل كدر، آمنين من كل خطر . تلك المقالة التي جعلنا عنوانها (عيد الامة العثمانية بنعمة الدستور والحرية) ونشرناها في (ج ٦ م ١١) الذي صدر في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ (٢٨ يوليو و ١٥ تموز) أي بعد اعلان الدستور بأربعة أيام . وقد جاء فيها بعد بيان مزايا هذه النعمة ما نصه :

« ان امامنا عقبات كثيرة (منها) ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية الجميلة التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهيمون بها شغفا (ومنها) ما هو أقرب الى الوقوع — كالنزاع بين الاحرار المستقلين، و بين المتعصبين والمقلدين،

(ومنها) مسألة الجنسية العثمانية ، وما يقف في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، فمن المطالب بالنظر في ذلك ؟ »

ثم أنشأنا بعد شهر مقالة أخرى نشرناها في (ج ٧ م ١١) أوضحنا فيها خطر اختلاف الاجناس وشدة الحاجة الى تكوين جنسية عثمانية تتحد فيها جميع الاجناس والملل ، وبينا ان الواجب على أحرار الترك وعقلائهم ان يبدؤا بالدعوة الى ترك العصبية الجنسية (اللغوية) ولا سيما زعماء جمعية الاتحاد والترقي منهم ، لان دعوتهم هي التي يرجى ان تسمع ويستجاب لها . ثم كررنا الكتابة في ذلك كثيرا

وقد راءى الاتحاديون عقب الانقلاب باظهار الرغبة في الوحدة العثمانية وكراهة العصبية الجنسية فحمدنا ذلك لهم كتابة وخطابة . ولكنهم ماعتموا ان نزعوا ثوب الرياء الشفاف بعد ان استقرت سلطتهم ، فنبذوا الجنسية العثمانية وراء ظهورهم ، ونهضوا بالجنسية التركية بغلو واسراف وعجلة خارجة عن طور العقل . فنصحنا لهم أولا بالكتابة وبينا لهم أن تحويل العربي عن عربية والألباني عن ألبانيته والارمني عن أرمنيته والرومي عن روميته مما يستحيل في هذا العصر ، وانه لو كان ممكنا لعذرناهم في محاولة تتريك جميع الشعوب العثمانية سياسة لا دينا

ثم قصدت الى الاستانة للسعي الى منع التفرق بين العرب والترك وتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد فيها ، ونشرت في جرائدها مقالات (العرب والترك) المعروفة لقراء المنار فجعلتها تمهيدا للسعي في الوفاق ومنع سريان التفرق الجنسي ، اذ بينت فيها ضرورة اتحاد هذين العنصرين مع محافظتهما على لغتهما ، وانه يجب أن يكونا كعنصري الهواء أو الماء في تكوينهما لحقيقة واحدة — اعني الجنسية السياسية العثمانية — وبينت فيها أسباب الخلاف ومثاراتها في الآستانة وما أخطأت به وزارات الدولة وجرائد العاصمة وجمعياتها في ذلك فنقم العرب منها . فكان اول من شكر لي هذا السعي واهتم به ووعد ببذل نفوذه لتلافي الخلاف حسين حلمي باشا الصدر الاعظم في ذلك العهد ، وكان من سوء الحظ ان اجل صدارته لم يطل ، فصرت أراجع في هذه المسألة طلعت بك ناظر الداخلية الذي كانت — ولا تزال — ازمة الحكومة بيده فكان يعدني بتخصيص وقت للبحث معي في هذه المسألة

وانقضت السنة التي قضيتها في الآستانة ولم يف بوعده ، على انه وفى لي بعدة جلسات في داره وفي الباب العالي للنظر في المسألة الاخرى — أي مشروع العلم والارشاد ، ولكن لم يكن لذلك ثمرة

وقد علمت في اواخر ايامي في الآستانة ان الاتحاديين قد صمموا على حل مسألة الجنسيات بالقوة القاهرة وانهم بدأوا بالتنكيل بالارنؤط وسيتلوهم الارمن والعرب والاكراد . وقد كان هذا احد الباعثين لي على تلك الحملات الشديدة التي حملتها على جمعية الاتحاد والترقي في المنار ، والباعث الثاني هو الديني ولا ابحث فيه الآن

لم اكن انا الذي قاومت الجمعية بالكلام وحدي بل كانت المقاومة لهم بالقول والعمل على اشدها في الآستانة وسائر بلاد الترك حتى آلت الى تسلل الالوف من جمعيتهم ، ثم الى قيام الاحزاب في مجلس الامة عليهم ، ثم الى تأييد الجيش لحزب الحرية والائتلاف في اسقاط وزارتهم ، ومما يجب ان يذكر انهم اعترفوا في اثناء ذلك الجهاد و بعده بأنهم كانوا يريدون تتريك جميع عناصر الدولة وانهم رجعوا عن ذلك

ولما عادت الوزارة اليهم باغتيال ناظم باشا ناظر الحربية في الباب العالي والقبض على كامل باشا الصدر الاعظم فيه هالنا الامر وخفنا من وقوع الفوضى في الآستانة والدولة في حال حرب مع البلقان غلبت فيه على أمرها ، ولكن وزارة كامل باشا لم يكن لها حزب يؤيدها ، اذ كان حزب الحرية والائتلاف غير متفق معها ، ثم عقدت الوزارة الاتحادية الصلح وأنشأت تعقد مع الدول الكبرى الاتفاق تلو الاتفاق على جعل البلاد العثمانية مناطق نفوذ اقتصادي لهن ، وتقترض عشرات الملايين منهن ، و بدأت بالعراق العربي فاعترفت للانكليز فيه بما طلبوا من النفوذ والحقوق ، فانكرنا ذلك عليهم أشد الانكار ، ولم يمنعهم ذلك طبعا من الاتفاق مع فرنسة على نفوذها في سورية الخ

على أننا لما رأينا البلقانيين قد انتصروا على الدولة في الحرب حتى كادوا يستولون على الآستانة علمنا ان الخطر على الدولة أقوى وأسرع مما كنا نخشى ، وان الدولة اذا كانت قد عجزت عن حفظ الروملي وهو سياج الآستانة وحصنها امام البلقان ، ومعظم قوتها الحربية هنالك و باقيها على حدود الروس ، فلابد أن تعجز بالاولى عن الدفاع عن بلادنا العربية اذا هجمت عليها دولة قوية ، اذ ليس في بلادنا حصون ولا سلاح ، وكان

هذا الامر منبها لكثير من أهل الفطرة والفهم من العرب الى ما سبقهم بعض أذكياء الترك الى الدعوة اليه وهو وجوب جعل ادارة الدولة من نوع اللامركزية لان ذلك ادعى الى عمران كل قطر واستعداده للدفاع عن نفسه عند عجز المركز العام عن الدفاع عنه

تأسس حزب اللامركزية بمصر في أثناء حرب البلقان وسرت دعوته في المملكة العثمانية كلها ولم يكن للحكومة الاتحادية وجه للشكوى منه لانه حزب عثماني يحاول الوصول الى غايته من الطريق القانوني الذي ينتهي الى مجلس الامة ، وتأسست في أثناء ذلك الجمعية الاصلاحية في بيروت باذن الحكومة فشذت في موضوع ما طلبته من تعيين مستشارين ومراقبين للحكومة من الاجانب وأنكرنا عليها شذوذها في المنار ، ثم أنشئت جمعية أخرى في البصرة صارح رئيسها طالب بك النقيب حكومة الاتحاديين بالإنكار بل بالعداء ، وقد كادت الجمعية له فحاولت اغتياله فلم تظفر ، ثم حاسنته وكلفته السعي للتوفيق بينها وبين الامير ابن سعود فبذل جهده في ذلك

ثم تعلقت رغبة كثير من أذكياء العرب بعقد مؤتمر عربي في باريس لاظهار مطالب العرب الاصلاحية للعالم كله ، وعهدوا بذلك الى حزب اللامركزية فعقد المؤتمر وحضره مندوبون من البلاد العربية والجمعيات العربية واختير لرياسته السيد عبد الحميد الزهراوي أحد مندوبي حزب اللامركزية ، وكان المؤتمر في غاية الاعتدال في مباحثه وقراراته

حينئذ اهتمت جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها بأمر العرب وأوفدت مندوبا من زعمائها الى باريس للاتفاق مع رئيس المؤتمر على إجابة العرب الى ما يطلبونه من الاصلاح المعقول ، وعقدا ذلك الاتفاق المشهور ، ثم قرر مجلس الوكلاء وصدرت الارادة السلطانية ببعض مواد ذلك الاتفاق مع الوعد بأن تعطى العرب حقوقا أخرى بالتدريج ، وكل ذلك مدوّن في كتاب (المؤتمر العربي الاول) ونشر في المنار وفي الجرائد العربيــة المشهورة . ولكن ما تقرر من ذلك لم يرض جمهور المطالبين بالاصلاح من العرب ، وقد عده أكثرهم خديعة مؤقتة من الاتحاديين ، وكان فريق منهم أشهرهم الزهراوي وعبد الكريم قاسم الخليل يرجحون اخلاص الاتحاديين وعزمهم على ارضاء العرب دائما . وقد كان من اظهار الاتحاديين الميل الى العرب أن صار أكبر زعمائهم كطلعت بك يحضرون الاحتفالات التي يقيمها أعضاء المنتدى الادبي في الآستانة

هذه خلاصة ما كان من أمر الخلاف والوفاق بين العرب والترك أو الاتحاديين منهم خاصة قبل هذه الحرب ، فلما وقعت الحرب بين الدول الكبرى وعلم طلاب الاصلاح من العرب أن دولتهم تريد أن تستفيد منها وتوقعوا أن تدخل فيها، كفوا جميعاً عن المطالبة بالاصلاح، وأظهروا الميل الى تأييدها في كل ما تقرره وان لم يعتقدوا أنه الصواب، حذرا من المنازعات الداخلية ، وقد حبذنا عملهم هذا بمقالة نشرناها في جريدة الاهرام التي صدرت في سادس ذي القعدة ١٣٣٢ (١٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) أي قبل دخول الدولة في الحرب، ثم في منار ذي الحجة أي بعد دخول الدولة في الحرب . وقد قلنا في أول تلك المقالة وهي خطاب لمسلمي سورية ما نصه:

« ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والهمة، في الاخلاص والطاعة للدولة، وبذل الانفس والاموال والثمرات لها ، والكف المؤقت عن طلب الاصلاح منها ، وتقديركم الحال الحاضرة قدرها ، حتى انكم ساهمتم في هذا أرقى أمم الارض التي سكتت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية » الخ

وماذا جرى بعد ذلك ؟ ولى الاتحاديون جمال باشا أحد زعمائهم منصب القيادة العامة في سورية فأظهر الميل التام الى العرب وصار يقرب اليه أذكياء المتعلمين منهم ويحثهم على الاستمساك بعروة عربيتهم وعثمانيتهم معا ، فصدقوه وازدادوا حماسة ورغبة في بذل دمائهم وأموالهم في سبيل الدولة،حتى اذا ماتم له ما أراد من الاختبار، نزع عنه ثوب الرياء والمكر ، ولبس لهم جلد النمر ، وقتلهم تقتيلا ، ونكل بهم وبغيرهم تنكيلا

جاءتنا الاخبار في العام الماضي بأن جمال باشا شنق في بيروت احد عشر شابا من خيار شبان المسلمين منهم النابغة محمد المحمصاني وأخوه وعبد الكريم قاسم الخليل الذي كان رئيس المنتدى الادبي في الاستانة ثم اتصل بالاتحاديين وجعل جل سعيه اقناع العرب بالاخلاص لهم — فلم نصدق الخبر الا بعد ان وصل الى مصر بعض الفارين من الشنق و بعض الاسرى من الجيش واثبتوا لنا الخبر. ولكننا مع ذلك لم نكتب كلمة انكار على جمال باشا ولا على شيعته لاجل العلة التي أشرنا اليها آنفا

ثم تواترت الانباء بشنق اناس آخرين من دمشق وغيرها بتهمة السياسة وقتل آخرين بالرصاص ونفي بيوت كثيرة الى الاناضول ، فثبت عندنا حينئذ ان

الاتحاديين اغتنموا فرصة الاحكام العرفية في البلاد، والقبض على الارزاق والاعناق، لاجل القضاء المبرم على النهضة العربية واكراه العرب بالقوة القاهرة على ترك لغة أمتهم ودينهم، وعدم المطالبة بحق من حقوقهم. ولكن الثابت في سنن الاجتماع وتاريخ الامم ان هذه الطريقة من الاضطهاد تؤدي الى ضد ما يراد منها. وقد كنا قلنا من قبل ان الاسلام قد امات العصبية الجنسية في بلاد العرب الحضرية فلا يقدر على احيائها أحد الا حكومة الاستانة، ويمكننا ان نقول الآن انها قد كونت الجنسية العربية الجديدة وجعلتها خالدة، لانها زرعتها في البدو والحضر، سقتها بالدم، وبالدم استقل من استقل من جميع الامم، وكنا نخاف منهم هذه المجلة في هذه الايام، لئلا تجيء منافية لمصلحة الاسلام، إذ يخشى ان تكون هذه القسوة في اضطهاد العرب في سورية سببا ليأس الامة العربية كلها من الدولة وجزمهم بأنه يستحيل عليهم ان يحافظوا على وجودهم تحت سيادتها، وان يحمل ذلك عرب الجزيرة على الخروج عليها، خوفا ان يحل بهم شر مما حل بغيرهم، فان الترك يحاربون اليمن وعسير ونجد منذ قرون فكل حكامها الحاضرين قد قوتلوا، وأمير مكة لا ينسى لهم ما فعله معه وهيب بك قبل هذه الحرب اذ حاول الفتك به وسلب امتياز الشرفاء من الحجاز وجعله كولايات الشام، ولما ظهر عليه الامير اظهرت الدولة الاستياء مما حصل ونسب الى الدفتردار. واسترضى الصدر الاعظم الشريف بالاعتراف له بجميع حقوق امراء مكة التي كانت في عهد السلطان سليم، ولكن الشريف يعرف ظواهر هذه الامور وبواطنها، بل لا يخفى على أحد من العقلاء ان الدفتردار لا يجرأ على احداث أمر كبير في الحجاز بدون أمر رئيسه (الوالي) وان الوالي لا يجرأ عليه بدون أمر الاستانة، وأوامر الآستانة في عهد الاتحاديين قسمان — أوامر الجمعية وهي الحاكمة، وأوامر الحكومة وهي المنفذة، على انه يقيس وفاء الحكومة بما كتبه اليه الصدر الاعظم على وفائها العرب بالاتفاق الذي عقد مع رئيس المؤتمر العربي وما قررته في مجلس الوكلاء وصدرت به الادارة السلطانية من المطالب العربية

كان يجب على دولة الاتحاديين في هذا الوقت ان تتودد للعرب أكثر مما كانت تتودد اليهم بعد حرب البلقان، وان تتم بالفعل ما بدأ به أنور باشا من استمالة

امراء الجزيرة بالكتابة . وذلك بارسال السلاح والذخيرة والضباط من العرب اليهم لاجل ان يكونوا ذخرا لها اذا استظهر الروس عليها في الاناضول ، فاذا كان مثل انكلترة وألمانية تحسب الحساب لوصول أعدائها الى بلادها وتعد الآلات والجيوش لاجل الدفاع عنها ، أفليس الترك أجدر بذلك وهم لولا الالمان لم يستطيعوا حربا في ميدان ما من ميادين هذه القتال ، وحسبهم انهم فقدوا بحرب البلقان كل ما كان عندهم من ذخيرة وسلاح ، وهل يوجد لهم ملجأ يلجئون اليه اذا غلبوا في بلادهم الا العرب وبلاد العرب، بل العرب وبلاد العرب هي الملجأ للاسلام. ولذلك جاء في الحديث الصحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » وأنى يبالي بالاسلام وعز الاسلام ، من ينشرون في دار سلطنتهم امثال كتاب [قوم جديد] و [صونك كتاب] التي يفضلون فيها زعانفهم الغاوين، على الخلفاء الراشدين، وعلى من دونهم من الاولياء الكرام ، ومن فوقهم من الانبياء حتى خاتمهم عليهم الصلاة والسلام

وأما العرب الذين أوجد الله بهم الاسلام ، فانهم أجدر الناس بالغيرة على المسلمين ودار الاسلام ، ولولا ذلك لما سكتوا على الضيم كل هذا الزمان، ونخشى ان يكون قد زال ما كانوا يحذرون ، ويئسوا من كل خير كانوا يرجون ، فيبدو للمنافقين ما كانوا يحذرون ، كما نخشى ان تكون عاقبة ذلك لغيرهم وهم لا يشعرون

انما يحرص سواد المسلمين الاعظم على حياة هذه الدولة لانه يهم كل مسلم أن يكون للاسلام دولة مستقلة قوية وهي امثل دول المسلمين في ذلك، وان كانت لا تقوم بدعوة الاسلام ولا تحيي علومه ولا تحمي شعوبه ولا أفراده ممن يريد بهم سوءا . ولكن لا يرضي أحدا من المسلمين ان تجني على لغة القرآن ، وان تضطهد العرب وتذلهم وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » (رواه ابو يعلى من حديث جابر بسند صحيح) وهذا الحديث من معجزات النبي (ص) ظهرت في هذا الزمان ظهورا بينا، فان الدولة قد تعرضت لخطر الزوال وفقد الاستقلال غير مرة، وانما كان يقيها منه تنازع أوربة على اقتسامها ، فاذا زال التنازع بزوال التوازن عقب هذه الحرب زالت الدولة بزواله ، وأكبر المصائب على الاسلام حينئذ ان تعد بلاد العرب تابعة لها، ومعدودة فيما يقسم بين الغالبين من تراثها، اذ

يكون المسلمون حينئذ أدنى حالا من اليهود ، اذ يزول استقلالهم الديني والسياسي وهم في فقر مدقع لا يستطيعون معه عملا ، ولا توجد بقعة في الارض تمثل استقلال الاسلام غير بلاد العرب . ولولا جعل جزيرة العرب تحت سيادة الدولة العثمانية بعضها بالاسم وبعضها بالفعل لما تسنى لها ان تجعل نفسها دولة الخلافة ويعترف لها الناس والدول بذلك

فجملة القول أن مصلحة المسلمين عامةأن تكون بلاد العرب قوية بنفسها ، غير محتاجة الى قوة من خارجها لحمايتها ، (وقد بينا ذلك مرارا) ولاخطر في ذلك على الدولة اذا كان فيها من جرائيم الحياة ما يكفي لبقاء استقلالها ، وانما الخطر كل الخطر في إضعاف العرب وجعل بلاد العرب عالة على غيرها، وستظهر الايام صدق هذا الكلام ، ونسأله تعالى أن يكون بما فيه عز الاسلام .

(حاشية) كتبنا هذه المقالة لجزء الشهر الماضي فلم يتيسر نشرها فيه. ثم جاءنا روتر بنبأ اظهار أمير مكة الشريف حسين الاستقلال في الحجاز وسنفصل القول فيه في الجزء التالي لهذا ان شاء الله

حكم الصيام

وجناية تاركيه على أنفسهم وعلى المسلمين والاسلام

الصيام عبادة روحية جسدية، قد شرع لما فيه من المنافع الشخصية والاجتماعية ، فهو يروّض الاجساد ، كما تعطش الزروع وتضمر الجياد ، فيفني الرطوبات والموادّ الرواسب فيها ، التي تصلّب الشرايين وتعيق حركة الدم فيها ، و يعيد المِعدَ المصابة بالتمدّد الى تقلصها وتغضنها ، حتى قال بعض الاطباء ان صيام شهر واحد (كرمضان) يصلح ما أفسده التمدد طول العام ، و يمرن المرء على احتمال الجوع والعطش بالاختيار ، فيسهلان عليه اذا ألجأه اليهما الاضطرار، في سفر أو سجن أو مجاعة أو قتال ، و يشعر الاغنياء المترفين بحاجة الفقراء المعوزين ، و يساوي بينهم في هذه العبادة وآثارها كما يساوي بينهم في سائر شعائر الدين

وهو فوق ذلك المربي الاعظم للارادة ، وانما يتفاضل أعاظم الرجال بما في الارادة من قوة العزيمة ، فلولاها لما استسهل صعب ، ولا ثبت شجاع في حرب ، ولما أقدم المصلحون على تغيير المنكرات ، ولاسيما مقاومة الظلم والاستبداد ، ولما ثبت عامل على عمل حتى يتقنه ، ولما صبر ذو مصاب على مصابه حتى يأمن خطره ، ولما احتفظ أمين بالامانة ، الا بقدر ما يخاف في الدنيا من عقوبة الخيانة ، وناهيك بأمانة الاعراض ، والمحافظة على شرف النساء

وهو فوق ذلك مراقبة لله عز وجل ، وتقرب اليه بما يرضه من تزكية النفس ، وتوجه الى الكمال الاعلى ، والحياة الروحية الفضلى ، حياة النبيين والصديقين ، بل الملائكة المقربين

ان الصائم المسلم هو الذي يحكم سلطان الارادة بقانون الايمان على هوى النفس فيمنعها من التمتع بأعظم الشهوات شأنا عندها ، فينال منه الجوع والطعام بين يديه ، ويبرح به الظمأ والماء البارد أمام عينيه ، ويشتد شوقه الى ملامسة زوجه وهي منه على طرف الثمام وحبل الذراع ، فيعرض عن كل ذلك ويتركه بوازع الايمان ، ابتغاء لمرضاة الله تعالى وتحصيلا للفوائد التي شرع لها الصيام

ألم تر أن الذي يربي ارادته ويحكمها في أشد شهواته وأقواها مدة شهر كامل في كل عام على الاقل جدير بأن لا تنازعه نفسه أكل شيء من أموال الناس بالباطل ولا العبث بشيء من أعراضهم ؟ أو ليس الذي يقدر على ترك أعظم ضروريات الحياة مما أحل الله له وقرب منه متناوله يكون أقدر على ترك ما حرم الله عليه من جنسها ومما هو أدنى منها ، وأجدر بأن يغلب هوى النفس الذي يغريه بها ؟ بلى ! وإن من الامثال الاسلامية المشهورة في بعض الاقطار « ان الذي يزكي لا يسرق » وهذا أمر معقول كسابقه ، فان الذي يخرج المال من جيبه أو صندوقه طائعا مختارا ويؤتيه الفقراء والمساكين ويضعه في غير ذلك من المصارف الشرعية لوجه الله وابتغاء مرضاته بنفع عباده — جدير بأن لا يعصي الله تعالى بتكلف سرقة مال غيره وهو يعلم أن ذلك سبب لسخط الله تعالى ، ولو كان لا يبالي بسخط الله ولا برضوانه بل يؤثر عليه حب المال لحفظ ماله في صندوقه ولم يخرج زكاته فذلك أسهل من إحراز المال بالسرقة

علل الله تعالى فرض الصيام علينا ، بأنه هو الذي يعدنا ويؤهلنا للتقوى ، فقال (كُتبَ عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وأما التقوى فملكة يقدر صاحبها بوازعها النفسي على اتقاء كل ما يدنس نفسه ويدسيها من ترك واجب ، أو اقتراف محظور ، ولذلك قالوا انها عبارة عن القيام بالواجبات وترك المحرمات ، وهذه الملكة كسائر الملكات ، تكتسب بالاعمال النفسية والبدنية التي يقوى بها سلطان الارادة على نزعات الاهواء كما سبق القول . وقد فطن لهذا بعض حكماء الغرب فقال في كتاب صنفه في (تربية الارادة) انه لا مربي للارادة كالصيام ، ولأجل هذا شرع في جميع الاديان

ان أحق الناس بتحصيل هذه الملكة وبسائر فوائد الصيام الروحية والاجتماعية والجسدية من جمعوا بين حُكم الله وحكمته فيه ورعوا ذلك حق رعايته ، فالاسلام علمٌ وتربية ، بنيا على أساس الحكمة والفلسفة ، وذلك نص قوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) وقد يستفيد كثير من الناس حكمة العبادة ويجنون ثمراتها ، وان لم يتلقوا بالتعلم أن ذلك هو المصلحة التي شرعت لاجلها ، كما يستفيد بعض الناس من شيء يأكله أو يشربه ، فيكون من حيث لا يدري شفاء من مرض ألم به ، أولئك هم الذين أخلصوا دينهم لله فكان لهم من العلم بكل عبادة انها ترضي الله تعالى وان تركها يؤدي الى سخطه واستحقاق عذابه

ومن الناس من يؤدي العمل تقليدا ومجاراة لمن نشأ فيهم فيكون عادة له كسائر العادات الشخصية والاجتماعية ، لا ينوي به قربة ، ولا يشعر له بفائدة ، ولا يفكر في حكمة الشارع فيه ، فلا يكون لصيامه أثر كبير في عباداته ولا معاملاته ولا عاداته ، قد يصوم ولا يصلي ، وقد يصوم ويصلي وهو مصر على المعاصي ، فهو الذي يصدق على صيامه ما قاله بعض الاوربيين في تعريف الصيام ، من أنه عبارة عن تغيير مواعيد الطعام ، بجعلها في الليل بدلا من النهار ، وانما كمال الصيام بجعله جنة ووقاية من جميع الآثام ، قال صلى الله عليه وسلم « الصيام جُنّة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل اني صائم اني صائم » رواه

الشيخان في الصحيحين وأصحاب السنن الاربعة. والرفث صريح الكلام في الوقاع أو ما يتحدث به الزوجان في تلك الحال، والصخب الجلبة والصياح ، فاذا كان مثل هذا مما يمنع في الصيام، فما شأن اقتراف كبائر الآثام ؟ على أن مثل هذا الصائم خير من تارك الصيام ولاسيما المجاهر به ، فاذا كان مثله كمن يبني قصرا ويهدم مصرا، فان مثل تاركي الصيام من امثاله الفساق كمثل من يهدمون القصور والامصار

***

يترك الصيام في هذه البلاد أناس كثيرون من طبقتين أو ثلاث طبقات ، تتفق وتختلف في بعض الاعمال والصفات : طبقة تحوت الغوغاء الارذلين ؛ وطبقة أسرى الشهوات المترفين، وطبقة أدعياء المدنية المقلدين، فأما أولئك التحوت السفهاء فانهم لا يشعرون بقيمة لانفسهم يشاركون بها سائر طبقات الامة في شعائرهم الدينية، دع ما هو أرقى من ذلك كالشعور بما يجب من شكر رب العالمين الرحمن الرحيم والتقرب اليه والاستعداد لرضوان الاكبر في دار الكرامة عنده ، وغاية ما ورثوه من تقاليد الاديان التي كان عليها آباؤهم الاولون والآخرون تعظيم بعض الموتى ذوي الاضرحة التي خذلت سنة الدين بتشريف بنائها ، وجعلها مساجد يصلى اليها ويطاف بها ، وبناء القباب عليها — واحتفالات الموالد التي هي أعياد ومواسم يحشر الناس اليها بجوار تلك القباب ، وزيارة الجماهير للمقابر في ليالي الاعياد وجمع رجب وأيام أخرى من السنة ، يرحل فيها الى القرافات النساء والرجال والاطفال ، مشاة حفاة وركبانا على الحمير والجمال ، وما في ذلك من المنكرات الكثيرة المعروفة

وأما هؤلاء المترفون (فمنهم) ملاحدة المتفرنجين الذين هم شر أعداء الامة من كل عدو لها (ومنهم) أسرى الشهوات الذين ليس لهم من قوة الارادة ما يقدرون به على مغالبة الهوى وعصيان داعي اللذة ، أو حبس النفس على عمل شاق ، وهم أشد الناس حاجة الى الصيام ، فان هذا الافراط في الترف يضعف البدن كما يضعف النفس. واذا كثر هؤلاء في أمة فقدت الاستعداد لدفع الاعداء عنها ، وللقيام بالاعمال المتعبة التي ترقى بها الامم والثبات عليها، وقضي عليها أن تكون مستعبدة لغيرها ، وأي عار على الفتى الجذع، أو الكهل والشيخ الذي لم يدركه الهرم، اكبر من عار

الاعتراف بعدم الطاقة على احتمال الجوع والعطش بضع عشرة ساعة يعدّ له بعدها الشراب المبرد وألوان الطعام الفاخرة؟ أيها الجذع الناشئ ، أيها الكهل القارح أولى لك فأولى ، وغير هذا كان بك أولى ، كان أولى بك أيها الفتى أن تفخر بالتربية على صفات الرجولية ، واعتياد القشف الاختياريّ في المعيشة ، ومنه أن لا تسرف في النعيم المباح في ليالي رمضان، وأن تصوم من كل شهر عدة أيام، كان أولى بك أيها الكهل أن تكون قدوة صالحة لولدك وأولاد المسلمين ، في المحافظة على شعائر الدين ، وعلى الآداب والاعمال ، التي يبلغون بها درجة الكمال ، وأهمها ركوب الصعب، واكتساب ملكة الصبر، وتوطين النفس على مصارعة الحوادث، ومقارعة الكوارث ، ألا وان الصيام جد الصيام أول مقدماتها ، وأيسر وسائلها

وأما أدعياء المدنية المقلدون فهم الذين يفطرون جهرا ليقول فيهم غير المسلمين والمنافقون من المسلمين انهم « متمدنون » وهذه الطبقة اخسّ الطبقات فلا ينتحل لها عذر ولا يوجه اليها برهان .

عذر الملحد المارق عند نفسه في ترك الصيام أنه فقد الباعث الديني، ولم يترجح عنده باعث تهذيبي، وعذر المترف الشهواني عند نفسه ، عجزه عن كبح جماح لذاته، لتحكم الهوى فيها ، وضعف الوازع الديني عنها، والجهول السافل من نحوت الناس له عذر هذين الفريقين وعذر آخر وراءهما — وهو انه لا يخطر في باله ولا يصل علمه الى ما يعلمه كثير من أفرادهما من معنى كون الصيام ركنا للدين الذي ينسب اليه ، وشعارا للامة التي هو منها، وان العاقل الذي يرى لنفسه قيمة في الوجود يرى شرفه بشرفها، وذله بمهانتها، وانه مطالب دينا وعقلا بحقوق لها عليه، وان دين الامة من مقوّمات وجودها، فمن فاته الايمان الباعث على اقامة أركانه لاجل سعادة الآخرة، لم يسقط عنه احترام شعائره التي هي أقوى روابط الامة؟ فبهذا العلم يؤاخذ و يطالب كل من أوتي نصيبا منه ، وترتفع المؤاخذة عمن كان نصيبه منه الجهل المطلق حتى ان نفسه لا تتوجه الى طلبه ، ومنهم من يعتذر بأن الصيام يضره وان كانوا أصحاء الاجسام ، بترك ما اعتادوا من النظام في مواعيد الطعام، والصواب ان ما يتوهمون من الضرر في ذلك هو عين النفع ، لان التزام تلك العادات أضعف أبدانهم

وأنفسهم ، حتى صار تغييرها يؤلمهم أو يضجرهم ، وانما هذا الالم والضجر عرضان لمرض الترف ، والصيام علاج له لا « مضاعفة »

اذا صح أن يكون في الالحاد عذر للملحد، وفي ضعف الارادة عذر للمترف ، وفي تغيير العادة ايلام للمهفهف ، فياليت شعري بم يعذر نفسه أو يعتذر عنها من يجاهر منهم بالفطر ؟ المجاهرة بالذنب شر من ارتكاب الذنب ، لان ارتكابه سرا يجعل ضرره قاصرا على من اقترفه، وأما المجاهرة به فضررها يتعدى المذنب الى غيره، لانه يكون قدوة سيئة لمن كان مستعدا لاقتراف ذلك الذنب تجرئه على اقترافه. ولان في الجهر به اذا كان من الشعائر الملية — كالصيام — احتقارا للملة والامة التي ينسب المفطر اليها ، واضعافا لرابطة قوية من الروابط التي تمتاز بها الامة على غيرها

ها هنا يضحك القارئ من هؤلاء الملحدين ، لا تضحكوا الا على أنفسكم بل ابكوا عليها ان كنتم تعقلون: يقولون ان الملحد ليس من أهل الملة ولا من أفراد الامة فيرمى بهذا اللوم ويطالب بالاعتذار عن عمل لا يراه واجبا عليه ، وانه يعد الجهر بالافطار في رمضان من الشجاعة الادبية والاسرار به من الضعف والنفاق. ونقول: كيف يصدق هذا الكلام على ملاحدة بلادنا وكلهم منافقون يدعون الاسلام ويلتزمون من احكامه وشعائره وعادات أهله ما لا ينافي أهواءهم ، ولا يعارض شهواتهم ، كالاحكام والشعائر وكذا العادات المتعلقة بالزواج والموت والاعياد ، ويخضعون لشريعته في أحكام الزواج والارث ، فاذا ادعى أحدهم الشجاعة المعنوية بهتك شعار الصيام، فقل له كذبت في دعواك، فان كنت شجاعا فصرح على رءوس الاشهاد بالردة عن الاسلام واترك كل ماهو اسلامي ، ولا تتزوج نساء المسلمين ولا تأكل تراثهم ، ولا تتول الاعمال والوظائف الخاصة بهم بدعوى أنك منهم . وأما اخفاء معصية الافطار فليست مع صحة العقيدة من النفاق، بل من اخفاء العيوب والعورات

قد يقول بعضهم ان الاسلام جنسية اجتماعية كجنسية اللغة وجنسية النسب ، وان العقائد الدينية والعبادات البدنية من الشؤون الشخصية التي يجب ان يكون الناس أحرارا فيها ، ولا ينبغي ان يتوقف عليها تحقق الجنسية بعد ان ينالها صاحبها بالوراثة أو بتسمية نفسه مسلما

ونحن نقول أن هذا الكلام مغالطة بديهية البطلان فان الاسلام في الحقيقة دين وهو جنسية لمن يدينون الله به ولو في الظاهر كاقامة أركانه من صلاة وصيام وزكاة وحج وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، فهو من حيث هو دين لا تحقق له الا بصحة العقيدة وما يتبعها من الاعمال؛ ومن حيث هو جنسية يتحقق بالتزام شعائره وأحكامه الظاهرة الا ما يقع من الاخلال بها شذوذا كما كان المنافقون يعملون في الصدر الاول. فمن لا يؤمن بما جاء رسوله ولايقيم شيئا من أركانه فلا حظ له من جنسيته ، فكيف اذا كان مع هذا مجاهرا بهدم هذه الاركان بلا خوف من الله ولا احترام لاهل هذه الجنسية .

على أن كل منتم الى جنس يجب عليه ان يمدجيع من يشاركونه فيها اخوانا له، وان يحترم كل مايشترك فيه معهم من مقومات الجنسية ومشخصاتها، والا كان عاقا لها، مستحقا للطرد والابعاد عنها ، بدلا من مشاركة أهلها في منافعها الصورية والمعنوية، وهؤلاء المجاهرون بالفطر في رمضان لا يشعرون بمعنى الاخوة الاسلامية العامة ، ولا يقومون بشيء من حقوقها ، كما انهم لايحترمون الشعائر والاعمال التي لا تعرف الجنسية الاسلامية الا بها .

الحق أقول : ان لبعض الذين يفطرون في رمضان عذرا طبيعيا، ولا يحمد عذر طبعي الا ان يكون شرعيا ، (كعذر المريض والمسافر والعاجز عن الصيام لهرم مثلا). ولكن لاعذر لاحد في الجهر بالافطار ، لانه احتقار للاسلام وإهانة لاهله، لاتصدر اختيارا الا من عدو له ولهم ، أو ممن لا شعور له بمعنى الامة والملة وشرفهما كبعض الكناسين والزبالين — لا كلهم — وكم يوجد من أمثالهم في المتعلمين المتفرنجين الذين يظنون انهم ممتازون في الامة بارتقائهم في الشؤون الاجتماعية، وأنهم يشعرون من ذلك بما لا يشعر به الجمهور ، وان الخير للامة أن تكون مثلهم في ترك أركان الدين وامتهان شعائره والاهتمام بالتمتع بالشهوات، وحسبهم شرفا وارتقاء ما يتوهمون من عد غير المسلمين لهم من « المتمدنين» أو « المتنورين » ! وياشقاء أمة يكثر فيها أمثال هؤلاء المتنونين ، فانها لا ترتقي بهم الا الى أسفل سافلين

حال المسلمين الاجتماعية

ومطالبة الاغنياء وسائر الطبقات منها [1]

١

الانسان عالم اجتماعي لا يصل فرد من أفراده ولا شعب من شعوبه الى كماله المقدر له الا بالاعمال الاجتماعية التي يتعاون عليها أفراد العشيرة وأهل البلد والوطن وسائر الناس ، وعلى قدر هذا التعاون يكون القرب من الكمال الاجتماعي والبعد عنه ، فالامم بالافراد والافراد بالامم . فهنيئا للامة التي تتسنم بسعي أفرادها غارب العز والسيادة، وتتنسم ريح القوة والسعادة، و « ياويح الرجل الذي ليس أمة » [2] وما كل جمع كبير يستحق أن يسمى أمة ، لولا سعة المجاز في الكلام ، كقولنا في صور الناس وتماثيلهم هذا فلان وهذا فلان

المسلمون جمع كبير يطلق عليه اسم « الامة الاسلامية » بحسب صورته أو باعتبار ما كان عليه وان كان لا يقوم بالاعمال الاجتماعية التي تتحقق بها مقومات الامم ومشخصاتها ، وتحفظ بها مصالحها ومنافعها ، وللمنار مقالات كثيرة في بيان هذا الموضوع يطالب أقدمها عهدا من المجلد الاول منه . ومن أشهرها مقالة في المجلد التاسع عنوانها (حال المسلمين في العالمين ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين) كان لها تأثير في الشرق والغرب ، وترجمها بالتركية أحد فضلاء الآستانة وطبعها في رسالة مستقلة باللغتين

وقد نطلق على المسلمين اسم الامة باعتبار ما نرجو أن تؤول اليه حالهم ، فباعتبار ان ذلك الاستعمال من مجاز الكون بينا غير مرة في تلك المقالات أن الاصلاح الاسلامي ينحصر في كلمة « تكوين الامة » اذ لا أمة في الحقيقة . وباعتبار أن ذلك الاستعمال من مجاز الأول يتسع مجال الاطلاق . وكثيرا ما بنينا الكلام على تحقق الرجاء ، وصرحنا بأن الامة قد ولدت ولادة جديدة ، وأنها الآن في سن الطفولة ، وان ما تتصدى له من الاعمال الاجتماعية انما كان صغيرا وعرضة للفشل في الاكثر لانه من

(١) هذه المقالة الموعود بها (٢) هذه الكلمة لشيخنا الاستاذ الامام

قبيل أعمال الاطفال ، وقد شرحنا هذا الموضوع في مقالات نشرت في المجلد الثاني وغيره (* وذكرنا في المجلد الرابع أمثلة لطفولية الامة ، وقد حدث بعد ذلك ما هو أعظم منها، وناهيك بسقوط جريدة اللواء العربية وأختيها الفرنسية والانكليزية، وموت مصطفى كامل باشا مؤسسهن بأموال الامراء والاغنياء غارقا في الدين، وبيع أثاثه ورياشه بالمزاد، ثم سقوط جريدة المؤيد وموت صاحبها غارقا في الدين أيضا ، ثم سقوط (الجريدة) وهي جريدة حزب كبير من الاغنياء

فهذه أكبر الجرائد التي أسسها المسلمون في مصر، وكان لكل منها شركة وحزب ورأس مال مؤلف من ألوف الجنيهات وأنصار من أغنياء الامة وأصحاب الاقلام فيها ، وقد بينا وجه العبرة في شأن هذه الجرائد بعد موت الاولى وتبريح الداء بالأخريين في ترجمة الشيخ علي يوسف من المجلد السابع عشر (ص ٦٩)

وما لي لا أذكر وأذكر في هذا المقام بتلك الفاتحة الوجيزة للمنار التي كانت أول ما كتب منه ، ونحمد الله تعالى أنها كانت صورة مصغرة له ، قد ارتسمنا مارسمناه له فيها فلم نخرج عنه ، وقدا أشرنا فيها الى سوء حال المسلمين ورغبة سوادهم الاعظم عن ما نقصد اليه بانشاء المنار من الجد والاصلاح ، والى وجود أفراد تنبهت أنفسهم لاصلاح الخلل، وتوجهت هممهم لمداواة العلل، والى ان الغرض من انشاء المنار أن يكون لسان حال هؤلاء وحادي ركبهم في سبيل التجديد المطلوب. ثم ظهر لنا ان رجاءنا في هذه الفئة كان أكبر منها في نفسها

تيسر لنا بهذا المنار أن نختبر حال المسلمين اختبارًا لا يكاد يتيسر بوسيلة أخرى، وقد كان هذا الاختبار الطويل والعلم التفصيلي مؤيدا لما كنا عليه قبلهما من الوقوف بين الخوف والرجاء وترجيح الامل على اليأس ترجيحا يبعث على الجهاد والثبات على العمل ، وهو ما صرحنا به في فاتحة المنار في العدد الاول للسنة الاولى

كان موضوع ذلك الامل الاول من أيقظتهم حوادث الزمان ، وأثرت في قلوبهم آثار حكيم مصر وحكيم الافغان ، ومن على مشربهما من دعاة الاصلاح ،

(* راجع مقالة (طفولية الامة وما فيها من الحيرة والغمة) في ص ٧٣٧ م ٢ ومقالة (الحيرة والغمة ومناشئهما في الامة) في ص ٧٥٣ م ٢

ثم زاد عدد هؤلاء المحبين للاصلاح بتأثير المنار، ومنهم صاحب الرسالة التي نشرناها في آخر الجزء الماضي فاستتبعت كتابة هذا المقال، فهو قد اشترك في المنار منذ أنشئ وكان تلميذا في المدارس، وقد اشرب قلبه حب الاصلاح، فهو فيه على علم ووجدان واخلاص، ولكنه على علمه وسعة اختباره لما في هذه البلاد من الفسق وفساد الاخلاق، أقوى منا رجاء في مسلميها وفي غيرهم. واننا نخشى ان يضعف ويضمحل هذا الرجاء أو يزول ويحل محله اليأس اذا رأى أن رسالته لم تؤثر، ودعوته لقومه لم تجب. فأحببنا أن نذكره بما أشرنا اليه آنفا مما نشرنا في خوالي السنين ، ونؤيده بما في معناه من بيان حقيقة حال المسلمين ، لعله يذهب بغرور المبالغ في التفاءل ، ويمسك رمق الرجاء على المهوي الى اليأس ، وينفخ نسمة الرجاء فى اليائس ، فنقول :

ان في المسلمين كثيرا من بقايا الفضائل الموروثة ، التي هي تعد من دلائل الحياة الاجتماعية ، وكثيرا من الرذائل والامراض الروحية الموروثة والحادثة التي هي سبب ما حل بدولهم وأممهم من الرزايا التي يئن منها كل من شعر بها بقدر شعوره ، وقد استيقظ في بعضهم هذا الشعور منذ مئة سنة أو أكثر ، وتصدى بعض حكامهم وبعض أفرادهم الى إصلاح ما فسد ، وتجديد ما اخلولق وبناء ما انهدم ، كما بينا ذلك في فاتحة المجلد السابع عشر ، وانما لم يفلح أحد منهم لان الحكام القادرين على تنفيذ الاصلاح لا يعرفون طريقه ، والافراد الذين يعرفون كنه الاصلاح لا يقدرون على تنفيذه

إنما تنهض الامة بالاصلاح اذا وجد الاستعداد في الجمهور، ووجد الزعيم القادر على استخدام ذلك الاستعداد ، ويمكن بيان هذا الاستعداد العظيم بكلمة واحدة من اصطلاح كتاب الجرائد وغيرهم من المعاصرين وهي (التضحية) وما التضحية الا بذل الاموال والانفس في سبيل المصلحة العامة وهو ما يعبر عنه القرآن بكلمة الجهاد

ما قام أمر اجتماعي عظيم كالدين والدولة الا ببذل المال والنفس فمن لم يبذل في سبيل دينه أو دولته ووطنه ما يحتاجان اليه من مال أو نفس فلا دين له ولا دولة ولا وطن ، ولذلك جعل الله تعالى هذا الجهاد آية الايمان بمثل قوله (٤٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

الله أولئك هم الصادقون)

نحن لسنا بصدد إصلاح يحتاج فيه الى بذل النفس ، والتعرض لإراقة الدم ، وانما الاصلاح الذي أسس له المنار ثم مدرسة الدعوة والارشاد اصلاح علمي تهذيبي يقوم بالمال ، وانما أنشأنا هذه المقالة لبيان حال من دعاهم ذلك المخلص الغيور في رسالته الى النهوض بمشروع الدعوة والارشاد ومساعدة المنار

الا وان الاغنياء أول من يخطر بالبال ، في كل مقام يذكر فيه بذل المال ، وان أكثر اغنياء بلادنا بل أمتنا كلها أغبياء سفهاء الاحلام ، مسرفون في الفسق ، بخلاء حتى بما وجب من الحق ، أشحة على الخير ، لايكاد يخرج المال من أيديهم الا على مائدة قمار ، أو في حانة خمار ، أو لبغي وقواد ، أو رشوة لحاكم شريره أو تزلفا الى سلطان او أمير أو مدير ، فأكثر ما بذله أغنياؤنا في هذا العصر للجمعيات الخيرية أو المدارس أوجمعية الهلال الاحمر أو جمعية الصليب الاحمر فهو رياء ، وتزلف للحكام والامراء ، وهذا مما يعلمه الكاتب وغير الكاتب علما ضروريا أو كالضروري .

وأما غير الفساق المرائين من الاغنياء فهم كسائر الناس ، والناس فيما نحن بصدده فريقان : فريق لايرجى منه خير للاسلام بل يخشى شره ، وفريق قلما يرجى الخير من غيره . فأما الفريق الاول فثلاثة أصناف : ملاحدة المتفرنجين ، ومنافقو المعممين ، وتحوت الفقراء الجاهلين ، الذين لايكادون يفقهون حديثا ، ولا يعقلون للامة والملة معنى . وقد بينا في فاتحة هذه السنة من الجزء الاول ان من أولئك الملاحدة والمنافقين من تصدى لمقاومة مدرسة الدعوة والارشاد ، بنفث سموم السعاية لمنع إعانة وزارة الاوقاف وغير الاوقاف ، كما سعى أمثالهم وأقتالهم من قبل في الجمعية الخيرية الاسلامية ، حتى زعموا أنها تمد مهدي السودان بالمال لقتال مصر والدولة البريطانية

وأما الفريق الثاني وهو لوسط في شؤونه العقلية أو النفسية ، أو شؤونه الاجتماعية أو المعاشية . فيتألف من أصناف يقل فيها الغنى الموسع ، كما يقل فيها الفقر المدقع ، والاغنياء منه ثلاثة أصناف :

صنف تربى تربية اسلامية بحسب ما عليه جمهور المسلمين في القرون الاخيرة من مزج السنن بالبدع ، والخرافات بالحقائق ، فهم لا يفقهون من بذل المال في سبيل

البر الابناء مسجد ولو في مكان تزيد فيه المساجد على حاجة المصلين ، (وإنما يكون هذا من الخير اذا لم يبن المسجد على قبر أحد من الصالحين، والا كان صاحبه ملعونا على لسان خاتم النبيين) — أو وقف أرض تنفق غلتها على تشييد القبور والبناء عليها أو حولها وما يكون من المواسم عندها في الاعياد وجمع رجب ، وكل ذلك من المعاصي وبدع الضلالة المنكرة التي لا يجوز الوقف عليها وان تضمنت إطعام بعض الفقراء الطعام المبتدع لاجلها ، فهذا الصنف قلما يرجى منه الآن فائدة للاعمال الاصلاحية كمشروع الدعوة والارشاد

وصنف آخر تربى أفراده على التفرنج ولكن لم يكونوا كجماهير المتفرنجين الذين لاحظ لهم من حياتهم الا تقليد الافرنج في عاداتهم الخاصة بالزينة والطعام والشراب والتمتع باللذة واللهو واللعب كتربية الكلاب والسير بها والركوب معها، بل أودع في نفوسهم الميل الى الاقتداء بهم في بذل المال للمنافع العامة، لا رياء للجمهور، ولا تزلفا لحاكم أو أمير، بل لان ذلك عندهم من اللذات النفسية، أو الشرف والكمال الانساني ، وبهذا ارتفعوا عن جمهور الاغنياء الاغبياء السفهاء ، ولعل هذه البلاد لا تخلو من افراد منهم، ومن عساه يوجد منهم فقد يبذل المال للمساعدة على تعليم الموسيقى والتصوير أو الالعاب الرياضية ، وقلما يحفل بالإصلاح الديني العلمي الا ان كان له نزعة دينية أو تهذيبية ، وأنى لجماعة الدعوة والارشاد بالاهتداء الى مثل هذا واقناعه بأن مقصدها الاول من مدرستها بث المرشدين في أنحاء البلاد لتعليم العوام ما يزجرهم عن المعاصي والمنكرات ، ويزكيهم من أدران البدع والخرافات ، حتى تستفيد المدرسة من مساعدته ؟

وصنف ثالث هم الوسط الصحيح وهم الذين أوتوا نصيبا من التربية الدينية والعلم الاسلامي الصحيح ، ونصيبا من حال هذا العصر وما يحتاج اليه المسلمون فيه من الاصلاح، والغنيّ في هذا الصنف أندر منه في سائر الاصناف ، والرجاء في مثله لمساعدة الدعوة والارشاد ، أقوى وأشد منه في سائر الناس ،الا أن يغلبه على دينه وعقله البخل الفاحش و الشح المطاع، وايثار وعد الشيطان بالفقر على وعد الله بالمغفرة والاخلاف،واذا كان الصنفان المذكوران قبل هذا — وهما كالطرفين له — مما يصعب

اقناع افرادها بوجوب المساعدة على الاصلاح الديني العلمي فهذا الصنف لايحتاج الى اقناع ، ولا يخفى عليه وجود ما يوجد منه في البلاد ،

ومن اغنياء هـذا الصنف من غلب عليهم الترف ودب الى دينهم الوهن ، فضعفت غيرتهم على اسلامهم الديني ، دون اسلامهم الاجتماعي والسياسي، فهم يودون اصلاح حال المسلمين، ويعتقدون أن ذلك لايرجى الا من طريق الدين، وإنما يودون أن ينهض بالاصلاح غيرهم ، ولا تسمو بهم الهمة الى المساعدة عليـه باموالهم ولا بانفسهم

تلك أصناف الاغنياء الذين يصح أن يتعلق بهم الرجاء ، بما في أنفسهم من هدي الدين أو علو الهمة ، أو العناية بامر الامة، وقد علم ان من يوجد في هـذه البلاد منهم قليل، وان الرجاء في هذا القليل ضعيف .

فلم يبق من فريق المتدلين الذين يرجى رفدهم الا المستورون الذين لا يقدرون على مساعدة الاصلاح الا بما يوفرون من كسبهم بالاقتصاد في النفقة اللائقة بامثالهم، كصاحب الرسالة التي دعتنا الى كتابة هذا المقال ، ولا غناء في مساعدة هذا الصنف الا اذا كثر أفراد الباذلين منه ، وفاقا للقاعدة المقررة : [القليل من الكثير كثير] وما أظن أن الظفر بهذا الكثير عندنا ميسور ،

فعلم مما شرحناه أن من يرجى منهم بذل شيء من فضول أموالهم في سبيـل الاصلاح الديني والاجتماعي قليلون، وان ما يرجى بذله من هؤلاء القليلين في بلادنا قليل لاغناء فيه، لان اكثر الانفس أحضرت الشح، واستحوذ عليها الصغار والذل، وكذبت وعد الله بالاخلاف على المنفق ، وصدقت وعد الشيطان له بالفقر. ثم إن بذل المال الكثير في هذه السبيل انما يصدر عن عرفان ووجدان — عرفان بالمصلحة فيه وشدة الحاجـة اليها ، ووجدان ايمان راسخ تنال به سعادة الدنيا والآخرة ، أو وجـدان شرف باذخ تنال به سـعادة الاولى فقط ، على ان باعث الشرف وباعث الايمان ، قد يتلاقيان و يتصافحان، وانني أوضح هذا المقام بأمثال، أشير بها الى أعظم من رجوت هنا من الرجال

كان أرجى أغنياء مصر عندي لمشروع الدعوة والارشاد ثلاثة أصرح باسم

واحد منهم وهو رياض باشا تغمده الله برحمته، ذلك الرجل الذي انفرد في كبراء مصر وأغنيائها بأنه لم يكن يخيب فيه رجاء، ولا يفوته مساعدة عمل من أعمال الخير، ولو عرف كنه مشروع الدعوة والارشاد لما اكتفى بالتبرع له بمئة جنيه، وانما عرف منه انه مدرسة خيرية ، فنفحه بمثل ما نفح به مدرسة محمد علي الصناعية ، وهي المدرسة التي تولى رياسة جمع الاعانات لها ، على ان الخديو وارث ملك محمد علي التي أنشئت المدرسة احياء لاسمه وتذكارًا لمرور مئة سنة على ملكه لم ينفحها بأكثر من ذلك . فهذا عذر رياض باشا في عدم صدق رجائي كله في مساعدته لهذا العمل

وأما اللذان لا أصرح باسمهما فقد كان رجاؤنا في أحدهما اكبر من رجائنا في رياض باشا، وهو أوسع منه ثروة، وفهم من كنه المشروع ما لم يفهمه ، بل قال فيه كلامًا يؤثر و يدوّن له، (منه) انه طالما فكر فيه ، وتعجب من احجام المسلمين عن القيام به الى اليوم ، وانه يود لو يكون عضوا عاملا فيه ، وانما يمنعه من وضع يده في أيدي أعضاء ادارته عدم ثقته بثباتهم، اللهم الا واحدًا منهم ، وعلل ذلك بأن أهل بلادنا هذه يقولون ولا يفعلون، و يبدؤن بالاعمال ولا يثبتون، (ومنه) أن هذا العمل سيلقي صعوبات، وتوضع في طريقه العقبات ، وانه لا يقول هذا تثبيطا (أي) بل تنبيها ، ولا تنصلا من المساعدة فانه سيساعد بالمال ، ثم انه اكد هذا الوعد غير مرة لنا ، وذكره لغيرنا. وقد كان آخر عهدنا بالسعي لاستنجازه شهر رجب الماضي

وأما الثالث فهو غني معروف بالعلم والفضل والتدين، وقد كان منّانا أحد أصدقائه بأنه سيتبرع للمدرسة بمئة جنيه غير ما يفرضه على نفسه من الاشتراك السنوي ، وذكر لنا صديق آخر له عزمه على المساعدة من غير تحديد. وقد بلغنا ان ما يجب عليه من زكاة النقد كل سنة أضعاف ما يملكه صاحب الرسالة التي نتكلم في موضوعها، وقد ذكرناه في هذا العام بشدة حاجة المدرسة الى ما تنتظر من مساعدته لانقطاع اعانة الاوقاف عنها ، ونفاد ماقد جمع لها ، فاعتذر بما يعتذر به أكثر الناس في هذا العهد ، وهو العسرة التي جاءت بها هذه الحرب

فاذا كان وعد أرجى من نرجو من أغنى أغنيائنا ، واشتراك من يشترك في مثل هذا المشروع من أفضل فضلائنا، لا يوثق بهما ولا يتكل عليهما في استئجار دار

لمدرسة خيرية ، فهل يظن (م . ن) صاحب تلك الرسالة أن ماجاء به من النصيحة والتذكير يبسطان الايدي المغلولة ، وينبهان[1] الانفس المفسولة[2] ، فتتدفق الدنانير على مدرسة الدعوة والارشاد اليوم كما تدفقت على جمعية الصليب الاحمر بالامس ، وعلى جمعية الهلال الاحمر من قبل ؟ ان كان يظن ذلك فما نحن بظانين ، ولا نحن من فضل الله وحياة المسلمين بيائسين. ولكننا بعد طول الاختبار لا نغتر بوعد واعد، ولا بثبات متبرع ولا واهب،وان كان هذا أو ذاك ، ممن اشتهروا بالسخاء، فان أكثر أصحاب هذه المظاهر ، مصداق لقول الشاعر

يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما لكنها خطرات من وساوسه

كلا انه لا يرجى في هذا القطر جمع مال كثير بالتبرع يكون رأس مال لمدرسة كمدرستنا أو مدرسة دونها الا بنفوذ الامراء والحكام ، وقد كان بعض هذا ممكنا لنا من قبل ولم نطرق بابه ، وأما اليوم فلا يرجى كله ولا بعضه ، فأما سبب بذل المال تقربا الى الامراء والحكام فمعروف ، وأما إمساكه عن المصالح العامة فسببه ضعف الايمان، وضعف وجدان الشرف وحب الكمال ، والحرمان مما يولدان من المقاصد العالية والآمال العظيمة ، وليس في تربية الامة ما يحيي ذلك في نابتتها

هذا وانا بعد هذا البيان نقول لصاحب تلك الرسالة وغيره من أهل الغيرة ان هذا المشروع لا يرجى أن ينفذ بحسب نظامه المعروف الا اذا نجحنا فيما سعينا اليه في الآستانة ثم في مصر من تقرير اعانة له كبيرة ثابتة من وزارة الاوقاف فبهذا يستقر ويوثق بثباته واستمراره ويشتهر نفعه في الامصار والاقطار ، ويرجى بعد ذلك أن يتبرع له ويقف عليه العقار والاراضي كثير من أهل الخير ، ولا سيما بعد أن يتخرج في مدرسته من يحسنون القيام بما فرضه الله تعالى على المسلمين بقوله : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) فاذا ظفرنا باعانة ثابتة من وزارة الاوقاف فذاك، والا جعلنا المدرسة خارجية، وأنفقنا عليها مما آتانا الله من كسب ومساعدة أهل المروءة والاخلاص مهتدين بقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لايكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا)

---

١) للتنبيه هنا معنيان أحدهما جعل الخامل نبيه الشان وثانيهما ايقاظ الغافل
٢) المفسول الضعيف الخامل الذي لامروءة له

السنة وصحتها والشريعة ومتانتها

رد على دعاة النصرانية بمصر



﴿ تتمة واستدراك — استنكار المتأخرين لبعض متون أبي هريرة ﴾

قد علم مما تقدم أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه راوية ثقة عدل وانه من نوابغ البشر في الحفظ والضبط لما يحفظ وقوة الذكر (الذاكرة) وعلم أيضا أنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الانكار أو مظنته لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم ببعض المغيبات التي تقع بعده؛ ويزاد على ذلك أن بعض تلك المتون غريب في نفسه، ولو انفرد بمثله غير صحابي لعدّ من العلل التي يتثبت بها في روايته، كما هو المعهود عند نقاد الحديث أهل الجرح والتعديل، ولذلك ترى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبي هريرة كما رأى القراء في [دروس سنن الكائنات] للدكتور محمد توفيق صدقي، وأول كلمة طرقت سمعي في ذلك كانت من تلميذ مسلم في مدرسة غير اسلامية ببلاد الشام، وكان ذلك في أوائل العهد بطلبي للعلم. ومن عرف ترجمة أبي هريرة معرفة تامة يجزم بعدالته وبراءته من الكذب على أحد من الناس، بله الكذب على رسول الله (ص) الذي روى هو وغيره عنه انه قال «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وقد صرحوا بأن هذا الحديث متواتر

ولعل قراء المنار يتذكرون ما علقته على كلام محمد توفيق صدقي في حديث الذباب — وتطرقه فيه الى الارتياب في رواية أبي هريرة — اذ بينت بالايجاز انه لا مجال للطعن في أبي هريرة نفسه وأن حديث الذباب وأمثاله مما يستبعد أن يكون مسموعا من النبي (ص) لا يظهر علة نقلها عن أبي هريرة الا اذا أحصيت تلك

الروايات ولا سيما ما انفرد به ابو هريرة منها ، ودُقق النظر في أسانيدها ومتونها ، وما يمكن طروءه من الاحتمالات فيها ، وامهات هذه الاحتمالات أربعة :

(أحدها) أن يكون في رجال السند الى أبي هريرة من هو مجروح وان صُحح

(ثانيها) أن يكون ذلك الحديث أو الأثر مرويا عنه بالمعنى وقد وقع الغلط من أحد الرواة في فهمه فنقله كما فهمه

(ثالثها) أن يكون ما روي حديثا رأيا لأبي هريرة أو غيره ممن روي عنه وعده بعض الرواة حديثا لاجتهاده بأن مثله لا يقال بالرأي ، فما قاله العلماء من أن قول الصحابي اذا كان لا يقال مثله بالرأي له حكم المرفوع الى النبي (ص) لا يصح على إطلاقه ، والناس يتفاوتون في فهم ذلك، فما يعدُّه بعضهم منه لا يعده الآخر منه ؛

(رابعها) ان يكون رواه عن أهل الكتاب بالسماع ممن أسلم منهم ككعب الاحبار أو رآه في كتبهم وهو مما لا مجال للرأي فيه فيعده من قبيل المرفوع من يأخذ ذلك القول قاعدة عامة ؛ وقد ثبت ان أبا هريرة روى عن كعب الاحبار وأن معاوية قال في كعب الاحبار انهم كانوا يبلون (أي يختبرون) عليه الكذب، وقد تقدم ذلك في هذا المقال نقلا عن البخاري ، واني كنت أسيء الظن في روايات كعب الاحبار قبل أن أرى مارواه البخاري عن معاوية فيه، وكذا وهب بن منبه،

ثم اني بعد كتابة ما تقدم وقبل طبعه رأيت في تفسير سورة النمل من تفسير الحافظ ابن كثير بعد ذكر عدة روايات عن الصحابة في قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام ما نصه :

« والاقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه الى هذه الامة من أخبار بني اسرائيل من الاوابد والغرائب والعجائب مما كان ومما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة » اه

فجملة القول في هذه الاحاديث المشكلة اذا كانت مرفوعة الى النبي (ص) أو موقوفة على أحد رواة الصحابة (رض) أبي هريرة أو غيره ان يدقق النظر في أسانيدها أولا فاذا كان في الاحتجاج ببعض رجالها مقال كفينا أمرها وكذا اذا

كان فيها انقطاع أو ارسال، والا نظرنا في غير ذلك من الوجوه التي يكون بها المخرج كغلط الرواة بسبب النقل بالمعنى أو غيره من الاسباب ، وأدهى الدواهي أن يكون الحديث مأخوذاً عن بعض أهل الكتاب بالقبول ولم يعز اليه . ولا يغرنك قولهم ان مراسيل الصحابة حجة وان الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع ، فاذا ثبت ان أبا هريرة مثلا كان يروي عن كعب الاحبار وأن الكثير من أحاديثه مراسيل فالواجب أن يتروّى في كل غريب لم يصرح فيه بالسماع من النبي (ص) فاذا كان من الاسرائيليات أو ما في معناها احتمل ان يكون قد رواه عن كعب وكان هذا الاحتمال علة مانعة من ترجيح اسناد كلام الى النبي (ص) يوقع في الاشكال .

لا يتسع هذا الموضع لتحرير هذا البحث بالتفصيل ولكننا نذكر أهل العلم بحديث يرون فيه اكبر عبرة في هذا المقام وهو حديث الجساسة الذي حدّث به تميم الداري رسول الله (ص) واخرجه مسلم في صحيحه مرفوعا من طرق يخالف بعضها بعضا في متنه ، فهذا الخلاف في المتن علته من بعض رواة الصحيح ولا يظهر حمله على تعدد القصة ، ثم ان رواية الرسول (ص) له عن تميم الداري إن سلم سندها من العلل هل تجعل الحديث ملحقا بما حدث به النبي (ص) من تلقاء نفسه فيجزم بصدق اصله ، قياسا على اجازته (ص) اوتقريره للعمل اذ يدل حله وجوازه؟ الظاهر لنا ان هذا القياس لا محل له هنا ، والنبي (ص) ما كان يعلم الغيب فهو كسائر البشر يحمل كلام الناس على الصدق اذا لم تحف به شبهة، وكثيرا ما صدق المنافقين والكفار في احاديثهم، وحديث العرنيين واصحاب بئر معونة مما يدل على ذلك ، وانما كان يعرف كذب بعض الكاذبين بالوحي او ببعض طرق الاختبار او اخبار الثقات ونحو ذلك من طرق العلم البشري، وانما يمتاز الانبياء على غيرهم بالوحي، والعصمة من الكذب وما كان الوحي ينزل الا في امر الدين وما يتعلق بدعوته وحفظه وحفظ من جاء به، وتصديق الكاذب ليس كذبا . وحسبك ان تتأمل في هذا الباب عتاب الله لرسوله إذ أذن لبعض المعتذرين من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وما علله به، وهو قوله (عفا الله عنك لِمَ اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلمَ الكاذبين)

وإذا جاز على الانبياء المرسلين ان يصدقوا الكاذب فيما لا يخل بأمر الدين ولا

يترتب عليه حكم شرعي ولا شيء ينافي منصب الرسالة ، افلا يجوز على من دونهم ان يصدقوا الكاذب في اي خبر لا تقوم القرينة على كذبه فيه ؟ ومن صدق شيئا يجوز أن يحدث به من غير عزو الى من سمعه منه . ولكن هذا كان قليلا في الصدر الاول من الاسلام، فقد ظل المسلمون عدة قرون ينقلون كل شيء بالرواية وإن كان بيت شعر او كلمة مجنون

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان الاحاديث المشكلة الصحيحة الاسناد قليلة فما رواه ابو هريرة منها قليل من قليل، وما انفرد به منه اقل ذلك القليل ، ولا يتوقف على شيء منها اثبات اصل من اصول الدين ، والحمد لله رب العالمين

﴿ الجملة الخامسة الخاتمة لكلام الطاعن ﴾

﴿ استنتاجه من جملة دعاويه أن الشريعة لاقيمة لها في نفسها ولا في روايتها ﴾

قال بعد سرد ما تقدم عن الشبهات على رواية ابي هريرة ما نصه :

هذا هو الرجل الذي وضع مع ابن عباس اساس الشريعة . ولكن ما هي قيمتها ؟ ان السؤال مهم جدا ، ويطلب الجواب عليه من الثلاث مئة مليون سني الموجودين في العالم. اه بحروفه

اشتملت هذه الخاتمة على دعوى باطلة ، واستفهام إنكاري تهكمي ، ووجه هذا السؤال فيها الى ثلاث مئة مليون سني[1] أي الى كل فرد من أفراد أهل السنة الذين يسكنون في جميع الاقطار ، ويتكلمون بعشرات من اللغات ، ولماذا ؟ لان السؤال مهم جدا في نظر القسيس المبشر المتصدي هو وجمعيته لتنصير كل هؤلاء المسلمين بعد عجزهم عن هذا السؤال المهم جداً !! بخ بخ

الجواب عن الدعوى

هذه الدعوى ظاهرة البطلان عند المسلمين وعند من له أدنى إلمام بشريعتهم

(١) قد اشتهر منذ عشرات من السنين ان المسلمين ثلاث مئة مليون وأول أوربي اشتهر عنه هذا القول عاهل ألمانية غليوم الثاني ، والظاهر ان أهل السنة وحدهم صاروا يبلغون هذا العدد كما قالت مجلة الشرق والغرب ، وثم عشرات الملايين من الشيعة وغيرهم

وتاريخهم من النصارى وغيرهم ، سواء أراد بأساس الشريعة أصول أدلتها التي تستنبط منها – وهو الاقرب – أو أصول مقاصدها وهي العقائد والاحكام والآداب ، ونستغني عن بيان ذلك بما قلناه في مسألة أركان الشريعة الذي فندنا به القضية الثالثة من قضايا الجملة الاولى من مقاله (راجع ص ٢٨ ج ١) ثم نقول :

إن أبا هريرة وابن عباس ما وضعا أساس الشريعة ولا أركانها ، ولا أصولها ولا فروعها ، وإنما رويا انا كغيرهما من الصحابة الكرام الكثير الطيب من سنة الرسول ، وهي ثابتة الاسس والاصول

وقد بينا أن البخاري خرج لابي هريرة ٤٤٦ حديثا في صحيحه ، ونقول هنا انه خرج فيه لابن عباس ٢١٧ حديثا . وهذا القدر من روايتهما للاصول الموصولة من الاحاديث لم ينفردا به وإنما شاركهما في رواية الكثير منه غيرهما ، ولو أحصينا ما انفرد بروايته أبو هريرة وحده من أحاديث الاحكام الشرعية لرأيناه قليلا جداء ، وعلمنا انه لو لم يروه لما نقصت كتب الاحكام شيئا كثيرا ، وان ما عسى أن تنقصه يمكن أن يعرف حكمه من قواعد الشريعة الثابتة وأصولها القطعية ، كقاعدة رفع الحرج والعسر ، واثبات اليسر وترجيحه ، وقاعدة كون الاصل براءة الذمة ، وكون الاصل في كل الخبائث والمضرات المحرمة ، وفي كل الطيبات الحل ، وكون الضرورات تبيح المحظورات ، وغير ذلك مما لا مجال لتفصيله في هذا الرد

﴿ قيمة الشريعة الاسلامية ﴾

الجواب عن الاستفهام التهكمي

لا أرى شبها لسؤال القس الطاعن عن قيمة الشريعة الاسلامية الا السؤال عن الشمس ما فائدتها للدنيا ؟ وعن العافية ما فائدتها للناس ؟ وعن الماء والهواء ما فائدتهما للنبات والحيوان ؟ سواء كان السؤال سؤال انكار وتهكم أو سؤال استفهام ، وإننا نجيب عن هذا السؤال بجواب مجمل وجيز ، لان التفصيل لا يأتي الا بتصنيف كتاب كبير ، فنقول :

(١) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ثبتت نبوة من جاء بها

بالبرهان العقلي العلمي الثابت الدائم، وملخصه أنه رجل أمي نشأ بين قوم أميين بلغ الكهولة ولم يقرأ كتابا، ولم يكتب سطرا ولا حرفا، ولا قال شعرا ولا ارتجل خطبة، ولا رأس قبيلة ولا ساس قرية، ولا انتحل كهانة ولا عرافة، ولا عرف شيئا من شرائع الامم واديانها - ثم قام في سن الكهولة بدعوى النبوة، وأيد دعواه بكتاب اشتمل على اخبار الغيب الماضية والمستقبلة، وسنن الله في الدين والمدنية، وعلى أصح علوم العقائد الالهية، المؤيدة بالبراهين العقلية والعلمية، وأصلح علوم الاخلاق والفضائل النفسية، والعبادات الجامعة بين المنافع الروحية والجسدية، وأعدل قواعد الشرائع السياسية والمدنية الخ ثم انه اجتث بهداية هذا الكتاب جراثيم الوثنية، وطهر الامم من الخرافات التقليدية واخلاق الجاهلية، فكان للناس بذلك دين كامل وشريعة عادلة وأمة مؤلفة من جميع الشعوب والقبائل، ودولة احيت الحضارة وامتدت من المشرق الى المغرب في جيل واحد

فكان مثل محمد النبي الامي صلى الله عليه وسلم كمثل رجل جاء بلدا مصابا بالاوبئة الجتاحة والامراض المعضلة، وادعى انه طبيب وايد دعواه بكتاب في الطب والعلاج طهر به ذلك البلد كلها من الامراض والاوبئة، فأصبح أهله متمتعين بكمال الصحة والعافية

فكما يجزم كل عاقل بأنه يستحيل على غير الكامل في علم الطب أن يؤلف كتابا في الطب يزيل بالعمل به الاوبئة ويشفي المرضى — كذلك يستحيل بالاولى أن يقدر رجل أمي على الاتيان بأخبار الغيب وعلوم الدين والشرائع والآداب فيصلح بها أديان أمم كثيرة وآدابها وأخلاقها وأحكامها وسياستها، الا أن يكون نبيا مؤيدا بوحي الله وعنايته العليا، بل يستحيل صدور مثل هذه العلوم والأعمال من واحد أو من جماعة تعلموا جميع علوم البشر وعلوم الأديان في أعلى مدارس هذا العصر الجامعة. دع إعجاز القرآن ببلاغته وأسلوبه وسائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة الجامعة بين هداية الدين الالهي الحق، وبين ثمرات عقول العلماء المجتهدين، الواقفين على مصالح البشر وما يقوم به العدل بينهم، وما سواها فاما ديني محض لا مجال فيه لعقل ولا راي، واما

وضعي ناقص لا يحترم في السر كما يحترم في الجهر

(٣) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي تواتر كتابها تواترا حقيقيا ، ورويت سنتها رواية متصلة الاسناد ، ودُوّن تاريخ رواتها تدوينـا مبنيا على ركني النقد والتمحيص ، الذي يميز به بين الصحيح وغير الصحيح ،

(٤) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي حررت البشر وأعتقتهم من رق رؤساء الدين ، الذي أرهق الغابرين ، فلم تجعـل لأحد سيطرة روحية على أحـد ، فليس فيها كهنة ولا قسيسون يمتازون بمناصبهم الدينية على غيرهم ، أو توقف اقامة شيء من أمر الدين عليهم ، وانمـا خوطب البشر بها على سواء ، فهم يتفاضلون فيها بعلومهم وأعمالهم الكسبية ، لا بمناصبهم الموروثة ولا أنسابهم الشريفة،

(٥) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيـدة التي أعتقت البشر من رق الملوك المستبدين الذين انتحلوا لانفسهم حق الحكم بمحض الهوى والارادة ، وحق وضع الشرائع والقوانين بالذات أو بالنيابة ، وحق الامتياز في الحقوق الشرعية على غيرهم من أفراد الامة ، فجعلت أمر الامة شورى بين أهل الحل والعقد ، من أهل العلم والرأي ، الذين يولون عليها من يرونه أصلح لتنفيذ شريعتها ، ولم تجعل للخلفاء أو السلاطين، امتيازًا على أحد من الفقراء والصعاليك، لا في حكم من الاحكام المدنية، ولا في عقوبة من العقوبات الجزائية، وقد وافقتها بعض الامم في بعض هذه الاصول أو اقتبستها منها، بعد أن ترك المتغلبون على المسلمين اقامتها، ولكن لم يبلغ احد شأوها الى هذا اليوم ، وإنما صار بعضهم أقرب اليها ، ممن يسمون أنفسهم أهلها .

(٦) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ساوت بين اهلها المؤمنين بها ، وبين الكافرين بها اذا تحاكموا اليها ، سواء كانوا من اهل ذمتها ، او من الاجانب المعاهدين لحكومتها ، او الحربيين الداخلين في امان احد من اهلهـا ، فلا فرق في احكامها القضائية بين أبناء الرسول وامراء المؤمنين، وبين أضعف أهل الكتاب أو الوثنيين، ونحن نرى أرقى الافرنج وأشهرهم بالعدل يميزون أنفسهم على غيرهم، فلا يرون المصري والهندي مساويا للانكليزي ، ولا الاسيوي مساويا للامريكي

(٧) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي رفعت شأن النساء وأعطتهن

حقوق الاستقلال التام في التصرف بأموالهن ، وساوت بينهن وبين أزواجهن في جميع الحقوق بالمعروف، الا رياسة المنزل وزعامة الاسرة ، وان كلمة وجيزة من كلمات القرآن الحكيم في ذلك لأبلغ من كثير من الاسفار التي ألفت في المطالبة بحقوق النساء أو ما يسمونه تحرير المرأة ، الا وهي قوله عز وجل

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذي عليهنّ بالمعرُوفِ وللرِّجال عليهنّ دَرَجةٌ ﴾

وهذه الدرجة التي أعطيت للرجل بحق — وهي رياسة البيت — لانه أقدر على الكسب والحماية ، والمطالب بجميع النفقة ، تشبه الرياسة العامة فيما شرع فيها من الشورى كما يدل عليه قوله عز وجل في مسألة ارضاع الولد وفطامه (فإن أرادَا فِصالاً عَن تراضٍ منهما وتَشاوُرٍ فلا جناح عليهما) وقد اهتدى كثير من الامم ببعض هدي هذه الشريعة في هذه المزية ولم يبلغ أحد منها شأوها ، ولكن أهلها قصروا في إقامتها ، حتى صاروا حجة عليها عند من يجهلها

(٨) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي وضعت للحرب نظاما حرم فيه العدوان والتمثيل والتخريب ، وقتل من لا يقاتل من النساء والشيوخ والاطفال والمنقطعين للعبادة، فجعلتها ضرورة تتقدر بقدرها، وأمرت بالجنوح للسلم أن جنح العدو لها ، وقد بين المنار فضلها في ذلك على قوانين أوربة وفضل أهلها في حروبهم على الاوربيين في مقالة نشرت في مجلد السنة الماضية. وقد انصفنا أحد حكماء الافرنج بقوله « ماعرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب »

فأين منها شريعة التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهي التي أوجبت في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشتراع استعباد جميع أفراد الشعب المسالم الذي يختار الصلح على الحرب ، وقتل جميع ذكور الشعب الذي يحارب عند الظفر به وجعل جميع نسائه وأطفاله وما يملكه غنائم — هذا اذا كان من المدن البعيدة جدا عن شعب التوراة التي لا يسهل عليه سكناها؛ وأما الشعوب القريبة التي يسهل عليه امتلاك بلادهم فهذا نصها فيهم « ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما »

(٩) هذه هي الشريعة الوحيدة التي فرضت على الاغنياء نصيبا معلوما مما تزيد من أموالهم عن نفقاتهم يصرف لإعانة الفقراء والمساكين العاجزين عن كسب يكفيهم ، ولمساعدة الغارمين على ما يحملون من الغرامات للاصلاح بين الناس ، ولابناء السبيل الذين يسيحون في الارض فتنفد نفقاتهم قبل عودتهم الى أوطانهم ، وغير ذلك من المصالح العامة ، ولو أقام المسلمون في هذا العصر هذا الركن كما كان يقيمه سلفهم الصالح لما وجد فيهم فقير مهين ، ولكانت حالهم الاجتماعية أفضل من حال أرقى الأمم ، ولكان السائحون منهم لاكتشاف مجاهل الارض وخرت بقاعها والاعتبار بأحوال الامم فيها أكثر من سائحي غيرهم من الامم ، اذ حثهم الله في كتابه العزيز على السياحة النافعة بمثل قوله في سورة الحج (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) وقوله في سورة المؤمن (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) وقوله في سورة آل عمران (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) الخ

(١٠) ان هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع الالهية ، وحكمة ذلك أن الله تعالى قد أكمل بها الدين الحق ، فجعلها جامعة بين مصالح الروح والجسد ، ومنح الامة حق الاجتهاد واستنباط الاحكام ، بما وهب لها من فضيلة الاستقلال ، بعد ان أعدّها لذلك بسنة الارتقاء ، وبهذين كانت موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان ، خلافا لما يجنيه عليها الصديق الجاهل ، وما يتجناه عليها العدو العاقل ، وقد بيناهذه المسألة في التفسير وفتاوى المنار ومقالاته مرارا ، كمقالات المصلح والمقلد والفتاوى الباريزية ، وتفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وتفسير (اليوم أكملت لكم دينكم) وتفسير (لاتسألوا عن أشياء ان تُبدَ لكم تسؤكم) وطالما فندنا شبهات المنكرين لذلك

فهذه بعض مميزات هذه الشريعة التي يعرف قيمتها المنصفون من غير أهلها . فان أمكن لهذا المجادل فيها أن يشكك أهلها فيها بما زعمه من ارتياب بعض الناس في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أو بغير ذلك من الدعاوي (وان يمكن) فلا يجني من ذلك الا انصراف ثلاث مئة مليون سني ربما يتبعهم زهاء ثلاثين مليونا من الشيعة

وسائر الطوائف الاسلامية من الايمان بأن المسيح عليه السلام رسول الله المعصوم وكلمته التي ألقاها الى مريم الطاهرة البتول، الى مثل اعتقاد ملاحدة الاوربيين من الانكليز وغيرهم كمؤلف كتاب (نشوء فكرة الله) ومؤلف كتاب (اضرار تعليم التوراة والانجيل) وغيرهم من الماديين الذين يطعنون فيه وفي أمه الطاهرة ، ويزعمون ان آداب انجيله مفسدة للبشر لانها تعلم الناس الذل بالخضوع لكل سلطة وإن كانت أجنبية جائرة ، وادارة الخدين لكل من يريد صفعهما ، وتدفعهم الى الفقر بتحريم الادخار والاهتمام بالمستقبل وحرمان الاغنياء من ملكوت السماء .. (مت ١٩ : ٢٣)

لو كان الشك في الشريعة الاسلامية يفضي الى تنصر الشاك فيها حتما لكان للطاعن المشكك فيها — وهو داعية لدينه — عذر ظاهر في التشكيك ، ولكن لا تلازم بين الامرين ، بل علمنا بالتجارب والاختبار أن اكثر الذين يمرقون من الاسلام يكونون ملاحدة معطلين ، وأن الافراد القلائل من المسلمين الذين دخلوا في النصرانية لايكاد يوجد واحد منهم كان مسلما حقا ثم صار نصرانيا ظاهرا وباطنا ، بل هم في الغالب من العوام الفقراء الكسالى الذين يظهرون النصرانية للمبشرين لاجل أن يطعموهم ، وهم على جهلهم بحقيقة الاسلام لا يفضل أحد منهم تقاليد النصرانية على ماعرف من تقاليد قومه، وقلما يفتح لاحد منهم باب للرزق عند المسلمين الا ويفرّ اليه مفضلا له على الارتزاق بالنفاق ، وطالما سعوا الى ذلك وطرقوا له الابواب وكلما فتح لاحدمنهم باب منها تاب وأناب، فأين هؤلاء الغوغاء ممن يدخلون في الاسلام من كبراء الانكليز وفضلائهم وغيرهم من نصارى الغرب والشرق كاللورد هدلي

قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : ان المسلم لا يمكن أن يصير مسيحيا — وعلل ذلك بقوله — لان الاسلام مسيحية وزيادة ، أي يتضمن الايمان بالمسيح (ص) وبما جاء به بالاجمال ، والايمان بمحمد (ص) وبما جاء به بالتفصيل. وعللناه نحن بأن دين الله واحد في أصوله من التوحيد والاخلاص والفضيلة ، الا أنه سار كسائر الشؤون المتعلقة بالبشر على سنة النشوء والارتقاء فكان كماله في آخره (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فالمسلم

ينظر الى ملة كل من نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كما ينظر الانكليزي الى القوانين التي كان عليها قومه في القرن السادس عشر والسابع عشر — الى القرن العشرين ، ولكنه لا يترك ما ارتقى اليه من القوانين المناسبة لحال زمنه هذا الى ما ارتقى عنه من قوانين القرون الخالية، ولا يعدّ نفسه بما ارتقى اليه قد خرج عن كونه انكليزيا . وكذلك المسلم يؤمن بجميع الانبياء وبحقية أديانهم وشرائعهم ومناسبتها لازمانهم وبأن الشريعة المحمدية كانت هي الخاتمة المتممة المكملة الناسخة ، والمسلمون يعظمون جميع الرسل (لا نفرّق بين احد من رسله) ولكنهم يتبعون الاخير منهم

واننا نرى المبشرين يحاولون اقناع المسلمين بدلالة القرآن على تفضيل عيسى على محمد عليهما الصلاة والسلام ، ولو تم لهم هذا لما أفادهم شيئا ، فإن المسلمين لا يفرقون بين الرسل من حيث انهم رسل ، وانما فضل الله بعضهم على بعض بكثرة المزايا ودرجة انتفاع البشر برسالتهم ، وقد فضّلهُم خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعموم بعثته وإكمال الدين المطلق بما جاء به وكثرة من اهتدى به ؛ ونعتقد أن عيسى لم يبعث الا الى خراف إسرائيل الضالة كما قال عن نفسه (مت ١٥ : ٢٤) ولو فرضنا ان عيسى أفضل بما امتاز به في خلقه وخصائصه لما كان ذلك موجبا لترك الثابت عندنا من شريعة محمد صلى (ص) العامة المكملة الخاتمة الناسخة لما قبلها الى ما لم يثبت عندنا من شريعته الخاصة المنسوخة ، وعلماء الاصول منا يفضلون ابراهيم على موسى وعيسى (ص) ولكنهم لا يقولون انه كان يجب على بني اسرائيل ترك شريعة التوراة الى ما خالفها من شريعته كما أن من يفضل محمد علي باشا الكبير على أحفاده بخصائصه الفطرية لا يرى ذلك موجبا لترك قوانينهم الى قوانينه ، على أن القاعدة عندنا أنه قد يوجد في المفضول من المزايا ما لا يوجد في الفاضل كما يفضل بعض أحفاد محمد علي جدهم بالعلم وبعض الاخلاق والاعمال

الحق أقول لكم أيها المبشرون المحترمون ان مجادلاتكم وطريقتكم في دعوة المسلمين الى دينكم قد جاءت الى اليوم بضد ما تريدون وتريد جمعياتكم ، فهي تزيد المسلمين استمساكا بدينهم وبعدا عن دينكم ، وأكبر ضررها الديني في

المسلمين أنها حملت كثيرا منهم على ضد ما يجب عليهم شرعا من حب سيدنا عيسى وأمه وحواريه والثناء عليهم بما أثنى الله تعالى ورسوله (ص) فان كثيرا من العوام صاروا يعتقدون مما يسمعون منكم ويقرءون أو يقرأ عليهم من كلامكم ضد ما يقرره الاسلام من كون الرسل اخوة يجب الايمان بهم وحبهم جميعا ، بل أرى هذا التأثير قد دب الى خواص المتعلمين على الطريقة الافرنجية حتى المشهورين منهم بالتساهل الديني

ومن العجيب ان واحدا من كبار هؤلاء علما ورتبة صرح أمامي بأنكم بغضتم اليه المسيح ... فقلت له لا ينبغي لمثل سعادتك ان يسترسل مع وجدانه الى هذا الحد ، ولا يخفى عنك ان بغض المسيح عليه السلام كفر ، فقال ان هذا قد ثبت في نفسه ولا يستطيع دفعه

أيها المبشرون المحترمون انكم تريدون تشكيك الناس في الشريعة الاسلامية بالطعن في عدالة أبي هريرة ، وقد علمتم ان الطعن في أبي هريرة لو كان صادقا ماحط من قدر هذه الشريعة شيئا فكيف وهو باطل ، ولو لم يخلق أبو هريرة لما نقصت الشريعة شيئا، ولكن كثيرًا من المسلمين المتعلمين على المنهج الافرنجي يرون ان أكبر الشبهات على الاسلام، ما أثنى القرآن والرسول (ص) به على المسيح وأمه عليهما السلام ، حتى انني قلت متأسفين ان أقوى الحجج للمسيح شهادة القرآن له، وأقوى الشبهات على القرآن شهادته للمسيح، فهل رأيتم قول القرآن فيه (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) قليلا حتى طمعتم باقناع المسلمين بأن يقولوا كلمة أكبر من ذلك، ورأيتم قوله فيه (وأيدناه بروح القدس) قليلا أيضا فطمعتم بأن نقول فيه كما تقولون وان لم نعقل ذلك ولم يقم عليه برهان مبين

أيها المبشرون الغيورون انكم تعلمون أن اشتغال الناس بالفلسفة المادية والمدنية المادية قد فتن كثيرا من المسلمين بملاحدة الاوربيين الماديين الذين مرقوا من النصرانية وطعنوا فيها أشد الطعن لان تعاليم الاناجيل أشد التعاليم وأقساها على الماديين اذ هي روحانية محضة ، وأما الاسلام فهو دين وسط ، جامع بين حقوق الروح وحقوق الجسد ، فلا تؤثر فيه دعوة النصرانية، لانه كما تقدم مسيحية وزيادة،

وانما يخشى على الجاهلين بحقيقته من تيار المادية، وحرية الشهوة الحيوانية، فدارسكم الافرنجية الدينية منها وغير الدينية ، هي التي تكفل لكم التشكيك في الاسلام، لا الطعن في أبي هريرة ولا ابن عباس ، فتعالوا تتعاون على مجاهدة هذه تعاليم المادية، التي كانت آفتها شديدة على الاسلامية ولكنها على النصرانية أشد، ودليل ذلك انها لم تمنع كثيرا من المتعلمين الباحثين من ترك النصرانية الى الاسلام، وان الملاحدة منا أقل من الملاحدة منكم

ما رأيت كلاما لاحد من الاوربين المستشرقين في الاسلام والمسلمين بني على الخبرة والمعرفة ككلام الدكتور سنوك الهولندي، وقد بين في خطبته التي ألقاها منذ سنين في مدرسة كليفورنية الجامعة في الولايات المتحدة أن القضاء على الاسلام الديني بالتبشير المسيحي محال ، وان المسلمين لن يكونوا نصارى أبداء وان طريقة اللاتين في بث التعليم المادي في المسلمين، افعل في زلزال الاسلام من طريقة البروتستانت في بث دعوة الدين ، واعتبروا مع هذا ما ترونه من تفضيل أكثر المسلمين للانكليز والامريكان على اللاتين

انا لا أخاف على المسلمين من مجلاتكم ولا من كتبكم ورسائلكم ، وانما أخاف على المسلمين من الفلسفة المادية والمدنية الشهوانية ، ومن منافقيهم وعباد الشهوات منهم ، فهم الذين يجنون على دينهم ودنياهم، وانما أوصيكم بأن تتجنبوا فيما تقولون في مجامعكم التبشيرية، وما تطبعون في رسائلكم وصحفكم الدورية، كل ما يثير العصبية ويخدش المودة الوطنية ، (٥ : ٥٢ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم فينبئكم فيما كنتم فيه تختلفون ١٧: ٨٤ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا)

المجمع اللغوي المأمول

دعوة الى هذه الامنية وخطوة جديدة على ذكرى بلوغ المقتطف سن الاربعين من حياته المفيدة

طالما تشوفت انفس أهل العلم والادب من المشتغلين بالتصنيف والانشاء والترجمة بلسان العرب الى انشاء مجمع لغوي للتعاون على خدمة اللغة العربية بالطرق التي تقتضيها حال هذا العصر . وطالما تحدثوا بهذا في انديتهم وسمارهم . وكثيراً ما هموا ولم يفعلوا، وما اقدموا ثم احجموا، وما بدأوا ثم لم يثبتوا. وقد كان عدم تيسر المكان اللائق بهذا العمل من الموانع العائقة لكثير من الذين تمنوه وتحدثوا بشأنه عن مواصلة المذاكرة فيه ومعاودة الاجتماع لاجله . فلما انشأ الاساتذة المتخرجون من مدرسة دار العلوم ناديهم منذ سنين قليلة تعلقت آمال كثير من الناس بهم ، وكان اختيارحفني بك ناصف رئيسا لناديهم، مقوياً للرجاء فيهم، ثم ماعتم هذا النادي ان خبت ناره ، واطفئت انواره ، ولكن بعد ترك حفني بك لادارته، ومغادرته مدينة القاهرة مرتقيا في منصبه

لاح لنا أمس بارق أمل جديد، عسى أن نصل في نوره الى ما نريد ، فيكون ذلك من بركات المقتطف المفيد

صدر الجزء الاول من مجلة المقتطف في مثل هذا اليوم – أول مايو –[1] من سنة ١٨٧٦ فتم له امس أربعون سنة. وقد كان مما يخطر ببال كثير من أهل العلم وانصار النهضة العربية ان يجعلوا هذا اليوم عيداً للمقتطف يحتفلون به الاحتفال اللائق بخدمته للعلوم والفنون بهذه اللغة الشريفة التي لا حياة لنا الا بحياتها العلمية والفنية ولكن الحرب الاوربية العامة جعلت العالم كله في مأتم ولا تكون المآتم اعياداً

وقد كان في مقدمة الذين شعروا بوجوب الاحتفال بالمقتطف صديقنا الاديب الخطيب الشهير اسماعيل بك عاصم المحامي وقد رأى ان ما يمنع من اقامة الاحتفالات

(١) كتبت هذه المقالة في أول شهر مايو الموافق ٢٨ جمادى الآخرة ونشرت في المقطم وله كتبت ، ثم في المقتطف ولاجله أنشئت ، وكان المنار موقوفا لعدم الورق ولم يتيسر نشرها في الجزء الماضي منه

العامة، لا يمنع من اجتماع خاص لتهنئة خاصة، فأعد أمس في داره الزاهية مأدبة لصاحبي المقتطف دعا اليها صاحب الدولة رئيس الوزارة حسين رشدي باشا وصاحب المعالي عدلي باشا يكن وزير المعارف وصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وصاحبي السعادة يحيى باشا ابراهيم رئيس الاستئناف الاهلي واحمد زكي باشا كاتب سر مجلس النظار وحضرة صاحب العزة احمد بك لطفي السيد مدير دار الكتب السلطانية [1] وبعض اصحاب المجلات العربية المشهورة

انتظم عقد هذه الجماعة عشاء في تلك الدار، المتألقة بالانوار فكانت سامراً هامياً من أرقى السمار، افتتحها حضرة صاحب الدعوة بهذه الابيات

يابدوراً قد تجلى في سما العليا سناكم
حاكت الافلاك داري حين حياها نداكم
فاقبلوا مني دعاء اسعد الله مساكم

وبعد مسامرات كان جلها في مناقب العرب وما سبق لهم من ترقية العلوم والفنون تحلقوا حول تلك المائدة، فأصابوا مما طيف عليهم به من ألوانها الفاخرة، ثم نهض الداعي الوفي الكريم فألقى خطبة نفيسة في الثناء على المقتطف المفيد، وعلى منشئيه الفيلسوفين الكبيرين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر، بين فيها خدمته الجليلة للعلم والعربية وذكر انه انشئ في بيروت ثم جذبته مصر اليها، وذكر مقالتين نشرتا في الجزء الاول كانتا كالمرآة التي تجلى فيها كماله - مقالة في عمل الزجاج ومقالة في القمر وتشكله منذ يبدو هلالا الى ان يكون بدراً كاملا (قال) وكذلك كان المقتطف فانه كالزجاج في صفائه وبهائه، وهو كالقمر بدأ هلالا ثم صار بدراً كاملا واسأل الله حفظه من المحاق

ثم ذكر بدء معرفته لمنشيء المقتطف من زهاء ثلاثين سنة وذكر من فضلهما وأخلاقهما ماهو معروف، وأشار في خطابه الى ما سبق من احتفاله المشكور ببلوغ مجلة المنار عشر سنين، وذكر المنار في سياق الاستدراك على وصف المقتطف بالسبق في

(١) انما ذكرنا الالقاب الرسمية لهؤلاء الكبراء مخالفين لسنة المنار لان المقالة كتبت للمقطم كما تقدم

خدمة العلوم. ثم قام كاتب هذه السطور فاستأذن الوزير الأكبر بالقاء كلمة في الموضوع هذه خلاصتها :

ورد في الحديث الشريف « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » وقد رأيت صديقنا الفاضل اسماعيل بك عاصم استدرك على وصفه المقتطف بأنه المجلة العربية الوحيدة التي قامت بما قامت به من خدمة العلم فذكر المنار وقرنه بالمقتطف وقال ان للمقتطف فضيلة السبق ، وذكر انني اعترف له بذلك ، كما اعترف لابن معط ابن مالك ، اذ قال في فاتحة الالفية :

وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميلا

نعم انا اعترف للمقتطف بالسبق والتبريز في العلم، وأزيد على ذلك الاعتراف بأني قد استفدت من المقتطف من أول عهدي بطلب العلم ولا أزال استفيد منه . اني لما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام وذلك أول عهدي بطلب العلم رأيت أستاذنا الشهير الشيخ حسيناً الجسر مشتركا في المقتطف ومواظباً على قراءته فكانت تلك أول معرفتي بالمقتطف وصرت استعيره بعد ذلك وأقرأه، فاستفدت من مباحثه فوائد عقلية وصحية واجتماعية ، ولا أزال اعتمد على ما يكتبه في معرفة أطوار التجدد العلمي العصري

ان المقتطف في نظري مدرسة جامعة سيارة يستفيد منها العالم العربي في كل بلد يقرأ فيه. فان الذين يتعلمون مبادئ العلوم العصرية باللغة العربية، يحتاجون الى الوقوف على ما يتجدد فيها بالبلاد الغربية . ولا سبيل الى هذا الا بالاطلاع على الكتب والمجلات الاوربية التي تصدر في كل عام وهذا لا يتيسر الا لبعض الاغنياء المتقنين لبعض لغات العلوم الاوربية — فالمقتطف يلخص لنا في كل شهر ما لا يستغني عنه قراء العربية

من حق المقتطف على الامة العربية ان تحتفل به في الوقت المناسب ونرجو ان يكون ذلك على رأس الخمسين من حياته النافعة

احتفل فريق من المصنفين ببلوغ مطبعة المعارف سن العشرين في خدمة الصناعة واتقانها فاذا جرينا على سنتهم كان علينا ان نقيم للمقتطف عشرات من

الاحتفالات . كان على مروجي الصناعة ان يقيموا للمقتطف مثل هذا الاحتفال لا لأن له مطبعة أخرجت للناس من المطبوعات النافعة ما لم يخرجه غيرها فحسب، بل لان للصناعة باباً في المقتطف فهو مرشد الى ترقيتها بجميع فروعها . وكان على المجتهدين في ترقية الزراعة ان يقيموا له احتفالا آخر لان للزراعة باباً فيه مثل باب الصناعة ، ومثل هذا يقال في كل علم وفن، ولكن صديقنا اسماعيل بك عاصم جمع لنا في هذه الليلة صورة مجملة لما يجب على الامة مفصلا

ان أكبر منقبة للمقتطف ومنشئيه أنهما حجة اللغة العربية على من يتوهمون أنها لا تتسع لجميع العلوم العصرية ولا يسهل تعليمها بها . فهذان العالمان الكبيران تعلما العلوم باللغة العربية واشتغلا بالكتابة والتأليف فيها مدة اربعين سنة فأفادا العلم ما لم يفده أحد من المتعلمين منا باللغات الاجنبية

هذا ملخص ما قلته . ثم ألقى أحمد زكي باشا خطبة نفيسة في فضل المقتطف ومنشئيه في خدمة العلم باللغة العربية افتتحها بما هو معروف في الفقه الاسلامي من تقسيم الواجب الى فرض عين وهو ما يطلب من كل فرد من الافراد كالصلاة والصيام، وفرض كفاية وهو ما اذا قام به بعض الافراد سقط الطلب عن الباقين (كالفنون والصناعات التي لا يستغني الناس عنها في معايشهم) . وقال ان صاحبي المقتطف هما اللذان قاما بفرض الكفاية من خدمة العلوم والفنون (١) . ثم ذكر أول عهده بالمقتطف وانه أرسل اليه سؤالا الى بيروت ثم عهده برؤية منشئيه وما يحمد من صحبته لهما

وقام أيضا الشاب النجيب اميل أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء فأثنى على المقتطف وذكر انه تلميذ تلاميذ منشئيه العلامتين وذكر ان والده وهو استاذه الاول كان تلميذهما وكذلك كان اساتذته في المدرسة الكلية من تلاميذهما

ثم قام صاحب مجلة المفتاح الغراء توفيق افندي عزوز فخطب خطبة اثنى فيها على المقتطف بما هو أهله وذكر استفادته منه كثيرا وقال ان منشئيه العلامتين

(١) ان ما يجب على المسلمين وجوبا كفائيا لا يسقط عنهم بقيام غير المسلمين به بل يأثمون بتركه وان كان من الواجبات المعاشية كالطب والصناعات

الفاضلين قد افادا بأخلاقهما كما أفادا بمجلتهما فهما باتفاقهما وتكافلهما واخائهما قدوة صالحة لهذه الامة التي تشكو من التفرق والاختلاف وقلة الثبات ما هو أعظم عائق لها عن القيام بالاعمال النافعة

وبعد ذلك قام العلامة الدكتور فارس نمر فألقى خطاباً بليغا قال في فاتحته إنه بلسانه ولسان شريكه واخيه الدكتور صروف يشكر أولا لسعادة اسماعيل بك عاصم عنايته بهذه الدعوة ويعتب عليه انه جعلها بصورة احتفال ومما قاله :

« ان حضرة رب هذه الوليمة شرف ادارتنا منذ بضعة أيام وهنأنا بمرور أربعين عاماً على مجلتنا المقتطف ودعانا الى تناول الطعام مع جماعة من علماء مصر وأرباب المجلات العربية الذين دعاهم احتفالا بذلك فأبنا لحضرته ان الوقت لا يصلح للاحتفالات ولا خدمتنا تستحق هذه العناية ولكن ابت مكارمه ومكارمكم أيها السادة الا ان تخصونا بالنصيب الاوفر من محاسن هذه الليلة وان تتحفونا بهذا المدح الذي لا نستحقه فلحضرة صديقنا الفاضل صديق العلم والادب رب هذه الدار ولدولة الوزير الكبير رئيس الوزراء ولمعالي وزير المعارف ولفضيلة مفتي الديار المصرية ولسعادة رئيس الاستئناف الاهلي ولسعادة سكرتير مجلس النظار وسائر الذين تكرموا بالثناء على المقتطف وذكروه بالخير ولبوا هذه الدعوة اكراما له جزيل الشكر من هذين العاجزين

ثم قال : « ان المقتطف وان كان قد انشيء في القطر السوري فقد كان معظم انتشاره في القطر المصري وقد لقي من أعاظم مصر أعظم عضد وأرحب صدر حتى ان وزير مصر الشهير المرحوم رياض باشا كان يكاتبه منذ بدء انشائه ولما نقلناه من سورية الى مصر رحب به رحمه الله كما رحب به الوزير الكبير شريف باشا والعالم المرحوم شفيق بك منصور وغيرهم من أعاظم مصر وأكابر علمائها . والامل وطيد ان خدمة المقتطف على ما بها من الضعف تجد من تأييدكم أيها السادة ما يقويها ويزيدها اضعافاً مضاعفة بموازرة سائر المجلات والجرائد العربية في عصر مولانا السلطان المعظم الذي حق لنا ان نباهي بهسلاطين الشرق والغرب معاً على حبه للعلم واكرامه للعلماء ورغبته في اعلاء منار الادب وغيرته على نشر المعارف وجوده في سبيل التربية

أدامه الله للامة العربية فخراً وأدامكم للغة العربية ذخراً

ثم دارت بعد ذلك المذاكرة في مسائل علمية ولغوية أفضت الى الكلام في شدة الحاجة الى انشاء مجمع لغوي في مصر فقال احمد لطفي بك السيد مدير دار الكتب السلطانية ان احمد زكي باشا كان قد اقترح عليّ ان اخصص مكاناً من دار الكتب لذلك . واني اجبت الى ذلك فلديّ الآن في المكتبة مكان لائق كانت الجرائد ذكرت انا فرشناه واعددناه لراغبات المطالعة من السيدات وليس عندنا سيدات يغشين دار الكتب للمطالعة فنعد لهن مكاناً

فسر جميع الحاضرين بهذا وقابلوه بالثناء ورأوا ان قد زالت به عقبة من عقبات الشروع في تأسيس المجمع اللغوي الذي بينا مكانته من النفوس في أول هذه المقالة وزادهم سرورا ما رأوه من ارتياح الوزير الاكبر ووزير المعارف للشروع في تأسيس المجمع اللغوي بدار الكتب السلطانية . وأرجو ان نبشر قراء العربية في مقال آخر بتأسيس هذا المجمع بالفعل

وقد امتد هذا السمر المفيد الى منتصف الليل فانصرف السامرون مثنين على رب المنزل اطيب الثناء

جمال باشا السفاك

كان جمال باشا من آحاد الضباط الكثيرين المنتمين الى جمعية الاتحاد والترقي فلم يلبث ان ترقى فوق الهام والرءوس الى مقام الزعماء على حين قد تدهور أمير الألاي صادق بك عن منصة الزعامة العليا لها وسقط كثير من الضباط وغيرهم من مكاناتهم العالية . وانما ترقى جمال بك ببراعته وجرءته على سفك دماء خصوم الجمعية، فهو الذي دبر مكيدة المذبحة الاولى في أدنه اذ كان واليا لها بعد الدستور، وهو الذي قتل الجم الغفير من كبراء الآستانة المخالفين للجمعية عقب اغتيال محمود شوكت باشا . ولاجل هذا اختارته الجمعية لقيادة فيلق سورية بعد الحرب على كونه لا يزال ناظرا للبحرية ، وما سمعنا في أخبار دولة من الدول أن أحد وزرائها يعطى

وظيفة دون الوزارة في بلاد بعيدة عن العاصمة فيكون فيها عدة سنين في أشد أوقات الحاجة الى قيامه بشؤونها وناهيك بوزيري الحربية والبحرية في وقت الحرب ، ولكن زعماء الجمعية يأخذون المناصب العليا بعلومهم في الجمعية لا بخدمتهم للدولة

نعم ان الجمعية اختارت جمال باشا لأجل ان يتم تنفيذ ما توعدت به سورية من بضع سنين في جريدتها طنين وعبرت عنه (بالدش البارد) وإنما كانت مذبحة الكرك وتعذيب العرب برضخ رؤوسهم بالصخور هي الرشة الاولى من هذا (الدش) وانا — على علمنا بهذا الانذار وبما هو أشد منه وأوضح وعلى ذكرنا بعض تلك النذر في مقالات (العرب والترك) وغيرها في المنار — قد ارتبنا في أول خبر بلغنا عن شنق جمال باشا لبعض نابغي المسلمين في بيروت . ولا يزال أكثر المصريين يكذبون أخبار التقتيل والنفي التي تكررت بل تواترت . وقد ظفرت جريدة المقطم ببيان لجمال باشا نفسه نشرته في اليوم السابع من شهرنا هذا يصرح فيه بعمله ويحتج له . وهذا ما نشرته :

(بيان من جمال باشا)

نشر جمال باشا القائد العثماني في سورية البيان التالي بامضائه في ٥ رجب سنة ١٣٣٤ الموافق ٧ مايو سنة ١٩١٦ وهذا هو نصه العربي كما نشر بحروفه — :

لما جرى القصاص على بعض الاشخاص المنتسبين الى الحزب المتشكل في مصر والممالك العثمانية تحت تعويه عنوان « حزب اللامركزية » والذين حوكموا في ديوان الحرب العرفي بعاليه كنت كتبت في البيان الذي نشرته في أوائل اوغستوس سنة ١٣٣١ ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق اعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلا

ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب المفيد الذي ألقي القبض عليه أخيراً بعد ان ذكرنا في البيان فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقائهم الآخرين قد نور المسألة من جميع اطرافها وسيق الى ديوان حرب عاليه الاشخاص الذين ظهر ان لهم علاقة في هذه المسألة بدرجات متفاوتة مع من تبين

ان لهم دخلا في المساعي الخائنة بتنفيذهم ترتيبات الجمعية وتشبثاتها وأعمالها . وفي ختام التحقيقات والمحاكمات التي أجراها الديوان العرفي في عاليه صدرت الاحكام المقتضاة بحق المظنون فيهم من الموقوفين والفارين كل على حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمعية التي غايتها ومقصدها سلخ سورية وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية وجعلها امارة مستقلة . فحكم على شفيق بن احمد مؤيد العظم والامير عمر بن الامير عبد القادر . وعمر بن مصطفى حمد . ورفيق بن موسى رزق سلوم . ومحمد بن حسين الشنطي . وشكري بن بدري علي العسلي . وعبد الغني بن محمد العريسي . وعارف بن محمد الشهابي . وتوفيق بن احمد البساط . وسيف الدين بن ابي النصر الخطيب . والشيخ احمد بن حسين طباره . وعبد الوهاب ابن أحمد الانكليزي . وسعيد بن فاضل عقل . و بترو باولي . وجرجي بن موسى الحداد . وسليم ابن محمد سعيد الجزائري . وعلي بن محمد حاجي عمر . ورشدي بن احمد الشمعة . وامين لطفي بن محمد حافظ . وجلال ابن سليم البخاري . بالاعدام لثبوت اشتراكهم في هذه التشبثات بالدرجة الاولى و بصورة فعلية . وعلى من تبين دخولهم في الدسيسة بصورة فرعية . سالم بن مصطفى مظلوم بالاعتقال بالقلعة خمس سنين وتوفيق بن محمد الناطور و يوسف بن نجيب سليمان بعشر سنين . وحسين بن خليل حيدر بخمس عشرة سنة . وعلى رياض ابن رضا الصلح بنفي مؤبد . وعلى الامير طاهر بن أحمد الجزائري بعشر سنين في الكريك . وعلى الذين مع كونهم لم يفهموا المقصد والتشبث الحقيقي وثبت وجود مساع لهم مع هذه الجمعية بصورة محسوسة اما بسائق الجهل أو التصلف وانما لم يوجد عليهم وثائق تنور وجدان الهيئة الحاكمة وتثبت مجرميتهم واشتراكهم وهم رضا الصلح وأسعد حيدر باعادتهما الى منفاهما . وأعطي القرار بمنع محاكمة وبراءة كل من محمد أفندي كامل الهاشم . ابراهيم القاسم . سامي العظم . الشيخ جمال الدين الخطيب . عبد الحميد معلم الرسم . محيي الدين فريحه . البيطار حسين صبري . رشدي الغزي . عاصم بسيسو الغزي . عزت الاعظمي . مصطفى الكيلاني . عبد الرحيم جنون . الدكتور حسام الدين . نجيب شقير . الشيخ فتح الله . الدكتور أحمد قدري سليم الطيارة . جميل الحسيني . المفتي سعيد أفندي الباني . سليم الشمعة .

سليم البخاري . فائز الخوري . رشيد الخشيمي . عمر الاتاسي . البكباشي علي رضا . الدقتور أمين قازماء سعيد عدوه . الدقتور عبد الحفيظ . اليوز باشي جميل . فريد باشا اليافي . عثمان المظم

ومن الذين صدر بحقهم حكم الاعدام وهم شفيق المؤيد . الامير عمر . شكري المسلي . عبد الوهاب الانكليزي . رشدي الشمعة . رفيق رزق سلوم جرى اعدامهم هذا الصباح في الشام . والآخرون جرى اعدامهم في بيروت ، وسائر المجرمين صار سوقهم الى منفاهم وحبوسهم وعلى هذه الصورة تقرر اذاً في سورية وفلسطين السكون والامن المحتاج اليهما الى الابد

وها أنا ذا انشر الآن من الوثائق المهمة التي كانت اساساً لهذه التحقيقات ما يكشف الغطاء عن حزب اللامركزية الحقيقي وسينشر كتاب حاو جميع الوثائق على حدة مع اعترافات المجرمين المهمة وتاريخ صغير لهذه المسألة

ومن امعان النظر في هذه الوثائق يفهم أولا : ان هؤلاء الاشخاص قد ضحوا بلا تردد جميع مالديهم من المقدسات الدينية والوطنية لقاء منافعهم الخسيسة والمادية . ان هؤلاء الاشخاص قد اشركوا مساعيهم ونفوذهم وقدرتهم اعداء الدولة وسعوا في اعداد الطاعة في الداخل تجاه تجاوزات الاعداء في الخارج

ومما هو جدير بالتقدير ان ادارة هذه التشبثات لم تتسع بالنظر لما جبل عليه العنصر العربي النجيب من الصداقة والطاعة والصلابة الدينية العاوية عن شوائب الظنون والشكوك بأسرها ، بل حصرت بين بعض اشخاص مسلمين ومسيحيين لاأهمية لهم ولايكاد يتجاوز عددهم المائتين من المحكوم عليهم حديثاً وقديماً وجاهاً وغياباً

و بناء على الصلاحية التي تخولني اياها المادة الثانية من القانون المؤرخ في ١٤ مايو سنة ١٣٣١ المتضمن التدابير التي ينبغي للجهة العسكرية التوسل بها في وقت النفير العام ضد الخارجين على الحكومة واجرآتها فاني ساع في ابعاد اولئك الاشخاص الذين يتخذون حقوق الدولة ومقدساتها ملعبة في سبيل منافعهم الشخصية مع من لهم علاقة معهم من اسرهم وعائلاتهم من قريب أو بعيد الى بعض ولايات الاناضول . وقد اتخذت الاسباب الكافلة لإعاشة هذه العائلات ورفاهيتهم في

المحال التي ينفون اليها تحت عناية الحكومة السنية وعاطفتها، وسيعطون هناك أراضي وأملاكا قيمتها تعادل أملاكهم وأراضيهم التي يملكونها في سورية . واني أوصي جميع الاهلين في سورية وفلسطين بالسكينة والطمأنينة. على انه من الآن فصاعدا لم يبق محل لاجراء التعقيبات والابعاد الى الولايات العثمانية في حق احد مطلقا مالم تظهر وثائق قوية تدل على خيانته

قومندان الفيلق الرابع وناظر البحرية
أحمد جمال

[المنار] كل ما احتج به جمال باشا لسفك الدماء واجلائه الناس عن أوطانهم أباطيل . وقد قتل بعد من ذكرهم هنا عددا ليس بقليل، منهم السيد عبدالحميد الزهراوي الشهير ، وأول أباطيله تسمية القتل برأيه ورأي ديوانه العرفي قصاصاً ! وانما القصاص في شرع الله أن يقتل الجاني بمن قتله بغير حق . ومعناه في اللغة يدل على المساواة والمماثلة .

ثم انه يقول ان التهمة الموجبة للقتل والنفي هي الاشتراك في جمعية غايتها جعل العراق وسورية وفلسطين مملكة مستقلة بعد سلخها من ولاية الدولة ، ونحن نعتقد بطلان هذه التهمة بأدلة كثيرة (منها) أن الحزب الذي جعله أصلا بتهمة الذين رمى بها هؤلاء الناس له برنامج معروف مطبوع ينطق بكذب تلك التهمة (ومنها) أن هؤلاء الذين اعترف الباشا بقتلهم في هذا البيان لايوجد فيهم الا واحد أو اثنان من الداخلين في هذا الحزب (ومنها) اننا نعلم باختبارنا لبعضهم واختبار من نثق به للآخرين انهم لا يجمعهم رأي ولا مودة ولا سكنى ولا معرفة فكيف يتفقون مع ذلك على أمر عظيم كالذي اتهموا به؟ وانما الجرم الاكبر الذي يجمعهم وبه استحقوا العقاب هو أنهم من أذكياء العرب الذين يقولون بوجوب محافظة قومهم على لغتهم وأن يكون لهم حظ من مشاركة الحكومة في ادارة بلادهم، وان لبعضهم ذنوبا سابقة لا يغفرها الاتحاديون كاهانة شفيق بك لطلعت بك، والسعي لعدم اقراض أوربة للاتحاديين عشرات من الملايين، يضيعونها وتبقى البلاد رهينة بها للدائنين ، وتوثيق أعضاء المنتدى الادبي في الاستانة عرى الاخاء بين طلبة العرب في مدارس الحكومة فيها ، واهانتهم لصاحب جريدة اقدام التركية في نشر تلك المقالة التي قال فيها كاتبها ان الطريقة المثلى للتنكيل بعرب الجزيرة اغراء بعضهم بقتال بعض بالمال « لان العرب تبيع كل شيء بالمال حتى العرض والناموس »

ثم انه يصرح بأنهم أخذوا بالظن فلم تثبت عليهم تلك التهمة باليقين ، ولو ثبتت لماجاز قتل أحد منهم بها شرعا ولا قانونا لانها عبارة عن رأي سياسي لم يدع قاتلهم انهم شرعوا في تنفيذه بالخروج على الدولة في أثناء النفير العام الذي حكمهم بقانونه . وكيف يعقل أن يقوم نفر قليل كهؤلاء بالخروج على الدولة والسواد الاعظم من قومهم يخالفهم فيه باعتراف جمال باشا نفسه والدولة تحكم بلادهم بالاحكام العرفية القاسية وجميع شبان الامة وكهولها جنود مسلحون بين يديها ؟ وياليت شعري ما تلك المنافع المادية الخسيسة التي ضحى أولئك الاذكياء الفضلاء دينهم ووطنهم لاجلها ؟ ان كانت ما ذكره من غاية جمعيتهم المزعومة، فتلك غاية سياسية عالية لامادية خسيسة ، وان كانت غيرها فما هي ؟

باب المراسلة والمناظرة

الكتب المعزوة الى غير مصنفيها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فكثيرا ما طبعت كتب ونسبت الى أكابر علماء الاسلام — وهم برآء منها — إما غلطا وإما قصداء لتكون نافقة في البيع أو لإدخال أشياء في دين الاسلام ليست منه ، ولا يكون لقائلها من ثقة المسلمين به ما يؤهله قبول قوله عندهم ، فيختبئ وراء اسم أحد الأئمة المقبولين عند المسلمين ، وينحله كتابه ، وذلك لما ضاق بالزنادقة الامر وحصرت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معروفة ، وبين فيها الصحيح من غيره ، فلم يتمكنوا من وضع الاحاديث عليه كما كانوا يفعلون في أول الاسلام قبل تدوين الحديث ، ومفسدة هذه الكتب ظاهرة للعيان

رأيت كل هذا فعزمت بحول الله تعالى وقوته على بيان الاغلاط الواقعة في نسبة بعض الكتب المطبوعة الى غير أهلها نصيحة للمسلمين ، وتزكية لأئمة الدين ، وخدمة للتأريخ ، فكلما عثرت بشيء منها نشرته في مجلة المنار الغراء

ثم اني لا أقصد ببياني هذا طعنا في أحد من طابعي هذه الكتب فلا يحرجنهم ذلك فانما قصدي بها وجه الله تعالى والله الموفق لا هادي الا هو

(١) من الكتب الدخيلة الموضوعة قصدا كتاب يسمى (سر العالمين) [1] ألفه أحد الزنادقة من الفرقة الباطنية ، ونحله حجة الاسلام أبا حامد الغزالي رضي الله عنه . وأدخل فيه كثيرا من عقائد الباطنية التي كان الغزالي أشد أعدائها ، ومن أكثر العلماء ردا على معتقديها ، وأدخل فيه كثيرا من علوم السحر ، ثم أراد أن

(١) طبع في الهند ثم طبع في مصر سنة ١٣٢٧

يحقق نسبة الكتاب الى الغزالي فصار دائما يحيل في بعض المسائل على كتب الغزالي كالاحياء والرد على الباطنية وغيرهما، ويقول «فيما كتبناه في كتاب كذا» أو نحوه، ويذكر كتابا من تصانيف الغزالي، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يفضحه ويبين كذبه كرامة للغزالي وغيرة على حجة الاسلام فانه قال في صحيفة (٨٣) من الطبعة المصرية «أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب» الخ وهذا كذب فاضح، فان أبا العلاء المعري مات سنة تسع وأربعين وأربعمائة، أي قبل أن يولد الغزالي بسنة أو سنتين، فانه ولد سنة خمسين وقيل سنة احدى وخمسين وأربعمائة فليحذر الناس من الثقة بهذا الكتاب وأمثاله فهي مفسدة للدين، وليتق الله طابعوها ولا يغرروا بعامة المسلمين، وليتحر أحدهم صحة نسبة الكتاب الى المنسوب اليه

(٢) ومن الكتب المنسوبة قصدا للنفاق كتاب يسمى (كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان)[1] نسب الى الامام الجليل شمس الدين ابن القيم رضي الله عنه، وهو كتاب لا بأس به فيه فوائد أدبية، ونكتب بلاغية، فصيح العبارة، ويظهر أن مؤلفه كان من الكتاب المنشئين، لا العلماء المحققين — أمثال امامنا ابن القيم — فان له في بعض المسائل تحقيقات واختيارات سخيفة لا يقولها من شام للعلم بارقة

لو لم يكن لشمس الدين ابن القيم بين أيدينا كتب غير هذا لقلنا كاتب يتسخف ويظن أنه محقق، وأحمق يتكايس ويظن أنه عاقل، ولكن كتب ابن القيم تنادي بقوة نظره، ودقة بحثه، وكثرة علمه، وبعد غوره، ولله دره من امام جليل، وحاش لله أن يقول في اعجاز القرآن كما قال مؤلف هذا الكتاب فانه قال في صحيفة (٢٥٥) بعد أن حكى الاقوال في وجه الاعجاز ما نصه: «قال المصنف عفا الله عنه: والاقرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيف والتحريف والزيادة والنقصان، فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن» هذا اختياره وحكاية مثل هذا تغني عن رده وضرب الامثال على بطلانه[2]

(١) طبع أيضا في مصر سنة ١٣٢٧ (٢) المنار: مزية حفظ القرآن من التغيير لم تظهر الا بمرور الزمن، فلا يتحدى النبي (ص) بها العرب

وأغرب من هذا القول قوله في الصحيفة نفسها بعد أسطر: «وقال قوم اعجازه من جهة أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة قائمة بالذات وأن العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له و لاتيان بمثله أو بمثل بعضه كلفوا ما لا يطاق ومن هذه الجهة وقع عجزهم وهذا القول أيضا حسن» هذا كلامه بنصه واني أترك للقارئ فهم معنى التحدي بالصفة القديمة فذلك مما يقصر عقلي عن دركه

وقد اتصل بي أن النسخة الخطية التي طبع عنها هذا الكتاب كانت نسبته فيها الى ابن القيم مكتوبة عليها بخط جديد غير خط الاصل فقيل لطابعه لا تنسبه لابن القيم فلعل كاتب هذه لم يتحر النسبة خصوصا وان الكتاب غير معروف في كتب ابن القيم، فأبى ونسبه اليه» فحسبنا الله ونعم الوكيل

(٣) ومما يلحق بهذا وان لم يكن منه تماماً ما وقع في مختصر البخاري للزبيدي المسمى «التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح» فقد كتب على طرته في النسخ المطبوعة بالمطبعة الاميرية والمطبوعة بالمطبعة الخيرية والمطبوعة بالمطبعة الميمنية ما نصه «للحسين بن المبارك الزبيدي» وهذا غلط فان مؤلفه هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨٩٣ هجرية. وأما الحسين بن المبارك الزبيدي فشيخ ذكره المؤلف نفسه في خطبة كتابه في اسناده الى البخاري، و بين المؤلف و بينه ثلاثة شيوخ. والغريب أن كاتب الحواشي التي بهامش النسخة الاميرية ذكر في أول صحيفة منها اسم المؤلف على الصواب، فلا أدري كيف كتب هذا وغفل عما في طرة الكتاب. وأما المطبعتان الاخيرتان فتبعتا المطبعة الاميرية من غير تحرٍ ولا نظر. وحصل مثل هذا في نسخة شرح الشرقاوي عليه الذي طبع بالمطبعة الميمنية فانهم طبعوا بهامشه المتن ونسبوه في طرته الى الحسين بن المبارك الزبيدي مع أن الشارح في أول الخطبة ذكر اسم المؤلف على الصواب انتهى

كتبه

ابو الاشبال

عفا الله عنه

دعوة اللجنة التحضيرية

﴿ لمشروع جمعية آداب اللغة العربية بلندن ﴾

تتشرف اللجنة التحضيرية لمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » بلندن بتوجيه نظركم الى منافع هذا العمل المسطورة بايجاز في (ذيل) هذا الكتاب آملا من غيرتكم التعضيد المادي والادبي قدر جهدكم حتى اذا اجتمعت الاعانات الضامنة للنجاح منكم ومن أمثالكم أبرز المشروع الى حيز الوجود في القريب العاجل تحت رعاية « الجمعية الملوكية الآسيوية » التي هي من أعظم الهيئات العلمية الباحثة في آداب الشرق · ولا يخفى على حضرتكم المظهر الجليل والفائدة الكبرى من تحقيق هذه الامنية في أكبر عواصم العالم. وقد لاحظنا أن للمعضدين ميولا مختلفة مابين عامل أدبي أو علمي أو وطني أو ديني ، فلعلكم مدفوعون بعامل أو اكثر من هذه العوامل لخدمة آداب اللغة الفصيحة العربية ، والسعي في نشرها بواسطة هذه الجمعية الدولية التي تعمل اللجنة على تأسيسها وتوطيد دعائمها .

هذا ولو أن الظروف الحاضرة الاستثنائية ربما عدت غير ملائمة الآن فلاح مثل هذا العمل كما تبين لنا بعد درسه يستدعي بذل مجهولات كثيرة تستغرق زمنا غير وجيز فمن الصواب اذن عدم التأجيل . فحبذا لو ظفرنا بمؤازرتكم لنا ، فجلائل الاعمال أنما تقوم بمساعي الجماعة وتساند الافراد ؟

رئيس اللجنة التحضيرية	كاتب سر اللجنة
د. س. مرجليوث	احمد زكي أبو شادي

﴿ مقاصد الجمعية ﴾

(١) أن تخدم آداب اللغة العربية بجميع الوسائل التي تسمح بها مالية الجمعية

(٢) أن تشجع تعلم العربية السليمة في بريطانيا العظمى وأن تنمي في أعضاء الجمعية ملكة الترجمة من والى العربية وسواها من اللغات حبا في الفائدة العامة .

(٣) أن تكون واسطة تعارف بين الناطقين بالضاد في بريطانيا العظمى والمستعربين بها ، وكذلك بينهم وبين علماء العربية في جميع أقطارها وبين المستعربين في الممالك الاخرى لتبادل المنفعة الادبية . اه

مصابنا بالزهراوي والكيلاني

فجعتنا الجرائد المصرية في يوم واحد بنعي الصديقين الوفيين المصلحين السيدين الجليلين عبد الحميد الزهراوي شهيد بغي الاتحاديين ، ومحمد وجيه الكيلاني شيخ اسلام الفيلبين . جاءتنا بذلك في أثر تلك الانباء التي شقت المرائر ، واستنفدت الدموع من المحاجر ، أنباء تقتيل جمال باشا لصفوة أبناء سورية وأركان النهضة الاجتماعية فيها ، فالآن الآن قد صار الفؤاد في غشاء من نبال ، فاذا اصابته سهام أخرى تكسرت النصال على النصال

خسرت أمة الاسلام وديار الشام وحزب الاصلاح بالزهراوي والكيلاني رجلين من أفضل رجال العصر عقلا وذكاء وأخلاقا وعلما وأدبا واهتماما بالمصالح العامة، وتقديما لها على المصالح الخاصة ، وبهذه المزايا تنهض الامم ، وبفقدها تسقط في مهاوي العدم

نبت كل منهما في بيت من أكرم بيوتات القطر السوري شرفا وسؤددا وعلما ومجدا ، وتربي كل منهما في نشأته الاولى تربية علمية دينية ، وأوتي نصيبا من العلوم والفنون العصرية ، واختبر حال الزمان وأهله ، وعرف شدة حاجة بلاده الى التأليف بين المختلفين فيها بالاديان والمذاهب والآراء والمشارب ، فكانا ركنين من أركان الوفاق ، وعاملين من أنفع عوامل الاصلاح ،

فهذا ما اتفق معنا فيه هذان الصديقان الكريمان . وأما ما اختلفت فيه نشأتهما وسيرتهما فهو ان السيد الزهراوي قد تمرس بالسياسة في حداثته فغلبته على الاشتغال بغيرها مما كان مستعدا له كالتوسع والتصنيف في الفلسفة وعلوم الاخلاق والاجتماع ، فكان أفضل ما يرجى نفعه فيه ما وصل اليه من انتخاب أهل بلاده إياه نائبا عنهم في مجلس المبعوثين ، ولا أقول ثم تعيين الحكومة إياه عضوا في مجلس الاعيان ، لان هذا قد كان بعد جعل الاتحاديين مجلس الامة بقسميه آلة لجعل ما تقرره جمعيتهم قوانين نافذة ، وأعمالا منسوبة الى الامة ، وكان الغرض منه خديعته وخديعة العرب به ، الى أن تسنح الفرصة لتنفذ ما قررته الجمعية من قبل من التنكيل

بالحرب والفتك بزعمائهم كما أشرنا اليه في موضع آخر وسنعود الى بيانه

وأما السيد الكيلاني فقد تخرج بالاعمال الادارية الشرعية فكان من موظفي مشيخة الاسلام في الآستانة ، وبهذا وما سبق من مزاياه كان أفضل من يختار لما اختير له من جعله شيخا للاسلام في جزائر الفيلبين، وكان يتقي شر السياسة بالمداراة حتى أنه لما عرج على مصر في ذهابه الى الفيلبين تجاهل معرفة المنار وصاحبه، وهو على مذهبه الاصلاحي ومشربه . لانه كان يرجو المساعدة من الخديو وحكومته ، وكان الخديو مغاضبا لصاحب المنار من بضع سنين . وقد اخبرني بعد ذلك انه كان يفضل طلب المنار من صديقنا السيد محمد بن عقيل المقيم في سنغافوره على طلبه من مصر، وانه قد تجدد له من الحاجة اليه في منصبه الجديد مالم يكن يعلمه من قبل. وسنعود الى الكلام في سيرة هذين الصديقين ان شاء الله .

مسألة الازياء والعادات

من مشخصات الامم

زي الامة من مشخصاتها ينبغي لها أن تحافظ عليه وتحترمه وتحتقر من يحتقره كما تحترم العلم الذي هو شارة حكومتها، فالعلم لا يحترم لشكله ولا للونه أو ألوانه، وليس من العقل ولا من الحكمة أن تذم الاعلام أو تمدح لشكلها أو ألوانها، وكذلك أزياء الامم من حيث هي أزياؤها ، ولكن بين الزي والعلم فرقا واحدا وهو أن الزي يقصد به من المنفعة ما لا يقصد بالعلم ، فاذا اشترك مع العلم في أن كلا منهما مشخص للامة مهما يكن شكله ولونه وصفته فانهما يفترقان في أن بعض الازياء لا تفي بما يقصد بها من وقاية الجسم من أذى الحر أو البرد أو سهولة القيام بالاعمال العسكرية والصناعية والزراعية .

ومن الناس من يرجع في اختيار الازياء الى مراعاة الذوق والجمال ، ولكن هذا ليس له قاعدة ثابتة ، وانما يستحسن جماهير الرجال في كل أمة ما يختاره كبراؤها وحكامها ، وانما يُعنى بالذوق والجمال في الزي النساء وهن في كل آونة يستحدثن

زيا جديدا يبطلن به ماكان قبله مستحسنا ، ولا يرجع ذلك الى فضيلة في زي اليوم على زي أمس تثبت بدليل علمي أو عقلي . وانما فائدة الجديد لمن جذب الانظار الى السابقات اليه ، وفائدته المالية لتجار الانسجة وصناعة الخياطة لاتخفى ، ويقابل ربح هؤلاء من الازياء خسارة المسرفات فيها، فكم من بيوت خربت بمثل هذا الاسراف

من أكبر جنايات الافراد على أمتهم أن يحتقر أحد منهم زيها ، ويستبدل به زي أمة أخرى تقليدا وتفضيلا لها ، فاذا كان بعض أزيائها ضارا بها ، فالواجب في استبدال غيره به أن يكون برأي أهل الحل والعقد فيها ، الذين يراعون في التغيير المنفعة دون التقليد الذي يبث في الامة الشعور بمهانتها وتفضيل غيرها عليها . وقد وفينا هذا الموضوع حقه من البيان في المنار وقبل المنار في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي كتبناه في عهد طلب العلم ، واقتبسنا منه نبذا في المنار اذ طرقنا باب هذا البحث مرارا .

ولست أبحث الآن في أزيائنا هل يحسن تغيير شيء منها وكيف ينبغي أن يكون التغيير، وانما أريد أن أقول ان بعض الافرنج ينفرون من أزياء الشرقيين ويكرهون أن يأكل في مطاعمهم الخاصة بهم وبالاغنياء المتفرنجين منا من لايلتزم عاداتهم وآدابهم في الطعام، ومنهم من يرى ان كل من لا يلبس الزي الافرنجي لا ينبغي أن يأكل في تلك المطاعم ، ولهم في ذلك أعذار ومآرب ، وقد روت جريدة (وادي النيل) الاسكندرية أن اثنين من المعممين دخلا مطعما افرنجيا فطردا منه لانهما معممان ، وقالت في لومهما انه لا يبعد ان يكونا ذهبا منه الى آخر مثله لعله يقبلهما . وأشارت أيضا الى انتقاد صاحب المطعم الافرنجي . أما نحن فاننا نخص باللوم فريقين من أمتنا : فريق الذين يتصدون لمؤاكلة الافرنج في مطاعمهم، وهم لايلتزمون آدابهم وعاداتهم . ومنهم من لا يلتزم الآداب الاسلامية التي هي أرق الآداب ، وفريق المتفرنجين الذين يحتقرون زيّ أمتهم وعاداتها وآدابها ، ويستبدلون بها غيرها تقليدا للاغيار وتفضيلا لهم على أنفسهم، ويكونون آلة لإضعاف مشخصات أمتهم ومقوماتها وهم لا يشعرون ماوراء ذلك كما يشعر به غيرهم. ومن أراد أن يعرف رأي الافرنج في ذلك فليقرأ خطبة الدكتور سنوك المستشرق الهولندي في

الاسلام ومستقبله التي ألقاها في جامعة كولومبيا من الولايات المتحدة ، وقد نشرنا ترجمتها في المجلد السابع عشر من المنار مع تعليق طويل عليها (١) ومن أراد أن يعرف قيمة هؤلاء المتفرنجين في نفس الافرنج فليقرأ ما كتبه في شأنهم لورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة)

من أهان أمته باحتقار شيء من مقوّماتها أو مشخصاتها بازاء احترام مايقابل ذلك من أمة أخرى فقد احتقر نفسه أشد الاحتقار ، وما قيمة الرجل الذي ليس له أمة محترمة في نفسه ، ومن ذا الذي يكرم من يحتقر نفسه باحتقار أمته * ومن لم يكرم نفسه لم يكرم *

اذا ما أهان امرؤ نفسه　　فلا أكرم الله من يكرمه

يجب على كل من أوتي نصيباً من الفهم أو حظا من الشرف أن يقاوم جهد طاقته كل ما فيه احتقار لأمته مهما يكن رأي المحتقر وقصده ، ومن ذلك ان لا يأكل احد من المصريين في مطعم يهين اصحابه مصريا ازيه أو عادته أو غير ذلك ، ولا ان يشتروا شيئا من تاجر يهين مصريا ، ويجب على أمثال هؤلاء ان يبذلوا جهدهم لمنع الاهانة عن أمتهم وإقناعها عن معاملة كل من يقصر في احترامها ، وانما يتيسر هذا بتعاضد الاندية والجمعيات الادبية والشركات التجارية

كانت شركات البواخر الافرنجية في الخط الذي بين الهند وخليج فارس وشط العرب تحتقر المسافرين فيها من العرب والفرس ولا تسمح لهم بالاكل على مائدة الدرجة الاولى فلما أنشأ تجار العرب في بومبي شركة البواخر العربية زال ذلك الاحتقار وبطلت تلك المعاملة

واتفق لي منذ بضع عشرة سنة أني دخلت مطعما سوريا في القاهرة وقت العشاء وجلست الى مائدة من موائده فطلب رجل انكليزي أن أترك تلك المائدة لانه يجلس اليها للطعام ولا يحب ان يأكل مع شيخ أزهري ، فلم أبال بطلبه ، فطلب من صاحب المطعم ذلك فاعتذر اليه بأنه لا يمكنه ذلك . وقد سألت عن اسم الرجل وعمله وذكرت ذلك لصديقي مستر متشل أنس الذي كان وكيلا لنظارة المالية

(١) راجع ص ٢٠١ و ٢٦٨ م ١٧

وقتئذ فاستاء من ذلك وكتب كتابا الى رئيس ذلك الرجل في مصلحة السكة الحديدية كلفه فيه ان يلزمه الاعتذار الي، واخذت الكتاب بنفسي وعدت راضيا مكرما

ولا يخفى على عاقل أن ما نحتاج الى اقتباسه من علوم أوربة وفنونها وصناعاتها لا يقتضي هذا التفرنج الذي تذمه ولا يأتي من طريقه بل ينافيه ، لان التفرنج تقليد في الازياء والعادات يحدث التفرق في الامة وانحلال روابطها ، واقتباس العلم النافع والعمل الرافع يجب أن يكون بطريق الاستقلال لا التقليد ، وان تراعي فيه حاجة الامة في العمل ويقصد به ترقية ثروتها وعزة دولتها، ولم نر هؤلاء المتفرنجين من الترك والمصريين ساروا على ذلك الدرب ووصلوا الى هذه الغاية ، بل هم الذين نسفوا ثروة بلادهم وقطعوا روابطها حتى وصلت الى ما هي عليه، وليس في بلادهم شيء من العمران الا وقد كان بعمل الاجانب ومعظم فائدته لهم ، وانما سار على ذلك شعب اليابان الذي شرع في اقتباس الفنون الاوربية بعد الترك والمصريين منا، فكان طلاب العلوم منهم في أوربة يتلقون العلوم العملية، اذ يتلقى الطلاب منا العلوم النظرية والسياسية، وكانوا امثال الجد والعمل والاقتصاد، اذ كان أكثر طلابنا مظاهر الفسق والسرف والفساد

واليك من العبرة هذا المثال : كان بعض الاوربيين والاوربيات مع بعض اليابانيين في بلاد اليابان فخلع ياباني نعله في المجلس ، فأنكر عليه ذلك بعض الاوربيين لان خلع النعال أو الجلوس بغير نعلين مستهجن في عاداتهم ولا سيما حيث يوجد النساء. فقال الياباني : انا ياباني لا أوربي وهذه البلاد يابانية لا أوربية فبأي حق تطالبوننا باتباع عاداتكم في بلادنا والواجب عكسه؟ أو قال كلاما بهذا المعنى. فهذه هي الوطنية لا ما يتشدق به المتفرنجون الذين لا يعقلون عاقبة ما يأتون وما يدعون

قلنا ان اقتباس الفنون النافعة من الغربيين — وكذا ما يستلزمه من اعترافنا بجهلنا وبحاجتنا الى علمهم — لا يعد احتقارا للامة بل اصلاحا ، ونقول أيضا اننا في حاجة الى الإصلاح في كثير من العادات الضارة ، وأن ذلك لا يعد احتقارا للامة وطالما كتبنا في ذلك . ومن أبواب المنار الواسعة باب (البدع والخرافات والتقاليد والعادات) وانما الواجب أن نعتمد في هذا الاصلاح على شريعتنا وهي أكمل الشرائع وآداب ديننا وهي أكمل الآداب



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر سلخ شوال ١٣٣٤ ـ ٦ السنبلة (ص٣) ١٢٩٤ هـ ش ٢٩ أغسطس ١٩١٦

آراء الخواص في المسألة العربية

(واستقلال الشريف في الحجاز)

في ليالي رمضان وأيام عيد الفطر تيسر لي أن أعرف من آراء أهل العلم والرأي بمصر في المسألة العربية واستقلال الشريف أمير مكة في الحجاز ما لم يكن يتيسر في وقت آخر من السنة ، لكثرة التزاور في هذه الليالي والأيام ، وتوسع الناس فيها بالكلام كتوسعهم بالطعام ، وقد جرت فيها بيننا وبين كثير من أساتذة الأزهر والمدارس العليا وكبار القضاة والمحامين والأطباء وغيرهم من أهل الرأي مذاكرات

ومحاورات طويلة في هذه المسألة جديرة بأن تنشر وتدون لأنها ربما كانت أهم مسائلنا الحاضرة ، ووقائع تاريخنا التي نحفظها لأعقابنا الآتية ، فرأينا أن ننشر في المنار أطول محاورة منها وأجمعها للمقاصد ، ثم نلخص في الخاتمة صفوة الآراء كلها ، وبذلك تتم الفائدة من تلك الأحاديث بغير تكرار ولا عبث وهذه المحاورة كانت بيننا وبين أستاذ معروف باعتدال الفكر واستقلال الرأي ، وقد وقعت في اليوم الثاني بعد عيد الفطر ، وها هي ذي - ونعبر عن الأستاذ بحرف ذ وعن نفسنا بحرف ر :

ذ - ما رأي الأستاذ في استقلال الشريف أمير مكة بالحجاز ، فإني رأيت كثيراً من إخواننا ومعارفنا لا يعد ذلك أمراً ذا بال ، ومنهم من لم يصدق أخبار الجرائد ، حتى ان أخانا الشيخ .أ. قال لي في إحدى ليالي رمضان عقب نشر البلاغ الرسمي عن استقلال الشريف إنه لا يعرف أحداً صدّق هذا الخبر من قبل ، وإنه هو لم يصدقه أيضاً إلا بعد نشر البلاغ الرسمي ، وإن من الناس من لا يصدق البلاغ الرسمي نفسه ! وما أظن ان الأستاذ على رأي هؤلاء ، ولا انك تقول ان هذا الامر ليس بذي بال

ذ - صدقت ، ان هذا الامر لذو بال ، وانه قد شغل مني البال وهيج البلبال ، واني مخالف لهؤلاء الناس الذين أصبحوا لا يهتمون بشيء من الاشياء ، ولا يصدقون من الانباء الا ما يلذ لهم ، ولا يقبلون من الآراء الا ما يوافق أهواءهم ، ولذلك راج بينهم رأي تلقوه بالقبول ، وهو ان الشريف لم يعلن الاستقلال الا لضرورة انقاذ البلاد من المجاعة التي أوقعها فيها الحصر البحري أو كاد ، فقد امتنع بذلك وصول الاقوات اليها من مصر والسودان والهند وجل قوتها من هذه البلاد ، حتى قيل ان أردب القمح صار في مكة ببضعة جنيهات ، فعذر الشريف في اظهار دعوى الاستقلال جلي ظاهر ، وهو لا يزال مخلصاً للحكومة التركية في الباطن وليس له غرض في ايجاد حكومة عربية ، ولا طمع في خلافة قرشية ، ولولا ذلك لقاتلته الدولة هذا هو الرأي الرائج في البلد

أما أنا فلا أجزم بقبول هذا الرأي ولا برده ، وان كان معقولا في نفسه ، لأني أعلم أنه قد وجد في عالم السياسة مسألة تسمى المسألة العربية ، ولكن لم أقف على

كنهها ومبلغ قوتها ، ولا على مكانها من الشريف ومكان الشريف منها ، وأعلم أيضاً أن الحجاز ليس فيه الاستعداد المطلوب لانشاء دولة ، ولا القوة التي يتوقف عليها استقلال الخلافة ، وحياة أهله موقوفة على الدولة التي تملك التصرف في البحار والدولة ذات السيادة على بلاد الشام ، فاذا منع هذه القوت من هنا وهناك مات أهله جوعاً ، ثم إن المشهور أن أمراء جزيرة العرب وزعماءها متحاسدون متباغضون « بأسهم بينهم شديد » ولولا سيطرة الدولة العثمانية عليهم لأفنى بعضهم بعضاً . والشريف - إذا كان يأمن بطش الدولة الآن فهو لا يجهل انها إذا بقي لها استقلالها بعد هذه الحرب أمكنها الانتقام منه وإزالة امارة الحجاز وجعله ولاية عثمانية محضة . واذا زال استقلالها وفرضنا انه أمن على استقلاله من صاحب عسير وصاحب نجد فانه ليس بالذي يكون الملك المستقل الذي يطلبه العرب ، ولا بالذي يجدد الخلافة الاسلامية التي يحرص على استقلالها جميع مسلمي الارض ، لان الاستقلال بأمر الملك والخلافة يتوقف على الثروة والقوة وأين هما من الحجاز وأين الحجاز منهما ؟

فلهذه الأفكار تراني مضطرباً في هذه المسألة ، وأنا أعلم أن عند (السيد) من أخبار هذه المسألة والاختبار فيها ماليس عندي ولا عند أحد من المصريين ، فهو أعلم منا بشؤون جزيرة العرب وشؤون أمرائها ، وأعلم منا بظاهر الحركة العربية وباطنها وأحوال أحزابها وجمعياتها . كما أنه أوسع منا علما بأحوال الدولة العلية وأوسع اختباراً لها وأكثر تنبأ لما يتجدد من أخبارها ، يعترف له بهذا من يقرأ بروية وامعان ما يكتبه في هذه المسائل في مجلته ، وانني أود أن أقف على ما عنده في مسألة الحجاز من رأي ورواية بالتفصيل ، وقد تعرضت لهذا غير مرة فلم تكن حالة المجلس أو الوقت مما يسمح للسيد بالافاضة في ذلك ، فعسى أن نستفيد الآن ما فاتنا من قبل

د - لم أنس ان باب الحديث في هذه المسألة قد فتح بيننا مرتين قبل هذه المرة فكان الكلام فيها وجيزاً لضيق وقته ، على أن الحديث شجون ، والانسان يتذكر في وقت ما ينساه في آخر ، فاذا ذكره محدثه تذكر ، وانني لا أبخل على الاستاذ بما عندي في هذه المسألة من رأي أو خبر أرى فيهما فائدة له ، فاذا حدثته بشيء لم يره كافيا فله أن يستزيدني من الحديث بالسؤال عما يريد منه ، ولا بأس

بإعادة شيء مما كنا ألممنا به من قبل ؛ وأبدأ ببيان ما عندي في مسألة استقلال الشريف فأقول:

ان الشريف لم يدع ملكا ولا خلافة فلا كلام لنا في ذلك وما ذكرته لي من الرأي الذي دار بين كثير من المصريين في سبب استقلاله في الحجاز وتلقوه بالقبول قد سمعته من غيرك أيضاً .وهو رأي كما قلت معقول ، وعذر الشريف فيه مقبول ، ولاسيما ان كان الاستقلال صورياً كما تظنون ، فانه مسؤول عند الله وعند الناس عن إنقاذ سكان حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ من الهلاك ، وازالة الموانع التي منعت أكثر المسلمين من الحج إلى بيت الله الحرام ، ولا سبيل إلى هذا وذاك إلا بإزالة الحصر البحري عن ثغور الحجاز ، الذي كان سببه وجود الجنود التركية فيها ، فان دولة انكلترة كانت صرحت باستثناء سواحل الحجاز من الحصر البحري الذي ضربته على جميع السواحل العثمانية ، وسمحت بنقل الاقوات من الهند وغيرها إلى تلك البلاد المقدسة . ثم انها لما علمت بإرسال أنور باشا لكثير من الجنود التركية إلى الحجاز منعت إرسال الاقوات اليه لان الجنود يستفيدون منها ، وقد كان من المستغرب تموينها لبعض بلاد أعدائها ولكن تموينها لجيوشها غير معقول ، وإنما المعقول ضده ، ولولا احترامها للبلاد المقدسة لضربت سواحلها بمدافع أسطولها وجعلتها من ميادين الحرب أيضا ، ولكن إزالة الشريف أو حكمه للسبب الذي أوجب الحصر ، ومنع القوت والحج ، مناواة للدولة التركية أو الأتحادية لانه قصد لقتال جنودها ، ورفع سيادتها عن البلاد التي هو أميرها ؛ فالشريف قد اضطر إلى الاستقلال بالامر في الحجاز ونبذ سيادة هذه الحكومة الأتحادية ظهرياً

ونحن نخالف من يرى من المصريين ان هذا الاستقلال صوري وانه كان بالتواطؤ بينه وبين الدولة ، ومن يرى أنه لايزال مخلصاً لهذه الحكومة وأنها هي راضية عن فعله وعاذرة له فيه ، لأننا نعلم أن ازالة منع القوت ومنع الحج ليس هو الباعث على هذا الاستقلال ولكنه من لوازمه ، وهناك بواعث وأسباب أخرى له سنلم بها في حديثنا

ذ ـ اذا لماذا لم تجرد الدولة جيشاً لقتاله ؟ ولماذا حاصر هو الجيش التركي حصاراً ولم يناجزه القتال ؟

و — أما الشريف فيمنعه دينه من الاقدام على سفك الدم في أرض الحرمين الشريفين من غير ضرورة ملجئة لا مندوحة عنها، وأما الدولة فالمانع لها من إرسال جيش جديد لقتاله إما العجز وإما العقل، أما العجز فهو الأظهر بعد، لأن جنود الدولة متفرقون في عدة ميادين من أوربة وعدة ميادين في الأناضول وإيران والعراق وسورية وسيناء فهي لا تستغني عن جيش كبير يصلح ما عطل من سكة حديد الحجاز ويبقى قسم منه في مواضع متفرقة من الطريق لحمايتها ، ويسير قسم منه لانقاذ حامية المدينة ثم الزحف منها إلى مكة مع حفظ طرق مواصلاته من مركز تموينه وإمداده في الشام إلى مكة . وأما العقل فيقتضي عدم التصدي لقتال الشريف الآن حتى في حال القدرة وانتفاء العجز ، لأن قتاله يضعف الدولة في الميادين الاخرى ، وربما يستتبع خروج عرب الجزيرة كلهم أو جلهم عليها، فيتسع الخرق على الراقع ، والسكوت عنه لا يضر الدولة الآن ، فان انتهت الحرب بظفرها مع أحلافها أمكنها أن تتصرف في الحجاز بما تشاء ، وإن انكسرت مع أحلافها فلا معنى لاهتمامها بأمر استقلال الحجاز ، ذ يفرق المنتصرون حينئذ شمل وحدتها ، ويخشى أن يزيلوا ما كان من استقلالها ، بل المعقول أن يتمنى كل مسلم من ترك الدولة كرهها أن تسلم بلاد الحجاز وسائر بلاد العرب من الوقوع تحت تصرف الحلفاء المنتصرين في هذه الحالة ، ولولا أن الدولة في أيدي الاتحاديين لرجحنا أن العقل يمنعها من قتال الشريف إن لم يمنعها العجز ، وأما الاتحاديون فقد جعلوا من أصول سياستهم إضعاف العرب حتى لا يكون لهم حقوق مع الدولة إن بقيت ، ولا استعداد للاستقلال بأنفسهم إن سقطت ؛ ولسان حالهم مع العرب في هذه الحالة يقول :

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي

وقد سمع من أفواههم كثير من طلاب الاصلاح من العرب ما يدل على مثل هذا من مقاصدهم عنه ما كانوا يتكلمون معهم في حقوق العرب في الدولة ، وفي أحوال أخرى ، ألا ترى أنهم اتخذوا حالة الحرب ذريعة لتنفيذ مقاصدهم في العرب ، فكان المعقول أن يثبتوا لعرب الولايات صدق وعودهم بالاصلاح ويفوا لهم بعهودهم التي عقدوها مع السيد الزهراوي عقب عقد المؤتمر العربي ، ويزيدوهم على ذلك من

الاصلاحات الداخلية ما يملكون به قلوبهم كما ملكوا أبدانهم وأموالهم فاستعملوها في هذه الحرب كما شاؤا ، وفي أمثالنا العربية « عند الشدائد تذهب الاحقاد » ولكن امثالنا لا تصدق على طباعهم وأخلاقهم ، بل تضادها وتناقضها ، فالشدائد كانت عندهم مظهرة للأحقاد في أقبح مظاهرها وأشنع مناظرها ، فبعد أن جندوا جميع شبان سورية والعراق وفرقوهم في الميادين البعيدة عن بلادهم كالدردنيل والبلقان والاناضول ـ وبعد أن صادروا الاموال والغلال في تلك البلاد ، طفقوا يقتلون أولي العلم والعرفان وكبار الضباط وسائر أرباب العقول والافكار في كل من القطرين (السوري والعراقي) وينفون الكبراء والاغنياء ، ويستولون على ديارهم وأموالهم.

وبعد أن رأوا مأربهم هذا قد تحقق بغير معارضة ولا مقاومة ولوا وجوههم شطر الحجاز ، لا لاجل الصلاة إلى المسجد الحرام ، ولا لاجل الطواف بين الركن والمقام ، فانهم لم يكونوا من الطائفين ولا المصلين ، ولكن ليفعلوا في الحجاز مافعلوا في العراق والشام ، حتى إذا تم لهم هذا الارب ، أجهزوا على بقية جزيرة العرب

ذ ـ إني أعلم أن السيد سيء الاعتقاد في دين هؤلاء الاتحاديين وفي سياستهم ، وقد قرأت كل ما كتبه في السنين الخالية عنهم ، ولكنني رأيته قد سكت عن ذلك الطعن الشديد فيهم بعد حرب البلقان ، ثم تنسمت عطفه عليهم من بعض ما كتبه قبيل دخولهم هذه الحرب وفي أثنائها ، وكنت أظن أنه كجمهور المصريين لم يصدق أخبار المقطم والاهرام ، عن فظائع جمال باشا في بلاد الشام ، حتى قرأت المقالة التي نشرتموها في الشهر الماضي فعلمت أنكم مصدقون لتلك الاخبار ، وتعتقدون أن يكون لها تأثير سيء في الحجاز وسائر جزيرة العرب

د ـ نعم إنني تركت تلك الحملات على الاتحاديين بعد حرب البلقان وفي أثناء هذه الحرب لان الحملة عليهم تعد حملة على الدولة ولا ينبغي ذلك في أثناء الحرب وإن كان بنية صالحة وبقصد الاصلاح كما بينت ذلك في المقالة التي نصحت بها بمثل هذا لمسلمي سورية قبيل دخول الدولة في الحرب ، ثم انني صدقت ما أتوه من التنكيل بالعرب في الشام ، لانه ثبت عندي بالتواتر فكتبت تلك المقالة وأطلعت عليها

بعض إخواننا قبل أن تجيئنا البرقيات بنبأ استقلال الشريف وإن نشرت بعد ذلك، ثم علمت بعد نشرها أن أنور باشا ما زار سورية والحجاز في أوائل هذا العام إلا ليتولى بنفسه إرسال الجند والسلاح إلى الحجاز للقضاء على سلطة الشرفاء فيه. وأن قيل إنه جاء بصنيعه جمعيته الشريف علي حيدر من الآستانة إلى الشام أو المدينة ليجعله خلفا لشريف حسين أو أميراً للحجاز في المدينة فإذا صح هذا الخبر فالغرض الصحيح منه أن يضربوا الحديد بالحديد لما في ذلك من المفاسد الكثيرة التي يطلبونها، فإذا أمكن للشريف حيدر وأخيه الشريف جعفر أن يؤلبا بعض عرب الحجاز على الشريف حسين بمال الدولة الذي يؤيدان به نفوذهما سهل على قائد الجنود التركية بعد إضعاف عرب الحجاز أن يستبد بالنفوذ في الحجاز من غير خسارة تذكر ولا صيت قبيح ينشر، ثم إنهم بعد الفتك بالشريف حسين وأولاده يفتكون بالشريفين حيدر وجعفر، كما فتكوا بصديقي الشريف حيدر (عبد الكريم قاسم الخليل والسيد الزهراوي) إذ لولا وساطة هذا الشريف لما أمكن لعبد الكريم أن يقنع الزهراوي بالمجيء من باريس إلى الآستانة بعد أن أنذر المرة بعد المرة بأن في ذهابه إليها خطراً على حياته، ولم يكن الشريف ضامنا له الأمن على حياته فقط بل كان ضامنا له الإصلاح الذي وعد به الاتحاديون وأكثر مما وعدوا، وقد رغب إلي هو وعبد الكريم أن أكتب إلى الشريف حيدر كتاب شكر لحسن سعيه في هذه السبيل

إنني على ما أعلم من سوء نية الاتحاديين وخبث ما أضمروه للعرب قد كنت أحسنت الظن بأنور باشا عندما جاءنا المقطم بخبر زيارته لسورية والمدينة المنورة، ولعل الأصدقاء يتذكرون أني قلت لهم حينئذ: إن أنور باشا ما جاء سورية وفلسطين والمدينة إلا ليصلح ما أفسده جمال باشا حتى لا يصل سوء تأثيره إلى جزيرة العرب، وليستعين بعرب الحجاز وغيرهم على هذه الحرب، فإن أنور باشا هو الذي تولى في أول هذه الأزمة استمالة عرب الجزيرة بما كتبه إلى أمرائهم وزعمائهم من المكتوبات العربية، المزينة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقد اطلعت على صور بعض هذه المكتوبات العامة والخاصة، ومنها الكتاب الذي حمله رسول خاص إلى عدوهم الذي لم يعترفوا له بصفة رسمية قط – أعني السيد الإدريسي – وهو يعظمه فيه ويبجله

ويظهر الثقة به ، ثم علمت في هذه الأيام أنه كان طلب من الشريف أمير مكة المكرمة تجهيز قوة عربية لمساعدة حملة سيناء على مصر ، وان الشريف أرسل الحملة إلى المدينة المنورة وهي التي تحاصرها الآن ، فان الشريف لما رأى الجنود التركية ترسل إلى الحجاز بعشرات الألوف وتوزع في مدنها وثغورها وهو يعلم كما نعلم وتعلم الدولة أن الحجاز ليس عليه أدنى خوف من الدول الأوربية ، فلم يبق لارسال الجنود اليه سبب يعقل - والدولة في أشد الحاجة الى الجنود - إلا التنكيل بعربه والفتك بشرفائه اتماماً لبرنامج جمعية الاتحاد والترقي الذي يعرفه الشريف كما نعرفه ، وقد كانوا حاولوا البدء بالشريف قبل هذه الحرب إذ أرسلوا الضابط وهيب بك أحد غلاتهم المتحمسين خفية إلى الحجاز ، وبعد وصوله إلى مكة أظهر التقليد الرسمي الذي معه بولاية الحجاز وقيادة حاميتها ، وكان من أمر خذلان عسكره في التحرش بقتال العرب ومحاولة الفتك بالشريف ما هو مشهور ، فلهذا تحولت الحملة الحجازية التي ألفت اجابة لطلب أنور باشا للقتال مع جنوده في سيناء إلى حملة تحاصر جنوده في المدينة المنورة وتقاتلهم إذا قاتلوها

ق - إذا كان الشريف عالما من قبل بما تضمره جمعية الاتحاد والترقي للعرب عامة ، وله ولأهل بيته خاصة ، فلماذا كان ينصر الاتحاديين حتى انه حارب السيد الادريسي لأجلهم وكاد يحارب أمير نجد ابن السعود كذلك

د - لا أدري متى عرف ذلك معرفة لا تحتمل التأويل ، وقد كان أولا يتأول للاتحاديين ويرجو صلاحهم حتى كان بعض رجال النهضة العربية يتهمونه بمشايعتهم وبكراهة السيد الادريسي أن يكون ذا سلطة في عسير ، وينقل عنه وعن أهل بيته انهم يقولون انهم لا يؤيدون الاتحاديين فيما تقوم به جمعيتهم من الأعمال وإنما يؤيدون الدولة نفسها فيما تقرره ويرون أن الاعتصام بها وإن جارت على العرب وغيرهم أرجح من مقاومتها ولو سراً لئلا تفضي المقاومة إلى التفرق الذي يضعف به العرب مع الترك ، وإن الطريقة المثلى لتلافي ما يرى ضاراً من أعمالها انما هي طريقة السعي لديها والاجتهاد في اقناعها بضرر الضار ونفع النافع ، وهذا الرأي والمسلك لم يكن مرضيا عند الاحزاب السياسية العربية من كل وجه ، بل كانوا

يرون انه يجب أن يكون الشريف أمير مكة مخلصاً للدولة ومؤيداً لها فيما صار في حيز الأمور التنفيذية فقط إلا قتال العرب ، وأما مالم يصل إلى حيز التنفيذ فينبغي أن يكون حزبه فيه معارضاً لحزب الاتحاديين بعد ظهور عصبيتهم الجنسية وظلمهم العرب ، ولكن نجله مبعوث مكة المكرمة كان مع سائر مبعوثي الحجاز من الاتحاديين ، وكذلك أخوه الشريف ناصر العضو في مجلس الاعيان من حزبهم ولم يغن كل هذا شيئا ، ولا صد الاتحاديين عن محاولة تنفيذ ما كانوا يضمرون للشريف الاكبر وأهل بيته ، وإنما يكرهون هذا الشريف وأولاده لأن لهم من النفوذ في عرب الحجاز ماليس لغيرهم من الشرفاء ، قلت آنفاً اننا لا ندري متى عرف الشريف الاكبر حقيقة حالهم ويئس من صلاحهم ، وقد ظهر لنا أنه يئس من بقاء الدولة العثمانية أيضاً والله لولا هذا اليأس ما نهض بهذا الأمر

ذ ـ ان من الناس من يرى ان الدولة ماسلمت من خطر اليأس وعظم الرجاء فيها إلا بدخولها في هذه الحرب ، إذ صارت به ركنا من أركان أحد الحلفين العظيمين اللذين تتألف منهما الدول الأوربية الكبرى ومشايعاتها من الدول الصغرى ، وقد نقل إلينا المقطم ان من شروط محالفتها لألمانية ان لا تقبل هذه صلحاً إلا بشرط حفظ استقلالها ، والصلح لابد فيه من رضاء الفريقين وإن كان أحدهما مغلوباً ، فاستقلال الدولة العلية مضمون على كل حال ؛ فكيف يعقل أن ييأس منه الشريف وهو من أركان الدولة الذين هم أعلم منا بحالها وبشروط محالفتها التي منها ما ذكر

د — إذا كان في الناس من يرى ان استقلال الدولة مضمون وان غلبت مع أحلافها في هذه الحرب ، وكان أعداؤها هم المقررين لشرط الصلح ، فان في الناس من يرى ان هذا الاستقلال قد زال بالفعل ، وان انتصر الالمان مع أحلافهم وتحكموا في شروط الصلح ، أما بقاء استقلال الدولة بعد انكسارها وانكسار أحلافها فهو معقول ؛ وأما الرأي الذي يقابله في الغرابة وهو زوال استقلالها في حال انتصارها وانتصارهم فلأصحابه وجه جدير بالتأمل ، وهو أن الدولة قد غرقت في بحر لجي من الديون وخسرت أكثر الشبان العاملين في المملكة ، وأفقرت الامة كلها بمصادرة أموالها واستنزافها بأسماء متعددة ، وكان عجز ميزانيتها قبل حرب البلقان وهذه

الحرب الثاني أقرضناها وأقرضنا أمتها بعده باقتراض الملايين في كل عام ؛ وقد زادت ديونها الآن زيادة كبيرة حتى صار ربا الديون يستغرق معظم الميزانية التي لا بد أن تنقص عما كانت نقصاً فاحشا ، ومن البديهي أنها لا تجد بعد الحرب من يقرضها كما كانت تجد قبلها ؛ وليس أمامها من الأمم الغنية إلا الامة الالمانية وقد ذهبت قروض الحرب بدولتها ودول أحلافها بمعظم ثروتها ، فلن تقرض دولة وصلت ماليتها إلى حد الافلاس مائة مليون ماتلم بشعثها إلا إذا جعلت مالية الدولة وجميع موارد الثروة في المملكة تحت تصرف دولتها يديرها رجال الالمان الماليون والفنيون — فاذا تدبرنا هذا وعلمنا أيضا أن الدولة قد جعلت حربيتها وبحريتها في أيدي الالمان وجعلت تعلم لغتهم إجباريا في جميع مدارس المملكة الاميريه وغيرها ، وتذكرنا أن الالمان يملكون عشرين كيلومتر على جانبي سكة حديد بغداد في خط يمتد من ضفاف البوسفور إلى بغداد ، فأي استقلال يكون للدولة بعد قبض الالمان على إدارة المالية والحربيه ، والمعادن والمناجم مع امتلاك هذه الاراضي الواسعه التي تضاهي مساحة مملكتهم ؟

كان لبعض الالمان المقيمين في بلجيكه قبل الحرب ملعب أو ملاعب للكرة يلعب فيها أهل البيت والعيال ، فلما اقتحم الجند الالماني بلاد البلجيك المضمون استقلالها منهم ومن سائر الدول الكبرى ظهر أن ملعب الكرة إنما بنى بطريقة فنية هندسية ليكون مركزاً للمدافع الضخمه المكتوم خبرها عن غير أركان الحرب من الالمانيين ، وان المسافه بين الملعب وبين الحصون البلجيكيه هي مسافة مرمى تلك المدافع التي دمرت تلك الحصون . فاذا كنا قد استفدنا من عبر هذه الحرب أن ملعب الكره لعيال ألماني في زمن السلم كان خطراً على الدولة التي ملك الألماني في بلادها ذلك الملعب مع أن دولته ضامنة لاستقلالها ، فهل نتصور أن تسلم من الخطر دولة يملك الالمان التصرف في جميع قواها الماليه والحربيه والعلميه والفنية ، ويملكون في قلب مملكتها تلك الالوف من الاموال التي هي محل العمران المنتظر فيها ؟

ولدينا عبرة أكبر من هذه العبرة وأظهر وهي ما نقله الينا المقتطف في جزء مارس من هذه السنه من مقالة للكونتس ورك (الاميرة الانكليزيه) عنوانها (الملك الانكليزي وامبراطور الالمان) قالت فيها عن الملك ادوارد ما نصه :

« وزارني مرة قبل وفاته بثلاثة أشهر لتناول الشاي عندي ؛ وتكلم عن الادارة الألمانية فقال « لو كانت بلادنا تدار كما تدار ألمانيه لاستفدنا فائدة كبيرة وياحبذا لو حكمنا الألمان المدة الكافية لاصلاح إدارتنا » قال ذلك وصمت قليلا ثم قال وهو يضحك « ولكن المصيبة أنهم إذا أتوا ليحكمونا تعذر علينا الخلاص منهم» وهذا آخر حديث جرى لي معه لأني لم أره بعد ذلك » اه واستدلت الاهرة بهذا الحديث على أن الملك لم يكن يضمر العداء لألمانية . وإثبات هذه القضية هو الذي كتبت لاجله المقاله

فاذا كان هذا الملك السياسي العظيم يقول إن دولته التي هي أعز الدول وأعظمها دهاء وتدبيراً يتعذر عليها الخلاص من الالمان إذا دخلوا عاصمتها لتنظيم الادارة وهي في جزيرة يحميها أقوى أسطول عرفته البحار منذ خلقها الله تعالى ، فهل يتيسر للدولة العثمانية الضعيفه الخلاص منهم بعد ماذكرنا من تصرفهم المنتظر بعد الحرب إن كان لهم الظفر ، وما تصرفهم فيها الآن بقليل ؟

هذا وإن علة الحرب الحقيقية هي التنازع الاستعماري ولم يبق في البلاد القابلة للاستعمار مايشبع مطامع ألمانيا ويتسع مجاله لشعبها الكثير ، وفنونها وصناعاتها إلا البلاد العثمانيه ، وقد كانت دول الاحلاف تعارضها في استعمارها الاقتصادي مع إبقاء الدوله العثمانيه على استقلالها السياسي الصوري ، فاذا انتصرت في هذه الحرب لم يبق لها معارض من الترك ولا من الاوربيين.

ف ـ والله ان هذا الكلام معقول في نفسه ، ولكن لا يعقل أن يجهله الاتحاديون فكيف رضوا إذاً بموالاة الالمان ؟ أيعقل أن يكون في يد أناس ملك عظيم فيبذلوا دماءهم وأموالهم لاجل إضاعته ؟

د ـ لو كان رجال البيت السلطاني وكبراء علماء الدوله وسرواتها من قدماء الوزراء والاعيان هم الذين قرروا بالتشاور بينهم القتال مع ألمانية وتحكيمها في الدوله لكان هذا السؤال أكثر اتجاهاً والجواب عنه متعسراً ولا أقول متعذرا . أما وزعماء الاتحاديين هم القائمون بذلك وهم أوشاب لا تعرف لاكثر الاسرائيلي الاصل منهم أنساب وصلوا إلى ما وصلوا اليه من الاستبداد بهذا الملك بمساعدة اليهود

الجرمانيين — فالجواب سهل وللناس فيهم رأيان يؤخذ من كل منهما جواب سبب تسليم الاتحاديين الدولة للألمان

(الرأي الأول) رأي سمع كثيراً من خصومهم، وهو انهم جماعة من طلاب المال والثروة علمهم أهل الدثر بطرق تحصيلها — وهم اليهود — كيف يكونون من أغنى أهل العصر بسلب ثروة هذه الدولة ثم بيعها لدولة الألمان الغنية ، ويستشهد أصحاب هذا الرأي على صحته بأنهم لو كانوا يريدون بقاء الدولة وتعزيزها لبدءوا عملهم فيها بوضع ماليتها على أساس ثابت يكثر به الدخل ويقل الخرج، ولو أرادوا ذلك لكانوا أقدر الناس عليه بمساعدة أساتذتهم واخوانهم من اليهود الاصليين والدونمه (الذين منهم جاويد بك الذي جعلوه ناظر المالية وفوضوا اليه عقد القروض) ولكنهم اغتنموا فرصة ما سموه (حركة الارتجاع) فعزلوا السلطان عبد الحميد ونهبوا من أمواله وجواهره وتحفه ما تقدر قيمته بالملايين الكثيرة ، وقد حدثني الثقات من أهل الآستانة انهم كانوا يدخلون قصر (يلدز) فيملئون جيوبهم من تحفه المرصعة بالجواهر حتى ان بعض ضباطهم رؤي بعد امتلاء جيوبه يضع العلب والمسدسات المرصعة وأمثالها في حذائه الطويل (جزمة السواري) ثم اغتنموا فرصة وصول جيش البلغار إلى شطالجه فسلبوا ما هو أعظم من ذلك من جواهر ملوك آل عثمان وتحفهم المحفوظة في قصر قسطنطين إذ زعموا انهم انما يريدون اخراجها من مأمنها وارسالها إلى الاناضول لئلا يدخل البلغار الآستانة فيغنموها ، وقد عقدوا القروض بعشرات الملايين ولهم من كل قرض سمسرة مشهور أمرها وكثر الكلام في الآستانة فيها ، ثم إن ما يصل إلى الخزينة منها يتصرفون فيه بضروب من التصرف منها النفقات السرية التي لا تذكر في الميزانية وأعظمها ما يخصص للحربية والداخلية ، وهم يشترون السلاح والذخائر والثياب والاحذية للعسكر بثمن ويقيدونه في دفاتر الحربية بثمن آخر فيربحون من ذلك مبالغ كبيرة ، والدليل على هذا أنهم أنفقوا في نظارة الحربية خمسين مليوناً من الجنيهات قبل حرب البلقان ثم كان أهم أسباب انكسار جيش الدولة في البلقان قلة الذخائر وقلة الطعام وسائر ما يتوقف عليه القتال وقد أذكرتنا مصادرتهم للأمة في هذه الايام بما كانوا

يصادرون به الاغنياء منذ صار أمر الدولة فى أيديهم — إذ كانوا يهددون كل غنى بالانتقام منه لانه من الحزب الحميدى الارتجاعى إلا أن يفتدى نفسه بما يناسب مقدار ثروته ، فأخذوا من على رضا باشا الذى كان ناظر الحربية فى العهد الحميدى مئتى ألف ليرة ومن زهدى باشا ٣٠ أو ٤٠ ألف ليرة وعلى ذلك فقس ، ثم انهم فرضوا على كل من دخل جمعيتهم دفع اثنين فى المئة من جميع دخله وذلك فوق مافرضه الله من الزكاة على الاغنياء فيما فضل عن نفقاتهم وبلغ النصاب وحال عليه الحول ، ثم ان الالوف من الذين انتسبوا إلى الجمعية كانوا يكتمون عنهم مايمكن كتمانه من دخلهم، ومما لايمكن كتمان شيء منه رواتب موظفى الحكومة وقد دخل كلهم أو جلهم فى الجمعية ، وقد باعوا البوسنه والهرسك وطرابلس الغرب بعدة ملايين

فالذين يعرفون سيرتهم هذه بالتفصيل يعتقدون أن زعماء الجمعية لا هم لهم من حياتهم إلا جمع الثروة وهم لايضمنون بقاء الدولة لهم ولذريتهم من بعدهم فلذلك باعوها للالمان بهذه الصفة التى استعملوا فيها جميع قوى الدولة فى قتال أعدائهم ، وستكون كذلك فى أيدى الالمان ان انتصروا يستعملون نفوذ الاتحاديين وقوتهم على السلطان ودولته فى استعمار المملكة العثمانيه ويؤيدون الاتحاديين على خصومهم السياسيين من الترك والعرب إلى أن تنشب براثنهم فى كل شيء ويستغنون عن الاستفادة من اسم الدولة ونفوذها الدينى ويأمنون معارضة الدول فيصرحون بازالة هذا الاستقلال الصورى الخادع

(الرأى الثانى) رأى أصدقاء الاتحاديين — وهو مبنى على رواية لا يكاد يعرفها إلا قليل منهم ، سنذكرها فى بيان هذا الرأى - وهو أنهم لم يبيعوا المملكة بيعاً ولم يفرطوا بشيء من حقوقها ، وكل ماأخذوه من الاموال الجمعيه قصدوا به ان تكون الجمعية غنية لتتمكن بقوة الثروة من الفوز على خصومها من رجال العهد القديم المحافظين على التقاليد العتيقة المنافيه لما يريدون من التجديد المدنى للدولة والامه، وخصومها من الاحزاب السياسيه المخالفه لها فى مذهبها السياسى والاجتماعى كحزب الائتلاف والمناصر ونحو ذلك ، وأما ماأعطى لبعض زعماء الجمعيه كالدكتور ناظم وأحمد رضا فهو تعويض عما خسروا فى سبيل الجمعيه، وما عدا ذلك كسمسرة القروض والامتيازات

فرو قانوني . ولما رأوا أن الدولة ضعيفة فقيرة لا يرجى ان تنهض بنفسها، والأمة التركية جاهلة متعصبة للقديم ولا سيما إذا كان من أمر الدين فلا يرجى ان يكون نهوض الدولة من قبلها ، ولا يمكن ترقيتها هي أيضاً من قبل الدولة والدولة كلها على هذه الحالة - لما رأوا ان الدولة والأمة كما ذكر جزموا بأن العلاج الوحيد للدولة التركية والأمة التركية هو أن تتولى دولة أوربية قوية تنظيم الدولة وترقية الأمة وجعلها كالدول الاوربية والأمم الاوربية من كل وجه ، ولم يجدوا دولة من الدول العظمى ترضى بأن تقوم بهذه الخدمة للترك إلا ألمانية - وهي ارقاهن علماً وقوة عسكرية - فما زالوا يخطبون ودها حتى عقدوا معها اتفاقاً سرياً قبل هذه الحرب بسنين على تكوين دولة تركية جديدة على طراز الحكومات الجرمانية تكون تابعة للاتحاد الجرماني في السياسة الخارجية والحروب وغيرها مما لم نعلم تفصيله ، وإنما نعلم منه بالاجمال ان الترك يكونون من الألمان بمنزلة أبناء عمهم المجر من النمسة ، ولذلك تكثر جرائدهم من المقابلة بين الترك والمجر وتتساءل عما قدم أولئك وأخرهم وهم من أصل واحد !

ومن المعلوم بالبداهة ان مثل هذا الاتفاق لا يمكن تنفيذه بصفة رسمية إلا إذا صودق عليه مجلس الأمة من المبعوثين والأعيان ، وان الاتحاديين ما كانوا يجرءون على عرضه على المجلس خوفاً من انتقاض أكثر أفراد حزبهم عليهم وانضمامهم إلى الأحزاب المعارضة وبذلك يقضى عليهم قضاء لامرد له ، فكانوا يمهدون السبيل إلى جعل مثل هذا رسمياً بأعمال كثيرة لا تتم عادة إلا في سنين كثيرة، لأن السواد الاعظم من الأمة يراه خطراً بل قضاء على استقلال الدولة وعلى دين الأمة ، وقد كان المعارضون في المجلس أقوياء ومعظم الامة على مذهبهم ولذلك أسقطوا الاتحاديين وانتزعوا منهم السلطة ، ولكن حزب الحرية والائتلاف الذي انتزعها لم يطل أمرها ولا تيسر له أن يكفل وزارتي الشيخين مختار باشا وكامل باشا ، فلذلك تيسر للاتحاديين بقوة نفوذهم وتكافلهم ومساعدة الوفود وألمانيه لهم أن يعودوا إلى انتزاع السلطة من وزارة كامل ؛ ومن الغريب ان انكلتره وروسيه وفرنسه المعارضات لسياسة ألمانيه في الدولة لم ينصرن الاحزاب المعارضة للاتحاديين ولا وزارتي مختار

باشا وكامل باشا فكان هذا ضعفا منهن من حيث هو رجحان للسياسة الألمانية فى الدولة ، وقد كان الميالون الى تفضيل مودة انكلترة ومن عساه يكون معها من الدول على مودة المانية وأحلافها أكثر عددا وأرسخ فى الدولة قدما ، ولكنهم خذلوا بخذل الدول التى يميلون اليها الدولة فى حرب البلقان .

والكلام فى إيضاح هذا الرأى وتفصيل المسائل التى تتعلق به يطول فنكتفى منه بما لانخرج به من موضوعنا ، وملخصه أن الاتحاديين متفقون مع الالمان من قبل هذه الحرب بسنين على وضع زمام الدولة بأيديهم ليرقوها بعلومهم وفنونهم العسكرية وغيرها فكانت هذه الحرب وسيلة لتنفيذ ذلك الاتفاق السرى الذى كان يظن أنه لايمكن تنفيذه الا بعد تمهيد السنين الطوال له كما قلنا آنفا . وانى قد سمعت خبر هذا الاتفاق السرى فى الآستانة اذ كنت فيها سنة ١٣٢٨ ممن يظن اطلاعهم على مثل ذلك وهم قليل ، والمخالفون منهم للاتحاديين كانوا يظنون أن تنفيذه مستحيل ولهذا كنت جازما عند وقوع الحرب بأن الدولة ستدخل فيها قطعا اذ كان سفير الانكليز فى الآستانة ورجال حكومته فى لندن يظنون أن بين زعماء الاتحاديين خلافا فى ذلك وان بعضهم يميل اليهم والى أحلافهم — كما علمنا ذلك من الكتاب الأبيض بعده فكان خداعهم للاحلاف فى هذه الحال وخداعهم لفرنسة قبله إذ أقرضتهم عشرات الملايين مما يفخرون به وما هم فى هذا الفخر بملومين

مكان زعماء الاتحاديين من الدين

ذ — يظهر أن زعماء الاتحاديين قد أوتوا حظا عظيما من الذكاء فكيف خفى عنهم ماقررت من الخطر على الدولة فى تسليم أزمة أمورها للالمان ؟ وكيف خفى عنهم الفرق بين الترك والمجر حتى ظنوا أنهم يمكن أن يكونوا من الالمان بمنزلة المجر من النمسة ؟ ألم يعلموا أن المجر يشاركون النمسويين بأعظم المقومات الاجتماعية وهو الدين فلا يمكن أن يكون الترك المتعصبون فى الاسلام الذين تمثل دولتهم الخلافة الاسلامية متحدين بالالمان المتعصبين فى دينهم المجدين فى تنصير المسلمين فى مستعمراتهم الافريقية ومنع انتشار الاسلام فيها كما علم ذلك من الاوراق التى اكتشفها الانكليز هذا العام فى نواحى الحكام الالمان بذلك : وقد تذكرت بها كلاما لقيصر الالمان فى هذا

المغنى نشرته الجرائد منذ سنين أظن أنه فى الحث على اتفاق مبشرى الألمان البروتستنت مع الكاثوليك على تنصير المسلمين (١

د ـ اعلم أيها الاستاذ أن زعماء الاتحاديين الذين كلامنا فيهم ملاحدة لا يدينون دين الاسلام ولا غيره ، وهذا ثابت من أقوالهم وأفعالهم يعرفه جماهير العلماء والكبراء فى الآستانة وغيرها وجميع السياسيين فى أوربة ، وهم يتمنون خروج الشعب التركى من الاسلام ولو بالتدريج الممكن الى الوثنية بشرط أن يبقى تركيا ، لانهم يظنون أن الاسلام هو العلة المانعة من مساواته للشعب المجرى وغيره من الشعوب الاوربيه . ويشاركهم فى هذا الرأى غيرهم من ملاحدة الترك .
ولما كنت فى الآستانة نشرت جريدة (إقدام) الشهيرة ـ وكانت معارضة للاتحاديين ـ مقالة فى المقابلة بين الترك والمجر ، وتساءلت عن سبب ما بينهما من الفرق فى العلم والمدنية مع الاتفاق فى النسب ، ورغبت الترك فى التشبه بالمجر وسلوك طريقتهم والاتحاد بهم .. وقد رغبت يومئذ الى السيد الزهراوى رحمه الله تعالى فى كتابة رد عليها يقال فيه إن أعظم الفروق بينهما الدين واللغة فهل تنصح الترك بأن يتركوهما معا ليكونوا كالمجر فى كل شىء أو يتركوا الدين الاسلامى أو

---

(١) المنار : اننا نشرنا فى ص ٧٢٠ م ٧ انه كتب الينا من بعض المستعمرات الالمانيه أن ألمانيه تكره الناس هنالك على التنصر وتغرى العداوة بين العرب المهاجرين الى تلك المستعمرة وبين الاهالى لأن العرب أشد تمسكا بالاسلام وجذبا اليه ، وجعلنا هذا العمل مرشدا الى تفضيل انكلترة على ألمانية . ثم نشرنا فى ص ٧٩٩ منه أنه كتب الينا من دار السلام ان حكومتها الالمانية هدمت مسجدا بين المسلمين وتضطهد العرب وتمنعهم من ركوب السيارات الحسنة . ومن الغريب ان وكالة ألمانيه السياسيه بمصر بلغنا بعد نشر ماذكر ببضعة أشهر أنها كتبت الى دار السلام تسأل حكومتها عن حقيقة ماعزى اليها وأنها أجابت بأن منع العرب من ركوب المركبات لا أصل له ، وأن هدم المسجد كان بطلب المسلمين لبعده عن بيوتهم ، وأن الحكومه بدلتهم به مكانا آخر قريبا وأعطتهم مالا وافراً . ولكنها لم تكذب خبر التنصير بالاكراه الذى نشر فى جزء آخر .

اللغة التركية لاجل ذلك ؟ فقال ان الحكومة لا ترضى بنشر مثل هذا . وكان الاتحاديون يتقربون الى الاوربيين بالالحاد وبمكاشفتهم باعتقادهم أن البقاء على الاسلام مانع من ترقي الترك . واجتهدوا في استمالة نصارى السوريين اليهم بهذا وبايهامهم أن العرب المسلمين لن يتفقوا معهم لتعصبهم الديني

أما مذهب الأتحاديين السياسي فهو انشاء دولة تركية محضة متحدة بالتحالف الجرماني ، وان الترك لا يمكن أن يندغموا في الجرمان بسبب هذا الأتحاد بحيث يفنون فيهم لأن المحافظة على اللغة التركية تمنع من فناء الشعب التركي المؤلف من عشرات الملايين في الشعب الألماني أو غيره

ذ ـ أين عشرات الملايين من الترك والمشهور انهم لا يكادون يبلغون في الدولة ستة ملايين ؟

د ـ انهم يعدون مسلمي القوقاس وتركستان منهم ويظنون انهم سيأخذون هذه البلاد بقوة ألمانية ، وأنهم لا بد أن يكرهوا جميع الشعوب العثمانية على ترك لغاتهم إلى اللغة التركية حتى العرب وبذلك يكون لهم امبراطورية كبيرة منظمة على النمط الألماني ، ومن أمانيهم في هذا الخيال أن يملكوا مع الألمان الشرق كله أو العالم كله ، وأما الخلافة الاسلامية فيستخدمون نفوذها الديني في سياستهم وحروبهم إلى أن يتم لهم افناء الأمة العربية وتكثير النابتة التركية التي يربونها على الالحاد وتحريف الاسلام عن أصله بجعل القرآن تركياً وتفسيره بمثل ما رأيناه في كتاب (قوم جديد) وغيره من كتبهم ، ويستغنوا عن مخادعة المسلمين والاستفادة منهم باسم الخلافة والاسلام ، فعند ذلك ينبذونها نبذ النواة ، ويجعلون يوم إلغائها عيداً من الأعياد ، فحاجتهم اليها مؤقتة كحاجة أحد ظرفاء السوريين إلى البرنيطة

ذ ـ بحياتك فكهنا بخبر برنيطة هذا السوري الظريف لعله يدفع عني الرعب الذي كاد يساورني من تصور هذا الخيال التركي الأتحادي الغريب

د ـ هو الدكتور . . قال انه يلبس البرنيطة لأنها تزيد في ربحه وفي احترامه كما ثبت له ذلك بالتجربة ، وإنه يتمنى أن يستغني عنها ، وقد وعد أصدقاءه بأن يدعوهم عندما يثبت عنده ذلك الاستغناء إلى احتفال عظيم حتى إذا ما انتظم عقده

اجتماعهم يوقد ناراً يحرق بها البرنيطة أمامهم ويرثيها بأحسن مما رثى به الفارياق حماره، ويسمى ذلك الاحتفال احتفال احراق البرنيطة

ذ - أود أن تخبرني ببعض ما لديك من الدلائل التي لا تحتمل التأويل على كفر زعماء الاتحاد، فإن بعض مايدل على ذلك قد يحتمل التأويل، وهذه مسألة لا يجوز الأخذ فيها إلا باليقين

د - إن ما عندي في ذلك كثير جداً إذا أردت بسطه ودفع ما يمكن أن يورد عليه من الشبهات فلا يتم لي ذلك إلا بتأليف سفر كبير، وإذا أردت أن أحصي في هذا الباب جميع ماأعلم من أقوالهم وأفعالهم المنافية للدين، وما نشروه في كتبهم الجديدة وصحفهم من العبارات المنفرة عن الاسلام أو الدالة على مذهبهم السياسي الذي ذكرته آنفاً — فلا بد لي من تأليف عدة أسفار، ولا بد أن تكون قد قرأت ماترجمناه من كتاب (قوم جديد) في ص ٥٣٩ - ٥٤٤ م ١٧ - سنة ١٣٣٢ من المنار [1] ورأيت كيف حرف فيه القرآن وجعل الصيام والصلاة والحج والزكاة والعمل بكتب فقه الأئمة الأربعة هو دين قدماء المسلمين الذين يعبر عنهم بكلمة (قوم عتيق) وصرح بعدم جواز العمل بتلك الكتب وعلل ذلك بأنها مملوءة بالنفاق والشقاق «وبين في مقابل ذلك أركان دين (قوم جديد) وهي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد مالا وبدناً والسعي لاعداد لوازم الحرب بالاتحاد تحت راية الخلافة الاسلامية العثمانية. وصرح بكفر جميع المسلمين من رعايا دول النصارى والذين تحت حمايتهم، وبأن المسلمين الحقيقيين هم الذين حاربوا في البلقان «تحت إمرة أنور ورضا وأسعد وجاويد ورؤف صلى الله تعالى عليهم وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة» ثم صرح بأن هذا الذين ينتمون الى الجمعية في حرب البلقان لا يتجاوز مئة ألف وهم المسلمون الحقيقيون قال «أما الباقون فكانوا من المرتدين المنتمين إلى الائتلاف (أي حزب الحرية والائتلاف) والبطركخانات، وهو يفضل أنور وطلعت وجمال وغيرهم

---

١) نشر المقطم مقالة لبعض العرب العثمانيين في هذه السنة ذكر فيها بعض الجمل من هذا الكتاب فظن بعض الناس ان ذلك قول مخترع، وقد ذكر هذا الكتاب في الجزء الثاني من منار سنة ١٣٣٢ الذي صدر في يناير سنة ١٩١٤

من زعماء الجمعية على الخلفاء الراشدين وجميع الأئمة والأولياء الصالحين ، بل هو يقدس جميع الترك التابعين لهؤلاء الزعماء بمثل ما تراه فى تلك النبذة المترجمة منه (ص ٥٤ م ١٧) فانه بعد مخاطبته للترك بأن الله قدسهم وبأن تعظيمهم للخلفاء العرب ووضع أسمائهم فى المساجد بعد إذلالا لخلفاء الترك «الذين قدستهم الأحاديث النبوية بزعمه ، وبعد إنكاره عليهم تعظيم الأولياء من العرب كالجيلانى والبدوى وفشوهم للترك بأنه سيخرج من العرب مهدى ، بعد تفصيل هذا وزعمه إنه تحقير للترك قال

« أما سمعتم الآية (والعاديات ضبحا) فان الله قدس بهذه الآية الجيوش التركية ، فخيول هذه الجيوش هى أشرف وأقدس أضعافاً مضاعفة من شرافة وقداسة رؤساء وأشراف الشعوب الأخرى الذين تقدسونهم وتحترمونهم » اه وليس هنالك رؤساء شعوب كثيرة يحترمهم الترك بل رؤساء شعب واحد وهو الشعب العربى ـ الذين ذكر انهم يعلقون أسماءهم فى المساجد وهم : النبي ﷺ والخلفاء الراشدون الأربعة والحسن والحسين رضوان الله عليهم .

وقد جعل الاتحاديون عبيد الله افندى مؤلف هذا الكتاب مدرساً فى جامع آيا صوفية لينشر هذه الأفكار فى شهر رمضان وجعلوا حوله الجلاوزة والشرطة (البوليس والضابطة) يحمونه من اعتداء المسلمين عليه ، ولكن من يطعن فى جمعيتهم أو بعض زعمائهم فلا جزاء له إلا القتل اغتيالا أو صبرا أو بمحاكمة قضائية أو عرفية ،

ذ ـ ان مؤلف هذا الكتاب مجنون أو معتوه ، وتحريفه القرآن أشد تشويهاً وأظهر بطلاناً من تحريف الباطنية ، فكيف يظن هو وزعماء الاتحاديين أن مسلمى الأتراك يتلقونه بالقبول فيؤثر فى نفوسهم ؟

د ـ حقاً ان هذا الرجل يكاد يكون مجنوناً ، ويحتمل أن يكون سبب غلوه هذا من خبث ودهاء ، والذى يظهر لى أن لهم فى مثله غرضين (أحدهما) فتح باب الجرأة لملاحدة الترك على التصريح بالكفر قولا وكتابة ليكون مجال القول عندهم واسعاً فى الطعن فى النبى ﷺ وفى الخلفاء الراشدين وأئمة آل البيت النبوى وأئمة الفقه والصوفية ، ولهم كتاب آخرون سلكوا غير هذه الطريقة فى هذا الباب كالدكتور عبدالله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) التركية وأحد مؤسسى

جمعية الاتحاد والترقي الأولى فانه يترجم بالتركية مطاعن (كايتاني) المؤرخ الايطالي في النبي ﷺ ونشر كتابه في هذه السيرة التي شوه جمالها وانتقص كمالها ببهتانه وسوء تأويله ، فكان له رواج وتأثير قبيح عند طلبة مدرسة الطب وغيرهم في الآستانة (والغرض الثاني) نشر ذلك بين عوام الترك الذين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه لعلمهم بأنهم يقبلون كل كلام يقرأ عليهم في كتاب ، وتؤيد فيه المسائل بما يسند إلى الله ورسوله من الآيات والاحاديث بما تمكن تحريفه ، والكلام في هذه المسألة يطول فأكتفي منه في هذا المجلس الذي طال عليك بروايتين عن علماء الاستانة وبعض القضاة الاتحاديين (الرواية الأولى) كان اسماعيل حقي المناسترلي (رحمه الله تعالى) من أشهر علماء الترك في الآستانة وهو الذي ترجم (الرسالة الحميدية) بالتركية ، وكان واعظا في جامع (آيا صوفية) ومدرساً في دار الفنون (المدرسة الجامعة التركية) وهو الذي صلى بالسلطان محمد رشاد إماماً في جمعة في (قوصوه) عند زيارته لها ، وكان استماله الاتحاديون بعد الدستور بجعله عضواً في مجلس الاعيان وجعل ولده كاتب السر لطلعت بك ، فكان جمهور علماء الآستانة يتهمونه بالنفاق بدعوى أنه مال إلى الاتحاديين وأنه لا ينكر عليهم فيظن العوام أنه راض عنهم ، ولكن هذا الشيخ الكبير لما عرفته حق المعرفة ووثقت به كان لا يعبر عن الاتحاديين في الحديث معي بداره إلا بلقب «الملاحدة» وقد سألني عن رأيي في فطين افندي: أمسلم هو أم زنديق ملحد؟ فقلت: ما الذي أثار هذه الشبهة في نفسك حتى شككت في إيمان رجل من أهل العلم؟ فقال: يا سيدي يظهر لنا أن الجمعية تثق به ثقة تامة . فهذا العالم الجليل المختبر لهم حق الاختبار كان يعتقد أنهم لا يثقون ثقة تامة بمؤمن مسلم أما فطين افندي هذا فهو من (الصفطاه) طلاب العلوم الدينية وقد عني بالعلوم الرياضية فصار مديراً للمرصد الفلكي الذي أنشيء في ضواحي الآستانة ، وهو ذو همة ونشاط ، وظني فيه أنه كان يريد استخدام نفوذ الجمعية لبعض المقاصد التي يراها نافعة فيخدمها هذا خدمة نافعة ويتوهم أنه قد يقوم بعض اعوجاجها كما يعلم من الواقعة التي أقصها عليك:

لقيت فطين افندي مرة يتكلم مع (الدكتور ناظم) المرخص المسؤول للجمعية وأعظم رجالها نفوذاً فيها ، فلما أقبلت عليهما قال الدكتور هذا فلان يحكم بيننا ، ثم قص علي أنه اختلف مع الدكتور في مسألة مهمة قال: الدكتور يقول إنه يستحيل علينا

الترقي المطلوب إلا إذا نبذنا كل قديم واتبعنا خطوات فرنسه (؟) في تجديد شباب الدولة والملة (أي الأمة) وأنا أقول اننا محتاجون إلى اقتباس الفنون عن الاورب بصورة عامة لا من فرنسه خاصه لأجل ترقية صناعتنا وحربيتنا وماليتنا ، وأما الامور المعنويه كالآداب والفضائل والشرائع فاننا نقتبسها من ديننا وما عندنا فهو أكمل مما عند غيرنا وهو خير لنا ، ولكن الدكتور قال إن هذا كله قد صار رثا باليا لا ينفع فلا بد من التجديد في كل شيء ، هذا ملخص حديثها ولا حاجة إلى بيان ما أبدت به رأي فطين افندي بل أقول لك إني أكبرته من ذلك اليوم ، ولكن العبرة في ثلك الشيخ اسماعيل حتى في عقيدته لأنه رأى أن زعماء الجمعية يثقون به وإن لم يعرف درجة هذه الثقة ، وقد عرفت رأي جمهور علماء الآستانة في اسماعيل حقي هذا ، وكذلك رأيت كثيراً من المدنيين يعتقدون أن زعماء الجمعيه كلهم ملاحدة لادين لهم ، ومن هؤلاء كثيرون كانوا محافظين على الانتساب إلى الجمعية يرون أن في هذا خيراً لهم أو مصلحة للدولة والأمه ، ومنهم ألوف تركوها إلى حزب الحرية والائتلاف .

(الروايه الثانيه) لما جئت بيروت عائداً من الهند إلى مصر من طريق العراق، وسوريه زارني قاض من قضاة الترك الاهليين ببيروت اسمه (شوكت بك) كان كثير اللهج بالجامعه الاسلاميه وإيهام مسلمي بيروت وغيرهم أن الاتحاديين يرمون بسياستهم إلى هذه الجامعه ، وكان ذلك في عهد وزارة مختار باشا والناس يجاهرون بلعن الاتحاديين ولا سبيل إلى استمالتهم اليهم إلا بايهامهم انهم يخدمون الاسلام ويجتهدون في جمع كلمة أهله ، فكان أول حديث شوكت بك معي - بعد مجاملة السلام - السؤال عن مسلمي الهند وإظهار الاهتمام بشأنهم . وانتقل من ذلك إلى مسألة الجامعه الاسلاميه ومابزعمه من ميل الاتحاديين إليها ، فقلت له : ان فاقد الشيء لايعطيه، فاذا كان الاتحاديون أنفسهم ملاحدة غير مسلمين إلا في الاسم فقط فكيف يقومون بهذه الخدمه في الاسلام . قال : إن الحكم عليهم جميعهم بالالحاد فيه مبالغه ولعل الملحدين منهم لايزيدون على ثلاثين في المئه قلت : الظاهر أنك أسأت ظننا مني فيهم ، فأنا أعني بمن حكمت عليهم بالالحاد زعماءهم لا جميع من انتمى إلى الجمعيه ، فان لي أصدقاء كثيرين ممن دخلوا في هذه الجمعيه لا ريب عندي في إسلامهم ولا في

صلاحهم ، فنهم من تركها بعد العلم بحقيقة حالها ومنهم من يرى من المصلحة العامة أو الخاصة بقاءه فيها ، وقد صرح لي بذلك كثير منهم . وذكرت له إني اختبرت أكبر أولئك الزعماء بنفسي في الآستانة ووقفت على ما كان من اختبار أصدقائهم وغير أصدقائهم لهم ، وذكرت له رأي الزعيم الاكبر الدكتور ناظم الذي ذكرته في الرواية الاولى قال نعم إن الزعماء لادين لهم «دين سز» ولكن مسألة الجامعة الاسلامية تفيد الدولة فائدة سياسية عظيمة فهم لذلك يهتمون بأمرها ، قلت: إني أعلم أنهم يشتغلون بتأسيس جامعة تركية لا اسلامية عامة وقد بثوا دعاتهم لهذه الجامعة في القوقاس وتركستان ... ولو كانوا يريدون الجامعة الاسلامية لاعتنوا بتعليم اللغة العربية ونشرها ولكنهم يجتهدون في إماتتها ، وكيف يتعارف المسلمون بغير لغة يتفاهمون بها ، إنني طفت كثيراً من بلاد الهند فلم أدخل بلداً منها إلا ووجدت فيه كثيرين يتكلمون معي بالعربية ، ولا يكاد يوجد فيها أحد يعرف التركية ، ولا توجد داعية تحفزهم لتعلمها ، وأما اللغة العربية فداعية تعلمها الدين ، وهي تزداد في هذه الايام انتشاراً في الهند وجاوه إلخ

(خلاصة المحاورة وفصل الخطاب فيها)

ذ — لقد أطلت عليك وأخذت حظاً عظيما من وقتك ، وقد اقتنعت مما سمعت منك بأن هؤلاء الاتحاديين ملاحدة لا يدينون بدين وأنهم مغرورون يسول لهم الغرور أنهم يستطيعون أن يهدموا بناء هذه الدولة وهذه الأمة ثم يبنونهما بناء آخر زينه لهم اليهود ووضع رسمه لهم الالمان ، وأن ذلك يتم لهم في سنين معدودات ، ولذلك لم يسلكوا طريقة التدريج التي مضت بها سنة الله في خلق الارض والسموات ، وأحب أن تلخص لي كلامك بجمل مختصرة

ر — : (١) إن الشريف أمير مكة المكرمة يعتقد أن الاتحاديين ملاحدة يكيدون للدين الاسلامي على مالهم فيه من المنافع السياسية والمالية فمثلهم كمثل المعتصم في حصن لعدو له وهو يرى أنه لابد له من تركه ويخشى أن يصير إلى عدوه فهو على انتفاعه ببنائه وبما فيه من الخيرات يضع الالغام تحته لينسفه عند ارادة تركه

(٢) انه يعلم أيضاً انهم أشد الناس عداوة للعرب وان بغضهم لهم أشد من بغضهم للروم والارمن لسببين ، أحدهما انهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ،

وثانيهما أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عددا ، وأنه قد وجد في بلادهم الحضرية كثير من أصحاب المعارف العصرية والافكار النيرة وما زالت بواديهم والبلاد التي هي أقرب إلى البداوة ذات بأس شديد وقوة حربية لا يستهان بها ، ولا يتم لهم ما يتخيلونه من تأسيس دولة تركية لا دين لها لأمة تركية محضة إلا إذا أبادوا هذا الشعب العربي الكبير الناصر الاسلام ، ولذلك عقدوا النية على تتريك بلاده الخصبة المتصلة بالقوة القاهرة وعلى اذلال أهل الجزيرة العربية الأشداء باضعافهم ونزع السلاح منهم وإلقاء العداوة بينهم، وجعل بلادهم المقدسة تحت سلطة عسكرية اتحادية لا دين لها حتى لا يستطيعوا أن يقوموا بعمل ديني ولا دنيوي

(٣) أن الشعب التركي غيور على الاسلام وشديد التعصب له وقد عرف عنه من المبالغة في التعصب مالم يعرف مثله عن العرب ولكن خضوعه للقوة التي تسود عاصمة بلاده أتم من خضوع سائر الشعوب العثمانية ؛ بل هو شعب لا يعمل الا بالقوة العسكرية ولا تعمل به الا القوة العسكرية، وقد غلب حزب ملاحدة الاتحاديين حزب العلماء وجميع الاحزاب السياسية العثمانية بقوة الجند والمال كما علم من كلامنا السابق، فلم يعد الشريف يرجو من اسقاط قوة الاتحاديين أعداء الاسلام والعرب بقوة الاحزاب التركية ماكان يرجوه من قبل ، فانحصر وجوب مقاومتهم في العرب وحدهم

(٤) أن الشريف يعلم كما يعلم العارفون وكل من له إلمام بأحوال الدولة ان ملاحدة الاتحاديين قد سلبوا سلطان الدولة وخليفتها نفوذه وجميع حقوقه حتى ما هو مدون في قانونهم الأساسي ، فأصبح المسلمون بغير امام شرعي لاتحقق فيه شروط الشرعية، ولا متغلب يطاع لضرورة جمع الكلمة ، وانما المتصرف في الدولة جمعية الاتحاد والترقي الملحدة، فالسلطان محمد رشاد لانفوذ له الآن في المملكة ولا في قصره، بل يسميه أهل الآستانة (المهردار) الجمعية ؛ أي صاحب الختم الذي وظيفته أن يختم لها كل ماتأمر بختمه من الاوراق، وهم لا يسمحون له بأن يختار رئيس الكتاب، وأمين السر له حدثني بعدي بك أحد سراة الآستانة الكبار عن رجل من أعضاء البيت السلطاني أنه كان بقرب السلطان في حفلة قراءة المولد النبوي الشريف في قصر (ضولمه بغچه) فرأى (الباشكاتب) قد جلس متكئا والسلطان منتصب بغاية الادب على عرشه

وكبر سنه فلما رآه السلطان قد اتكأ قال متبرماً : إذا كان هذا ... (نسيت اللقب القبيح الذى ذكره به) لايحترمنى أفلايحترم حضرة فخر الكائنات صلى الله عليه وسلم؟

(٥) أن الشريف يعلم أن هؤلاء المتهورين قد عرضوا استقلال الدولة للزوال، وأن الخطر عليها فى انتصار الالمان أشد من الخطر عليها فى انتصار الحلفاء ، فان الظاهر أن الحلفاء يرضون باستقلال بلاد العرب ، ويظن أيضا أنهم يرضون بجعل الولايات التركية إمارة أو سلطنة تركية مستقلة ، فغاية انتقامهم من هذه الدولة أن يجعلوها أجزاء بعضها مستقل بنفسه تام الاستقلال وبعضها مستقل تحت حماية بعض الدول، كالولايات الارمنية ، الظاهر أنها تكون تحت حماية روسيه، ويقال أنهم لابد من أخذ شىء منها لانفسهم وتختلف الاراء فى مصير الآستانه . وليس هذا من موضوع حوارنا

(٦) أن ملاحدة الاتحاديين شرعوا فى تنفيذ خطتهم باذلال العرب التى هى مقدمه أو علة لاذلال الاسلام كما ثبت فى الحديث الصحيح عند أبى يعلى « إذا ذلت العرب ذل الاسلام » فبدؤا بالعراق والشام ثم مدوا براثنهم الى الحجاز ، فاضطر الشريف الى دفع شرهم عن العرب بمقاومتهم فى الحجاز . واستقلاله بالسلطه فيه من دونهم لمجموع ماتقدم من الأسباب .

ذ - يظهر مما قررته أنه لا يعد مقاومته للاتحاديين خروجا على السلطان ولا عداء للدوله نفسها لانه يرى انهم جانون على الدوله والسلطان قبل جنايتهم على العرب فى الحجاز وغيره

د - نعم هذا هو الظاهر بل المتيقن ، ومن وقف على الحقائق يرى أن الشريف قام بأعظم خدمه للاسلام والمسلمين ، وذلك أنه لما رأى الخطر قد أحاط بالدوله كما هو واضح مما شرحناه كان من الضرورى أن يخاف وقوع القضاء بها فجأة فيكون حرم الله وحرم رسوله وما جاورهما من جزيرة العرب مما يسقط بسقوطها، وتزول السلطه الاسلاميه عنهما وعن غيرهما مدة فترة السقوط أو مدة أطول منها يكون الحرمان وغيرهما فيها من قبيل التراث الذى يحكم فيه الفاتحون بما يشاؤون . فهو باستقلاله هذا قد جعل الحجاز تحت سلطة اسلاميه خالصه ، ويوشك أن يكون هذا مقدمه لدوله عربيه اسلاميه كبيرة ، وما ذكره الأستاذ فى أوائل حديثه من تمادى

أمراء جزيرة العرب وكونه يحول دون تأسيس دولة عربية عزيزة فهو مسلم ؛ فالموادة بين أمراء الجزيرة وزعمائها لم تكن منذ قرون كثيرة خيراً منها الآن ، فلم يبق بين أحد منهم شيء من ذلك العداء إلا ما بين امام اليمن والسيد الادريسي ويرجى أن يقدر الشريف على تلافي ذلك وعقد اتفاق بين الجميع على قاعدة (اللامركزية)

وصفوة القول إن استقلاله هذا لا ضرر فيه على الدولة العثمانية ولا على الأمة التركية ، وإنما هو كبح لجماح هذه الجمعية الباغية على الاسلام والدولة والعرب ، فان سقطت الدولة في هذه الحرب لم يكن استقلال أمير الحجاز أحد أسباب سقوطها وإن سلمت من الحرب ومن هؤلاء الملاحدة وعادت دولة اسلامية قوية لم يكن ما تقدم من استقلال الشريف مانعاً من العودة إلى الوفاق والاعتصام ، هذا ملخص ما عندي في هذه المسألة ، فاذا كان لديك أسئلة أخرى فلتكن في زيارة أخرى .

انتهت المحاورة مع الاستاذ بما ذكرنا من الاقناع وكذلك المحاورات الأخرى في الجملة

فخلاصة ما رتفنا عليه من الآراء في المسألة العربية واستقلال الشريف الأكبر أن المسلمين هنا لا يرتاحون إلى هذا الاستقلال إلا إذا أمكن أن يستتبع تأسيس دولة عربية قوية مستقلة تام الاستقلال لا نفوذ فيها لدولة أجنبية يضعف استقلالها ، ولكن منهم من يشك في امكان ذلك ومنهم من يشك في سهولة حصوله دون امكانه ، ولكل منهم دلائل نظرية لا يتسع هذا الجزء لبسطها ان كان من الممكن نشرها

ثم ان كل فرد ممن تكلمنا معهم أنصف الشريف في استحسان وقوفه بهذا الاستقلال عند حد منع الضرر عن أهل الحرمين وغيرهم من العرب عملا بما ثبت عنده من سوء نية الاتحاديين بحيث كان استقلاله غير مضعف للدولة إلا بقدر ما يجني عليها الاتحاديون إذا أرادوا الاستمرار على قتاله بجيوشها المنظمة وتيسر لهم ذلك ، فعمل الشريف يصدق عليه أنه إما ان ينفع نفعا عاما أو خاصا بالحجاز وإما أن لا يضر ، ولا يوجد عاقل ينكر مثل هذا أو يذمه ، وكل مسلم عرف كنه سياسة الاتحاديين في الاسلام صار عدواً لهم ، وأقدم أعدائهم في هذا علماء الآستانة والمتدينون فيها وفي سائر بلاد الترك ، وما كان مسلمو العرب إلا متأخرين عنهم في ذلك . وكل عربي مصري أو غير مصري عرف كنه سياستهم في العرب صار عدواً لهم ، وأقدم من عرف ذلك السوريون المسلمون ثم غيرهم

منهم ومن العرب ، ولو كان المصريون يصدقون أخبار المقطم والأهرام عن فظائعهم في سوريه لأجمعوا على ذلك ، وقد انفتحت لهم أبواب أخرى للاقتناع . وما قلت لأحد منهم ان ما أتاه جمال باشا من التقتيل والتصليب والتغريب عن الوطن ثبت عندى من طريق الأسرى العثمانيين ومن طريق أمريكه وأوربه ، ثم من طريق الحجاز إلا قبلوه مذعنين ، ولعنوا جميع الاتحاديين ، وسيأتى يوم يصدق فيه الجميع هذه الاخبار ولعله ليس ببعيد .

السيد عبد الحميد الزهراوى

كان الشهيد السعيد نابغة من نوابغ السوريين ، لا يكاد يلز به في مجموعة مزاياه قرين ، ماعرفت بلاده كنهه ، ولا قدرته قدره ، على انها لم تقصر في تعظيمه وتكريمه ، وفي الاحتفال له والحفاوة به أيام سفره وأيام قدومه ، اذا عرف الجمهور منه في أواخر سني حياته كما كان يعرف الآحاد ، انه أحد أشراف البلاد المنصرفين لخدمة الأمة بكفاءة واستعداد ، من معرفة المصلحة وفصاحة اللسان ، وقوة الحجة وجرأة الجنان ، وما كان لعقل الجمهور أن يدرك كنه المزايا والفضائل التى بها كان الزهراوى في حقيقة جوهره من الحكماء الربانيين ، والفلاسفة الاجتماعيين ؛ وإن قضت عليه الأيام بالانتظام في سلك السياسيين ، تلك الفضائل التى عرفها له كل من عرفه من العقلاء المنصفين ؛ وهى استقلال الرأى وصدق القول وقوة الارادة والاخلاص في العمل وإيثار الحق على الهوى ، وتوجيه الهم والهمة إلى المصالح العامة ، وترجيحها عند التعارض على المنافع الخاصة ، بل لم نعلم عنه انه اشتغل في طور من أطوار حياته لمنافعه الخاصة ، وإنما نعلم عنه انه بدأ حياته العملية منذ بلوغ الرشد بإنشاء (جريدة المنير) السرية التى كان يطبعها في حمص بمطبعة الجلاتين ويوزعها في البلاد السوريه سراً لخدمة جمعية الاتحاد والترقى الاولى والسعى معها لانقاذ الدولة من الادارة الحميديه المستبدة ، فعلق بالسياسة من ذلك الحين وظل مشتغلا بها طول حياته

كان بيننا وبين هذا الصديق العزيز تشابه في النشأة والتربية ، ومشاكلة في

الاستعداد والغريزة ، وتقارب الفكر والرأي ، تعارفنا به بالمكاتبة قبل اللقاء ، ثم كان بعد اللقاء كالمحبة والوداد ، لم يزدد بالمعاشرة إلا ثباتاً ورسوخاً ، كان كل منا ميالاً إلى الاشتغال بالاصلاح الديني والاجتماعي وعلاقة ذلك بالسياسة لاتخفى ، ولكن تيسر لكل منا من أمر الاشتغال بالسياسة أو الاصلاح مالم يتيسر للآخر ، إذ كانت هجرتنا إلى مصر وهجرته إلى الآستانه

وفي سنة ١٣١٥ التي أنشأنا فيها المنار كان هو محرراً في إدارة جريدة (معلومات) العربية في الآستانه ، وكان مايكتبه فيها موافقاً لمشرب المنار ، ووقع بيننا مايشبه المناقشة في المسائل الاصلاحية (راجع ص ٩٥٠ من الطبعة الثانية لمجلد المنار الاول) ثم نفته أفكاره من الآستانه إلى وطنه ، وفي سنة ١٣١٩ كتب وهو في دمشق الشام تحت المراقبة السياسية رسائله الاصلاحية الثلاث (الفقه والتصوف) التي نشرنا أولاها في المجلد الرابع من المنار ثم قرظناها فيه المجموع المطبع على حدته في مصر ، وقد كانت هذه الرسائل أشد مما كنا نكتبه في موضوعها نقداً على سعة الحرية هنا وشدة الضغط هنالك ، فهاجت عليه حملة العمائم في دمشق ، وأشد ما أنكروا عليه فيها القول بالاجتهاد وبطلان التقليد ، فهيجوا عليه الحكومة فاعتقلته في الشام ثم أرسل إلى الآستانه ، ولم يكن سبب ذلك التشديد عليه ، والاغضاء عن انهموا بالقول بالاجتهاد وابطال التقليد منه غيرة من الحكومة على الفقهاء والصوفية ان يوجه اليهما انتقاد ، ولا مجرد الارضاء لعصبية الحشوية الجامدين في الشام ، وإنما سببه الباطن انه كان نشر في المقطم مقالة في الخلافة بامضاء (ع . ز) وهو إمضاؤه الرمزى لكل ما كان ينشره بمصر ، وقد وجدت تلك المقالة معه عند القبض عليه وحاول تمزيقها . وقد أشار الاستاذ الامام إلى هذه الواقعة في فصل (الاسلام اليوم) من كتاب (الاسلام والنصرانيه) وإننا نذكر عبارته هنا لما فيها من تأييد هذا الصديق الشهيد وهي :

ألم يسمع بأن رجلا في بلاد اسلاميه غير البلاد المصريه كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه إلى ماذهب إليه أئمة المسلمين كافه ، ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفيه وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون مما رزىء به ، أو مايقرب من هذا ، وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبله ، فلما طبع مقاله في مصر تحت اسمه

هاج عليه حملة العمائم ، وسكنة الأثواب المباعب ، وقالوا إنه مرق من الدين ، أو جاء بالافك المبين ، ثم رفع أمره إلى الوالى فقبض عليه وألقاه فى السجن ، فرفع شكواه إلى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله إلى العاصمة ليثبت براءته مما تعلق عليه بين يدى عادل لايجور ، ومهيمن على الحق لايحيف ، إلى آخر ما يقال فى الشكوى ، فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله ، فقد صدر الامر هناك أيضاً بسجنه ، ولم يعف عنه إلا بعد شهر مع انه لم يقل إلا ما يتفق مع أصول الدين ، ولا ينكره القارىء والكاتب ، ولا الآكل والشارب » اهـ أرسل الرجل إلى الآستانه فاعتقلته السلطة الحميدية هنالك أشهراً ، بعدجعله تحت مراقبة الجواسيس زمناً ثم أرسل إلى بلده (حمص) ليكون مقيما فيها تحت المراقبة لايبرحها (و يسمى مثله فى عرف الدولة الرسمى « مأمورالاقامة ») فبقى فيها إلى أن فرّ إلى مصر سنة ١٣٢٤ و بقى فيها يشتغل بالتحرير فى المؤيد ثم فى الجريدة إلى أن أعلن الدستور سنة ١٣٢٧ فعاد إلى سوريه فانتخب مبعوثا عن لواء حماه وكان من أمره فى المجلس و بعده ما كان .

لو كان الزهراوى من طلاب المنافع الشخصية لأمكنه أن ينال منها فى عهد عبد الحميد ما نال من كانوا دونه من أرباب الأفكار وحملة الاقلام الذين استمالهم السلطان عبدالحميد وأعوانه وغمروهم بالأموال والرتب وأوسمة الشرف ، ولم يكن جهاده القانونى للاستبداد الذى انقلبت إليه جمعية الاتحاد والترقى بعد الدستور بأضعف من جهاده للاستبداد الحميدى مع الجمعية فى إبان صلاحها ومع غير الجمعية أيضاً ، نصرها فى الأيام الاولى من عهد الدستور كانصرها قبله ، وجاهدها بعد أن صار أمر الدولة كله فى يدها ، ولو كان من طلاب المنافع الشخصية لنال بمسايرة الجمعية منها ما كان يعلم انه لاينال بمعارضتها ، وما كنت أرى — وأنا فى الآستانة — أحداً من المعارضين للجمعية يرى قوتها فوق ما كانت عليه إلا الزهراوى ، كان من أشدهم معارضة لحزب الجمعية فى المجلس وفى جريدة الحضارة التى أسسها فى الآستانة ، على كونه من أشدهم اقتناعا بقوة الخصم و بعداً عن الغرور بما كان يروى عن ضعفه ،

فجملة القول فيه أنه بدأ حياته بخدمة الامة والدولة وثبت على ذلك طول حياته ، وان جعل عمله كان مع جمعية الاتحاد والترقى ، فهو بعد تلك المعارضة فى زمن المبعوثية

اعتقد أن الدولة صارت بيد الجمعية ، وأنه لا يوجد فى الأمة حزب يرجى أن ينتزعها منها ، فلم يبق من طريق لخدمة الدولة والامة الا طريقها ، وهذا الاعتقاد هو الذى حمله على قبول منصب الاعيان أخيراً كما سنبينه بالبرهان، وكان جزاؤه من الجمعية التى أفنى حياته فى خدمتها أن قتلته شر قتلة ، وأبقت جثته مصلوبة فى الشام ١٢ ساعة ، ليعلم كل عربى يراها أو يسمع خبرها كيف تكون عاقبة العربى العالم المفكر، والخطيب المؤثر ، والكاتب المحرر ، عند هؤلاء القوم الذين جعلوا من أصول سياستهم محو العربية من سوريه والعراق، وحمل البداوة على عرب الجزيرة وايقاع الشقاق الدائم بينهم الى أن يبيد بعضهم بعضا

كان قبول السيد الزهراوى لمنصب الاعيان من الحكومة الاتحادية مثاراً لاستياء جمهور طلاب الاصلاح ومحبي الاصلاح الامة العربية العثمانية وسبب سوء الظن فيه وكثر القول بأنه تحول عن سيرته التى كان عليها طول عمره فآثر منفعته الشخصية على مصلحة أمته العربية ، فتحول ذلك الجمهور الذى كان ينوه به ويصفق له الى الخوض فيه ولو كان عقل الجمهور يدرك كنه تلك الفضائل التى وصفناه بها بحق لما صدق أن مثله يتحول بعد سن الخمسين من عمره الى ضد ما ثبت عليه من أول نشأته ، وما الذنب على العامة فى ذلك وإنما الذنب ذنب خواص الاذكياء والمتعلمين الذين سارعوا الى الخوض فيه فتبعتهم العامه ، وكان يجب عليهم التروى والتثبت فى أمر هذا الحدث الجديد ألهذا العامل المستقل عذر فيه واجتهاد أم لا ؟ ثم التثبت والتروى فى الطعن بمثل هذا الرجل منهم إن ثبت لهم أنه مجرم سياسى متعمد ، لا مجتهد مصيب أو مخطيء ، فان أول نتائج الطعن فى مثله — وقل ان يوجد مثله فى طهارة سيرته الشخصية والسياسيه — هى زوال ثقة الامة من زعمائها بقياس أنزه الصادقين على أخس المنافقين ، وما أولئك الطاعنون الا حاسد ينم من الزهراوى ما يتمنى مثله لنفسه ، أو نفى ساء ظنه لسوء نيته وفعله ، أو غيور شديد العصبيه ، قليل الرويه ، يبادر الى ارضاء حميته ، ولا يحسب حسابا لعاقبة قوله وعمله

لم يكن الزهراوى من أهل الاهواء الذين يجعلون مصلحة الأمه والدوله تبعا

للأغراض ، وعرضة للعواطف والاعتقاد ، بل كان يحب العمل المبني على القواعد المعقولة والرغائب المأمولة، فلما رأى أن الاتحاديين يحاولون إصابة أغراضهم الضارة بالأمة العربية وبوحدة عناصر الدولة - بقوة مجلس المبعوثين أحب أن يحاربهم بسلاحهم فكان من المؤسسين لحزب الحر المعتدل ثم لحزب الحرية والائتلاف الذى تكون من هذا الحزب الذى أكثر أفراده من العرب، ومن حزب الأهالى الذى أكثر أفراده من الترك ، وكان الزهراوى وكيل الرئيس في هذا الحزب ،وقد ظفر هذا الحزب بالاتحاديين فجذب إليه الجم الغفير من مفكريهم وضباطهم ، ثم أسقط وزارتهم واستبدل بها وزارة مختار باشا التى لم تكن هى ولا وزارة كامل باشا التى جاءت بعدها ائتلافية ولا اتحادية ، وإنما كانتا على كراهتهما لسيرة الاتحاديين، غير متعصبتين بعروة الائتلافيين ، ولا موافقتين لهم في كل شيء ، ولذلك سهل على الاتحاديين إسقاط وزارة كامل باشا ، وقد أخطأ الائتلافيون بعدم جعل الوزارة من حزبهم

وقعت حرب البلقان في أيام وزارة مختار باشا فانكسرت الدولة فيها وألفت وزارة كامل باشا لتدارك أمر الدولة بالصلح ،وفي أثناء ذلك جاء الزهراوى مصر قاصداً الذهاب إلى الآستانة لقرب موعد فتح مجلس المبعوثين وقد أقنعناه بأن لا يعجل السفر لما نخشى من وقوع الفتن بالآستانة ،وقد وقع ما كنا نتوقعه بهجوم الاتحاديين على الباب العالى وقتلهم ناظر الحربية فيه وإسقاطهم وزارة كامل باشا والقبض على أزمة الحكومة ، ولكن صاحبنا كان يصر على السفر ، بظن ظنا كاد أو كان يسميه يقينا بأن الاتحاديين لا يلبثون أسبوعا حتى تسقطهم الأمة وتستبدل بهم غيرهم ،فأقنعناه بأن يصبر حتى تصدق الأيام ظنه أو تكذبه ، وما اقتنع منا إلا بإدلال الصداقة على أنه كان يرجع عن رأيه إلى رأي صديقه هذا كما نص على ذلك في كتابه الآتي ، وإنما صرحت بهذا لأنه من مقدمات المحنة التي أذكرها بعد نشر ذلك الكتاب .

وفي أثناء حرب البلقان تأسس حزب اللامركزية بمصر ولم يدخل هو في الحزب ، لأنه لم يكن ينوى الاقامة بمصر، وإنما رشحه الحزب لرياسة المؤتمر العربي لمكانته العلمية والاجتماعية ، وموافقته للحزب في مقاصده الاصلاحية - فانتخب رئيساً في باريس ، وعقد معه الاتحاديون ذلك الاتفاق المشهور

كان فى مدة إقامته فى باريس أيام المؤتمر وبعدها يكاتب حزب اللامركزية ويعمل برأيه ، ولم يسافر إلى الآستانة إلا بعد إذنه ، فقد استشار الحزب بغيره بين مصر والآستانة ، وكان هو يرجح الثانية والحزب يرجح الأولى ، وكان يكتب من الآستانة إلى رئيس الحزب كل مايدور هناك فى مسألة اعطاء العرب حقوقهم من الاصلاح والوظائف ، ويكتب إلى صديقه (كاتب هذا) مثل ذلك ، وماوراء ذلك مما كان يكتمه عن البعض أو عن كل أحد كما يعلم من كتابه المطول الآتى .

كان من فضائل الزهراوى الشخصية التى تعد عيوباً فى السياسيين أنه لحسن نيته وصفاء سريرته يبالغ فى حسن الظن بكل أحد يظهر له إرادة الخير والحق ، فلما قال له الاتحاديون انهم يعترفون بما كان من خطأهم فى تنفير العرب منهم وفى محاولتهم تتريك جميع العناصر العثمانية وانهم يرغبون فى اصلاح ماأفسدوا فى ذلك لتوقف تجديد قوة الدولة عليه ــ صدقهم فى ذلك لانه معقول عنده ، وعند توجيههم منصب الاعيان إليه على ما كان من شدة معارضته لهم برهاناً على صدقهم ، وصار يرى أنه ينبغى لطلاب الاصلاح المخلصين أن يمدوا أيديهم إليهم ويساعدوهم على الاصلاح ، وانهم إذا أحجموا حل محلهم المنافقون وطلاب المنافع ، وكان متفقاً مع صاحبه عبد الكريم الخليل على ذهاب صاحب المنار ورفيق بك العظم إلى الآستانه لهذا الفرض . أما أنا فكان يغلب على ظنى أن جعله من الأعيان أحبولة يريدون بها اصطياد المخلصين من طلاب الاصلاح فى خارج المملكة ليفتكوا بهم بعد جلبهم إليهم جملة واحدة ، وأن وجوده وحده هنالك واق له ، وفيه فوائد منها أنه تجربة للاتحاديين وحجة عليهم

قبل منصب الاعيان بتلك النية الصالحة من غير مشاورة للحزب ولا لأحد من أصدقائه ، وإنما أخبرنا بما كان وبنيته فيه ، فلمناه على تعجله ، ولكن الحزب أجاز عمله ، واتفق الرأى على أن يمضى فى هذه التجربة ، وأن لا ينضم إليه أحد من المقيمين خارج المملكة ، وكان أول ما كتبه إلىّ فى ذلك قوله من كتاب مؤرخ فى ٦ صفر سنة ١٣٣٢ (٦ يناير سنة ١٩١٤) ما نصه :

« أخوكم عين بعون الله وعنايته عضواً لمجلس الاعيان فبشرونى بأنكم راضون

من قبولى بها ، والله يشهد إنى إنما قبلت لاتمام العمل وتعلمون قلة الرجال عندنا ياأخى ، يعترضنى بعض المعجلين فالامر فى هذا متروك لحكمتكم وهمتكم . بل أرى ان تقديم شكر الصدارة يكون مؤيداً لاتمام العمل ، ومن الله سبحانه التوفيق »

وقد كتب الى الحزب بنحو هذا فأجيب طلبه لان غرض الحزب الاصلاح لا المشاغبة ولاعداوة الدولة ، ولكن لم يكن يحسن الظن بالاتحاديين أحد وقد دار بيننا وبين هذا الصديق فى هذه المسألة وما يتعلق بها مكاتبات ومعاتبات لم تخل من عدة مغاضبات ، وانى انشر الآن منها كتابا مطولا كتبه فى ١٦ صفر سنة ١٣٣٢ وكتب فى أعلاه « مكتوم كله من كل أحد » وهذا نصه بعد العنوان

﴿ كتاب سرى من السيد الزهراوى ﴾

سيدى الأخ الرشيد الولى الحكيم المجيد

تحية من الله ومن أخيك ولا برحت المكرمات تحييك لقد عظم شوقى أيها الاخ ومضت الايام وأنا أمنى النفس بقرب التلاقى وما زلت راجياً ذلك

يظهر ياعزيزى أن عتبك على تأخرى هنا عظيم عرفت هذا من كتابك الى الاخ الاستاذ . . . ويظهر أن قطعك الكتاب عنى عمد ، استنبطت هذا من طول مدة القطع ، وقد حملت هذا على كثرة عملك التى أعرفها ، ثم تذكرت ماأعهد من وفرة نشاطك والحمد لله ، وأن كثرة عملك مع تلك الوفرة من النشاط لاتقف فى سبيل ماتعزم عليه ، فاستنتجت من هذا القياس ـ سامحنى الله على رأى ابن حزم ـ أنك تعمدت عدم العزم فى الكتابة أو عزمت على عدم الكتابة وقد ظهرت هنا شائعة أن اللامركزيين فى مصر مشمئزون من بقائى هنا ، وأنهم قطعوا علاقتهم بى ومكاتبتهم لى ، أنا لم أصدق هذه الشائعة وانما خشيت أن يكون بعض المجولين هناك يصرح ثمة مثل هذه التصريحات وكدت أخشى أن يكون . . . مثلا قد شاهد شيئا من تأففكم لتأخرى فبنى على مشاهدته كلاما كتبه الى بعض معارفه هنا فشطر عهنا وخمس

هذه كلها ظنون وأستغفر الله تعالى منها ، وأرجوكم مسامحتى عليها ، ومن الشرح يظهر لكم سر تقديمها بين يدى هذه التفاصيل المهمة التى جاء أوانها :

كنت قد فصلت لكم إذ جئت باريس كيف وجدت أمر مؤسسي فكرة المؤتمر فوضى وكيف تعبنا في ستر الأمر وإيجاد المؤتمر مرونقا بتوفيق من الله تعالى فوق المأمول، وبعد انقضاء المؤتمر تفرق الجمع الذي لفق تلفيقا ، ثم بعد قليل نفد صبر البيروتيين فذهبوا إلى بلادهم عن طريق استانبول ، وبقيت ياعزيزي وحدي أمثل الفكرة ، وبقي خليل زينية وأيوب ثابت وهما لم يرشفا من مشرب الجامعة العربية ولا قطرة واحدة ، حتى ولا من الجامعة السوريه ، وإنما همهما بيروت وحدها لاشريك لها ولكن لأنها متعلمان سايراني وسايرتهما وتواددنا جهداً حتى سفري ؛ ولم يكن مثل هذا التواد ولا ربعه بينهما وبين رفقتهم البيروتيين المسلمين

لو عجلت تلك الأيام ورجعت على الفور إلى مصر لبقيت المسألة مقطوعة بتراء ، إذاً يكثر استهزاء الأفراد والجماعات والأقوام بأشخاصنا وبجماعتنا وقومنا ، لكن الله سبحانه سلم من هذا ، وأقدرني على الصبر هناك ممثلا للفكرة مدة خمسة أشهر - وما هي بالقليلة ولا الكثيرة - ونعمت المدة كانت ، وقفت فيها على كثير ، وعظم فيها اختباري لأوربا ، وما أحوجنا إلى مثل هذا الاختبار - جئت بعد ذلك إلى استانبول لأرى ما جد فيها لأن المعرفة بالقديم لا تغني ، والمعرفة عن بعد كثير من مآخذها غير صحيح ، وما أضر العلم المبني على مأخذ غير صحيح

بعد وصولي بقليل عرفت كثيراً من الاحوال الحاضرة هنا ، وبعد مدة أخرى عرفت اكثر وكدت أظنني اكتفيت وأحطت كل الاحاطه ولكن الآن تبين لي أنه لولا الصبر والتأني اللذان مكنني الفاطر سبحانه منهما لرجعت بمعرفة غير كافية ولذلك أصبحت لا أجسر أن أقول تمت إحاطتي وإنما أقول أصبحت يجوز لي أن أفصل وأشرح بشيء من الطمأنينه ، وان تأخير هذا التفصيل والشرح كان أنفع وجاء اليوم في وقته .

الشرح ههنا يتعلق بثلاثة مواضيع (أو موضوعات) (١) أوربا والعثمانية (٢) الاتحاديون وغيرهم (٣) رجال الاصلاح الحقيقي وأبناء العرب هنا وفي الجهات الأخرى. واني أبدأ لكم بالأول اقتصر البحث فيه وأشفع بالثاني وأخرت الثالث لطوله وطولته لتوقف التفاهم وكثير من أعمالنا على الاحاطة بهذه الحقائق المشروحة فيه

(أوربا والعثمانية) لقد كشفت أوربا آخر ستار من ستر السياسة في المسألة

العثمانية وقررت التداخل في سائر شئونها وإنما لايزالون مختلفين بعض الاختلاف في كيفية هذا التداخل وكميته وصورة توزيعه فيما بينهم ؛ وليس في أوربا اليوم موضوع مقدم على هذا الموضوع ، ولا يمضى ثلاثة أشهر حتى تتمخض الليالي فتلد ذلك الشكل الجديد الذي يتفقون عليه ، والذي أظنه ان الدولة ستبقى بعد ذلك وتعيش أحسن مما كانت عائشة لأن بعض التداخل طب ولست مغاليا إذا ذهبت إلى أن الموت أقرب إليها مع عدم التداخل البتة منه مع شيء من ذلك ، فانا إذا قلنا بعدم التداخل البتة فحينئذ تخلق كل واحدة سببا لانشاب الحرب عليها فتؤخذ بداء السكتة دفعة واحدة .

الاتحاديون وغيرهم : الاتحاديون معروفون فمن غيرهم ؟ لايوجد الآن حزب سياسي آخر إلا أن يكون خفياً ولم أشم شيئا من هذا ، وحينئذ لانجد مقابل الاتحاديين إلا جماعات الأجناس كجماعات الروم وجماعات الأرمن وجماعات العرب

نعرف أن للروم جماعات وللارمن جماعات فهل للعرب مثل هذا ؟ هلم ننظر :

أولا - الروم كلهم جماعة واحدة برأسهم البطرك ولكيلا يستبد ربطوه بمجلسين روحاني وجسماني ، وهكذا الأرمن ، أما العرب فليس لهم مثل ذلك وثانياً الروم والأرمن لهم جمعيات سياسية منظمة مرتبة خفية وليس للعرب مثل ذلك ، اللهم إلا جماعتنا في مصر وجماعتنا في بيروت ، إذن غير الاتحاديين هم الروم والأرمن وجماعتنا في مصر وجماعتنا في بيروت .

فالاتحاديون هم أولياء الأمر مباشرة وهم اليوم يتسلحون بعزائم شديدة ماضية وناوون نية قاطعة أن يجددوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف ، ويشتهون أن يخلص اليهم العرب ويساعدهم فضلاؤهم في هذا السبيل ، ويعترفون بخطيئاتهم الماضية وينوون أن لايعودوا إلى مثلها بقدر الامكان ، أنا مؤمن بنياتهم وأقوالهم هذه كل الايمان لأدلة كثيرة ظهرت لى ، ولكنني مرتاب من جهة قابليتهم لتطبيق العمل على النية ، وعلى كل حال أرى أن عدم تركهم وعدم خبهم من تركهم ، ويرجى به أن تقوى قابليتهم ، فان شئتم أن تخطئوني بتحسين الظن إلى هذه الدرجة - كما أشرتم إلى ذلك في كتاب ... فاني لا أخطئكم بالصحافة لأني أجل رأيكم أكثر

من رأيي ، وإنما أرجو أن يكون في خطأي شيء من البركة ، أرجو ذلك من مصداق قوله سبحانه « فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيرا » .

هذا وصف الاتحاديين بما هم عليه اليوم . أما الروم فقد غلوا في المملكة وقصاراهم أن يحافظوا على ما بيدهم من امتيازات البطركية وحق المبعوثية وسيقل الالتفات اليهم ، وأما الارمن فهم اليوم آلة بيد روسية وسيتم طرف المبعوثية حظ قريب مما يأملون ، وأما نحن معشر العرب فان أخاكم الآن يعتبر ممثل جماعتنا وقد فصلت ما تم على يدي في الكتاب الذي أرسلته الى الاخ الرفيق في البريد الماضي وههنا ما أزيد

(٣) رجال الاصلاح الحقيقي وأبناء العرب هنا وفي الجهات الاخرى :

ما أظنكم - استغفر الله - ما أعتقد أنكم في حاجة الى بيان أن رجال الاصلاح الحقيقيين غير كثيرين ، وما أعتقد أنكم تعرفون منهم أكثر من ثلاثة أربعة ، أعني رجال الاصلاح الحقيقيين من جمعوا في موضوع الاصلاح بين صدق النظر وصدق العمل ، من كثرت تجاربهم ومرنت رويتهم وصحت عزيمتهم وشهد ماضيهم ، من كثر اختلاطهم بمختلف الطبقات ، ووقوفهم على متباين النزعات ، وصبرهم على متنوع العقبات ، من امتزجت روحهم بحب النظام الذي يحبه الله وكره الفساد الذي يكرهه الله ، وامتزجت سيرتهم بأخبار معامع الجهاد الاصلاحي . من اشربت أفكارهم فهم معنى الرابطة وأفئدتهم حبها وتعشقها . فنحن لقلة هؤلاء نقف أمام حاجتين عظيمتين - الحاجة الى تكثيرهم ، والحاجة الى اشتغال هؤلاء مع من ليس من جنسهم وطبيعتهم . ثم نحن مع قلتهم وصعوبة اشتغالهم مع غيرهم أمام مشكلين عظيمين ، الاول السبات الذي الامة فيه والثاني الجشع الذي أوربا فيه

أترك تفصيل هذا الاجمال لحكمتكم وحسباني في كل موضوع ، وآخذ الآن بحكاية حال أبناء العرب هنا لانكم علقتم الأمل مرارا على صنف منهم ههنا

العرب هنا ثلاثة أصناف : متاجرون ومتعلمون ومأمورون ، فالصنف الاول لا في العير ولا في النفير من جهة السياسة والاصلاح ، ثم هو في غاية القلة ، والصنف الثاني أولاد في ناشئة العمر لا يليقون للسياسة ولا تليق لهم ، والصنف الثالث أربعة

أقسام الضباط والمأمورون المنصوبون فى بعض الوظائف والمأمورون المتقاعدون المقيمون هنا والمأمورون المعزولون الذين جاءوا لينصبوا :

فأما الضباط فلا تجربة لهم فى هذه المسائل البتة والأولى عدم دخولهم فيها فان هذه التجربة القليلة التى سأقصها الان زهدتنى فى كل سياسة يشترك فيها الضباط منا : ذلك أن .. ناقم اليوم على الحكومة فيشتهى لاجل هذا زعزعة الدولة ونسفها نسفا ، وهو لاجل ذلك ناقم على ائتلافنا مع الحكومة ومضاد له لانه على زعمه يؤخر حركات العرب ، ولا أدرى ماهى حركات العرب وأين تسير وأين ترمى وهذا يجتهد أن يجمع حوله بعض أولئك الاولاد وينفرهم منا ومن صنيعنا ولكن لاينجح بحوله تعالى ، ومن جهة أخرى هو يحافظ على ظاهر الصداقة بيننا ، وقد أردت اختباره فوجدته يجنح إلى مصالحة أولياء الأمور وحينئذ يرضى عن كل شىء فانظر يا عزيزى الى الذين يعدون أنفسهم فى مصاف رجالنا .

أما المأمورون المتقاعدون فمثلهم كمثل العجائز لايرضيهن شىء ولا يستطعن عمل شىء .. وأما المأمورون المنصوبون فلا همهم الا حفظ المنصب

وأما طلاب المأموريات فجياع مساكين لا يفهمون من الاصلاح الا المأمورية ، إن جاءت فقد جاء الاصلاح وإن لم تجىء فقد منع الاصلاح ومن هذا التفصيل يظهر لك أن العاصمة فى حالتها الحاضرة ليس فيها أبناء عرب تستطيع جماعتنا أن تعتمد على أحد منهم ، أو أن تعمل صلة ورابطة مع أحد منهم ، اللهم الا أن يكون (فلان وفلان) وكل ماأخبركم منه (فلان) فهو سراب بقيعة جاءه أخوكم الظمآن فلم يجده شيئا . وبعض أولئك الاولاد يحسدون الشاب عبد الكريم وبعضهم لم يتمكن من انالتهم أربا لأبيهم أو أخيهم أو ابن عمهم مثلا ، فمن هنا أكثروا عليه من قيل وقال وكله هراء وهواء

وأما العرب فى الجهات الاخرى فهم أهل سوريه وأهل العراق وأهل الجزيرة الخلص فالسوريون والعراقيون حضر قد ألفوا الذل وتعودوا الاستخذاء والاستكانة لايفهمون ولايريدون أن يفهموا ، لايساعدون ولاينوون أن يساعدوا ، الايهبون ولا يروق لهم أن يوقظوا . وأما أهل الجزيرة الخلص فهم الاهل وقام الله الخير

وشد سواعدهم، أولئك يجب وصل الرابطة بهم من غير أن نقطعها من الحضر على قلة فنائهم . وقد فهمت من كتاب الأخ (فلان) كثيرا واستنبطت كثيرا ولو كان فى وسع البشر أن تتوزع أرواحهم على أمكنة متعددة لكانت روحى أوزاعا على اليمن وعسير والحجاز ونجد وحضرموت ولكن نظرية الصوفية فى هذا الباب لايمكن تطبيقها(١)

أنظر ياعزيزى أنا لازم لهناك كما تشير ولازم الى هنا فان هنا محل عمل ليس بقليل ، فانى أرجو أن يكثر بوجودى هنا عدد رجالنا الذين يعتمد عليهم فان رضيت من هذا الرأى فعليك عملان معجلان وعمل يمشى مع الزمان وأنا معك فيه على بعد المقر ، فالاول من المعجلين تبشيرى بتلغراف من رضائك خاصة وهو الاهم ، ورضاء الرفاق عامة وهو مهم، والثانى منهما حملك الرفاق على تقديم تلغراف للصدارة يحبذون فيه هذا التعيين ويجعلونه دليل إقدامهم على تنفيذ الرغائب كلها بعبارة رقيقة تشويقية ، أما الثالث فهو ما بيننا من أمر إيجاد الرجال الذين يعتمد عليهم وتوزيعهم بقدر مايساعد الزمان والمكان لبث الاصلاح العلمى والعملى

وإن لم ترض عن هذا الرأى فاكتب الى مفصلا ومبينا كل جهة من جهات الموضوع ، وأنا من عهدت من يدع رأيه أخيرا الى رأى وليه . . .

هذه هى الخلاصة المفصلة وإليك خلاصة الخلاصة ، وهى أن اليأس لايجوز بحال من الاحوال ، ولكن الأمة فى كل أطرافها ليست بحالة يعتمد عليها فى شىء وأنه مع هذا لايجوز اهمالها ، وكذا لا يجوز اهمال من بيدهم أمر المملكة وتركهم وحدهم، وأنه لابد لنا من رجال ههنا، وأن أكثر مايتصرف به الرواة من الاخبار غير صحيح ، وإنى منتظر أمركم بسرعة ، وأن شوقى عظيم

والسلام على الأخ السيد صالح وجميع المعارف سلم الله تعالى الجميع ؟

عبد الحميد الزهراوى

---

(١) كنت كتبت الى الأخ الذى أشار اليه ثم اليه هو أن عرب الجزيرة هم صفوة العرب وأعظمهم استعدادا فان كان هنالك اصلاح ورقى فيجب أن يكون لهم حظهم وأن نعتنى بشأنهم أكثر من غيرهم

(المنار) من هذا الكتاب وكتب أخرى بمعناه يعلم رأى الرجل الذى بنى عليه اجتهاده ، ومنه أنه مؤمن بحسن نية الاتحاديين ، وبحبهم الاتفاق مع العرب ، وبهذا كان يحاول إقناعنا ، ولم يكن يخفى هذا على الاتحاديين ، ولذلك نجزم بأنهم قتلوه لأنه من أنجب نجباء العرب لا لذنب آخر (والله عزيز ذو انتقام)

وإنما نشرت هذا الكتاب السرى من كتبه بنصه فلم أحذف منه إلا أسماء الأحياء ليكون حجة على فريقين من الناس - فريق الذين قد يظنون أن الاتحاديين ما قتلوا مثل هذا السيد الجليل بعد أن رفعوه إلى مقام الأعيان إلا لأنهم عرفوا له ذنباً كبيرا كالخيانة للدولة أو الجمعية المتصرفة فى الدولة . وفريق الذين ظنوا أنه خان قومه العرب بتركه الدفاع عن حقوقهم بمنصب الاعيان الذى رشاه به الاتحاديون ، وإنما يتم ظهور هذه الحجة ، ببيان ما كان بينى وبين هذا الصديق الصدّيق من الصلة والرابطه

يرى قارىء كتابه أنه قال لى فيه عن نفسه « وأنا من عهدتَ من يدع رأيه أخيراً إلى رأى وليه » وقد أشرت إلى هذه الكلمه فى المقدمه التى قدمتها على هذا الكتاب وأقول إنه يعنى بهذا اننى إذا حتمت بعد المناقشه معه فى الموضوع وجوب تركه لمنصب الأعيان واشتغاله بعمل آخر فى غير الاستانه فانه يقبل ذلك .

وقد كانت طريقتنا فيما يختلف رأينا فيه أن يدلى كل منا بحجته ، فمن نهضت منا حجته قبلها الآخر ، فاذا لم ترجح إحدى الحجتين وكانت المسألة مما يترتب عليها عمل يرجع هو فى العمل إلى رأى أخيه . ويدل على مكانة هذا الاخ عنده جعله رضاه عنه فى هذا الامر أهم من رضاء الحزب الذى كان سبب ذلك ، وهو صادق فى قوله هذا وقوله ذاك لا ريب عندى فى صدقه ، وما قلت هذا فى بيان كلمته إلا ليعلم المطلع عليه أن الرجل لو كان يكذب ويخدع لم يكن يكذب على ولا يخدعنى ، ولو كان يفعل ذلك لحاول إرضائى بأنه يعامل الاتحاديين بمثل ما يعاملوننا به من الخلابه السياسية ليستفيد منهم فى طور ضعفهم وحاجتهم إلى استرضاء العرب بعض الحقوق ، وما كان يكتب إلى - وهو معتقد اننى ساخط عليه ، ومعتمد تركه الكتابة إليه - انه مؤمن بحسن نية الاتحاديين وصدقهم فى هذه المرة ، ولكنه كتب

هذا وهو يعلم أنى أعده مداجة منه وغلواً فى حسن الظن

وأزيد على هذا انى عاتبته على بعض ماجاء فى هذا الكتاب وغيره عتابا شهلا جاءت فيه كلمة جارحة فكتب إلىّ رقعة أودعها كتابا له قال فيها مانصه :

« كلمات بيننا »

« فى كتابكم الاول كلمة لا أكتم عنكم أنها كسرت قلبى ، إذ لو كتمت هذا لكان خيانة للاخاء النظيف الصافى ، ذلك أنكم بنيتم على نظرية إغراقى بحسن الظن بالقوم أن هواء الآستانه طمس على عقلى وقلبى

« أخوكم ياعزيزى قد عرفتموه بعد أن كان عاش فى هذا البلد سنين ، وعرفتموه فى الاستانه نفسها ، فلولا ذلك لرجعت الى نفسى لأرى تغلغل أثر البوسفور فيها

« ولكن كما لم أكتمكم هذه الحقيقة أتحدث أمامكم بما من الله تعالى به من حل حدتكم القلمية هذه على مايشبهها من حدتكم اللسانية التى نأنس بها أنسنا بحلمكم الذى هو أغلب وأصدق دلالة على كرم قلبكم . على انى أؤكد بشرفكم أن انكسار القلب الذى أشرت اليه كان آنياً وأعقبه تذكر حقيقتكم العالية . أما تأخير كتبنا فقد كان عاماً حتى شمل الوالد ، فلا تحملوه على ذلك السبب ولكن أبى كرمكم إلا يطيب القلب فأخصكم بشكر على هذا » اه

فمن كان بينهما مثل هذه الحرية فى الخطاب والعتاب لا يغش أحدهما الآخر لو كان من دأبهما الغش . وأحمد الله تعالى انى لم أبتل بهذه الرذيلة ، وانى أبرىء منها صديقى الشهيد السعيد كما أبرىء نفسى .

هذا وانى لم أكتف بما دار بينى وبينه قدس الله روحه من المكاتبات فى هذه المسألة بل دعوته إلى زيارتنا بمصر فأجاب ، وكنت أعقد معه مجلسين للمناقشة فى كل يوم وليلة : مجلساً قبل النوم ومجلساً فى الصباح . فرأيته بعد ذلك كله معتقداً أن الاتحاديين عازمون على إرضاء العرب ، وأنه يجب مسايرة العقلاء منا لهم على ذلك ، واننا ننال بهذا من الحقوق ما لا يرجى أن نناله بالسعى مع مجافاتهم

وقد وافقته على بقائه فى منصب الاعيان والاستمرار على هذا السعى لانه إما أن ينفع وإما أن لا يضر

المشانق فى سورية – شنق الزهراوى

جاء فى جريدة الأهرام تحت هذا العنوان مانصه :

تلقت المقطم (؟) التي يوثق بروايتها أن السيد عبد الحميد الزهراوى حوكم فى دمشق أمام المجلس العسكرى فحكم عليه بالموت شنقا فشنق . ولربما خفف من لوعة الاسى عليه شنق من تقدموه من عظماء الأمة السورية وأمراء المسلمين على وجه التخصيص كالأمير عمر الجزائرى ابن الأمير عبد القادر وشفيق بك المؤيد من أكبر رجال سوريه ورشدى بك الشمعة من صفوة أعيانها وشكرى بك العسلى وعبد الوهاب بك ومحمد المحمصانى وسليم بك الجزائرى وعبد الغنى العريسى الخ ولكن الزهراوى كان يمثل طائفة خاصة وفكرة نابتة وحياة جديدة تتراوح بين طائفة علماء الدين الاسلامى وغيرها من الطوائف الراقية، والبحث فى شؤون طائفة الزهراوى فى سورية وبلاد العرب من المباحث الخطيرة الجليلة التى تبين الصلة بين الماضى والحاضر والقديم والحديث ، بل تظهر التدرج الذى كان ينتظر على يد أولئك الذين أزهقت الحبال أرواحهم، وأودت بعلمهم وعلمهم ، وأماتت غرسهم قبل أن ينبت وما نبت منه قبل أن يزهر ويثمر

فالمسلمون فى سوريا تأخروا عن إخوانهم النصارى واليهود والدروز فى طلب العلم . لأن القدماء من أكابرهم وأغنيائهم كانوا يعتقدون أن طلب العلم إنما يراد لطلب الرزق ، والوجيه الكبير المتوافر رزقه كان يعد من العار على أبنائه أن يطلبوا العلم للارتزاق « من شق القصبة » وضاعف فى ذلك أن المدارس كلها كانت نصرانية ، إما للأجانب وإما للمسيحيين الذين تأدبوا بآداب الاوربيين فحذوا حذوهم وساروا فى العلم سيرتهم . وقد لقيت هذه الفكرة تشجيعا من الحكومة بل ربما غرست الحكومة نفسها هذه الفكرة فى الصدور حتى يظل المسلمون على حالهم فلا يطلبون إصلاحا ولا يطالبون بحق، وليس للمسيحيين وسواهم ممن يتعلمون تأثير أو نفوذ لأنهم الاقلية ، ولهذا السبب لم يتمتع أحد من أبناء مسلمى سوريه بذلك الانعام الذى أنعم به ابراهيم باشا بن محمد على باشا على لبنان وسورية بأن يعلم طائفة

منهم في مدارس مصر العالية، وانحصرت تلك النعمة حتى عهد الاحتلال بأبناء المسيحيين السوريين وحدهم

وظلت الحال على هذا المنوال ولا مدارس ولا مكاتب للمسلمين في سورية حتى ان دخل أوقاف المدارس والمكاتب فيها كان يجبى للآستانه إلى أن زاد احتكاك القوم بالاوربيين ورأوا بأعينهم ومسوا بأيديهم فائدة التعليم فطلبوه لابنائهم إما في مدارس الاجانب في بلادهم، وإما في مدارس الاستانه، حتى ان بعض طلبة العلوم الدينيه سبقوا إلى ذلك سواهم أو ماشوهم في هذا السبيل ولكن على غير رغبة الحكومه وإرادتها، فكانت تسبغ النعم على من يذم العلم وعلماء الاجانب كالشيخ النبهاني الشهير بذم مدارس النصارى.

ومن هؤلاء الطلبه الدينيين السيد عبد الحميد الزهراوي من أشراف حمص وسلالة بيوتها الكبيرة. بدأ علمه في بلده وأتمه في الاستانه، وتعلم هنالك من السفطاء الترك الاهتمام بالشؤون السياسيه والاجتماعيه، فكان أول ظهوره برسالة ألفها في المعتقد الديني لم ترق في عيون مشايخ الطرق، فسعوا به إلى السلطان عبد الحميد حتى نفاه وأقصاه إلى دمشق [1] ولكن الوسطاء توسطوا له — وكان الظلم في ذلك العهد يدفع بالوساطة خلافا لما نراه اليوم — فتركه حراً، وأطلقه من كل قيد، فعاد السيد الزهراوي إلى الاستانه واشترك بالمظاهرة الودية التي قام بها فريق من العلماء والكتاب أمام السفارة الانكليزية بعد انتصار الانكليز على البوير في الترنسفال، فلم يغفر له ولرفاقه السلطان عبد الحميد تلك المظاهرة لا لانهم هنأوا انكلترا بنصرها بل لانهم مثلوا الامة العثمانية والشعب ولم يكن يغضبه أمر كهذا الامر، حتى أن رقباء الصحف والمطبوعات (المكتوبجيه) حذفوا من قواميس اللغة كلمة (وطن) و (شعب) و (أمة) و (جمهور) الخ وما شاكل ذلك من الالفاظ، فصبر السلطان على أولئك المتظاهرين مدة ثم فرق شملهم وأرسل كل واحد منهم إلى جهة إلى أن تمكن السيد الزهراوي من الفرار إلى مصر كما فر قبله السيد عبد الرحمن الكواكبي وكل حر في تلك البلاد من عربي وتركي وغيرهم

---

١) «المنار» الصواب في هذه المسألة ما بيناه في هذا الجزء

ويمتاز الزهراوي وأمثاله من رجال الدين المصلحين على سواهم من المصلحين أنهم خير صلة بين طوائف الشعب وفرقه فهم يحترمون التقاليد المقدسة لكل طائفة وهم في الوقت ذاته يؤيدون المصلحين في إصلاحهم، فقد كانت طائفة الإسماعيلية في سوريه تجمع العشور والنذور وترسلها الى أغاخان في الهند لأن معتقدها ومذهبها يقضي عليها بذلك، فحدث بعد إعلان الدستور أن هذه الطائفة الصغيرة جمعت مالا يبلغ قيمته نحو عشرة آلاف ليرة فصادرتها الحكومة ولكن السيد الزهراوي الذي كان يومئذ من أعضاء مجلس النواب انتصر لتلك الطائفة وقاوم الحكومة وجاهد في هذا السبيل حتى قرر مجلس النواب أن تنفق تلك الاموال في تعليم تلك الطائفة ولا تصادر لخزانة الحكومة كما فعلت وزارة الداخلية ولكن القرار لم يتجاوز الورق

وكان السيد الزهراوي يقول باتحاد الطوائف العربية بعامل اللغة والمنفعة والاصل والسلالة فأنشأ جريدة الحضارة لهذا الغرض، وكان من محرري جريدته رزق افندي سلوم الذي شنق في دمشق وهو فتى من حمص كان قد ترهب ولكنه خلع ثوب الرهبنة وسار على آثار مواطنه بهمة ووحد الاثنان كلاهما في هذا السبيل فكانهما جمعا لسانين دينيين على دعوة واحدة وطنية وكان الزهراوي ككل أديب في بلاده اتحاديا بحتا على مذهب الاتحاديين الأولين الذين نالوا الدستور « للاتحاد والترقي والاصلاح » ولكن لما ذهب أولئك الاتحاديون الأولون ومزق شملهم وخولفت مبادئهم ومذاهبهم اتفق مع الخوجة شكري أفندي الذي توفي في مصر منذ عهد قريب على تأليف حزب الاهالي، ثم ضمت الفرق كلها وأنشئ منها حزب الائتلاف على قواعد ومذاهب فرقة الاتحاد والترقي كما كانت في عهد زعامة صادق بك واخوانه وأقرانه، إلى أن فشلوا في مهمتهم فوجه نظره شطر العرب حيث لا أحزاب ولا فرق بل مطالب اصلاحية قاعدتها انتفاع البلاد بما يجبى منها من الضرائب وباوقافها، فرأس المؤتمر العربي الذي عقد في باريز – لانه لم يسمح لهم بعقده في بلاد الدولة – وهنالك كتب الوثيقة المشهورة مع مندوبي الاتحاديين وعاد الى الآستانة مع رسول الاتحاديين عبد الكريم قاسم الخليل الذي كان أول المشنوقين في سوريا والهادي الذي تلاه والشيخ أحمد طباره الذي حكم عليه بالاعدام، فعين الزهراوي

فى مجلس الأعيان إلى أن شنق

ومما امتاز به هؤلاء جميعا شدة عصبيتهم العربية ، وشدة عصبيتهم الجنسية العثمانية ، حتى كان الزهراوى يقول عند ذكر مطمع دولة من الدول فى أملاك الدولة العثمانية « ان هذا ينال منا بعد أن تزهق أرواحنا » وله فى ذلك مناضبات شديدة مع أصدق أصدقائه (الصواب مع بعض معارفه لا أصدق أصدقائه)

نقول هذا لا تأبينا للسيد الزهراوى بل بيانا للحقيقة عن تلك البلاد وأهلها وميول زعمائها الذين ذهبوا جملة للجزيرة إلا أنهم طلبوا إصلاحا يقيهم البلاء واتقاء مطامع الطامعين فى أرضهم وبلادهم ، حتى أن الشيخ أحمد طباره لما عاد من أوروبا غير ممزوج سياسته وبعد أن كان يتمضض لذكر المدنية الاوروبية أخذ يكتب ويحث أمته على الاقتباس من محاسنها فكان يكرر قوله : « إنا لا ننتقد بلادنا ووطننا الا بالسير على مناهجهم » تلك طائفة ذهبت اليوم ولكن لهذه الطائفة مذاهب ومبادئه إذا بقى فى قومها وعشيرتها من يحبها ويعمل بها قد تكون نتيجتها خيرا وإلا فقد ذهبت الرؤوس وبقى القوم كالقطيع من الأغنام بدون راع تساق فتسير إلى حيث يرادمنها لا الى حيث تريد لأنها بعد قطع رؤوسها باتت بلا إرادة

(المنار)

هذا مانشر فى جريدة الأهرام عند وصول نبأ شنق السيد الزهراوى إلى مصر وفى بعضه نظر أو إبهام ، تختلف فيه الافهام ، وقد رأينا من حق صديقنا رفيق رزق سلوم الذى ذكرته الاهرام فى كلامها عن السيد الزهراوى أن نقول فى نشأته كلة وجيزة تحفظ فى تاريخه ويظهر بها سبب شنقه وشنق جورج الحداد من شبان نصارى سوريه مع من شنق من زعماء المسلمين ونابغيهم بتهمة السياسه العربية

﴿ رفيق رزق سلوم المحامى ﴾

نبت هذا الفتى فى بيت من أكرم بيوت الروم الارثوذكس فى حمص وتلقى التعليم الابتدائى فى إحدى مدارس الطائفة فيها ، ثم أرسل الى دير البلمند بالكورة (لبنان) فألبس لباس خدمة الدين ودخل مدرسة الاكليريكية ولكنه لم يخلق

مستعداً للرهبانية والخدمة الكنيسية ، وإنما خلق كبير الاستعداد للحياة الاجتماعية السياسية ، فلم يتم مدة المدرسة بل خرج منها ودخل المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت ، ثم سافر إلى الآستانة بعد الانقلاب العثماني فدخل أحد مدارسها الاعدادية ثم مدرسة الحقوق وقد أخذ الشهادة الدراسية منها واختار أن يكون محاميا

كان رفيق مريدا وتلميذا للزهراوي في أفكاره الاجتماعية ، عاشره فعلم منه وهو أنبغ رجل من أشرف بيت في حمص أن في مسلمي البلاد فئة تسعى للاصلاح الوطني سعيا لا شائبة فيه للعصبيات والاحقاد الدينية ، ولما جاء الاستانة بمساعدة الزهراوي رأى جمهور طلبة المدارس الرسمية العالية وكلهم من المسلمين على هذا المشرب الذي شرب كأسه الأولى من يد الزهراوي فانتظم في سلك أعضاء المنتدى الأدبي وانتخب وكيلا للرئيس فيه ، وكان حظه من اللغة العربية أوفر من حظوظ جمهور إخوانه أعضاء المنتدى الذين لم يتعلموا شيئا في عهد مدارس الدولة ، فكان خطيباً مفوهاً وشاعراً مؤثرا ، ورغبه السيد الزهراوي في الكتابة إنشاءاً وترجمة وكان يصحح له ما ينشره في جريدة الحضارة فحسنت كتابته

تمكنت النزعة العربية من نفس هذا الشاب المهذب بما كان يسقى غرسها في نفسه بما كان يسمعه من كلام مدرسي الترك وطلابهم في مدارس العاصمة من الحث على العصبية التركية ، وما يقولون في العرب والعربية ، وما كان يقرأه في جرائدهم وكتبهم ، وما يقف عليه من أخبار جمعياتهم ، فكان يقابل غلو متعصبي الترك بجنكيزخان وهلاكو خان المفسدين الذين دمرا المدنية العربية الاسلامية بنظم القصائد في مدح النبي العربي الأعظم ﷺ وإنشادها في احتفال المولد النبوي الشريف في المنتدى الأدبي ، فهذا هو السبب الحامل لجمال باشا السفاك الأعادي على شنق رفيق رزق سلوم مع السيد الزهراوي واخوانه وأخدانه من مصلحي العرب ، ولا نعلم له ذنبا إلا هذا ، فانه قضى حياته السياسية كلها في الآستانة ، وكان على رأي أستاذه الزهراوي في وجوب السعي إلى ترقي العرب في حجر الدولة العثمانية . وكان جورج حداد على هذا المشرب أيضاً . ولكنه كان من أعضاء حزب اللامركزية ، وكفى بذلك ذنبا عند جمال باشا يقتضي القتل والصلب

البلاغ الانكليزى الرسمى

فى شأن العرب والسلطة الاسلامية

أرسل قلم المطبوعات البلاغ الآتى الى الجرائد فى القطر المصرى

مصر فى ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦

نشر فى لندن اليوم البلاغ التالى :

« منذ سنين والعرب المعذبون بسوء الحكم التركى ينتظرون اليوم الذى يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة وقد قاموا فى الماضى بثورات عديدة ضد الاستبداد التركى فى البلاد العربية

« وقد أدى سوء تصرف الحكومة الحاليه فى الآستانه وخضوعها التام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة فى حرب مشؤومة أوصلت الاحوال فيها الى حد النهاية ، فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء فى البلاد العربية أن الاوان قد آن لخلع النير التركى عن أعناقهم والمناداة باستقلالهم

« وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائما على العرب فى أمانيهم ولكن صداقتها التقليدية لتركيا اضطرتها فى الماضى الى البقاء على الحياد . أما الآن وقد انضمت تركيا الى صف الدول الوسطى فقد أصبحت بريطانيا العظمى حرة فى اظهار عطفها على أولئك العرب الذين انخرطوا فى جانب الحلفاء ضد العدو المشترك

« على أن بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها الثابته فى الابتعاد عن أية مداخلة فى الشؤون الدينيه ، وعلى بذل جهدها فى بقاء الاماكن المقدسه أمينه من كل طارىء خارجى

« ومن النقط التى لاتقبل التغيير والتبديل فى سياسة بريطانيه العظمى

هو أن تبقى هذه الاماكن المقدسه فى أيدى حكومه اسلاميه مستقلة

« ولا يخفى ان أحوال الحرب الحاضرة تلقى العقبات الكثيرة والاخطار فى سبيل الراغبين فى القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذى قام به شريف مكة بجعل

الأمل كبيراً فى اتخاذ التدابير اللازمة التى تمكن الحجاج فى المستقبل من زيارة الاراضى المقدسة بسلام واطمئنان» اه

(المنار) قد أسمعتنا العاصمة البريطانية عدة أصوات فى المسألة العربية والبلاد الاسلامية المقدسة كان أولها برقية لرويتر يؤكد فيها أن انكلترة لا تنوى أن تأخذ شيئاً من بلاد العرب ، ولا تسمح لأحد بالاعتداء على شىء من البلاد الاسلامية المقدسة . ثم دار فى هذا المعنى وفى مسألة الخلافة كلام كثير بين أعضاء مجلس الاعيان والنواب ، ولكن لم يكن شىء من ذلك بلاغا رسمياً فى معنى قطعى يوثق بعدم الرجوع عنه كالبلاغ الذى نشرناه اليوم دون جميع ماسبقه مما هو جدير بأن يحفظ أيضاً وإن لم يبلغ درجة هذا البلاغ فى الاعتبار

فى هذا البلاغ تصريح قلما يصدر من دولة ، وهو قد صدر عن أدق الدول فى تحرير العبارات الرسمية وجعلها مقيدة لنفيرها بقيود قلما يستطاع الفلت منها مع بقائها هى فى عالم الاطلاق . ألا وهو التصريح بأن من أصول السياسة البريطانية التى لا تقبل التغيير والتبديل بقاء الاماكن الاسلامية المقدسة فى يد حكومة إسلامية مستقلة . ومعنى كون هذا لا يقبل التغيير والتبديل أنه متفق عليه من جميع أحزاب الامة لا أنه رأى الحكومة الحاضرة ، أو حزبها - حزب الاحرار - وحده فيكون عرضة للرجوع عنه بتغير الوزارة أو تحولها إلى حزب المحافظين . وبهذا التفسير يظهر غلط الذين قالوا إنه لا يوجد فى السياسة شىء لا يقبل التغيير والتبديل فيكون هذا النص لغواً لا معنى له حتى نغتر به . وقول هؤلاء حسبنا أنه لا يتغير ولا يتبدل إلا بتغير رأى الامة الانكليزية كلها وهى أثبت الامم وأبطأها تغيراً وتحولا فى كل شىء

على أن أهم ما فى هذا التصريح فحواه لا نصه ، وأعنى بفحواه اعتراف الدولة البريطانية باستقلال الدولة الاسلامية التى تستولى على هذه البلاد إذا زالت سيادة الدولة العثمانية عنها بما يخشى أن يحل بها من قدر الله تعالى ، فهو يتناول مسألة السلطة الاسلامية فى هذه الحالة وهى أهم مايهم جميع مسلمى الارض ، وسنكتب فيها مقالا نبين فيه مايسمح لنا الوقت ببيانه إن شاء الله تعالى

الانتقاد على المنار

سيدى الأستاذ محرر « المنار »

اطلعت على دعوتكم الى نقد « المنار » وعلى فاتحة المجلد التاسع عشر فلم يسعنى إلا تحرير هذا الكتاب لفضيلتكم ورائدى الاخلاص وتعضيد ماينفع الناس .

فأما عن نقد « المنار » فحسبى أن أقول إن المجله التى كادت تبلغ ربع قرن من حياتها لابد وأن تكون قد جمعت من أسباب الحياة مافيه الكفايه وإن ما ألم بها أخيراً من العسر المالى الذى يرجع بعضه إلى أزمة الحرب ليس فيه مجرد مرض عادى إذا عولج علاجاً ناجعاً عادت إلى المجله نضرتها السابقه ، وعندى أن هذا المرض محصور فى اضطراب إدارة المجله وفى عدم تمشيها مع الزمن بخلاف عادتها فى سالف السنين، ولبيان ذلك أقول ان إدارة المجله على مايظهر لى كثيرة التساهل مع المشتركين فانى لا أتذكر أنى تلقيت أخيراً من حضرة مدير « المنار » طلباً بدفع الاشتراك كما هى عادة جميع المجلات الراقية عربية كانت أم أفرنجية . وقد كنت أيامى بشدة تدقيق فى حسابى ولكن شواغل الحياة متى تعددت أصابت الانسان بالنسيان وسلبته بعض نظامه مهما يكن يقظا ، فبت ولا أدرى بماذا أدين لكم . والنفقة التى تنفقونها فى سبيل تذكير كل مشترك مرة فى السنة بوعد تجديد اشتراكه لاتساوى شيئا فى جنب الفائدة المادية التى تحصلون عليها. ولولا أن هذه الطريقة الاداريةذات نتيجةمحسوسة لما استمرت على اتباعها جميع الصحف المعتبرة زد على ماتقدم أن المجله لاترسل الى بانتظام وهذا ضار بمصلحتها ، لأنى إذا كنت لاأتردد لحظة فى دفع ماتطلبون إلى دفعه حتى ولو استلمت عددا واحدا فقط منها فى السنة كلها معتمدا على جمع بقية الأعداد منكم متى عدت الى القاهرة ، فلا شك عندى أن كثيرين غيرى يتنصلون من الدفع بهذه الحجه فتكون خسارتكم حينئذ غير قليله . هذه نقطة جوهريه يحسن بسيادتكم النظر فيها لان نظام العمل من أقوى الدعائم لنجاحه .

مباحث المجلة فى تعريفكم ليست قاصرة على فلسفه الدين بل هى تشمل أيضا

شؤون الاجتماع والعمران ، ولكنكم لماتطبقون ذلك . لاأنكر أنكم أحسنتم كثيراً بنشر المقالات الصحية المفيدة التي وضعها الدكتور توفيق صدقي ، كما أن لكم جولات رائقة في غير مباحث الدين ، ولكني لا أعرف لكم أبوابا ثابتة في كل عدد سوى باب تفسير القرآن ، بخلاف ماأشاهده في مثل «المقتطف» أو «رعمسيس» أو «الهلال» وبخلاف ما أشاهده في المجلات الدينية المسيحيه الراقيه التي تصدر بالانكليزية ، حتى كأن تلك المجلات الدينيه تخوض في كل علم وترمي إلى تطبيق العلم على الدين . ومثل هذا التطبيق في رأي بعض المفكرين تضليل . ولكني لا أرى ذلك إذا كان المطبق مخلصا في عمله ، لان رجل الدين متى اعتقد أن العلم هو أحد أركان الدين وجب عليه أن يجمع بينهما حتى يخلص المعتقدات الدينية من خرافات الجهلاء المدعين الذين يتاجرون باسمها أو يبنون شهرتهم الكاذبة على حسابها، وقد لاحظ كثيرون تحاشيكم ايضاح «المنار» بالصور حتى رسوم من توفوا من علماء الاسلام فعد ذلك دليلا على كره الاسلام للتصوير في العصر الحاضر أيضا

وأما عن دار الدعوة والارشاد التي تقصدون بها تربية أساتذة لتهذيب العامة ونشر المبادىء الأدبية النافعة والقضاء على أباطيل الأولين ، فلا يحاربها رجل بعيد النظر حتى ولا من أنكر ذات الخالق ، لاني إذا قلت أن الطبقة المتعلمة من الامة قد تجد من تعليمها العالي المبادىء الادبية الكافية لصيانة أخلاقها ولو كانت غير متدينة بدين سماوي ؛ فيصعب علي جداً أن أتصور جواز هذا الحكم على عامة الناس الذين لاتثمر مبادىء الالحاد بينهم إلا فوضى أدبية مريعة . فيجب إذن تعضيد رؤساء الاديان الذين يسيرون بها دائما إلى الامام وتقدم التعليم والتربية : وإذا عد نفر من الناس أن صلاح العالم هو في القضاء على الأديان فلا أدري كم بعد مئات من السنين يتحقق هذا الحلم . فاذا فرضنا أن تحقيقه في حكم المستطاع — والناس كثيراً مايختلفون حتى على البديهيات . وفي خلال كل هذا الزمن يلبث الدين قرين اللغة من مشخصات الأمة ومظهر من مظاهرها — فحري بكل ذي وطنية صحيحه أن يمعن النظر في هذه المسألة الحيوية .

هذا وإني لاأذهب مذهب مكاتبكم الفاضل في خاتمة المجلد السابق بل لا

أملك في حسن مستقبل الشرق ، ولكل أمة دور من صعود وهبوط ، ولا خوف عندي على مثل « المنار » أو « دار الدعوة والارشاد » فلابد أن يأتي وقت قريب يعطي فيه خليفة الامام محمد عبده حقه من الانصاف على ماخدم به الأمم الاسلامية من الارشاد النافع حتى صارت فتاويه مرجع كل مصلح اجتماعي جريء .
وبات « تفسير المنار » معدوداً أعظم تفسير للقرآن الشريف لجمعه بين علوم السلف والخلف ، ولما تضمنه من خلاصة العلوم الحديثة التي يجب أن تكون هدى المفسر لكتاب يمد قانون الله الذي خلق الكون ودبره . فما العلوم الطبيعية إلا خلاصة ما وصل اليه العقل الانساني في درس سنن الكائنات بتدقيق وأمانة . لهذا كانت تفاسير القرآن التي خطها الجاهلون بهذه العلوم أولى بالتلف منها بالصيانة ، فانها عار العلم والدين معاً

فاسمح لي إذاً يا سيدي الأستاذ أن أهنئكم على استقبال « المنار » لسنة جديدة من سني حياته المباركة ، راجياً أن تكون فاتحة رقي متواصل له ونجاح ثابت ونصرة للفضيلة والآداب

نادي مستشفى سانت جورج بلندن — أحمد زكي أبوشادي (طبيب)

(المنار) نشرنا رسالتكم برمتها وان كان موضوع باب الانتقاد على المنار خاصاً بانتقاد مسائله دون إدارته . ونشكر لكم تهنئتكم وثناءكم وكل ما كتبتم بمداد الاستقلال والاخلاص ، ولا أذكر ماعرض من الخلل على إدارة المنار ولاسيما إهمال التحصيل ، وأذكر من سببه خيانة بعض الوكلاء وتركي الاشراف عليها ، وتعدد من تولى أمرها منذ الانقلاب العثماني الذي فتح لي أبواب الاسفار الى سورية ثم الآستانة ثم الهند وعمان والعراق ، والاشتغال بمشروع الدعوة والارشاد ، وستعود إلى الانتظام في هذا العام إن شاء الله تعالى

وأما سبب قلة تنوع موضوعات المنار كتنوع غيره من المجلات فهو أن محرره واحد له أعمال كثيرة أخرى ومحرروها كثيرون . ولا يتسع هذا الجزء الخوض معكم في سائر المسائل التي أودعتموها في رسالتكم المفيدة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ ذي القعدة ١٣٣٤ — ٥ الميزان (خ ١) ١٢٩٥ هش ٢٨ سبتمبر ١٩١٦

مناسك الحج

أحكامه وحكمه

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (سورة آل عمران — ٣:٩٦)

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا (سورة البقرة ٢، ١٥٣)

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (سورة البقرة ٢ : ٩٣)

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم فيقول محمد رشيد بن علي رضا صاحب مجلة المنار: انني في شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٤ عزمت على أداء فريضة الحج في خدمة والدتي، وكنت أتمنى ذلك منذ سنين ولم يتيسر لي، لموانع بعضها من قبلها وبعضها من قبلي، وقد خطر لي قبل السفر من مصر بثلاث ليال أن أكتب شيئا مختصراً في أحكام المناسك وحكمها سهل العبارة، مأخوذا مما صح في السنة، مع الاشارة الى أقوى مسائل الخلاف، وأن أطبعه وأوزعه على

من أسافر بصحبتهم من الحجاج ،تعليما للجاهل، وتذكيرا للغافل، ولكن لم يتيسر لي الشروع فيه الا في منتصف النهار من اليوم الثاني والعشرين من الشهر — وموعد السفر ٢٤ منه —

﴿ الحج والعمرة ﴾

الحج أحد أركان الاسلام الخمسة ، وهو عبادة بدنية مالية ،والصلاة عبادة بدنية فقط وكذلك الصيام، والزكاة عبادة مالية فقط،ومعناه القصد الى بيت الله الحرام بمكة المكرمة لاداء النسك فيه وفيما جاوره من الاماكن الشريفة،وهذا نسك منه أركان وواجبات،وسنن مندوبات ومستحبات

والعمرة كالحج في أركانه وواجباته وسننه الا الوقوف بعرفة فانه ركن من الحج غير مشروع في العمرة، وتكون في أشهره وفي غير أشهره كما سيأتي . وهي واجبة عند بعض أئمة العلم وسنة عند الآخرين

ويجوز الجمع بين الحج والعمرة بأن ينويهما ويلبي الله تعالى بهما معا عند الاحرام ، ويسمى هذا [قرانا] وأن ينوي الحج وحده ويلبي به ثم يُدخل عليه العمرة ، ويسمى [إفرادا] وأن ينوي العمرة وحدها أو مع الحج ثم يتحلل منها بعد أداء أركانها ، ثم يحرم بالحج بمكة ، ويسمى هذا [تمتعا] لان صاحبهُ يتمتع بعد التحلل من احرامه بها بما يتمتع به غير المحرم من لبس الثياب والطيب وغير ذلك من محرمات الاحرام ، وعليه فدية وهي ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام اذا رجع من الحج أو اطعام ستة مساكين من أوسط طعامه ، ككفارة اليمين وزكاة الفطر

واختلف علماء السلف والخلف في الافضل ، وأقوى الاقوال في ذلك أن التمتع أفضل مطلقا أو لمن لم يسق [الهدي] الى الحرم .

و [الهدي] ما يهدى الى الحرم من الانعام ليذبح فيه تقربا الى الله تعالى ، فمن ساقهُ من بلده أو طريقه فالأفضل له القران . وعلى هذا يكون التمتع هو الافضل والايسر لامثالنا — من الحجاج المصريين وغيرهم ممن لا يسوق معهُ هديا — أن نحرم بالعمرة وحدها أو مع الحج ثم نأتي بأركان العمرة كما يأتي بيانه ، ثم نتحلل منها فنستبيح كل ما يباح لغير المحرم ، ونذبح شاة حتى اذا كان يوم [التروية] — وهو الذي قبل يوم عرفة — نحرم بالحج من مكة ؛ ولمن أحرم بالحج وحده أو بالحج والعمرة معا أن يتحلل بعمرة ثم يحرم بالحج كذلك

﴿ الاحرام والتلبية ﴾

لكل قطر من الأقطار مكان يسمى [ميقات الاحرام] لا يجوز تجاوزه بغير احرام لحاج ولا لمعتمر ، وفي غيرهما كقاصد الحرم للتجارة خلاف ، فمتى بلغ الميقات أحرم عنده بأن ينوي الحج والعمرة أو أحدهما ، ويلبي بما نواه بأن يقول : لبيك اللهم عمرة أو بعمرة ، أو لبيك اللهم حجا ، أو لبيك اللهم حجا وعمرة ، أو بحج وعمرة . وتقدم أن الافضل لامثالنا الاحرام بالعمرة فقط . ومن أحرم احراما مطلقا قاصدا النسك الذي فرضهُ الله تعالى في حرمه من حيث الجملة جاهلاً هذا التفصيل صح احرامه ، وعند اداء المناسك يأتي بواحد من الثلاثة التي ذكرناها . والاحرام بالمعنى الذي ذكرناه — وهو نية النسك من حج وعمرة فرض فيهما وهو ركن عند الجمهور وشرط على الراجح عند الحنفية

ويستحب الاغتسال للاحرام ولو لحائض ونفساء ، وكذلك التطيب قبله ، وأن يكون بعد صلاة إما صلاة فرض واما صلاة تطوع ، وأن

يحرم في ثوبين نظيفين — وكونهما أبيضين أفضل — وفي نعلين لا يستران الكعبين ، وان يكون أحد الثوبين ازارا يلف على النصف الاسفل من البدن والآخر رداء يوضع على العاتق ويستر النصف الاعلى منه دون الرأس فان ستره حرام على الرجال. فلا يجوز للمحرم لبس العمامة ولا غيرها مما يوضع على الرأس ولا لبس القميص والقباء (القفطان) والبرنس والجبة والسراويل والخف والحذاء الذي يسمى الجزمة أو الكندرة . ولا ما في معنى ذلك من الثياب المفصلة المخيطة ومن لم يجد الازار والرداء أو النعلين لبس ما وجده، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب بعرفات يقول « السراويل لمن لم يجد الازار والخفان لمن لم يجد النعلين » ولا فدية عليه عند الشافعي وأحمد لانه لبس ذلك للضرورة فاذا زالت الضرورة في أثناء النسك بأن وجد الازار والنعلين وجب عليه نزع السراويل والخف ونحوهما، فان لم ينزعهما وجبت عليه الفدية وهي شاة يذبحها . وعند أبي حنيفة ومالك تجب عليه الفدية وان لبس ذلك للضرورة. ولا بأس بشد المنطقة أو الهميان الذي توضع فيه النقود في الوسط . ولا بأس بعقد الازار في وسطه أيضاً واذا كان يخاف سقوطه بغير عقد يتأكد العقد

والاصل في هذه المسألة حديث ابن عمر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يلبس المحرم من الثياب فقال « لا يلبس القميص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف الا أحد لا يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين . ولا تلبسوا شيئا من الثياب مسه الزعفران ولا الورس » هذا لفظ مسلم . وفي حديث ابن

عباس المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم لم يشترط في ترخيصه بلبس الخف لمن لم يجد النعلين قطعهما . فبعض العلماء حمل هذا الاطلاق على حديث ابن عمر وقال لا بد من قطعهما ، وبعضهم قال ان حديث ابن عباس ناسخ لحديث ابن عمر لانه بعده

ولا يجب على الرجل كشف غير الرأس من بدنه ، ويجوز له أن يستظل بالمظلة (كالشمسية) وغيرها مما لا يمس رأسه ، ولكن يستحب له أن يعرض رأسه للشمس مالم يتأذ بذلك ، لان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يستظلون في الاحرام ، وقد رأى ابن عمر رجلا ظلل عليه فقال له : ايها المحرم اضْحَ لمن أحرمت له . أي ابرز للشمس لاجل من أحرمت له . يقال ضحِيَ الرجل يضحى ضحًى ، وضحا يضحو ضحوًا وضحيا اذا برز للشمس أو أصابته الشمس .

وأما المرأة فلم ينهها النبي صلى الله عليه وسلم الا عن وضع النقاب على الوجه ولبس القفازين في اليدين فاحرامها في وجهها ويديها . والنقاب ما تستر به المرأة وجهها فلا يبدو منه الا محاجر العينين ومثله البرقع . قال العلماء فان سترت وجهها بشيء لا يمسه فلا بأس وأما ستره عن الرجال بمظلة ونحوها فلا شبهة في جوازه ، ويجب اذا خيفت الفتنة من النظر . ومن أضره لباس الاحرام فله أن يتقي الضرر ولو بتغطية الرأس ومتى زالت الحاجة الى ذلك تركه

وأما التلبية فصيغتها المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لبَّيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » وكان صلى الله عليه وسلم يلبي من حين يحرم يرفع بها

صوته ، فرفع الصوت سنة للرجل ، فيرفع المحرم صوته بحيث لا يجهد نفسه ، والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع نفسها وكذا جارتها

ومعنى التلبية المبالغة في إجابة دعوة الداعي الى الحج ، ولا يزال العرب يجيبون من يدعوهم الى شيء بكلمة لبيك ، وأول من دعا الناس بأمر الله الى هذه العبادة ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام . وذلك قوله تعالى له (وأذّن في الناس بالحج يأتوك رِجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) والرجال هنا جمع راجل وهو الماشي على رجليه ، أي يأتوك مشاة وراكبين على الرواحل الضامرة البطون التي تأتي من الفجاج والطرق البعيدة . فمعنى « لبيك اللهم » انني أجيب الدعوة الى هذا النسك خاضعا لامرك متوجها اليك مقيما لخدمتك المرة بعد المرة . والتلبية واجبة عند المالكية ومسنونة عند الجمهور

وهذه التلبية المأثورة هي العبادة القولية التي تتكرر من أول الاحرام بالنسك الى الانتهاء منه . ويستحب تجديدها بتجدد الشؤون والاحوال كالصعود والهبوط والركوب والنزول واجتماع الناس وتلاقي الرفاق

﴿ دخول مكة والطواف ﴾

يستحب الاغتسال لدخول مكة ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل له ، وكان يبيت بـ[ذي طوى] وهو موضع عند الآبار التي يقال لها آبار الزاهر ، فمن تيسر له المبيت فيه والاغتسال فقد أصاب السنة . والافضل دخول مكة نهارا ، وان يقصد المسجد الحرام توًّا ، والافضل أن يدخل من باب بني شيبة ، وروي في حديث ضعيف ان النبي (ص) كان يقول اذا رأى البيت (أي الكعبة المعظمة) « اللهمّ زد هذا البيت

تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرّفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا »وروي ان عمر رضي الله عنه كان اذا نظر الى البيت قال: اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام»

واعلم أن ما يذكر في المناسك من الدعاء والثناء وما يلقنه المطوفون للحجاج قلما يصح فيه حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه ماهو من أقوال الصحابة وغيرهم من سلف الامة .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع أصحابه يدعون الله تعالى ويثنون عليه في النسك بما يلهمهم الله تعالى فيقرهم على ذلك .فعلم من ذلك أن ما لم يصح عن النبي(ص)من ذلك لا يكلّفه أحد ولا يمنع منه ، ولكن لا يجعل شعارا عاما يلقنه كل الحجاج ويلتزمونه دائما بصفة خاصة،لان الشعائر لا تثبت الا بنص الشارع ، والظاهر ان الشارع ترك هذا الامر للناس ليدعو كل منهم ويثني بما يلهمه الله ويخشع له قلبه. ويسن أن يصلي بعد الطواف ركعتين

والثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد الحرام يبدأ بالطواف ، والطواف الاول من الحاج أو المعتمر يسمى طواف القدوم وهو واجب عند المالكية وسنة عند الائمة الثلاثة

ويراعي في الطواف شروط الصلاة كالوضوء وطهارة البدن والثياب وستر العورة لما رواه الشافعي والترمذي — واللفظ له — من حديث ابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليـه وسلم «الطواف بالبيت مثل الصلاة الا انكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيـه فلا يتكلم الا بخير »ووردت آثار في النهي عن كثرة الكلام في الطواف أي وان كان بخير لم تمس اليه

الحاجة ، لانه يشغل القلب عن الخشوع في هذه العبادة

ولما كانت الطهارة شرطا لصحة الطواف امتنع الطواف على الحائض والنفساء فهي تؤدي جميع أعمال الحج سواه فتتربص به الى أن تطهر ، ويبتدئ من الحجر الاسود : يستقبله ويستلمه ويقبله ان أمكن من غير إيذاء نفسه أو إيذاء احد بالمزاحمة والا اكتفى باستلامه بيده — أي مسحه بها — وتقبيلها فان لم يمكن أشار اليه بيده . ثم يشرع في الطواف فيجعل البيت عن يساره فيطوف به سبعة أشواط أي مرات . ويستلم من الاركان الركنين اليمانيين لانهما على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام دون الشاميين لانهما في داخل البيت

والركنان اليمانيان هما الجنوبيان ويسمى الذي فيه الحجر الاسود منهما [الركن الاسود] اذا ذكر وحده واذا ذكر الآخر وحده قيل الركن اليماني. والشاميان هما الشماليان فاذا ذكر كل منهما وحده قيل [الركن الشامي] وهو المقابل لبلاد الشام [والركن العراقي] وهو المقابل لبلاد العراق ، وانما يقال في تثنيتهما اليمانيان والشاميان من باب التغليب

هذا وإن في الحج ثلاثة أطوفة : طواف القدوم الذي ذكرناه ، وطواف الافاضة وهو ركن من أركان الحج باتفاق الائمة ووقته بعد الوقوف بعرفة، وطواف الوداع وهو واجب عند الجمهور ومندوب عند المالكية. وللحاج وغيره أن يكثر من طواف التطوّع ما استطاع

﴿ السعي بين الصفا والمروة ﴾

السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الجمهور ، وعند الحنفية واجب غير ركن ، ويشترط أن يكون بعد الطواف . وعند

المالكية يجب ذلك وليس بشرط ، ويجب عندهم الموالاة بينه وبين الطواف، وقال الجمهور انه سنة لا واجب. ويطلق على السعي اسم الطواف والتطوف كما ثبت في القرآن والاحاديث ، واختار الفقهاء اسم السعي للتفرقة بينه وبين الطواف بالبيت

وكيفيته أن يبدأ بالصفا فيصعد اليها ويستقبل البيت (الكعبة) فيهلل ويكبر ويدعو الله تعالى ثم ينزل ويذهب الى المروة فاذا انتهى اليها توجه الى جهة المسعى ليكون مستقبلا للبيت ويدعو الله تعالى كما دعاه عند الصفا ، فهذه مرة، ثم يعود الى الصفا ثم الى المروة الى أن يتم سبعة أشواط يرمل في ثلاثة منهن بين الميلين الاخضرين (وهما عمودان في جدار الحرم) والرَّمَل سرعة في السعي، ولا يشترط في السعي ما يشترط في الطواف من الطهارة ولكن يستحب ، ويجوز السعي راكبا وماشيا والمشي أفضل للقادر عليه .

روى مسلم وغيره من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال «أبدأ بما بدأ الله به (وفي حديثه عند النسائي « ابدؤا بما بدأ الله به ») فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى اذا رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : « لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : لا إله الا الله وحده . أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده » ثم دعا بعد ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة » — الحديث ، وفيه انه فعل في المروة كما فعل في الصفا . فينبغي ان يحفظ هذا وان يدعو الساعي بعده بما يفتح الله به عليه لنفسه وأهله واخوانه وأمته

(تنبيه) ان المكان الذي كان يرقى النبي صلى الله عليه وسلم اليه على الصفا قد بني عليه والصعود اليه ليس شرطا لصحة السعي فمن وصل الى أسفل البناء هنالك وسعى ولم يصعده أجزأه ذلك ولكن الافضل ان يصعده لموافقة السنة في الصعود

﴿ الوقوف بعرفه ﴾

يخرج الحجاج من مكة يوم التروية (وهو الذي قبل عرفة ويسميه العوام بمصر والشام [يوم العرفة] ويسمون يوم عرفة [يوم الوقفة] محرمين لان من كان متمتعا يحرم في ذلك اليوم كاحرامه من الميقات ، والسنة أن يحرم كل واحد من المكان الذي هو نازل فيه، وله أن يحرم من خارج مكة ان كان غير مكي فان المكي انما يحرم من أهله ، والسنة أن يبيتوا بمنى ولا يخرجوا منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يسيروا منها الى [نمرة] عن طريق [ضب] من يمين الطريق وهو موضع في حدود عرفة بـ[بطن عرنة] . فيقيموا فيها الى الزوال ثم يسيروا منها الى بطن الوادي وهو الذي صلى النبي صلى الله عليه وسلم فيه الظهر والعصر قصرا وجمعا وخطب ، فيصليها الحجاج كذلك ويخطب بهم الامام . وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم بني في أول دولة بني العباس ثم يذهبون الى عرفات والعدول عن هذه الطريق الى طريق [المأزمين] ودخول [عرفة] قبل الزوال كلاهما مخالف للسنة ولكن لا يجب به شيء لانه ليس تركا لشيء من واجبات الاحرام .

ويقفون بعرفات الى غروب الشمس فاذا غربت خرجوا من بين العلمين أو من جانبيهما . ويجتهد الحاج في الذكر والدعاء في هذه العشية فهي أفضل الاوقات لهما وأرجاها للمغفرة والرحمة. ولم يبين النبي صلى الله عليه وسلم لعرفة دعاء ولا ذكرا ليجتهد كل انسان في ذلك بقدر معرفته وحسب حاجته . فيهلل ويكبر ويدعو ماشاء الله من الادعية الشرعية . ويسن الغسل يوم عرفة ، ولا يسن الصعود الى الجبل الذي هنالك الذي يسمى جبل الرحمة ــ وهو جبل إلال ــ ولا دخول القبة التي فوقه التي يقال لها قبة آدم ولا الصلاة فيها. والسنة أن يفيضوا من عرفات

عند الخروج على طريق [المأزمين] فان النبي (ص) خرج منها على هذه الطريق لأنه دخلها من طريق [ضب] فسنته في المناسك كسنته في الاعمال والمواسم ، اذا جاء من طريق رجع من أخرى ، كما كان يدخل المسجد من [باب شيبة] ويخرج بعد الوداع من [باب حزورة]

﴿ المبيت بِمُزْدَلَفَةَ ورميُ الجمار بِمنى ﴾

يسن المبيت بمزدلفة بعد عرفة فهي المشعر الحرام الذي قال الله فيه (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) والوقوف عند [جبل قزح] أفضل، ثم يفيضون من المزدلفة بعد صلاة الفجر فاذا أتوا منى رموا [جمرة العقبة] بسبع حصيات ولا يرمون يوم النحر غيرها . وكيفية الرمي ان يستقبل الجمرة بحيث يكون البيت عن يساره ومنى عن يمينه ويرفع يديه بالرمي ويكبر مع كل حصاة . وان شاء قال مع ذلك : اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا . ويستحب تكرار التلبية بين المشاعر كالذهاب من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى، ولم يصح في السنة التلبية في عرفة ولا مزدلفة ، فاذا شرع في رمي الجمرة استبدل التكبير بالتلبية — أي جعل التكبير للعيد بدلا من التلبية للحج ، لانه حينئذ يشرع في التحلل الذي تنتهي به المناسك . ومتى رمى جمرة العقبة نحر هديه ان كان معه هدي . وكل ماسيق من الانعام من الحل الى الحرم فهو هدي بالاتفاق ويسمى أضحية أيضا ، وأما ما يذبح يوم النحر في الحل فانه أضحية وليس بهدي . وأما ما يشترى في منى أو غيرها من أرض الحرم ويذبح فيها فهو ليس بهدي عند المالكية وعند الائمة الثلاثة يسمى هديا . ويقول عند نحر الابل وذبح غيرها : بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل مني كما تقبلت من ابراهيم خليلك .

﴿ الحلق أو التقصير ﴾

بعد رمي جمرة العقبة يحلق الرجل شعر رأسه أو يقصره بأن يقص منه مقدار الأنملة أو أقل أو أكثر، وتقص المرأة ولا تحلق ولا تزيد على قدر الأنملة . والحلق أو التقصير ركن من أركان الحج لا يتم الا به في مذهب الشافعي وعند جمهور

واجب لاركن . وبالحلق أو التقصير يكون التحلل الاول من الاحرام فيحل به للمحرم ماكان محرما عليه بالاحرام الا النساء

وبعد هذا يأتي الحاج مكة فيطوف طواف الافاضة الذي هو طواف الركن كما تقدم فاذا طاف هذا الطواف حل له كل شيء مما ذكر حتى النساء

ثم يرجع الى منى فيرمي بقية الجمرات ، والافضل ان يرميها في أيام التشريق الثلاثة وله ان يرميها في يومين لقوله تعالى (واذكروا الله في أيام معلومات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى)

ويستحب في رمي الجمار ان يكون بعد الزوال وان يبدأ بالاولى وان يكبر مع كل حصاة • ويدعو فيطيل الدعاء . واذا قال في دعائه : اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا — فهو حسن

﴿ طواف الوداع ﴾

تقدم حكمه وينبغي ان يكون هذا الطواف آخر عهد حجاج الآفاق بمكة ليكون مسك الختام ؟

انتهت الاحكام ولم نشأ نشر [حكم المناسك واسرارها] في هذا الجزء من المنار لانها منشورة في [باب الفتوى] من المجلد السادس عشر فليرجع اليها من شاء في ص ٦٧٥

مدرسة

دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٣

الدرن Tuberculosis

يراد بهذا الداء تكوّن أجسام صغيرة في عضو أو أكثر من أعضاء الجسم[١] ويسمي الأطباء المحدثون هذه الجسيمات بالدرنات أو الدرن[٢] وهي تنشأ من باسيل اكتشفه العلامة الألماني كوخ سنة ١٨٨٢ ميلادية

أوصاف هذا الباسيل — هو عصيات مستقيمة أو منحنية قليلا طولها نحو ٣ ميكرونات وعرضها ٥و٠ من الميكرن، ذات أطراف مستديرة في كل منها نقطة لامعة أو أكثر ظن سابقا انها حبيبات للميكروب ، والحقيقة انه لا يتوالد الا بالانقسام وهو عديم الحركة ولا أهداب له (خلافاً لما ذهب اليه بعض الباحثين) ويعيش في الهواء وفي غيره من الغازات بل في الفراغ ، وأحسن حرارة تناسبه ما كانت درجتها ٣٧ سنتجراد ولكن نموه بطيء جدا

تركيب الدرن — تتكون كل درنة من خلايا تحيط بها تشبه كريات الدم البيضاء وفي داخلها خلايا تشبه خلايا البشرة وفي مركزها خلية أو أكثر كبيرة ذات نويات عديدة . وقد يوجد بين هذه الخلايا منسوج آخر دقيق جدا يؤلف بينها . ويوجد الميكروب بين هذه الخلايا أو فيها خصوصا حول الخلية المركزية الكبرى أو فيها كما في درن الحيوانات . وفي بعض الاحوال تكون هذه الخلية

---

(١) قد يصيب أي عضو من الجسم أو أي جزء منه وتكثر اصابته للرئتين ويقل للشغاف (الغشاء المحيط بالقلب) (٢) أصل معنى الدرن في اللغة الوسخ

معدومة وفي البعض الآخر تكون الخلايا البشرية كذلك معدومة فتتكون الدرنة من خلايا كالكريات البيضاء فقط . وقطر الدرنة الواحدة عادة مليمتر واحد أو اثنان . ونشاهد الدرنات في هذا المرض بوضوح في الرئتين أو الكبد أو الكليتين

وكلما كبرت الدرنة مات وسطها وذلك اما لعدم وصول أوعية الدم إليه أو لسموم الميكروب أو للسببين معاء فاذا مات الوسط صار مصفرا وقوامه كالجبن وهذا الوسط الميت يزداد اتساعا بينما محيط الدرنة يُغير على ما أحاط به من الانسجة وهلم جرا . وهذه الدرنات تنشأ بسبب تهيج العضو بالميكروب فتتكاثر الخلايا حوله بانقسامها الى عدة أقسام . وتهرع اليها الكريات البيضاء لمقاتلتها فتحيط بها فيصيبها ماذكر . وباجتماع هذه الدرنات بعضها مع بعض تتكون درنات كبرى فينشأ من ذلك أخرجة (جمع خراج) في العضو المصاب

وقد تتحول الدرنة الى مادة كلسية (جيرية) برسوب فسفات الكلسيوم فيها على الاكثر فيموت الباسيل و يشفى العليل

وهذه الدرنات تحدث تهيجا في الاعضاء وقد يكثر حولها المنسوج الليفي الضام . ويجوز أن يغير هذا المنسوج على الدرنة ويطبق عليها فتضمر وتتناقص حتى تستحيل الى نقطة ليفية و بذلك يشفى الدرن أيضا

أما اذا كانت قوى المريض ضعيفة فتلتهب الانسجة حول الدرنات وتزداد حالة العليل سوءا فوق سوء ، وفي آخر الامر تتقيح الدرنات وما حولها و يشترك مع هذا الميكروب ميكروبات أخرى فتتكون أخرجة وكهوف كما يحصل كثيرا في رئة المسلولين

الاسباب — ميكروب هذا الداء منتشر كثيرا بين الناس و بعض الحيوانات. ولمعرفة كيفية العدوى به يجب أن نقسم البحث هنا الى مسئلتين : —

(الاولى) الاستعداد الشخصي : للوراثة تأثير عظيم في العدوى بهذا الداء فانه يغلب حدوث هذا المرض في أولاد المسلولين . ولا يتوهم أحد أن الذي ينتقل من الوالد الى ولده هو الميكروب بل استعداد خاص فقط اللهم الا في أحوال نادرة جدا ، ولذلك كثيرا مايولد الولد في صحة لا بأس بها أو جيدة ثم يصاب بعد ذلك بالدرن

وهناك مهيئات كثيرة للعدوى تسبب نهاكة القوى فيضعف الشخص عن مقاومة الميكروب فيقهره ، وأهم هذه المهيئات (أ) الازدحام وفساد الهواء بأي سبب كان (ب) قلة الاغذية (ج) اجهاد قوى الجسم فوق طاقته بأي عمل كان ككثرة العدو أو الانهماك في الجماع أو في السهر أو جلد عميرة أو المطالعات الطويلة والمباحث العقلية المضنية خصوصا اذا صاحبها الفقر وفساد الهواء (د) كثرة الحمل والولادة أو الارضاع (ه) كثرة التردد الى الأماكن الرطبة المظلمة التي يندر دخول الشمس فيها (و) الحمى التيفودية (ز) الاسراف في شرب الخمور (ح) البُوَال السكرى (ط) الزهري اذا أهمل حتى أفسد البنية

هذه هي المهيئات العامة وهناك مهيئات أخرى خاصة بالعضو المصاب ويسمونها بالمهيئات الموضعية مثل كثرة النزلات الشعبية أو الرئوية وتهيج الرئة ببعض الغازات أو بغبار بعض المعادن وغيرها كما يحصل في المصانع

وللعمر تأثير كبير أيضا في العدوى فترى ان الدرن كثيرا ما يصيب الصغار ففي الاطفال نشاهد كثيرا إصابتهم بدرن السحايا أو البريتون أو الغدد اللمفاوية أو العظام أو المفاصل، وفي الشبان كثيرا ما نشاهد الدرن الرئوي (وهو المسمى بالعربية السِّل أو الهُلاَس) وأما الاشخاص الذين عمرهم فوق الاربعين فتقل اصابتهم بالدرن ولا ينافي ذلك أنه يصيب الشيوخ أحيانا قليلة وفي تلك الحال يغلب أن تكون اصابتهم مزمنة أي ان المرض بدأ فيهم قبل الاربعين

(المسألة الثانية) مدخل الميكروب : يدخل الميكروب الجسم من طريق الجلد أو الرئتين أو القناة الهضمية

(أ) طريق الجلد وهو نادر الوقوع غير انه يشاهد أحيانا ثؤلول في أيدي المشرحين لجثث المسلولين ، وفي هذا الثؤلول توجد ميكروبات الدرن وقد تنتشر منه الى الرئتين أو غيرهما

وهناك درن يصيب الجلد يسميه الافرنج [لوبس Lupus] اخذا من كلمة لاتينية معناها [الذئب] لان هذا الداء يصيب كثيرًا الوجه فتأكل أجزاء كثيرة منه تأكلا يشبه نهش الذئب . ولكن هذا الدرن الجلدي قل أن ينتشر

ميكروبه في الاحشاء . وهذا الطريق الجلدي غير مهم في الغالب

(ب) طريق الرئة وهو طريق مهم جدا . ولا يكفي لحصول الداء من هذا الطريق مجرد استنشاق بعض نفس المسلول أحيانا ، ولكن يحدث المرض اذا كثر الاختلاط بالمريض والقرب منه حتى يستنشق الانسان الهواء المشتمل على ذرات تخرج من صدر المسلول أثناء سعاله فتنتشر في الهواء المحيط به : أما نفسه الهادئ فلا يوجد فيه الميكروب . واذا بصق المريض على الارض أو غيرها وجف البصاق تطايرت منه أجزاء فيها الميكروب وتكون خطرا شديدا على مستنشقيها

ويكثر وجود الذرات التي فيها الميكروب على بعد نصف متر من فم المصاب فاذا بعدت عنه مترا ونصف متر فقل أن يصيبك منها شيء

وهناك بعض الحيوانات الداجنة التي تصاب بالدرن كالببغاء وتكون أيضا سببا في العدوى بهذا الداء من هذا الطريق

ومن الحيوانات الاخرى الداجنة التي تكثر اصابتها به الخيل ويقل وجوده في الكلاب والقطط

(ج) طريق القناة الهضمية وهو أهم الطرق فان كثيرا من الحيوانات التي تؤكل يوجد فيها هذا الداء اذ انه كثيرا ما يصيب البقر والخنازير والدجاج والارانب وخنازير الهند ، أما المعز فقل أن تصاب به وكذلك الضأن

ولبن هذه الحيوانات يشتمل كثيرا على باسيل الدرن اذا أصيبت ضروعها به ، ولما كانت معرفة الضروع المصابة عسيرة في أول الامر كان من الواجب اتقاء شرب اللبن الا بعد غليه مدة خمس دقائق على الاقل . وقد يوجد الميكروب في لحم هذه الحيوانات وأحشائها . ونظرا لانتشار الدرن في البقر يشاهد هذا الداء كثيرا في بطون الاطفال الذين يربون بلبنها . وقد دلت التجارب أن الحيوانات الصغيرة اذا ابتلعت ميكروب الدرن نفذ في جدر أمعائها وأصاب غدد المساريقا فينشأ عنه مرض هذه الغدد أو تدرن معوي أو بريتوني وقد يصل بعد مضي زمن الى أجزاء الجسم الاخرى فيصيب الغدد العنقية ويحدث داء الخنازير وقليلا ما يصيب رئتي الصغار . أما الشبان فاذا نفذ الميكروب خلال أمعائهم لم يصبها بشيء حتى يصل

إلى الرئتين فيحدث السل الرئوي . وهذا الفرق يشاهد أيضا بين الصغار والشبان اذا حقنوا بذرات من الكربون (الفحم) فتبقى في بطن الصغار وتصل الى رئة الكبار. ومن ذلك استدل بعض العلماء على أن الرئتين قد تصابان بالسل من طريق البطن اذا أكل الشخص لحما أو لبنا مصابا بل رجح هؤلاء العلماء أن اصابة الرئتين بالسل من هذا الطريق هي أكثر حدوثا من طريق التنفس

وفي أكثر الاحوال تكون الاصابة بالدرن موضعية في أول الامر يعني أنها تكون قاصرة على عضو واحد ومن ثم قد تنتشر تدريجيا الى الاعضاء الاخرى إما بسير الميكروب خلال الانسجة أو بسيره في الاوعية اللمفاوية . وهناك درن عام تصاب به فجأة أعضاء كثيرة من الجسم دفعة واحدة ولكن يكثر في مثل هذا النوع أن يكون مسبوقا أيضا باصابة صغيرة موضعية كدرن الخصية مثلا أو غدد العنق أو غير ذلك

ومما سبق يعلم أن أهم أنواع الدرن اثنان — الدرن العام والدرن الرئوي :

الدرن العام أو الدخني

سمي هذا النوع بهذا الاسم لان الدرنات تكون منتشرة في جميع أجزاء الجسم تقريبا وتشبه حبات الدخن اذا نثرت فيها

الاعراض — هذه الاعراض تكون في أول الامر مبهمة فيشتكي المريض من ضعف عام ونحافة واقهاء (فقد شهوة الطعام) وصداع وحمى وقد يوجد أثر من الزلال في البول وتسوء حال المريض شيئا فشيئا ثم تظهر أعراض أخرى تعين إصابة الرئتين ككثرة السعال والبصق أو يصاب الشخص بأعراض تعين إصابة البطن كالاسهال المتمادي والمغص أو بأعراض أخرى تعين إصابة السحايا كالتشنجات والشلل. والمراد بذلك ان تكون أعراض انتشار الدرن في الاعضاء المذكورة أظهر من انتشارها في غيرها وان كانت كلها مصابة به

ويحصل الموت في مدة تتراوح بين ٣ أسابيع الى ١٠ ولا يعلم باليقين أن أحدا أصيب بهذا الداء وشفي منه

المعالجة — عديمة الجدوى وانما تعالج الاعراض فقط ، ويعطى المريض السوائل المغذية و بعض المنعشات مع بعض مركبات الافيون لتسكين الألم والسعال، ومن المنعشات النافعة جدا النوشادر ، ويجب أيضا ان تكون سكنى المريض في الاماكن التي تكون طلقة الهواء وتتخللها الشمس كثيرا

الدرن الرئوي أو السل

هذا الداء يصيب الرئتين بسبب تهييج باسيله لمنسوجها فتتكون الدرنات و يلتهب ما حولها فيتصلب منسوج الرئة ثم يتقيح ويتحول الى تجاويف ممتلئة بعدة وصديد تسمى بالكهوف . ويكون ميكروب الدرن مصحوبا بميكروبات أخرى من الانواع البزرية غالبا اذا حدثت هذه التغيرات المذكورة أخيرا فانها تساعده في احداثها

الاعراض — سير هذا الداء مختلف فبعضه يكون سريعا والبعض الآخر يكون بطيئا فيمكث عادة من ستة أشهر الى بضع سنين

وأهم أعراضه السعال وضيق النفس والبصق الصديدي والنحافة الزائدة والحمى ونزف الدم من الصدر

وتبدأ هذه الاعراض بطرق مختلفة ، ففي كثير من الاصابات تبدأ بالسعال وبصق المخاط مع الصديد زمنا ما، وكثيرا ما يتوهم الشخص أن داءه من البرد فلا يعبأ به كثيرا في أول الامر ، وفي حالات أخرى تبدأ بالنزف الرئوي، وفي هذه الحالات قد يكون الشخص متمتعا بالصحة فيندهش بمفاجأة النزف الرئوي له بعد سعال خفيف فيخرج منه بضعة دراهم أو أوقية وقد يزيد الدم الى نصف لتر و بعد زمن تظهر باقي الاعراض ، وقد يعاوده النزف عدة مرات . وفي حالات قليلة يبدأ المرض بشكل التهاب رئوي أو التهاب بليوراوي مع انسكاب في الصدر . وهناك بعض الحالات التي تبدأ باضطراب في الجهاز الهضمي فيصاب الشخص بالاقهاء مع القيء المتكرر والنحافة ثم تتم باقي الاعراض المذكورة

مضاعفات هذا الداء

الجهاز التنفسي — يصاب بالتهاب الحنجرة، فيبح صوت المريض وفي بعض

الاحوال النادرة قد يكون ذلك أول ما يلاحظ على المريض . ويصاب هذا الجهاز أيضا بالتهاب البليورا كما سبق مع الانسكاب المصلي أو الانسكاب الصديدي أو الدموي أو تخترق الرئة فيدخل الهواء في تجويف الصدر وبذلك يبطل تنفس الرئة المصابة

الجهاز الدوري — يصاب القلب بالضعف والتمدد في الاحوال المزمنة . وقد يصيب الدرن بعض شرايين الرئة فيفجرها ويحصل بسبب ذلك نزف شديد قد يكون سببا في الموت العاجل

الجهاز الهضمي — يصاب كما قلنا بالإقهاء والغثيان والقيء وعسر الهضم والاسهال وهو كثير الحصول في درجات المرض الاخيرة . وقد يصاب البريتون أيضا بالتدرن ، وقد تصاب الكبد والطحال والكليتان والامعاء بتغير مخصوص في أنسجتها يسمى عند الاطباء [الارتشاح الشمعي Waxy degeneration] ويشاهد أحيانا ناسور في الشرج بسبب هذا الداء أيضا

الجهاز العصبي — قد يصاب بدرن في السحايا

وقد تصاب أعضاء أخرى بالدرن فتزيد المرض شدة فوق شدته

نهاية المرض — يحصل الموت بهذا الداء بالطرائق الآتية : نهاكة القوى أو النزف أو اختراق الرئة أو التهاب السحايا أو انثقاب الامعاء أو التسمم البولي

الانذار — اذا اكتشف هذا الداء في أول درجاته فقد ينجح فيه العلاج ويشفي منه المريض غير أن أثر الدرنات يبقى في الرئة . وفي بعض الاحوال يسرع الموت الى المريض في أشهر قليلة وقد يمكث المصاب به عدة سنين قد تمتد الى الخمسين

المعالجة — لا يوجد دواء لهذا الداء محقق النفع ، وانما يتلخص العلاج في الكلمات الآتية : يوضع المريض في أصح الاهوية وأجودها وأكثرها تعرضا للشمس ، ويكثر من الراحة والنوم لتوفير قواه وكذلك يكثر من الاغذية الجيدة السهلة الهضم كاللبن والبيض والعسل واللحوم بأنواعها الى غير ذلك ، واذا اشتدت الحمى أو أصاب المريض الاسهال وجب عليه الاقتصار على الاغذية السائلة . وبالاختصار يجب اتباع جميع القوانين الصحيحة حتى تتقوى البنية فتغلب على المرض

ويعطى للمريض الادوية المقوية كزيت السمك والحديد (بشرط ان لا تكون حرارة المريض مرتفعة جدا) والزرنيخ والكينين وغير ذلك ، وهناك أدوية مطهرة للصدر يعرفها الاطباء فلا حاجة لذكرها هنا

ويجب أثناء المرض ان يبادر الطبيب بعلاج كافة الاعراض والمضاعفات بجميع الوسائل الممكنة السريعة التأثير حتى لا تنهك قوى المريض

الوقاية — تكون بما يأتي : —

(١) يتجنب المريض البصق على الارض أو في أي مكان يمكن أن يصل منه الميكروب الى الاصحاء . ومن أحسن الوسائل أن يكلف المريض بالبصق في مباصق خاصة (منها ما يحمل في الجيب) ويوضع فيها محلول مطهر كحامض الفنيك بنسبة ½ من الماء . واذا بصق في منديل وجب حرقه أو غليه غليا طويلا قبل أن يمسه أحد

(٢) يجب على كل شخص أن يتقي القرب من المريض حتى لا يكون في طريق الذرات التي تتطاير منه أثناء السعال وغيره ؛ فلا يجوز النوم معه في الفراش أو الجلوس بالقرب منه . ويجب على المريض أن يتحاشى الزواج خدمة لنفسه حتى لا تضعف قواه ولا يأتي بنسل ضعيف وخدمة للامة بعدم عدوى النساء وبعدم ايجاد ولد له يكون ضعيفا أو مصابا بالسل مثله

(٣) يجب تهوية الاماكن التي يسكنها المسلولون وتعريضها لشعاع الشمس كثيرا وتنظيفها دائما بالمحاليل المطهرة وغلي كل مافيها من أواني ومُلاآت وغيرها

(٤) يجب ان تتقي الامهات المسلولات ارضاع أبنائهن

(٥) يجب على الناس كافة طبخ لحوم الحيوانات طبخا جيدا وتقطيع اللحم الى قطع صغيرة مع اطالة مدة الغلي حتى تصل الحرارة إلى ماقد يكون في باطنها من ميكروب الداء، فقد ثبت أنه اذا زادت قطعة اللحم عن ستة أرطال فلا تكون درجة الحرارة في باطنها كافية لقتله . وكذلك يجب غلي اللبن غليا جيدا مدة خمس دقائق على الاقل . واذا علم أن حيوانا مصابا بالدرن وجب اجتنابه وتحاشي أكله أو شرب لبنه وابعاده عن الحيوانات الاخرى السليمة . وهناك طريقة لتمييز الحيوانات المصابة

بالدرن عن غيرها ، وذلك باستعمال (التيو بركيولين) وسيأتي الكلام على ذلك تفصيلا. وليلاحظ عدم الغلو في غلي اللبن كأن يوضع في اناء مغلق وتطول مدة الغلي فانه قد ثبت أن ذلك يفسد بعض مواده الضرورية لحياة الجسم، فاذا اقتصر الشخص على شرب مثل هذا اللبن المبالغ في تعقيمه كالاطفال مثلا فقد يصاب بداء الكساح أو بالاسكربوط ، فلذا يجب الاعتدال في تطهير اللبن

واذا خيف على الطفل من هذين الداءين فيحسن تغذيته بالاشياء الآتية مع اللبن وهي القشدة وزيت السمك وعصير البرتقال المحلى بالسكر أو بالعسل ومرق اللحم ، واذا كان للطفل بعض أسنان فلا بأس في اعطائه قليلا من الموز بعد عجنه ولو باليد النظيفة

(٦) يجب على كل شخص أن يتجنب كل ما ينهك القوى ويفسد الصحة كالسكنى في الاماكن الفاسدة الهواء أو الانهماك في الدخول الى الاماكن المكتظة بجماهير الناس كالمسارح و[دور الصور المتحركة] ونحو ذلك ويتجنب السهر الطويل واجهاد الجسم أو العقل وكثرة الجماع أو جلد عميرة وادمان الخمور ، وينبغي الاكثار من الرياضات البدنية مع الاعتدال واستنشاق الأهوية النقية — كالتي في الفلوات والبحار — وتعاطي الاغذية الجيدة السهلة الهضم والاكثار من النوم واتقاء شرب الدخان واستنشاق الغازات والابخرة المتصاعدة من النيران والمصانع وغيرها، وبالجملة فالواجب التزام قواعد الصحة كافة وعدم التهاون في شيء منها .

العرب والاسلام
والترك الاتحاديون

ان قراء المنار بعد الانقلاب العثماني يعلمون أن الجرائد الاسلامية الهندية أول من رمى الاتحاديين بالكفر والإلحاد ، وان المنار كان أول الصحف الاسلامية دفاعا عنهم ، ولما كثر الخلاف في أمرهم رحلنا الى الآستانة بعد تمهيد مع جمعية الاتحاد والترقي المركزية للقيام بمشروع الدعوة والارشاد في الآستانة وللسعي في التوفيق

بين الترك والعرب وكانت نواجم الخلاف والتخاصم قد نجمت وامتدت من العاصمة الى الولايات . وقد اقمت في الآستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا أزال أرى في كل سنة من الآيات ما يؤيده ويقنعني بأني قد سبقت الى إدراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا الاجانب

ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه كالشيخ عبد العزيز جاويش لامكنني ان أنال في الآستانة من الاتحاديين أنفسهم ما لامطمع لعربي في نيل مثله ، فقد مناني الاتحاديون أعظم الاماني لانهم كانوا يظنون انني مدافعت عنهم وردت على من سبق الى رميهم بالكفر والالحاد وإفساد هذه الدولة الا لان اسلامي سياسي يدور مع المنفعة الشخصية أنى دارت

ويعلم قراء المنار انني قد حملت على الاتحاديين بعد عودتي من الاستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم أحد بمثلها في الشدة ، كما يعلمون انني لم أكتب شيئا ينافي مصلحة الدولة العثمانية نفسها ، ولا شيئا ينافي الإخاء الديني بين العرب والترك، فأنا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين . بل أعتقد أن كل ما كتبته كان خدمة للاسلام وللدولة ، وان الموافقين لي عليه من علماء الترك وجمهور المتدينين فيهم أضعاف الموافقين لي عليه من العرب ، لان الذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الالحادية من العرب قليلين جدا وانما لم يكثروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب في سورية مصلوبين في أعظم مدنها عمرانا وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الاكبر أمير مكة المكرمة

وقد كتب بعض العرب العثمانيين من اسرى الحرب وغيرهم مقالات في مقاصد الاتحاديين وعداوتهم للعرب وللاسلام نشروها في المقطم والاهرام فظن كثير من المصريين انها مقالات مصنوعة افتجرها كتاب الجريدتين حتى ان منهم من لم يصدق ما نقل عن كتاب [قوم جديد] وكتاب [اتحاد اسلام] وانما لم يصدق هؤلاء هذه الاخبار لانهم لا يريدون ان يصدقوا ما لا يلذ لهم تصديقه . ولو كانوا ذوي غيرة على الدولة والدين وحرص على بقائهما كحرصهم على لذتهم وراحة بالهم لتحروا وبحثوا عن أصل كل ما يقال في هذا الموضوع ليكونوا على بصيرة من أمر

أعظم الاشياء موقعا من أنفسهم وأهمها لديهم

كان مقصد الاتحاديين خفيا ثم عرف رويدا رويدا ، ثم اشتهر وتواترت أخباره في جميع الامم . واننا ننقل من ذلك عن جريدة الاهرام ما يأتي :

الاسلام والجامعة الطورانية

كيف يسعى الاتحاديون لملاشاة الحضارة الاسلامية (*)

كتب مراسل شركة [سنترال نيوز] الخاص يقول :

في خلال بضع السنوات الاخيرة بدت في بلاد تركيا طلائع حركة جديدة تعرف بنهضة « بني طوران » أو [الطورانية الحديثة] وغرضها هدم المدنية الاسلامية واحياء العصبية التركية على انقاضها والجمع بين العناصر التركيـة التترية والشعوب المنتمية اليها ومنها الامة البلغارية. أما القائمون بهذه الحركة فهم قوم مشهورون بعدائهم للاسلام وتعصبهم عليه وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بذلك الكره بحجة ان الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية ويحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال

ومما يقولونه أيضا ان الاسلام لا محل له في المدنية ولا يمكن ان يعيش طويلا الا اذا أدخلت عليه تنقيحات عديدة تلائم المذاهب التركية القومية

ولهذه النهضة وجهتان احداهما أدبية والاخرى سياسية . فغاية الوجهة الاولى تمجيد الشعوب الطورانية ونشر تاريخها المجيد . وغاية الوجهة الثانيـة القضاء على العصبية العربية . فجنكيزخان هو في نظرهم نموذج الملوك ورجال السياسة فكل مملكة ينشؤونها يجب ان تقوم على المثال الذي رسمه . وأما العرب في نظرهم فهم عصبية على الاتراك . ولذلك يجب القضاء عليهم أو ادماجهم في العنصر التركي حتى ينسى العالم تاريخهم وتقاليدهم . أما لغتهم فلا بد من محوها واحلال اللغة التركية محلها في كل صقع وناد

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم الخميس ١٦ ذي القعدة — ١٤ سبتمبر

والغريب ان كتاب الاتراك الحاليين الذين يدعون بأنهم وطنيون بكل معنى الكلمة ينشرون اليوم المقالات الضافية ويحثون أبناء قومهم على الطواف بجميع أنحاء السلطنة للمناداة بهذه البدعة الجديدة ومن أغرب ماروى من هذا القبيل ان أحد الاتراك طاف حديثا بسوريا وهو ينادي بهذه الضلالة

والحكومة الاتحادية تؤيد الآن جمعية «بني طوران» وتعززها بالاعانات المالية المديدة وتسمي تلك الاعانات «باعانات الملية التركية» وجميع كبار الاتحاديين أعضاء فيها وهم بعيدون عن الاسلام بعد الارض عن السماء. والمسلمون ينكرونهم لما يرون منهم من الاعتداء على حدود الشريعة الغراء

ولا يخفى ان الالمان هم الذين يؤيدون الاتحاديين في هذه السياسة الخرقاء فقد ثبت لهم الآن انهم لا يستطيعون اخضاع الاسلام لسياستهم ولا هم نجحوا في اثارة المسلمين الخاضعين لفرنسا وانكلترا على هاتين الحكومتين. فانقلب زعمهم العطف على الاسلام الى كره شديد له وأخذوا يسعون ضده مستعينين على ذلك بالجامعة الطورانية الجديدة. وقد علم العالم أجمع ماكان من أمر المنشورات الالمانية التي اكتشفها الجنرال [سمطس] في موشي والتي كان غرضها سحق الاسلام في المستعمرات الالمانية، ولذلك فألمانيا هي أكبر خطر على الاسلام مع انها تتظاهر بالغيرة على المسلمين

(*)

ليس من ينكر فضل الاسلام على العالم وما كان لمدنيته من الآثار المجيدة. أما الشعوب الطورانية فليس في التاريخ ما يدل على انها عملت عملا واحدا أفاد الانسانية بل بالعكس كانت جميع أعمالها تدميرا وتخريبا فالطورانيون لم يستنبطوا شيئا للمنفعة بل كانوا حيثما حلوا أخربوا معالم المدنية ومحوا آثارها واستعبدوا الشعوب التي يقهرونها بأساليب هي في غاية الهمجية

أما أدعاء دعاة الجامعة الطورانية بأن الاسلام قد حال دون نشوء المدنية التركية فغير صحيح. ولا يخفى ان المدنية العثمانية هي خليط من آثار المدنيات العربية والفارسية والبيزنطية والشعوب الطورانية التي لم تدخل في الاسلام لا مدنية لها على الاطلاق وانما هي استعارت شيئا من عمالة الحضارة الصينية ولو ان السلطنة العثمانية قد

اعتمدت على المدنية التركية لكانت قد أصبحت في خبر كان منذ أجيال عديدة لان المدنية التركية كما قلنا هي تخريبية لا تعميرية والشيء الوحيد الذي يفوق به الطوراني غيره هو الظلم والجور واضطهاد جميع العناصر التي لا تسبح بحمد الطورانية وتحمدل . وبسبب ذلك اعتقاده بأن جميع تلك العناصر وقفت حائلا بينه و بين تركمان آذر بيجان والقوقاز .

هذه رسالة شركة سنترال نيوز وقد نشرت الصحف الانكليزية كلها هذه الرسالة و بسطت فيها الكلام بسطا ضافيا

الاسلام والطورانية الحديثة

ما يفعله الاتحاديون لمقاومة الاسلام (*

نشرنا منذ بضعة أيام فصلا عن الاسلام والطورانية الحديثة ضمناه ما نشرته الصحف الانكليزية نقلا عن شركة « سنترال نيوز » الصحافية . وقد وقفنا الآن على مقالة ضافية في هذا الموضوع نشرتها مجلة الشرق الادنى فرأينا أن نورد خلاصتها لحضرات القراء قال الكاتب :

بدت طلائع الطورانية الحديثة في الاستانة في عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة في جميع انحاء السلطة العثمانية . وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الاصلي الانفصال عن الاسلام ولها أغراض أخرى عديدة ينحصر أهمها في ما يأتي :

(١) جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام

(٢) ترقية الروح العسكري في الاتراك

(٣) انشاء علاقات تجارية وغيرها مع مسلمي اذربيجان وروسيا الاسيوية وروسيا الجنوبية

---

*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم السبت ١٨ ذي القعدة — ١٦ سبتمبر

(٤) تطهير اللغة التركية من كل ماهو عربي أو فارسي

(٥) محو الجنسية العربية وادماجها في الجنسيات الاخرى

ويرمي القائمون بهذه الحركة الى جعل التركي يعتقد أنه تركي قبل كل شيء ومسلم بعد ذلك . ويقوم بمساعدة هذه النهضة جمعية « الملة التركية » التي تؤيدها الحكومة الاتحادية . بالاعانات المالية . ومن مبادئ هذه النهضة تربية الاجيال الحاضرة والمستقبلة على الروح الطوراني بانشاء مدارس طورانية بحتة . وبناء عليه يجب التوسع في تعليم التاريخ باللغة التركية وانشاء فرقة كشافة (سكوتس) من الاولاد الاتراك تحت إشراف أنور باشا . وقد أنشئت الآن هذه الفرقة وشرع الاولاد الذين فيها يتربون تربية عسكرية توطئة لدخولهم في الجيش . أما شارات الفرقة وراياتها فمأخوذة عن رموز ترجع الى ما قبل الاسلام . والاولاد الذين لهم أسماء عربية تستبدل أسماؤهم بأسماء تركية بحتة

ولهذه النهضة وجهة لغوية أيضا ولذلك أخذ زعماؤها يترجمون كثيرا من المؤلفات العلمية والتاريخية الى اللغة التركية البسيطة وقد كان في نيتهم أن يترجموا القرآن أيضا ولكن علماء الاسلام قاوموا تلك الفكرة بكل عزم وحالوا دون تنفيذها

ويعزى نشوء هذه النهضة الى عدة أسباب نذكر منها السببين الآتيين وهما :

(١) اللغة

لايخفى أن أحرف اللغة التركية مأخوذة عن الاحرف العربية والاصطلاحات التركية تزداد كل يوم تعقدا وصعوبة في نظر الطبقة الساذجة

(٢) كتاب المسيو [ليون كاهون] عن تاريخ الترك والمغول من أقدم الازمنة الى سنة ١٤٠٥ للميلاد وقد توجت الاكاديمية الفرنسوية هذا الكتاب ، واتفق أن ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي العام قرأ هذا الكتاب فوضع أساسات النهضة الطورانية التي نحن بصددها

ولا شك أن نهضة كهذه مما تهم العالم الاسلامي قاطبة وتهم أيضا انكلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا اللواتي يحكمن على الملايين من المسلمين . والذي يشجع الاتحاديين على ترويج هذه النهضة اعتقادهم صحة النظرية التي ابتدعها [فمبيري] وهي

أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية . فالاتحاديون يقولون ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الاتراك « مسلمين ليفانتيين » وحال دون نشوء حضارتهم . على أن هذه الدعوى هي عكس الحقيقة تماما فان الاتراك الذين جاءوا أصلا من حدود الصين وانتشروا في مجاهل آسيا حتى ضفاف [الاوكسوس] لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لانهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لكل من يطلب معونتهم . ولم يحاول أحد من قواد الاتراك أن يخضع جميع القبائل التركية، نعم ان [جنكيز خان] كان يحلم بنشر سلطته عليها ولكنه لم يفعل . وقد اشتهر بأنه كان يقتبس عن الصين والعجم والعربية و بيزنطة وجرمانيا كل ما كان يروقه فيها من آثار الحضارة . ولا شك أن أهم ما اقتبسه هو الاسلام

فالاسلام لم يحل دون نشوء الحضارة التركية اذ لم يكن للاتراك حضارة خاصة بهم

وكل ما لدى الاتراك من حضارة هو بفضل الاسلام ، ولما كان التركي مشهورا بروح الخضوع العسكري لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفا في قبضة الاسلام

ان العنصر الطوراني لم يشتهر بشيء من قوة الابتداع . وما تاريخه سوى تاريخ وتدمير. فقبائل [بوشي] أخربت مستعمرات بكتريا اليونانية. وقبائل [الهون] اجتاحت رومية الشرقية ورومية الغربية اجتياحا همجيا وقبائل [أفار] سعت لسحق الشعوب السلافية في مهدها، و [هولاكو] ردم أقنية بابل وجعل أخصب بقاع الدنيا بلادا قاحلة حتى الان، والعثمانيون أبادوا الحضارة البيزنطية التى ربوا عليها وا كتسبوا منها شيئا من العلم والمعرفة. هذه هي القبائل الطورانية التي تباهي « باتيلا » الذي كان نقمة الله على العالم، وجنكيزخان الذي سمى نفسه « غضب الله تعالى » ولما شرع الالمان يحاربون البلجيك وغيرها من دول أوروبا رأوا أن يقتبسوا أساليب جنكيز وأتيلا وتيمورلنك

***

ومما يدل على ان العقل التركي ليس عقلا مستنبطا انه لم يات بمستحدث في الاسلام. بل هو أخذ الاسلام ودان به كما هو. ولو كان مخلوقا مفكرا لرأيناه بعد انتحاله الاسلامية يزيد عليه أو ينقص منه ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك لعجز مخيلته عن الاختراع

امبراطورية تركية

ومما تسعى اليه نهضة الطورانية الحديثة انشاء أمبراطورية حربية واسعة الارجاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لرسيا أو لأية دولة أخرى. «أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها في الجنسية التركية المحضة لأنها خطر كبير على الجنسية التركية . ومن أمثلة الاتراك من هذا القبيل قولهم : واذا لم نعامل العرب كالرومانيين عاملونا بما نستحق » لذلك تراهم يسعون « لتتريك » العناصر العربية بحسب الاساليب البروسية

ومما يستحق الذكر أن جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير قال في كتاب حديث الفه ما يأتي : « ان بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين. ومما لامندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الاقطار العربية الى اقطار تركية لان الجيل العربي الحديث قد صار يشعر الآن بعصبيته وهو يتهددنا بنكبة عظيمة فيجب أن نحتاط للامر من الآن »

وكتب أحمد شريف بك مقالة في [طنين] جاء فيها ما يأتي : «لايزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما كأنهم ليسوا تحت حكم الاتراك . فمن واجبات [الباب العالي] أن يجعلهم ينسون لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الامة التي تحكمهم . فاذا أهمل الباب العالي هذا الواجب كان كمن يحفر قبره بيديه لأن العرب لن ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم . بل سيسعون لاسترجاع مجد مملكتهم واعادة ترميمها على انقاض دولة الاتراك »

وجاء في نبذة وزعها الاتراك في القوقاز . « ان العرب هم بلية علينا مع أن حصان التركي خير من أي نبي ظهر في العالم »

هذا وقد علقت مجلة الشرق الادنى على هذه المقالة بتوجيه نظر العالم الاسلامي الى الخطر الذي يتهددهم ان هم تباطأوا عن الاحتياط لدرء ذلك الخطر

منشور شريف مكة واميرها

نشرت الجرائد المصرية اليوميـة في آخر الشهر الماضي منشور شريف مكة وأميرها الذي وجهه الى العالم الاسلامي ، وانه المنشور كتب بمداد الحكمة واصالة الرأي وشرف الغاية . وملخصه ان الشرفاء (أمراء مكة المكرمة) كانوا أول من اعترف بسلطة سلاطين آل عثمان الكرام لما كانت أحكام دولتهم قائمة على أساس الشرع الاسلامي حبا في الوحدة الاسلامية وكراهة للشقاق وتفرق الكلمة ، وان صاحب المنشور نفسه قد بالغ في الاستمساك بعروة الدولة حتى انه حمل بجنده من العرب على العرب وقاتلهم لاجل الدولة

ثم انتقل من ذلك الى سيرة فئة الاتحاديين الباغية فبين انها قد جنت على الدين والدولة والامة فانحرفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغيرت أحكام القرآن ، وحجرت على السلطان حتى منعته من التصرف بشؤون خاصته وقصره ، ونكلت بالامة ، فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود الذمة ، وخصت العرب بالاضطهاد فصلبت في الشام كثيرا من أهل العلم والرأي والفضل ، واستحلت مصادرة الاموال واخراج النساء المخدرات والاطفال من ديارهم وأموالهم ونفتهم الى بلاد الاناضول من غير ذنب و بغير تهم شرعي . ثم ذكر تقحمهم بالدولة في هذه الحرب وتعريضهم اياها للخطر ومأجنوه على البلاد بذلك ، وذكر ما حل بالحجاز من جراء ذلك وان الضيق قد بلغ بأهل الدرجة الوسطى الى بيع أثاثهم ثم بيع خشب بيوتهم حتى الابواب والسقف

ثم بين ان بلاد الحجاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاسد العامة التي اجترحها الاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لان الاتحاديين يتعمدون فساد هذا الدين ومحو هذه الامة العربية من لوح الوجود . وذكر ان الحامية التي وضعها الاتحاديون بمكة أرادت الانتقام من أهل البلاد فأطلقت قذائف مدافعها من حصن جياد على الحرم الشريف فأصابت بيت الله عز وجل وقتلت كثيرا من الطائفين والمصلين فيه

قل «وحسبنا برهانا على ما تكنه صدورهم نحو الدين والعرب رميهم البيت العتيق الذي أضافته العزة الأحدية لذاتها السبحانية في قوله تعالى ﴿ وطهر بيتي للطائفين ﴾ وهي قبلة المسلمين وكعبة الموحدين بقنبلتين من قنابل مدافعهم التي بحصن جياد أثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها وتمت احداهما فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة أذرع التهبت بإزرها أستار البيت حتى هرع الالوف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضجيج والنحيب واضطرهم الحال الى فتح باب البيت والصعود الى سطحه للتمكن من اطفاء اللهيب ، وما انتهى أمرهم بهذا حتى عززوا الاثنتين بثالثة في مقام ابراهيم ، وهذا عدا ما وقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غالب مقذوفاتهم بالقنابل والرصاص ، وما زالوا يقتلون الثلاثة والاربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تعذر على العباد القرب من البيت ، وفي هذا من الاستخفاف والازدراء بالبيت وتعظيمه وحرمته ماتترك القول والحكم فيه أيضا لعموم المسلمين في مشارق الارض ومغاربها »

وهذا المنشور يؤيد ما شرحناه مرارا في المنار من سيرة هذه الجمعية الباغية في الدولة والامة ، ومن اطلع عليه من قراء المنار يعجب اذ يرى أكثر مسائله في المحاورة التي نشرناها في الجزء الماضي ، وسبب ذلك انها حقائق يعرفها جميع خواص العثمانيين وكثير من عوامهم فكيف تخفى على أمير مكة المكرمة على مكانته في الذروة العليا من الامة والدولة ، وأهل بيته منهم الاعضاء في مجلس المبعوثين كنجله الشريف عبد الله وفي مجلس الاعيان كأخيه الشريف ناصر

وقد أعجب أهل الفضل بنزاهة المنشور ومحافظته على كرامة الدولة العثمانية وسلاطينها العظام وكرامة الشعب التركي أيضا وحصره السيئات التي يشكو منها جميع العثمانيين وكل غيور على الدولة في سيرة الاتحاديين فيها

ومن حكم لروية والانصاف في سيرة الاتحاديين يستدل من موافقة هذا المنشور لكثير من المطاعن التي قيلت فيهم على أن أخبارها قد بلغت حد التواتر بكثرة مصادرها فالشريف الاكبر لم يستمد ماذكره في منشوره من الجرائد المصرية ولا الاوربية ولعله لم يطلع على شيء منها قبل كتابته ، بل يستمد بياناته من الاقوال

والاعمال الرسمية . مثال ذلك ما ذكره من الشواهد على جنايتهم على الدين وجرأتهم على هدم أركانه والعبث بأحكامه ، فانه ذكر منه أمر سلطتهم العسكرية بالزام جنودهم المقيمة في الحجاز وغيره من الامصار الفطر في رمضان وأمرهم لقاضي مكة بعدم الاعتداد بشهادة المسلمين بعضهم على بعض الا ما كتب منها في محكمته ، وأما أخبار فتكهم بأهل الفضل والنبل من مسلمي سورية تقتيلا وتصليبا ومصادرة الاموال ونفي النساء والاطفال فلا شك في أخذه إياه من الجرائد السورية الرسمية وغير الرسمية وان لم يصرح بذلك . ودليلي على ذلك ان أول كتاب جاءني من وكيل المنار في الحجاز قد نقل فيه عن تلك الجرائد اسماء من قتلوا وصلبوا في الشام من كبراء العرب ومنهم السيد الزهراوي وشفيق بك المؤيد وغيرهما

وقد تذكرت بهذا أنه لما ذكرت الجرائد المصرية أول نبإ عن صلب فضلاء العرب ببيروت وهم الاحد عشر الذين منهم النابغة محمد المحمصاني وعبد الكريم قاسم الخليل أرسل إليّ فؤاد الخطيب برقية من الخرطوم ذكر فيها ارتياعه واستفظاعه للخبر وشكه في صحته والرغبة اليّ في ارسال برقية اليه ببيان رأيي فيه وقال انه لا يثق به الا اذا كنت مصدقا له . فأرسلت اليه برقية قلت فيها انني لا أثق بشيء من ذلك . ثم جاءت جرائد أوربة فجرائد أمريكة تثبت الخبر ، وفي جرائد أمريكة العربية السورية نقل له عن جرائد سورية . ثم انني كنت مارا مرة بنظارة الحربية فرأيت فيها رجلا قد أسره الانكليز من سينا فسألته عن بلده وعن أخبار سورية فقال انه من القدس ، وأخبرني بخبر الذين صلبوا في بيروت ، فقلت هل تعرفهم قال لا بل أعرف بعضهم بالاسم ، قلت ممن علمت بخبر شنقهم ؟ قال من جريدة القدس الرسمية . لاجل هذا قلت في المحاورة التي نشرت في الجزء الثالث ان خبر صلب من صلب في سورية قد ثبت عندي بالتواتر

لقيت أول من أمس صديقا لي من رجال القانون أعرف منه استقلال الرأي فتكلمنا في هذا الموضوع فقال انه يجب ان يجعل نفسه كالقاضي في هذه القضية فلا يحكم فيها . قلت بل يجب ان تجعل نفسك بمكان المؤرخ المنصف الذي يمحص الاخبار ، ثم يجزم بالنفي أو الاثبات ، فأنا لم أكن خصما للاتحاديين بل كنت صديقا

لم قبل الدستور و بعده ، وكنت أول من دافع عنهم لما حملت عليهم جرائد الهند الاسلامية ورمتهم بالكفر والالحاد ، واسقاط خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد لاجل ابطال الحكم الاسلامي ، ولما شاع أمر جبثهم بالدين وتعصبهم على العرب وشبرهم تثبت في الحكم عليهم وذهبت الى الآستانة فأقمت فيها سنة كاملة معهم ساعيا في خدمة الاسلام عامة وفي التأليف بين الترك والعرب وعلمت بالاختبار الطويل ان كل ما قيل فيهم دون الواقع كما بينته في المنار

وجملة القول ان منشور الشريف الذي كان قبل استقلاله في الحجاز أعظم الامراء العثمانيين هو أعظم الحجج على ملاحدة الاتحاديين ، كما أنه تأييد من سيد العرب لطلاب الاصلاح من العرب ، لانهم بنوا سعيهم على أساس المحافظة على الدولة العثمانية ، ومن قواعدهم ان لايكونوا سببا من أسباب ضعف الدولة ولا تمزيق وحدتها . وقد انسلخ من الدولة عدة ممالك وولايات بسوء سياسة الاتحاديين : البوسنة والهرسك وطرابلس الغرب وألبانية ومكدونية وكريت وجزائر الارخبيل الرومي « - دع ولاية البصرة . والولايات الارمنية والاناضولية التي ذهبت في هذه الحرب — ولم يكن العرب سببا في زوال شيء منها . فهذه أكبر حججنا على هؤلاء المخربين

باب المراسلة والمناظرة

حال المسلمين الاجتماعية

﴿ وفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

للفاضل النيور — م . ن — صاحب الرسالة التي نشرت (في ج ١٠ م ١٨)

حضرة حكيم الاسلام السيد الامام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية :

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فلست صحفيا ولا من المشتغلين بالتحرير ولا يسع وقت فراغي كتابة المقالات ، وتنسيق العبارات ، فان في أعمالي اليومية لشغلا شاغلا . فان اكتب اليكم فانما اكتب مدفوعا بعامل القيام بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » التي عفا أثرها من بين المسلمين . اذ لولا صوت المنار الحي المرتفع الذي يدوي في الآفاق فيفتق أغشية الآذان ، ويرقق حجب القلوب ويفتح الاذهان ، ويوقظ النائم ، وينبه الغافل — لولا ذلك الصوت المنعش للنفوس المحرك للهمم ، لصح أن يقال ، ولا عتب في المقال : ان الامة الاسلامية شبح بلا روح

كتبت رسالتي الماضية في موضوع الدعوة والارشاد ولم يكن لي غرض سوى العمل بهذه الفريضة واقامة الحجة امام الله تعالى على المسلمين الذين تهاونوا فيه وفي كل عمل اسلامي . وانه وان لم يكن لدي كبير أمل في أن يقدم المسلمون في الحال ، ما يحتاج اليه المشروع من المال ، فقد كان رجائي عظيما في النجاح التدريجي الذي يؤدي الى النجاح التام . ولكني ما كنت أظن أن يكون نصيب هذه الدعوة الصمت والجمود اللذان يدلان على شدة ما تعاني الامة الاسلامية من أدوائها الاجتماعية .

الذلك حدثتني نفسي بعد طول الانتظار بأن أبعث اليكم بهذه الرسالة الثانية زيادة في التذكير ، وتأكيدا للانذار والتحذير ، ولأبين ان المسلمين غير معذورين في البقاء في هذه البؤرة النتنة ، وان وسائل النجاة والحياة في أيديهم والامر كله متعلق بمشيئتهم . وهذه هي الرسالة :

دعوت المسلمين في رسالتي الماضية لتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وما كنت لأدعوهم الا الى حق وأوضحت لهم خطورة الحالة التي نحن فيها وما كان لي أن أكذب . وأقمت لهم الدليل على أن المشروع كافل لاصلاح الحال ، وما كنت الا صادقا . وانتظرت ماذا يكون من أمر هؤلاء وأطلت الانتظار فألفيتهم صموا عن النداء ، واختاروا البقاء في الشقاء ، وما كنت مكرها لهم على ما تثاقلت عنه نفوسهم ولا اكراه في الحق

انه ليحزنني أن تخيب دعوتي وليس ذلك لانها صادرة مني فما هي الا صدى لاصوات صاحب المشرع ومن نصروه فيه من قبلي . وانما حزني وأسفي لحرمان الامة الاسلامية من الخير العظيم الذي كان ينتظرها ان هي أجابتها، ولكن ماحيلتي وقد دعوت ونصحت وما فرطت ، والامة أعرضت وجحدت واستكبرت . وقد فشلت دعوة الكثيرين من أهل الغيرة والاخلاص من قبل فلم ينقص إعراض الناس عنها من قدر الحق ولا من قيمة ما دعوا اليه شيئا، اذ الحق حي بذاته لا يضره أن يكفر الناس به كما لا يرفعه أن يغلوا فيه . وان في ضياع صوت أستاذنا العظيم في فضاء غفلة هذه الامة الجاهلة لعبرة وذكرى للمنشاعين المتسرعين

انه ليقع الانسان في الحيرة ويأخذه العجب لخيبة دعوة الحق بين المسلمين وفيها خيرهم وفلاحهم ونجاح دعوة الشر فيهم وفي اجابتها هلاكهم وشقاؤهم. فما أشد ظلمهم لاهل الحق الذين يغارون على الامة ويريدون لها الرشاد، وظلمهم لانفسهم باتباعهم أهل الضلال الذين يسعون في الارض بالفساد ! . ولقد ود المصلحون لو أن الامة عرفتهم فأنزلتهم منازلهم وسمعت اقوالهم واقتفت أثرهم فنهضت بهم . لا يسأل هؤلاء الامة أجرا على عملهم فالحق والعمل الصالح أعلامن أن يقوّما بشيء من حطام الدنيا . وان أخذوا أجرا في الظاهر فليس هو في الحقيقة أجر وما هو من قبيل ثمن لشيء مباع ولكنه مال يسدون به عوزهم ويستعينون به على عملهم الذي يقيمون به لخير الامة وسعادتها . انما أجرهم على الذي فطرهم وهو وحده الذي يقدر عملهم ويكافئهم عليه في دار غير هذه الدار . أما أهل الباطل والضلال فهم ينفثون السم في النفوس والارواح بما ينشرون من رأي، ويدعون اليه من عمل؛ ويسلبون أموال الامة أجرا على هذه الضلالات، انهم لا يرجون عند الله ثوابا ولا بعد هذه الحياة حياة. فهم لذلك يحتالون على جمع المال بأي وسيلة تمكنهم منه، فهو غرضهم الذي اليه ينتهي الامل، والسبب الوحيد الذي يحركهم للعمل . هؤلاء هم رسل الشهوات وأعوان الهوى وأولياء الشيطان، وأولئك هم دعاة الفضيلة وناصروا الحق وحزب الرحمن،

فياليت شعري أيّ الفريقين خير مقاما وأهدى سبيلا . ومن منهما أولى بالاتباع وأقوم عملا وأحسن قيلا ؟ فياخلف خير أمة أخرجت للناس أتستبدلون

الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ وتندفعون الى الاوهام والضلالات مختارين وتقلمون الى الشر ؟

ود كثير من الناس لو يعرفون سبب هذا الجفاء بين المسلمين وأهل الحق والصلاح وهم المحبون الصادقون ، وعلة هذه المودة بينهم وبين أهل الباطل والفساد وهم الاعداء الظاهرون . فانه لا بد لذلك من سبب ومتى عرف السبب زال العجب .

ليس العيب الذي تقدم ذكره هو الوحيد في المسلمين . والا فلماذا يعادي هؤلاء المسلمون أنفسهم و يعطفون على أعدائهم ؟ ولم يعرضون عن مصالحهم و يسارعون الى هلاكهم ؟ وما الذي حسن اليهم الباطل و بغضهم في الحق ؟ وأي شيء سوغ اليهم ارتكاب السيئات وترك الحسنات ؟ ولاي سبب يصالحون الشيطان و يغضبون الرحمن ؟ وما السبب الذي هبط بهذه النفس الانسانية الى درك الحيوانية ؟

انه يوشك أن تكون جميع تصرفات المسلمين مخالفة للعقل والنقل وأحوالهم مرذولة غريبة الشكل . وانما هذه التصرفات والاحوال هي أعراض للمرض العام الذي سكن في جسم هذه الامة فأضعف قوتها الحيوية وأسدل الحجب على بصيرتها فقبحت ما ليس بالقبيح ورأت حسنا ما ليس بحسن . فمرض الامة هو سبب كل ما ننكر من ميولها وحركاتها وسكناتها . فاذا عرف المرض عرف السبب

المرض أو السبب هو كما قال السيد الامام هو ضعف استعداد الامة وحرمانها من الزعيم . وهو قول حق لا ريب فيه ، اذ لو وجد الاستعداد والزعيم معا لنهضت الامة من كبوتها وحييت حياتها الطيبة وفارقها الشقاء ، وزال عنها ما نزل بها من البلاء ، ولكن الى متى نسكت على هذا الضعف فينا ولا نباشر علاج أنفسنا ؟ الآن وقد عرف كنه المرض الذي أصابنا وسبب الضعف الذي أنهك قوانا فمن السهل معرفة علاج هذه الحالة أيضا . إنه وقد أمكن تشخيص الداء فما علينا الا أن نصف الدواء .

لا علاج لضعف استعداد الامة الا في أمر واحد وهو العلاج القديم الذي ثبت صلاحه وتأكد نجاحه رائج في كل زمان وفي كل مكان وسار على سننه الانبياء عليهم الصلاة والسلام في تبليغ رسالات ربهم عز وجل ، وكذلك الصالحون من بعدهم . ذلك العلاج هو اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

أن الناس أفلحوا وسعدوا ما عملوا بهذه الفريضة وخابوا وشقوا ما أهملوها .
فكما أن داءنا في تركها كذلك علاجنا في اقامتها . وقد جعل الله تعالى العمل بهذه الفريضة شرطا ضروريا لصحة الايمان وهي أعظم ما فرض العليم الحكيم على أتباع أنبيائه عليهم السلام ، فكانت ولا تزال اقامتها عنوانا على هداية الناس وسعادتهم، واهمالها دليلا على ضلالهم وخسرانهم واستحقاقهم للمقته « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ه كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

تركت الامة الاسلامية العمل بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » من عدة أجيال فتقدت بذلك قوتها الحقيقية التي كانت تحمي بها الاموال والاعراض والعقول والقلوب والاخلاق والدين من فتك الشهوات وهجمات الشياطين . وماذا يفعل الاعزل من السلاح ، في ميدان النزال والكفاح ؟ صار أفراد المسلمين بعد ذلك — وقد خفت صوت الامة وارتفع صوت الشهوات والهوى والشيطان ، كالعقد الذي تبعثرت حباته أوكذرات الرمال التي تتجاذبها الرياح والاهواء المختلفة فضل الناس في الفهم والرأي والعمل ولا منكر ولا مرشد ، وانحلت الرابطة وتفرقت الكلمة ، وتناكرت العقول والقلوب ، وضاعت الفضيلة ، وحلت محلها الرذيلة، واستبدل الجهل بالعلم ، وأوشك أن يكون الدين المعمول به عند الجماهير الآن، مجموعة خرافات وأوهام وضلالات ، و بدع ومنكرات وتقاليد وعادات ، و بالجملة ان الحال قد تحول الى ما يرى كل انسان، وليس الخبر كالعيان، تلك عاقبة الذين نسوا حظا مما ذكروا به باهمالهم هذه الفريضة فتولدت بذلك في الامة الامراض والعلل، التي أضعفت استعدادها للفهم والعمل ، فضل فيها صوت المصلح ، وخابت دعوة الحق ، وما ربك بظلام للعبيد

وان تعجب فعجب أن يعتذر القادرون على الاصلاح عن اغفالهم ذلك الواجب العظيم باعراض الامة عن الحق والخير وانصراف عقول أفرادها وقلوبهم الى الباطل والشر، ونسوا ان الامة ما سقطت في هذه الهوة السحيقة ، الا بسبب اهمال هذه

الفريضة . كما غفلوا عن كونها أحوج الى الارشاد في هذه الحالة منها في سواها !

ان ما وقع من الامة من التفريط في جنب الله لا ينبغي أن يستلّ عنه سواها وان عليها ان تتحمل وحدها أثقاله وتتجرع مرارته (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . فلا يصح ان يؤدي تفريط الامة في واجبها الى تفريط المؤمن في واجب « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي فرضه الله عليه ، ولا يسقط عنه الا بأدائه سواء استجاب له الناس أم لم يستجيبوا . ماكان ضعف استعداد الامة للحياة أو بعبارة ثالثة ضعف قوتها الحيوية الذي هو نتيجة طبيعية لما كسبت أيديها كما تقدم ليغير من موقف المصلح أمامها ، فهو مطالب على الدوام بأن يصدع بالحق وان كان غريبا عن عقول وقلوب أكثر سامعيه، وان يقرر الحقيقة وان لم يفقهها الا نفر قليل منهم،ولدعوته مع ذلك حجة على الطائع والفاسق،وما الاخير لقلة استعداده بمعذور (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون* وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون* ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء* ما على الرسول الا البلاغ)

وقد دعا كثير من أنبياء بني اسرائيل قومهم الى الحق فكذبوهم وقتلوهم . وما كذبوهم وما قتلوهم الا لانهم لم يفقهوا دعوتهم أو لم يقبلوها. وكذلك كان شأن الناس مع كثير من المصلحين . فما من دعوة الى حق الا وصادفت في أول أمرها إعراضا عظيما ومقاومة كبيرة ممن جاءتهم ، حتى قيل انه لا أمل في قبولها . ومع ذلك لم يكن ذلك الاعراض وذلك التكذيب وتلك الشدائد لتؤثر في همة أولئك الهداة وعزمهم ، أو ترجعهم عن قصدهم ، فمن ذا الذي يجسر ان يقول ان عملهم كان لغوا لان الناس لم يكونوا مستعدين له ؟ كلا بل هو كل الحق والصواب وعين ما أمر الله به وأوجبه عليهم وهو سبب كل ما وجد وما يوجد من خير واصلاح في العالمين وعلة الحركة والحياة في الناس أجمعين .

ان كل دعوة لحق تصيب الغرض سواء أجيبت في الحال أم لم تجب وسواء أدرك الداعي نجاح دعوته في حياته ، أم حصل النجاح بعد وفاته، فهي محدثة أثرها على كل حال . فمثل الكلم الطيب والعمل الصالح وتأثيرهما في النفوس كمثل التفاعلات الكيماوية سواء بسواء ، فان التفاعل الكيماوي حاصل وان كان أحيانا

يسير يبطء تبعا لحالة المو د وطبيعتها وقوة تأثيرها بعضها في البعض الآخر . وكثيرا ما تجري الحوادث الكونية بحيث لا تدركها الابصار ولا تتناولها الحواس، فاذا مضت الايام أو الشهور أو السنون أو القرون فوجئ الغافلون بالنتائج الصغيرة أو الكبيرة التي نشأت عنها . وبالجملة انه كما ان لكل حركة أثرا في مجموع ما يحيط بها من الاشياء كذلك لكل كلمة طيبة أو كلمة خبيثة فعلها في ردع الناس عن الشر أو اغرائهم به . أفليس من الوجوب علينا الاكثار من الكلم الطيب دعوةً للخير ومقاومةً لدعوة الشر التي كثرت واستفحل أمرها ؟

ان الباطل عدو الحق كما أن الحق عدو الباطل . وهذه العداوة قديمة من عهد ان عرف حق وباطل وستبقى مستمرة الى ما شاء الله تعالى . فعلينا ان نفهم هذه الحقيقة ولا يطمعن أحد في التوفيق بين عدوين هما أكبر خصمين في الوجود. انه لا ضرر على الحق من هذه العداوة أو المخاصمة التي لا مفرَّ منها ، فالباطل أضعف من ان يقف امام حق والحق أقوى من ان ينازل باطلا وما كان لباطل ان يوجد مع حق في ساحة فأين وجد حق لا يوجد باطل وان الباطل ليتضاءل أمام أشعة الحق كلما اقترب منه كما تتضاءل الظلمة أمام الضوء . ان الحق ثابت بنفسه والباطل ساقط بذاته أو بعبارة أخرى ان حياة الحق مستقلة باستقلال الحق ولا حياة للباطل الا باستناده الى الحق فهو أشبه بالخيال منه بالحقيقة . انه لا يغلب الباطل الا الحق فالباطل قوي ما غاب عنه الحق وكما انه لا سلطان لحق على حق كذلك لا نفوذ لباطل على باطل وكما ان الباطل يذهب لقدوم الحق فانه لا يترك مكانه لباطل مثله . فيلزم مواجهة الباطل بالحق على الدوام فموت الباطل في قرب الحق منه وحياة الحق في خفاء الباطل. ان الحق حق ولا يمكن ان يكون الا حقاً، والباطل باطل ولا سبيل الى جعله حقا ، فلا بد من الخلاف والتصادم بينهما . ولما كانت مهمة الحق ازهاق الباطل ودأب الباطل الفرار من امام الحق والانتشار في الساحات التي لا سلطان له فيها ، وجب ان يتعقب الحق الباطل أينما حل وسار ، ليتم له الانتصار .

لا عيب في الحق وانما العيب فيمن يدعون انهم أهله اذا قصروا في القيام به ونصره ، والا فكيف يخشى أهلُ الحق أهلَ الباطل وهؤلاء ضعفاء بضعف ما لديهم

من باطل ، وأولئك أقوياء بما لديهم من الحق ؟ لايجوز لاهل الحق ان يدعوا هؤلاء المبطلين آمنين مغرورين بزخرف الباطل مفتونين بظواهره الكاذبة حتى لا يكون ذلك اقرارا منهم لباطلهم ، بل ان الواجب اقلاق بالهم وقذفهم بالحق دائما بدون رأفة أينما ذهبوا أو حلوا أو وجدوا ، في غدوهم ورواحهم ، في نومهم ويقظتهم ، في أعمالهم وراحتهم ، الى ان يذهب نور الحق بظلمة الباطل ، ويعرفوا انهم لم يكونوا الا واهمين . ان نور الحق متى ظهر للناس لا يستطيعون نكرانه وان استطاعوا أنكاره فلا يقدرون على المجاهرة به . وان الاصرار على الباطل بعد أن يفضحه الحق قليل في الناس ، وانما يصر الا كثرون منهم على ما يصرون جهلا منهم وتوهما أنهم على حق ، لاعذر في السكوت على الباطل فيجب أن لا يصد داعيا الى الحق صادّ مهما عظمت المهمة وبعدت الشقة ، واذا بعد الناس عن الحق أوقل عدد الراغبين فيه منهم أو فقدوا في بعض الازمنة أو الامكنة فان ذلك لا يجعل الحق غير حق ، ولا ينبغي ان يكون مانعا من الدعوة اليه اذ الباطل لايصح ان يُرضى به على أي حال .

ان الحالة قاضية بتنبيه المسلمين الى الخطر المحدق بهم ، وأن يقال لهم في وجوههم بصوت جهوري : انكم في هوة انحطاط سحيقة تجب المبادرة الى انقاذ أنفسكم منها . ولا يمكن أن يقال لهم غير ذلك . ينبغي أن يقال للمسلمين : « يامعشر النساء ويامعشر الرجال أنتم على باطل وضلال . وأن تقاليدكم وعاداتكم التي تدينون بها وتحرصون غاية الحرص عليها انما هي من مخترعاتكم ومخترعات آبائكم ، وأن العقل ينكرها وشرع الله يتبرأ منها . وهذه القبور وما حوت من عظام والاشجار والاحجار لا يمكن أن تتخذ وسيلة الى العليم العلام ، ولا سببا لقضاء الحاجات أو شفاء الاسقام ، وهذه الافكار الفلسفية والنزعات المادية التي ابتعتم فيها سفهاء الافرنج بدعوى المدنية لم تكن الا نزغات شياطين . وهذا الفسق والفجور والعصيان من عمل الشيطان ولا يتفق مع رضاء الرحمن . وأن خطتكم التي تسيرون عليها الخطة عوجاء وهي سبب ما نزل بكم من البلاء . فارجعوا الى أصل الدين تكونوا من المهتدين » يجب أن يقال ذلك وماشاكله للمسلمين وأن يبين لهم مايقال تقريبا للعقول والافهام ، فمن قام بذلك فقد قام بواجبه وليس عليه أن يبحث في مبلغ تأثير

كلامه في نفوسهم فليس عليه هداهم وانما الهدى هدى الله .

قد يفقه المسلمون القول ويدركون الغرض المقصود منه في الجملة فيهمون أن يفتحوا عيونهم للنظر ويتحركوا للعمل ولكن قد تغلبهم الشهوات فيعرضون ، ويوسوس لهم الشيطان فينكصون ، وعن اتباع الحق يعدلون . انهم عصوا لضعف استعدادهم ولكن ما حيلة الداعي وأمر استعدادهم بأيديهم ان شاؤا أصلحوه وان شاؤا زادوه ضعفا ؟ وما ذنبه والمرء لا ينفعه زجر زاجر ما لم يكن له من نفسه وازع (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ان الناس مسؤولون عن ضعف استعدادهم كما أنهم مسؤلون عن ضياع كلمة الحق بينهم.وان ضعف استعداد الامة ناشئ عما ارتكبته من السيئات،فيكفي منها الاقلاع عنها وعمل الصالحات ليبدلها الله تعالى من فضله حسنات . ما عذر هؤلاء المسلمين في هذا الانحطاط الذي انفردوا به وفيهم كتاب الله تعالى ، وأمامهم سنة رسوله (ص) وبين أيديهم آثار أهل الحق ورجال الاصلاح ، وتحت أنظارهم الامثال الحسية على قيمة العمل وعلو الهمم فيما يشاهدونه حولهم من المجهودات العظيمة التي تقوم بها الامم العزيزة القوية ؟ ان المريض وان اشتد به المرض قد يجد الى الشفاء سبيلا باتباع أوامر الطبيب والعمل بارشاده . فلماذا لا تطلب هذه الامة شفاءها في القرآن الذي ما فرط الله فيه من شيء ففيه شفاء للناس ؟ ولم لا تستوضح ما أشكل عليها من سنة الرسول (ص) والمأثور عن السلف الصالح ؟ كل ذلك ميسور لها سهل عليها . بل ما الذي يمنعها من الاصغاء لنداء أهل الحق والاصلاح الذين يمنّ الله تعالى بهم على المسلمين من وقت الى آخر رحمة بهم اذا اشتدت الحاجة اليهم وزاد الكرب وضاع اللب وبلغت الروح التراقي ؟ لقد رزق الله الامة الاسلامية من هؤلاء في أقل من نصف قرن ثلاثة أقطاب كل واحد منهم يكفي للنهوض بالامة واسعادها لو وجدوا منها سميعا وناصرا ومطيعا. انه قضى منهم اثنان وها هو ذا الثالث يقرع بالحجة ويصدع بالحق تسعة عشر عاما فهل وزن قوله بميزانه وعرف له حتى الآن قدره؟ ان صوت المنار هو حجة الله الناطقة في الناس في هذا العصر وأنه وان ضاع حتى الآن بين أهل هذا الزمان فانه لا يضيع عند الله ولا في مستقبل الازمان

افلا ينظر المسلمون الى حالتهم ويرجعون الى أنفسهم ليجدوا أنهم ضلوا ضلالا بعيدا ! وهل شيء أدل على ضعف دينهم وانحلال قوتهم من قيام قسيس في هذين اليومين يطعن في السنة وأشهر رواتها وحملتها وينشر شبهته في مجلة سيارة ويدعو الى الرد عليها ثلثمائة مليون من المسلمين ؟

فأي برهان على فقر الامة من الرجال أقوى وأظهر من سكوت علمائها عن رد مزاعمه وابطال شبهاته سوى رجل الاصلاح الاوحد ناصر الاسلام السيد الامام ؟ ان القسيس ما كان ليتحدى برسالته صاحب المنار فهو يعرف من هو، وكان يتمنى طبعا لو لم يرد عليه بحرف واحد. فهل الامة كلها صاحب المنار؟ وهل عدم المسلمون وهم يعدون بمئات الملايين من يستطيع ابطال الشبهة ورد الفرية سواه؟ قد يكون ذلك صحيحا ويا للاسف وقد لا يكون صحيحا . ولكن الذي يلزم الاعتراف به هو ان الامة سكتت لمن ادعى انه هدم الاصل الثاني من اصول دينها وهو السنة النبوية وقد وقف أمامها يدعوا افرادها كافة الى الكلام، ويطلب منهم وهو فرد ضعيف الخروجَ جميعا الى الميدان ! فهل نصدق بعد هذا دعاوي من تصدروا لارشاد الامة وسموا أنفسهم رجال الدين وأئمته؟ وهل يغتر الغافلون بتظاهر أهل العمائم والفرجيات من علماء هذا الزمان بالتقوى والصلاح والغيرة على الدين والعمل لمصلحة المسلمين؟ ألا ليت شعري بماذا يعللون سكوتهم وقد وجب النطق واستنصر الحق؟ وبأي شيء يؤولون اهمالهم فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهم اولى الناس باقامتها ؟ لا جواب على ذلك الا ان الهمم مصروفة الى غير تلك السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل

لم تفقد الامة الاسلامية استعدادها للعمل فقدا تاماً اذ هي لا تخلو من استعداد لقبول دعوة الخير الى حد ما والا لكانت شرا محضا . ولا يوجد في الكون محض شر والا لزال على الفور. فالذي نشكوه وعناه السيد الامام هو ضعف الاستعداد لا فقده تماما. وانما ترفض الامة الضعيفة الاستعداد دعوة الحق ولا تلبيها في وقتها لقصر في النظر وقلة في الفهم ، وضعف في القلب . وليست معذورة في ترك العمل لضعف استعدادها وحرمانها من الزعيم أو الزعماء كما تقدم ، فان ذلك الضعف وذلك الحرمان منها وهي التي ولدتهما كما تلد الام ولدها

ألا ان الاستعداد لا يوجد في الامة من نفسه ولا يوهب لها كا يوهب المتاع. ولكن الامة هي التي توجده بتمهيد الاسباب له كما ان وجود الزعماء تابع لحركة الحياة فيها ، فهم أبناؤها وهي التي تلدهم . فالامة هي التي توجد استعدادها كا تلد زعماءها، وقد يكون الزعيم موجودا وهي لا تراه لعلة في باصرتها أو بصيرتها فاذا زالت العلة بتقوية الاستعداد للاصلاح والتوجه لطلبه وجدته بين يديها وأمام عينيها

فالامر كله راجع الى الامة وهي التي عليها أن تحضر الدواء وهي التي عليها أن تتعاطاه . فهي المريض ومنها الطبيب . وبعبارة ثانية ان الامة متى وجد فيها الاستعداد للحياة أوجدت طبيبها واستعدت لقبول دوائه ، فهي المطالبة باعداد الطبيب أو الاطباء وهي المطالبة بتجهيز الدواء و باستعماله في مقاومة الداء . انها هي المطالبة وحدها باقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فان عجزت فقد عجزت عن الحياة ولا دواء ولا شفاء

لست أعني بهذا اني يئست من حياة هذه الامة ، بل مرادي أن أقول ان حياتها لا تكون الا في العمل بهذه الفريضة التي هي العلاج الوحيد لمرضها .

انه ما كان للسيد الامام وهو طبيب الامة الاوحد أن يباشر علاجها الا من هذا الطريق الطبيعي الامين ، وان يستعمل سلاحا لقطع عرق الفساد من أصوله غير ذلك السلاح الماضي . فلقد أحيا هذه الفريضة ونصرها بلسان المنار الذي أنشأه و بلسانه على منابر الخطابة وفي الجمعيات والحفلات وفي مجالسه العامة والخاصة وقد ربى المنار رجالا يحبون الاصلاح ولكنه على ارتفاع صوته وعظيم قوته المستمدة من قوة الحق لا يزال عدد من رباهم قليلا واستعدادهم ناقصا . ولا يدل ذلك على تقصير المنار بل هو علامة على استفحال الداء في جسم الامة. ولما رأى الرجل زاده الله علما وهدى أن تيار الفساد يشتد اشتدادا ، وأعوان الضلال وأولياء الشيطان يزدادون ازديادا ، أدرك أن الامر يقتضي بتربية فئة من المسلمين تربية عملية أخلاقية دينية عصرية ليجعل منهم سدا امام ذلك السيل الجارف الذي ينذر بأمر خطير وشر مستطير . انه أراد بتأسيسه [جمعية الدعوة والارشاد] أن يهب الامة كنزا ثمينا لا نفاد له لتأخذ منه على الدوام حاجتها من الرجال القادرين على اقامة

هذه الفريضة التي لاقوام لها بدونها .

انه كان حقيقا بالمسلمين وقد أصبحوا على حافة الهاوية ان يشتروا حياتهم باحياء هذا المشروع . ان الحياة أغلا من ان تقوّم بمال . فهل كثر على المسلمين ان يشتروا حياتهم بفلس لو قسّم على كل فرد منهم ما أصاب الفرد بارة واحدة ؟ انهم بخلوا بهذه الدريهمات ولذلك مات المشروع فماتت بموته آمال عظام. انه مات صدقا ولكن ذلك لا يفزعنا فسيخلقه الله خلقا جديدا وما ذلك عليه بعزيز . نعم مات المشروع بعد ان عاش أربع سنين عيشة مضطربة، ولكنه سيعود باذن الله تعالى على أيدي أناس آخرين جديرين باحراز فخر القيام به. انه مات ولكنه في الحقيقة لم يمت، فقد مات بشكله الذي انشئ عليه وعاد للحياة بعد تحوير في شكله الاول بقدر ما سمحت به الوسائل لصاحبه وسيبقى ما شاء الله تعالى حاكما على الامة بالضعف وللاستاذ بعلو الهمة والاخلاص. مات المشروع ليحيا المشروع . مات وحقيقة الامر انه حي لانه من الحق والحق لا يموت ابدا . ليكن مات في الظاهر ولكن صاحبه بفضل الله لم يمت وسيبقى بتوفيق الله تعالى بالرغم من حسد الحاسدين سيفا مسلولا فوق رقاب المفسدين ، وحجة لله تعالى على المجرمين .

ليس غرضي الآن ان أعود فادعوكم الى نصرة المشروع وقد رفضتم الدعوة من قبل وما أغنتكم النذر ، وانما أدعوكم الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فانظروا ماذا أنتم صانعون . اني أطالبكم باقامة هذه الفريضة التي لا مجال فيها للتأويل ، ولا للقال والقيل ، انه في اقامة هذه الفريضة علاجكم الوحيد فلا يصح ان تتوانوا في طلبه والا فقدتم حياتكم .

ان الحالة وان اشتدت وتعاظمت لا يجوز ان ييأس باشتدادها المؤمنون ، فانه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

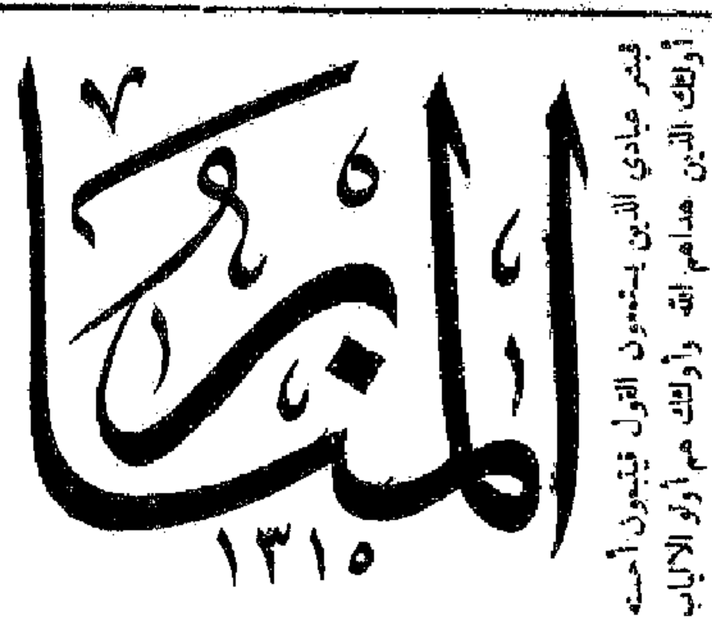
نعم انكم قطعتم في سبيل الضلال شوطا بعيدا وسقطتم في مهواة الخيبة والخسران سقوطا شديدا ، وصرتم أحط أهل الشرق والغرب ، وضجت من أفعالكم الارض واستغاثت السماء وغضب الرب ، ولكن العلاج لازال ممكنا وطريق السلامة أراه مفتوحا آمنا . ولا يعوزكم الا السرعة في العمل ، قبل ضياع الامل . فان نار الشهوات

والهوى التي أحرقت أجسامكم وأرواحكم تكاد تأكل مابقي من رمق فيكم، فاحفظوا هذا الرمق وانجوا بأنفسكم والا هلكتم كما هلك من كان قبلكم وما أنتم بمعجزين .

يؤلمني انه اذا دعا المسلمين داع لا يعرفون من المقصود منهم بالكلام فكل ينتحل لنفسه الاعذار ويرى انه غير معني بقول ولا مكلف بعمل ! ذلك بأنه لا جامعة تجمعهم ولا سائل ولا مسؤول ! ولكن الله يعلم ورسوله وملائكته وأهل الحق يعلمون ان لا وظائف في الاسلام ولا رسوم ، فكل مسلم مخاطب بكلمة الحق مطالب بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والامة كلها متضامنة في مسؤولية الرضاء بالحالة الحاضرة ، وعلى ذلك فأنا أوجه خطابي الى الامة جميعها ، وأعني به كل فرد من أفرادها ، واقصد بنوع خاص أهل العقل والفهم الذين لهم آذان يسمعون بها وقلوب يفقهون بها ، اني أدعو هذه الامة الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وأخاطب في شخصها المسلمين كافة صغيرهم وكبيرهم سواء منهم المعمم والمطربش ، الكبير والحقير ، الغني والفقير، التاجر والصانع ، صاحب الملك والمزارع ، الخاصي والعامي، البدوي والحضري، العربي والعجمي، اني اطالبكم جميعا باقامة هذه الفريضة فان أجبتم فان الله يعدكم من لدنه مغفرة وأجرا عظيما وان يرفع عنكم هذا البلاء ، ويفيض عليكم رزقا ورحمة من السماء ، وان تولوا فحسبكم ما أنتم فيه جزاء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

أدعوكم أيها المسلمون الى اقامة هذه الفريضة ولا أخيركم بين اجابة الدعوة ورفضها لانه ما كان لي أن أخيركم بين الصحة والاعتلال ، والهدى والضلال . ولكم فيما عدا ذلك أن تعدوا وسائل العمل بحسب ما يروق لكم . ولكن ذلك لا يمنعني أن أكرر النصح لكم بأن أقرب الطرق الى اقامتها على وجهها هو تنفيذ مشروع [الدعوة والارشاد] الذي دعوتكم الى تعضيده في رسالتي الماضية . فان كنتم في ريب منه فأتوا بمشروع خير منه أو مثله للقيام بهذا الواجب الاكبر، وتخليص الامة من هذا الكرب العظيم ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاعلموا أن ما دعاكم اليه امامكم هو الحق المبين واني لم أكن في ترديد دعوته غير ناصح أمين .

نشرنا هذه الرسالة ومنشىء المنار قد ذهب الى اداء فريضة الحج فنوجه اليها نظر المسلمين ونخص صاحب (الانتقاد على المنار) ص١٩٠ ج ٣ صالح رضا



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

مصر ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٤ — ٤ العقرب (خ٢) ١٢٩٥ هـ ش ٢٧ اكتوبر ١٩١٦

فوائد شتى (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالحديث الصحيح

قال السندي في حواشيه على فتح القدير من كتب الحنفية : الحديث حجة في نفسه ، واحتمال النسخ لا يضر فان من سمع الحديث الصحيح فعمل به وهو منسوخ فهو معذور الى ان يبلغه الناسخ ، ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح : لا يعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وفلان ، فانما يقال له : انظر هل هو منسوخ أم لا . أما اذا كان الحديث قد اختلف في نسخه فالعامل به في غاية العذر ، فان تطرق الاحتمال الى خطإ المفتي أقوى من تطرق الاحتمال الى نسخ ما سمعه من الحديث. قال ابن عبد البر: يجب على كل من بلغه شيء أن يستعمله على عمومه حتى يثبت عنده ما يخصصه أو ينسخه، وأيضا فان المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عده بعضهم احدا وعشرين حديثاً ، واذا كان العامي يسوغ له الاخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال خطإ المفتي كيف لا يسوغ له الاخذ بالحديث اذا فهم معناه وان احتمل النسخ ، ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من أبطل الباطل ، وقد أقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الامة ولا يعرض احتمال الخطإ لمن عمل بالحديث وأفتى به بعد فهمه الا وأضعاف أضعافه حاصل لمن أفتى بتقليد من لا يعلم خطؤه من صوابه ويجري عليه التناقض والاختلال ويقول القول ويرجع عنه ويحكى عنه في المسألة عدة أقوال

وهذا كله فيمن له نوع أهلية أما اذا لم يكن له أهلية ففرضه ما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) واذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتبه له المفتي من كلامه أو كلام شيخه وان علا فلأن يجوز اعتماد الرجل على ما كتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالجواز ولو قدر أنه لم يفهم

(*) من جمع الشيخ أحمد شاكر بن الشيخ محمد شاكر والحواشي والعناوين من وضع صالح رضا

الحديث فكما لو لم يفهم فتوى المفتي يسأل من يعرفها فكذلك الحديث . انتهى كلام السندي ملخصا وقد أطال من هذا النفس العالي رحمه الله تعالى ورضي عنه

الفقه في الدين والاجتهاد

قال الامام تقي الدين ابن دقيق العيد من أئمة الشافعيـة في خطبة [شرح الالمام] كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته : ان الفقه في الدين منزلة لا يخفى شرفها وعلاها ، ولا تحتجب عن العقول طوالعها وأضواؤها ؛ وأرفعها بعد فهم كتاب الله المنزل ، البحث عن معاني حديث نبيه المرسل، اذ بذلك تثبت القواعد ويستقر الاساس ، وعنه يقوم الاجماع ويصدر القياس ، لكن شرط ذلك عندنا أن يحفظ هذا النظام ، ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام ، وترد المذاهب اليـه ، وترد الآراء المنتشرة حتى تقف بين يديه ، واما ان يجعل الفرع أصلا ويرد النص اليه بالتكلف والتحيل ، ويحمل على أبعـد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل ، ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والذلول ، ويحتمل من التأويلات ما تنفر منه النفوس وتستنكره العقول، فذلك عندنا من أردأ مذهب وأسوأ طريقة، ولا نعتقد أنه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة ، وكيف يقع أمر مع رجحان منافيه ؟ وأنى يصح الوزن بميزان مال أحد الجانبين فيه ؟ ومتى ينصف حاكم ملكته غضبة العصبية ، وأين يقع الحق من خاطر أخذته العزة بالحمية الخ (الفتوى في الاسلام صحيفة ٤٤)

السؤال عما لم يقع

قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يمض به كتاب ولا سنة ، وكرهوا للمسؤل الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما أبيح للضرورة ، ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا يغنيهم ما مضى من الاجتهاد، واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » انتهى (الفتوى في الاسلام صحيفة ٤٥)

معنى حديث ان الله خلق آدم على صورته

سئل أحمد بن عطاء أبو عبدالله الروزبادي المتوفى سنة ٣٦٩ قال الحافظ ابن

عساكر وفي مروياته أحاديث وهم فيها وغلط غلطا فاحشا عن قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » فقال : ان الله جل ثناؤه خلق الخلق مرتبة بعد مرتبة ونقله من حال الى حال كما قال (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين — الى قوله — فتبارك الله أحسن الخالقين) وخلق آدم ليس على هذه الاحوال وانما خلق صورته كما هي ثم نفخ فيه من روحه فلأجله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اه (مختصر تاريخ ابن عساكر جزء ١ صحيفة ٣٩٤)

نشوء علم الفلسفة

قال الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ في آخر الكلام على الطبقة السادسة من طبقاتهم : وكان في زمان هؤلاء خلائق من أئمة الحديث ومن أئمة المقرئين كورش واليزيدي والكسائي واسمعيل بن عبدالله المكي القسط ، وخلق من الفقهاء كفقيه العراق محمد بن الحسن وفقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم ، وخلق من مشايخ القوم كشقيق البلخي وصالح المري الواعظ والفضيل والدولة لهرون الرشيد والبرامكة ثم بعدهم اضطربت الامور وضعف أمر الدولة بخلافة الامين رحمه الله فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة الاوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الامة منه في عافية ؛ وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ؛ ان من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف ، وتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل ، ويمارى في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار وتقع في الحيرة ، فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومضلات الاهواء ومجاراة العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم (تذكرة الحفاظ جزء ١ ص ٣٠٠)

كتاب المهذب للذهبي

وجدت بدار الكتب المصرية كتاب [المهذب] للذهبي بخطه وعلى ظهر المجلد

الاول ما نصه بخطه رحمه الله تعالى « الجلد الاول من كتاب المهذب في اختصار السنن الكبير تأليف الامام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي رحمه الله تعالى اختصار كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي غفر الله له » وتحت ذلك بخطه رضي الله عنه أيضا ما نصه

« قال ابن الذهبي : لم أختصر من أحاديث الكتاب شيئا بل اختصرت الاسانيد فان بها طالَ الكتابُ ، و بقيت من السند ما يُعرف به مَخرج الحديث وما حذفتُ من السند الا ما قد صح الى المذكور فاما مُتونه فأتيتُ بها الاّ في مَواضع قليلة جدًّا من المكرر قد أحذفها اذا قرُب البابُ من الباب وآتي ببعض المتن وقد تكلمت على كثير من الاسانيد بحسب اجتهادي والله الموفق، وقد رمزتُ على الحديث بمن خرّجه من الائمة الستة [خ م د ت س ق] ولم أتمم هذا فان فسح الله في الاجل طالعت عليه الاطراف لشيخنا أبي الحجاج الحافظ ان شاء الله تعالى، وهذا أمر بين هين كل من هو محدث فانه يقدِر على رُمز أحاديث الكتاب من الاطراف وما خرج عن الكتب الستة فقد بينت لك اسنادَه و مَخرجه فاكشف عليه ان شئت من كُتب الجرح والتعديل، فالرجال ثلاثة اما مُوثق مقبول واما مضعف غير حجة واما مجهول، لكن كل قسم من الثلاثة على مراتب في القوة واللين والجهالة » انتهى . والنسخة نفيسة جدا كلها بخطه خمسة مجلدات تنقص الثاني والموجود منها أربعة وفق الله لنا من يطبعه وينشره آمين

كتاب الجمع بين الصحيحين

وجدت بدار كتب رواق الاروام بالازهر جزءًا من الجمع بين الصحيحين للحميدي وهو السادس وقد أحببت نقل خاتمته لما فيها من النفائس قال رحمه الله تعالى : —

« تم جميع الكتاب بحمد الله وعونه ، نسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه انه ولي التوفيق وهو على كل شيء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل » ثم قال عقب ذلك

« وهذه الاصول تتصل بآخر ما في الصحيحين من مسند الصحابة رضي الله عنهم

وهو آخر ما قصدنا اليه من الجمع بين الصحيحين وتمييز ما اتفقا عليه من المتون المخرجة فيهما وما انفرد به أحدهما منها مستقصى على شرطنا مرتبا على ما بدأنا به وبيناه مع الاختصار المعين على سرعة الحفظ والتذكار، ولم يبق للباحث المجتهد الا النظر فيها والتفقه في معانيها ومراعاة حفظها واقامة الحجة بها، فالى هذا قصد المتقدمون من أئمة الدين في حفظ اسنادها للمتأخرين لتكون حاكمة بين المختلفين وشواهد صدق المتناظرين رضي الله عنهم أجمعين ووفق التابعين لهم باحسان الى يوم الدين . فأما أسنادنا في هذين الكتابين فقد روينا كتاب الامام أبي عبد الله البخاري بالمغرب عن غير واحد من شيوخنا بأسانيد مختلفة تتصل بأبي عبدالله محمد ابن يوسف بن مطر الفربري عن البخاري، ثم قرأته بمكة أعزها الله على المرأة الصالحة كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزي غير مرة لعلو اسنادها فيه كأنا قرأناه على أبي ذر عبد بن أحمد الهروي عن أبي الهيثم بن المكي بن محمد بن زُرّاع الكشميهني عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشير بن ابراهيم الفربري عن أبي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري رحمة الله عليه وأما كتاب الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فسمعناه بالفسطاط قراءة على الشيخ الصالح أبي عبدالله محمد بن الفرج بن عبدالولي الانصاري وهو روايته عن أبي العباس أحمد بن الحسن الحافظ الرازي سمعه منه بمكة سنة ست وأربعمائة قال : ثنا أبو أحمد محمد بن عيسى بن عَمرويه بن منصور الجلودي قال : أنا الفقيه أبو اسحق ابراهيم ابن محمد بن سفيان النيسابوري، قال: سمعته من الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنه

فصل

«وقد استشرف بعض الطالبين الى معرفة الاسباب الموجبة للاختلاف بين الأئمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين مع اجماعهم على الاصل المتفق المستبين حتى احتيج الى تكلف التصحيح في طلب الصحيح وقرّبتُ على هذا الطالب معرفة بعض العذر في اختلاف المتأخرين لبعدهم عن المشاهدة وانما تعذّر عليه معرفة الوجه

في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم مع مشاهدتهم نزول التنزيل وأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وحرصهم على الحضور لديه والكون بين يديه والاخذ عنه والاقتباس منه ؛ وهذا الذي وقع لهذا الطالب الباحث قد وقع لمن قبله الخوض فيه والبحث عنه ، وخرج في هذا المعنى بعض الأئمة من علماء الامة فصلا رأينا اثباته ههنا (كذا)(١) هذا الشبه عن هذا الطالب الباحث وعن غيره ممن يخفى ذلك عليه ويتطلع الى معرفة الوجه فيه وبهذا الفصل يتصور (كذا) لك كل(٢) صورة وقوع ذلك منهم وكيفية اتفاقه لهم، حتى كانه شاهده معهم»

وهذا أول الفصل المخرج في ذلك أوردناه بلفظ مصنفه رحمة الله عليه: «قال لنا الفقيه الحافظ أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد اليزيدي الفارسي رضي الله عنه في بيان أصل الاختلاف الشرعي وأسبابه»

سبب القول والفتيا بما يخالف القرآن أو السنة

« تطلعت النفس بعد تيقنها أن الاصل المتفق عليه المرجوع اليه أصل واحد لا يختلف وهو ماجاء عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اما في القرآن واما من فعله أو قوله الذي لا ينطق عن الهوى فيه لما رأت وشاهدت من اختلاف علماء الامة في ماسبيله واحدة وأصله غير مختلف فبحثت عن السبب الموجب للاختلاف ولترك من ترك كثيرا مما صح من السنن فوضح لها بعد التفتيش والبحث أن كل واحد من العلماء ينسى كما ينسى البشر ، وقد يحفظ الرجل الحديث ولا يحضره ذكره حتى يفتي بخلافه وقد يعرض هذا في آي القرآن

« ألا ترى أن عمر رضي الله عنه أمر على المنبر ألا يزاد في مهور النساء على عدد ذكره ميلا الى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على ذلك العدد في مهور نسائه حتى ذكرته امرأة من جانب المسجد بقول الله عز وجل (وآتيتم احداهن قنطارا) فترك قوله وقال: كل أحد أعلم منك حتى النساء. وفي رواية أخرى: امرأة أصابت ورجل أخطأ . علما منه رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان لم يزد

---

(١) ربما سقط من الاصل كلمة هي « لازالة » أوما في معناها وان «هذا» محرف عن «هذه»
(٢) لعل كلمة «كل » زائدة من النساخ

في مهور النساء فانه لم يعلم مما سواه والآية أعم، وكذلك أمر رضي الله عنه برجم امرأة ولدت لستة أشهر فذكره علي قول الله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) مع قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) فرجع عن الامر برجمها وهم أن يسطو بعيينة بن حصن اذ جفا عليه حتى ذكره الحر بن قيس بقول الله عز وجل (وأعرض عن الجاهلين) فأمسك عمر . وقال رضي الله عنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله مامات رسول الله ولا يموت حتى يكون آخرنا حتى قرئت عليه (انك ميت وانهم ميتون) فرجع عن ذلك ، وقد كان علم الآية ولكنه نسيها لعظيم الخطب الوارد عليه فهذا وجه عمدته[1] (كذا) الخلاف للآية أو للسنة بنسيان لا بقصد

«وقد يذكر العامل الآية أو السنة لكن يتأول فيها تأويلا من خصوص أو نسخ أو معنى ما، وان كان كل ذلك يحتاج الى دليل ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بالمدينة حوله عليه السلام مجتمعين ، وكانوا ذوي معايش يطلبونها وفي ضنك من القوت فمن متحرف في الاسواق ومن قائم على نخله ويحضره عليه السلام في كل وقت منهم طائفة اذا وجدوا أدنى فراغ مما هم بسبيله ، وقد نص على ذلك أبو هريرة رضي الله عنه فقال: ان اخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق وان اخواني من الانصار كان يشغلهم القيام على نخلهم وكنت أمرأ مسكينا أصحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني . وقد قال عمر رضي الله عنه: ألهاني الصفقُ بالاسواق في حديث استئذان أبي موسى ، فكان عليه السلام يُسأل عن المسئلة ويحكم بالحكم ويأمر بالشيء ويفعل الشيء فيحفظه من حضره ويغيب عن من غاب عنه فلما مات عليه السلام وولي أبو بكر رضي الله عنه كانت اذا جاءت القضية ليس عنده فيها نص سأل من بحضرته من الصحابة فيها فان وجد عندهم نصا رجع اليه والا اجتهد في الحكم فيها ، ووجه اجتهاده واجتهاد غيره منهم رضي الله عنهم رجوع الى نص عام أو الى أصل اباحة متقدمة أو الى نوع من هذا يرجع الى أصله ولا يجوز أن يظن أحد أن اجتهاد أحد منهم هو أن يشرع شريعة

(١) ربما كان الاصل « فهذا وجه ما عمدته الخلاف » الخ

باجتهاده أو يخترع حكما لا أصل له، حاشى لهم من ذلك، فلما ولي عمر رضي الله عنه فتحت الامصار وتفرق الصحابة في الاقطار فكانت الحكومة تنزل بمكة أو بغيرها من البلاد فان كان عند الصحابة الحاضرين لها نص حكم به والا اجتهدوا في ذلك - وقد يكون في تلك القضية نص موجود عند صاحب آخر في بلد آخر - وقد حضر المدني ما لم يحضر المصري وحضر المصري ما لم يحضر الشامي وحضر الشامي ما لم يحضر البصري وحضر البصري ما لم يحضر الكوفي وحضر الكوفي ما لم يحضر المدني

كل هذا موجود في الآثار وتقتضيه الحالة التي ذكرنا من مغيب بعضهم عن مجالسه عليه السلام في بعض الاوقات وحضور غيره ثم مغيب الذي حضر وحضور الذي غاب فيدري كل واحد منهم ما حضره و يفوته ما غاب عنه، وقد كان علم التيمم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالا : لا يتيمم الجنب ولو لم يجد الماء شهرين ، وكان حكم المسح على الخفين عند علي وحذيفة ولم تعلمه عائشة ولا ابن عمر ولا أبو هريرة على أنهم مدنيون، وكان توريث بنت الابن مع البنت عند ابن مسعود وغاب عن أبي موسى ، وكان حكم الاستئذان عند أبي موسى وأبي وغاب عن عمر ، وكان حكم الاذن للحائض في أن تنفر قبل أن تطوف عند ابن عباس وأم سلمة ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت، وكان حكم تحريم المتعة والحمر الاهلية عند علي وغيره ولم يعلمه ابن عباس، وكان حكم الصرف عند عمر وأبي سعيد وغيرهما وغاب ذلك عن طلحة وابن عباس وابن عمر ؛ وكذلك حكم اجلاء أهل الذمة من بلاد العرب كان عند ابن عباس وعمر فنسيه عمر سنين فتركهم حتى ذكر بذلك فذكره فأجلاهم. ومثل هذا كثير. فمضى الصحابة رضي الله عنهم على هذا

ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي ذكرنا فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون فتاويهم ، لا تقليدا لهم، ولكن لانهم أخذوا ورووا عنهم، الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان في بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم، كاتباع أهل المدينة في الاكثر فتاوى ابن عمر، واتباع أهل مكة فتاوى ابن عباس، واتباع أهل الكوفة في الاكثر فتاوى ابن مسعود،

ثم أتى من بعد التابعين فقهاء الامصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتي وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام والليث بمصر فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد عن التابعين من أهل بلده وتابعوهم عن الصحابة رضوان الله عليهم في ما كان عندهم وفي اجتهادهم فيما ليس عندهم وهو موجود عند غيرهم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها. وكل من ذكرنا مأجور على ما أصاب فيه أجرين ومأجور فيما خفي عليه ولم يبلغه أجرا واحدا. قال الله تعالى (لِأُنذركم به ومن بلغ)

وقد يبلغ الرجل ممن ذكرنا نصان ظاهرهما التعارض فيميل الى أحدهما بضرب من الترجيحات ويميل غيره الى النص الذي ترك الآخر بضرب من الترجيحات أيضا كما روي عن عثمان في الجمع بين الاختين: أحلتهما آية وحرمتهما آية. وكما مال ابن عمر الى تحريم نساء أهل الكتاب جملة بقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ) وقال: لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربُّها. وغلب ذلك على الاباحة المنصوصة في الآية الاخرى ، ومثل هذا كثير

فعلى هذه الوجوه ترك بعض العلماء ماتركوا من الحديث ومن الآيات، وعلى هذه الوجوه خالفهم نظراؤهم فأخذ هؤلاء ما ترك أولئك وأخذ أولئك ما ترك هؤلاء ، لا قصدا الى خلاف النصوص ولا تركا لطاعتها كذا، ولكن لأحد الاعذار التي ذكرنا — إما من نسيان واما أنها لم تبلغهم واما لتأويل مّا واما لاخذ بخبر ضعيف لم يعلم الآخذ به ضعف رواته وعلمه غيره فأخذ بخبر آخر أصح منه أو بظاهر آية

وقد يشتبه بعضهم في النصوص الواردة الى معنى ويلوح له حكم بدليل مّا ويغيب كذا غيره . ثم كثرت الرِّحل الى الآفاق وتداخل الناس وانتدبت أقوام لجمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وضمه وتقييده ، ووصل من البلاد البعيدة الى من لم يكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شيء منه ، وجمعت الاحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأولة في الحديث ، وعرف الصحيح من السقيم ، وزيف الاجتهاد المؤدي الي خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ترك عمله ، وسقط العذر عمن خالف ما بلغه من السنن ببلوغها اليه ، وقيام

الحجة بها عليه، فلم يبق الا العناد والتقليد

وعلى هذه الطريقة كان الصحابة رضوان الله عليهم وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث الايام الكثيرة طالبا للسنن والتزاما لها ، وقد رحل أبو أيوب من المدينة الى مصر في طلب حديث واحد الى عقبة بن عامر، وقد رحل علقمة والأسود الى عائشة وعمر، ورحل علقمة الى أبي الدرداء بالشام ، وكتب معاوية الى المغيرة اكتب الي بما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثل هذا كثير.

(قال أبو عبد الله) فقد بينا والحمد لله وجه من ترك بعض الحديث والسبب الموجب للاختلاف وشفينا النفس مما اعترض فيها ورفعنا الاشكال عنها والله عز وجل المعين على البحث والهادي الى الرشد بمنه

وبهذا البيان الذي كشف به هذا الامام في هذا الفصل صورة الحال في أسباب الاختلاف الواقع بين الصحابة فمن دونهم صح للأئمة المتقدمين رضي الله عنهم أجمعين وجوب طلب التصحيح للنصوص الواردة في شرائع الدين، لتقوم الحجة بما صح منها على المختلفين، وقد قام الكل منهم في ذلك بما قدر عليه ، وانتهت استطاعته اليه ، الى أن انفرد بالمزية في الاجتهاد، والرحلة الى البلاد ، في جمع هذا النوع من الاسناد، بعد التتبع والانتقاد، الامامان أبو عبد الله البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنهما، فحازا قصب السبق فيه في وقتهما، ولفرط عنايتهما وبلوغهما غاية السعي والتشمير فيه قويت هممهما في الاقدام على تسمية كتابيهما بالصحيح، وعلم الله عز وجل صدق نيتهما فيه ومشقة قيامهما به وحسن انتقادهما له، فبارك لهما فيه ورزقهما القبول شرقا وغربا ، وصرف القلوب الى التعويل عليهما والتفضيل لهما، والاقتداء في شروط الصحيح بهما، وتلك عادة الله فيمن أحبه أن يضع له القبول في الارض كما جاء في الخبر الصادق عن المبعوث الحق صلى الله عليه وسلم، فهنيئا لهما ، ولمن اهتدى في ذلك بهداهما ، والواجب علينا وعلى من فهم الاسلام ، وعرف قدر ما حفظا من الشرائع والاحكام، أن يخلص الدعاء [1] لهما ، ولسائر الأئمة الناقلين اليهما والينا قواعد هذا الدين، وشواهد أحكام المسلمين. ونحن

(١) في نسخة الاصل « للدعاء »

نبتهل الى الله تعالى في تعجيل الغفران لها ولهم ، وتجديد الرحمة والرضوان عليهما وعليهم ، وأن يبوّئ الكل منهم في أعلى درجات الكرامات ، من غرفات الجنات ، وأن يوفقنا أجمعين للاقتداء بهم ، والسلوك في سبيلهم ، والدعاء اليه والى رسوله ، والانقياد لمحكمات تنزيله ، والتفقه في دينه ، والاخلاص في عبادته ، والانقطاع اليه ، وصدق التوكل عليه ، حتى يتوفانا مسلمين مسلّمين ، غير مبدلين ولا مغيرين ، وأن يغفر لنا ولآبائنا ولجميع المسلمين .

تم الجزء السادس وبتمامه تم الكتاب . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه . وافق الفراغ من نسخه لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(س ١ - ٧) من صاحب الامضاء بأبي زعبل (من القليوبية)

استاذي الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو وقد علمنا وعلم الناس انكم حفظكم الله خليفة الاستاذ الامام في القيام بأمر الدين الخالص ودحض الباطل عنه ، فان العلم الدليل ، وليس العلم بالكمّ الطويل ، وقد طوحتني

المقادير الى بلدة ألعن بلاد الله تربة، يسكنها قوم أحلامهم دقاق، ودينهم نفاق، يأخذون من العلم القشور، ومن الاخبار الموضوعة ومن العقائد الخرافية، فهم أشباه الرجال ولا رجال، يكفرون من قال بالمعراج بالروح، ومن أنكر وجود الجنة والنار، ومن نفى رؤية الإله في الآخرة، ومن منع رجوع الشمس بعد مغيبها عند إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم العير، وعدم مجيء بيت المقدس بين يديه (ص) وعدم وجود الزناة وأكلة الربا بين مكة وبيت المقدس ورؤية النبي (ص) لهم ليلة الاسراء كل ذلك لحجج عنده من أن هذه عقائد لا تثبت الا بالقطع، وبعض هذه الاشياء لم يجد (كذا) فيه دليل أصلا، وبعضها قام عليه دليل غير يقيني مع قيام دليل العقل على خلافه، ولما كنتم بارك الله فيكم أوقفتم أنفسكم على تحقيق مثل هذه المسائل نفعا للامة وخدمة للدين وقد شاهدنا غزارة علمكم وسعة فكركم وكثرة اطلاعكم ورسوخ ملكتكم العلمية التي قل ان توجد لاحد من معاصريكم — رجوت أن تكشف لي بقيت أبدا (؟) عن غطاء هذه المسائل وترجعها الى أصولها وتبرزها في صورتها الحقيقية غير مشوبة بخرافات المخرفين، بأدلتها من العقل أو الكتاب أو السنة المتواترة أو المشهورة كما هو شأنكم في جميع المسائل، لازلت ينتفع به الاسلام والمسلمون

تحريرا في يوم الثلاثاء ٥ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ كاتبه

ولدكم محمد عليوه

[المنار] يؤخذ من هذا الكتاب بضع مسائل ينبغي بيان الحق فيها، وها نحن أولاء نتكلم عليها واضعين لكل واحدة منها عنوانا

﴿ ١ — تكفير المسلم بما لم يصح عنده من مسائل الدين ﴾

قد اعتاد الناس الجرأة على التكفير بغير علم حتى ان بعض المؤلفين في الفقه توسعوا في المكفرات فزادوا الناس جرأة على تكفير من يخالف مذاهبهم وتقاليدهم وان لم تكن من الدين في شيء. وقد بينا من قبل أن الاصل في ارتداد المسلم عن دينه هو جحده أو تكذيبه شيئا أو شكه في حقية شيء يعلم أن النبي (ص) جاء به من أمر الدين، اذ يكون بذلك غير مؤمن بما جاء به الرسول (ص) ولما كان الجهل في

دار الاسلام غير عذر جهل العلماء أمور الدين قسمين [أحدهما] ما لا يعذر أحد في دار الاسلام بجهله وان كان عاميا وهو المجمع عليه المعلوم من أمر الدين بالضرورة كفرضية الصلاة والزكاة والحج وكتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن كالقتل والزنا وشرب الخمر والسرقة والكذب والخيانة . فمن جحد من هذا القسم شيئا كفر وعد مرتدا عن دين الاسلام . وانما يعذر بجهل بعض هذه المسائل من كان قريب عهد بالاسلام لم يمر عليه من الزمن بعد اسلامه ما يكفي لوقوفه على ذلك، ومن نشأ بعيدا عن دار الاسلام كشاهق جبل (كما يقولون)

[الثاني] ما شأنه أن لا يعرفه الا المشتغلون بعلم الدين من فروع المسائل وأصول الاحكام وأدلتها ، فهؤلاء العلماء يؤاخذون بحسب علمهم ، فمن جحد منهم شيئا من الدين يعلم أنه ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله أو أجمع عليه الصحابة ولم يكن متأولا في جحده كان بذلك مرتدا كما هو ظاهر

واما من جحد او أنكر شيئا مختلفا في أصله أودليله أو في دلالة ذلك الدليل عليه لانه لم يصح عنده أو لمعارض رآه أرجح منه بضرب من التأويل فلا يعد مرتدا بذلك، ولكنه اذا انتهى به التأويل الى مخالفة جماعة السلف الصالح من أهل الصدر الاول عدّ مبتدعا وان كان موحدا مقيما لاركان الاسلام

ولم يكفر أهل السنة من أنكر خبر المعراج ولا من قال إنه كان الروح فقط بل قال بذلك بعض أهل السنة ولا من قال إن الجنة والنار لم يخلقا بعد وأنما يخلقان يوم القيامة ، ولا من قال ان المؤمنين لا يرون ربهم في الجنة، فقد قال بذلك جمهور من الجهمية والمعتزلة ولم يكفرهم علماء السلف به كما ترونه في أشهر كتب العقائد التي تدرس في الازهر وغيره من المدارس الاسلامية في جميع الاقطار

واذا كان لا يكفرون من ينكر أصل المعراج الا اذا انكر الاسراء المنصوص في القرآن ولا يكفرون من ينكر رؤية الباري تعالى في الآخرة المصرح بها في الاحاديث المتفق عليها فكيف يكفرون من ينكر رجوع الشمس للنبي (ص) بعد غروبها والحديث فيه غير صحيح أو ينكر مجيء بيت المقدس الى الحجاز وكون المذنبين الذين رآهم النبي (ص) يعذبون كانوا موجودين باجسادهم بين مكة وبيت

المقدس ولا نص على هذا في كتاب ولا سنة وما عهدنا احدا من علماء المسلمين يجعله من عقائد الدين ، وسترى معنى ذلك في المسائل الآتية

﴿ ٢ــ المعراج روحي أم جسدي ﴾

قد فصلنا القول في مسألة المعراج في المجلد الرابع عشر من المنار فيراجع في ص ٦٦٤ و٧٣٢ منه وفيه ان عمدة من قال ان المعراج كان في المنام حديث شريك عند البخاري

﴿ ٣ ــ رؤية النبي (ص) بيت المقدس ﴾

ان رؤية النبي (ص) لبيت المقدس ووصفه اياه للمشركين وهو بمكة ليس معناه ان بيت المقدس انتقل الى مكة وانما معناه أنه مُثل له كما مثلت له الجنة في عرض الحائط ولفظ الحديث في ذلك كما ورد في حديث جابر في الصحيحين أنه سمع رسول الله (ص) يقول «لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » هذا نص حديث الشيخين ومعنى جلاه أظهره ، وقال بعض العلماء : معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته. قال الحافظ في الفتح: ووقع في حديث أم هانئ عند ابن سعد «فخيل الي بيت المقدس[1] فطفقت أخبرهم عن آياته » فان لم يكن مغيرا من قوله «فجلي » وكان ثابتا احتمل أن يكون المراد انه مثّل قريبا منه كما قدم نظيره في حديث «أريت الجنة والنار » وتأول قوله «جيء بالمسجد»[2] أي جيء بمثاله ــ والله أعلم . ووقع في حديث شداد بن أوس ما يؤيد الاحتمال الاول ، ففيه « ثم مررت بعير لقريش » ــ فذكر القصة ــ ثم أتيت أصحابي قبل الصبح فأتاني أبو بكر فقال : أين كنت الليلة ؟ فقال « اني أتيت بيت المقدس » فقال انه مسيرة شهر فصفه لي ، قال « ففتح لي صراط كأني أنظر اليه لا يسألني عن شيء الا أنبأته عنه » اه المراد من عبارة الفتح . وأما لفظ حديث أم سلمة عند مسلم « فرفع الله لي بيت المقدس أنظر اليه» فيتفق مع

(١) خيل اليه بمعنى مثل له أي رأى خياله ومثاله . وفي رواية لها عند ابي يعلى وابن عساكر « فأتاه جبريل فصوره له في جناحه » (٢) أي في حديث ابن عباس الذي ذكره قبل ذلك وهو عند أحمد والنسائي والبيهقي وفيه انه جيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل

ماتقدم بمعنى انه رفع اليه مثاله ، وقد غفل من زعم أن بيت المقدس نقل من مكانه الى مكة عما يترتب على ذلك من استحالة وجوده عند دار عقيل كما ورد في رواية ابن عباس لان وضع الجسم الكبير في المكان الصغير الذي لايبلغ عشره محال، ومن كون وجوده بمكة يستلزم أن يراه جميع الناس ولو وقع ذلك لتواتر ، ومن كون نقله يستلزم علم جميع أهله ومن حولهم به ولو وقع ذلك لتواتر نقله عنهم . وقد غفل من مال الى ترجيح ذلك اللفظ على ما هو أصح منه وأقرب الى المعقول عن كل ذلك وا كتفى بأن هذا أبلغ في المعجزة وأن الله قادر عليه ، وهو لم يكن مما وقع به من التحدي ولا ترتب عليه ايمان أحد . فهل يبطل الله تعالى سنته في الكون عبثا ؟

وهذا التوجيه يحتاج اليه في رؤية بيت المقدس من اعتمد قول الجمهور ان الاسراء فقط أو الاسراء والمعراج مما كانا في حال اليقظة بالروح والجسد كمن قال ان ذلك رؤيا منامية أو مشاهدة روحية وقعت حال اليقظة ، لأن سؤال قريش النبي (ص) أن يصف لهم بيت المقدس انما كان في اليقظة قطعا بغير خلاف

﴿ ٤ — رؤية النبي (ص) المذنبين يعذبون ﴾

اذا كانت رؤية النبي لبيت المقدس من قبيل الكشف الذي يحصل بادراك النفس للشيء بغير واسطة العينين أو بجعل الله تعالى مثال ذلك أمام العينين فالظاهر ان رؤية من رآهم يعذبون بذنوبهم من قبيل رؤية المثال بالاولى ، لان بيت المقدس من عالم الشهادة وعذاب المذنبين بما روي في الحديث من عالم الغيب ليس له مكان في الدنيا يشاهد بين مكة وبيت المقدس . وكل ذلك من آيات الله التي أراه اياها في ليلة الاسراء. ومن هذا القبيل رؤيته الجنة والنار وهو يخطب كما روي في الصحيحين. وتعبيره عن ذلك في بعض الروايات بأنهما مثلتا له في الجدار. وقد وصفت الجنة في القرآن بقوله تعالى (كعرض السموات والارض) فهل تجتمع هي والنار في جدار المسجد ؟ وورد أن من أولئك المعذبين من تثاقل رؤوسهم عن أداء الصلوات — والصلاة لم تكن شرعت — فقد تمثل له (ص) عذابهم قبل وقوعه بالنسبة الى أمته

ان رؤية البشر الروحية لبعض الموجودات الغائبة عن أبصارهم قد ثبتت بالتجارب الكثيرة في جميع الاقطار ، ومنها ما ثبت للدكتور شبلي شميل من علماء العصر الماديين، وقد ذكرنا في بعض مجلدات المنار خبره مع المريض الذي كان يعالجه ويسمع منه الاخبار الكثيرة عما يدركه بنفسه غائبا عن حسه كاخباره عن قريب له في الاسكندرية بأنه سافر منها الى القاهرة في القطار الذي يتحرك من الاسكندرية في ساعة كذا ثم إخباره بوصوله الى محطة القاهرة وركوبه العربة منها قاصدا دار المريض ثم بوصوله الى باب الدار ، وكان الامر كما قال

وأذكر مما وقع لي من ذلك في الصغر أني هربت مرة من الكتّاب واختبأت في بستان لجدتي أم والدتي وكنا نحن مصطافين في بستان لنا يبعد عن هذا البستان مسافة زهاء ربع ساعة وكانت جدتي في بستاننا فتمثلت لي خارجة منه حتى كأني أنظر اليها متتبعا خطواتها من أول الطريق الى آخره حتى إني ناديتها عند ما وصلت الى مدخل بستانها وقبل أن تدخله ويقع بصري عليها فأجابتني وكنت أعتقد أنها تحمل الي ما يطيب لي أكله فكان كذلك . ومثل هذا كثير

ولكن ما يقع للانبياء من ذلك فوق ما يقع لبعض البشر كذلك المريض وبعض الصوفية وأكمل منه لانه يشمل عالم الغيب وما لا يصل اليه غيرهم من عالم الشهادة

﴿ ٥ — رجوع الشمس بعد غروبها أو وقوفها للنبي (ص) ﴾

يرى السائل تفصيل القول في هذه المسألة في ص ٧٠ من مجلد المنار التاسع وحسبك منه قولنا هنالك « ان مسألة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم قد ورد في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج ، وورد في رواية أقوى منها في مناقب علي كرم الله وجهه. وهذه الرواية وثقها الطحاوي في [مشكل الآثار] وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتعقبه في اللآلئ » فان شئت الزيادة وما قيل في الطعن في الرواية فارجع الى المجلد التاسع أو الى الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للامام الشوكاني

﴿ ٦ — وجود الجنة والنار ﴾

ظواهر نصوص الكتاب العزيز والاحاديث الصحيحة المتفق عليها تدل على

أن الجنة والنار داري الجزاء للابرار والفجار هما عالمان مخلوقان ، ولا نرى ما يعارض هذه الظواهر من الدلائل العقلية ولا النقلية ، فان كان لدى السائل ما يعارض ذلك فليذكره لنا لنبين رأينا فيه

﴿ ٧ — رؤية الباري سبحانه وتعالى في الآخرة ﴾

إن من أصول العقائد القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ان نعيم الآخرة قسمان روحاني وجسماني لان البشر لا تنقلب حقيقتهم في الآخرة بل يبقون بشرا أولي أرواح وأجساد ولكن الروحانية تكون هي الغالبة على أهل الجنة، فيكون النعيم الروحاني عندهم أعلى من النعيم الجسماني.ومن الثابت بالاختبار والتجارب أن العلماء الراسخين والحكماء الربانيين والفلاسفة الماديون [1] والرؤساء السياسيين كلهم يفضلون اللذات العقلية الروحية والحياة المعنوية،على اللذات المادية الجسدية،فترى أحدهم يزهد في أطايب الطعام، وكؤوس المدام ، و يتجافى جنبه عن مضجعه ، ذاهلا عن حقوق حليلته ؛ تلذذا بحل مشكلات المسائل واكتشاف أسرار الكون ، أو بالنفث في عقد السياسة ، وما تقتضيه أعباء الرياسة ؛ ألا وان أعلى العلوم العقلية والمعارف الروحية في هذه الدنيا هو معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بمظاهر أسمائه وصفاته في خلقه والوقوف على سننه وأسراره فيها، وكشف الحجب عما أودع فيها من الجمال والجلال، وفي النظام الذي قامت به من آيات الكمال، التي هي مجلى صفات بارئها منتهى الجمال والجلال والكمال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ،

وما زال أصحاب الهمم العالية من العلماء والحكماء يستدلون بما ظهر لهم من تلك السنن والآيات على كمال مبدعها ومبدئها ومصرفها ، وتتطلع عيون عقولهم الى كيفية صدور الوجود الممكن الحادث، (وهو مجموع هذه العوالم العلوية والسفلية) عن الوجود الازلي الواجب، ويهتمون بارتقاء الاسباب للوصول الى معرفة أول موجود ممكن منها، وكيف ابتدأت سلسلة الاسباب بعد ذلك بتحول البسائط وتولد بعضها من بعض ، قبل وجود هذه المركبات المعروفة من السماء والارض ، طمعا في معرفة حقيقة ذلك

---

(١) أي وكذا الفلاسفة الماديون. وهو استعمال يعد بليغا اذا كان لما رفع خصوصية في السياق ككون الماديين هنا مظنة لمخالفة الروحيين . ويقابل هذا الاستعمال في نصب ما هو في مقام الرفع ما نصب على الاختصاص أو المدح والذم

الوجود الاعلى ، على عجزهم عن ادراك كنه أدنى هذه الموجودات السفلى ، وقد اختلف الحكماء في امكان وصول العلم البشري الى حقيقة الوجود الاول الازلي وكيفية صدور الموجودات الممكنة عنه - فقال بعضهم بامكان ذلك وتوقع حصوله في يوم من الايام ، وقال آخرون بأنه فوق استعداد الانام ،

والحق في ذلك ما هدانا اليه دين الله الحق، وهو أن ادراك أبصار الخلق له سبحانه وتعالى وإحاطة علمهم به من المحال الذي لامطمع فيه (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ولكن العجز عن الادراك والاحاطة ، لا يستلزم العجز عما دون ذلك من العلم والمعرفة ، التي ترتقي الى الدرجة التي عبر عنها بالتجلي والرؤية ، فان كانت ظواهر الآيات في ذلك متعارضة ، فالاحاديث والآثار الصحيحة المبينة له جلية واضحة

انما وقع المراء بين المتكلمين والمتفلسفين وبين علماء الآثار في كلمة «الرؤية» فأثبتها أهل الأثر لدلالة ظواهر القرآن ونصوص الاحاديث عليها، ومنعوا قياس رؤية الباري تعالى على رؤية المخلوقات، بدعوى استلزامها التحيز والحدود وغير ذلك من صفات الاجسام، وقالوا اننا لا نبحث في كيفيتها كما اننا لا نبحث في كيفية ذاته ولا صفاته تعالى ، فاننا نجزم بأن له علما وقدرة وسمعا وبصرا ولكن علمه ليس كعلمنا ناشئا عن انطباع صورة المعلومات في النفس، ومكتسبا لها بالحواس أو الفكر ، وكذلك قدرته وسائر صفاته، فنحن نجمع بين الايمان بالنصوص في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر شؤونه، و بين تنزيهه عما لايليق به من مشابهة خلقه الممنوعة بدلائل النقل والعقل، كما قال عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

ونفاها أهل الكلام والفلسفة بناء على قياس الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق ودعوى منافاة الرؤية للتنزيه الذي هو أصل العقيدة وركنها الركين . ولكنهم لا يستطيعون انكار الحقيقة التي أثبتها أهل السنة والجماعة اذا عبر عنها بغير لفظ الرؤية كأن يقال ان أعلى نعيم أهل الجنة لقاء الله تعالى بتجليه عليهم تجليا يحصل لهم به أعلى ما استعدت له أنفسهم وأرواحهم من المعرفة ، وأن أعظم عقاب لاهل النار حجبهم عن ربهم وحرمانهم من هذا التجلي والعرفان، الخاص بدار الكرامة والرضوان،

فانهم لا يمتنون بتأويل مثل قوله تعالى في المتقين (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله في الكافرين (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) كما يمتنون بتأويل قوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بأن النظر معناه الانتظار والرجاء ، ومارد به بعضهم على بعض في الآية يطلب من الكشاف والبيضاوي وحواشيهما وسائر كتب التفسير ومن كتب الكلام وشروح الاحاديث

وكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمال تنازع

ومن غرائب جدلهم ان كلا منهم يستدل على مذهبه بطلب موسى عليه السلام رؤية ربه وقوله تعالى (لن تراني . .) الآية، فأهل السنة يستدلون على جواز الرؤية بسؤال الكليم اياها وعدم انكار الباري تعالى عليه هذا السؤال كما أنكر على نوح عليه السلام سؤاله نجاة ولده الكافر بناء على أنه من أهله الذين وعده بنجاتهم — وبتعليق الرؤية على جائز وهو استقرار الجبل ، والمعتزلة يستدلون بالآية على عدم الرؤية بعدم اجابة الكليم اليها وتعليقها على ما علم الله أنه لا يكون

واذا كانت الآيات التي استدل بها كل فريق ليست نصا قاطعا في مذهبه ففي الاحاديث المتفق عليها ما هو نص قاطع لا يحتمل التأويل في الرؤية وتشبيهها برؤية البدر والشمس في الجلاء والظهور وكونها لامضارّة فيها ولاتضامّ ولا ازدحام. وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري احد عشر حديثا في ذلك، وجمع ابن القيم في[حادي الارواح] ماورد في ذلك من الاحاديث فكان ثلاثين حديثا . قال الحافظ ابن حجر عند اشارته الى ذلك : وأكثرها جياد . وزاد ابن القيم ما ورد عن الصحابة والتابعين وأئمة علماء الامصار في ذلك وحملهم اياه على ظاهره مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، ولكن بعض مثبتي الرؤية من أهل السنة اختلفوا في معناها فكان بعض ما قالوه تأويلا أبعد من تأويل المنكرين

قال الحافظ في الكلام على تفسير (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) من شرح كتاب التوحيد من البخاري ما نصه: واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم يحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات ، وهو على وفق قوله في حديث الباب « كما ترون القمر » الا أنه منزه عن الجهة والكيفية وذلك

أمر زائد على العلم . وقال بعضهم ان المراد بالرؤية العلم ، وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الانسان نسبتها الى ذاته المخصوصة نسبة الإبصار الى المرئيات . وقال بعضهم: رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم الا أنه أتم وأوضح من العلم . وهذا أقرب الى الصواب من الاول اه

ثم ذكر ماتعقب به من قال ان المراد بالرؤية العلم . وانما قال في القول الاخير انه أقرب الى الصواب لمافيه من التفويض وعدم التحديد، وهذا المعنى هوالذي قال به الغزالي وأوضحه في كتاب المحبة من الاحياء بما يعهد من قرأ الاحياء من بيانه وفصاحته

هذا وان احصاء ما ورد في هذا الباب مما استدل به على الرؤية اثباتا ونفيا من الآيات والاحاديث وسرد كلام المثبتين والنفاة وبيان الراجح منه والمرجوح يستغرق عدة أجزاء من المنار ، ولن يرضى ذلك منا أكثر القراء ، وجملة القول في المسألة ان الآيات القرآنية فيها ليس فيها نص قاطع لا يحتمل التأويل ، ولكن الاحاديث الصحيحة والحسنة صريحة في ذلك لا تحتمل التأويل ، والمرفوع منها مروي عن أكثر من عشرين صحابيا دع الموقوف والآثار ، ولم يرد في معارضتها شيء أصرح من حديث عائشة المتفق عليه عن مسرق قال قلت لعائشة (رض) يا أمتاه هل راى محمد (ص) ربه ليلة المعراج؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ! أين أنت من «ثلاث من حدثكهن فقد كذب» من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب، وفي رواية «فقد أعظم على الله الفرية » ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه كتم (أي أن النبي (ص) كتم شيئا من الدين) فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) — الآية — ولكن رأى جبريل في صورته مرتين . اه

وقد ذكر النووي في شرح مسلم ان عائشة لم تنف وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة الخ وذكر الحافظ في الفتح انه قال ذلك تبعا لابن خزيمة

ذاهلا عما ورد في صحيح مسلم الذي شرحه ، وذكر ان في حديث مسروق عنده زيادة عما ذكرناه من لفظ البخاري وهي :- قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت ألم يقل الله (ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله (ص) عن ذلك فقال « إنما هو جبريل » الخ

فعلم من هذا ان عائشة تنفي دلالة سورة النجم على رؤية النبي (ص) لربه بالحديث المرفوع وتنفي جواز الرؤية مطلقا أو في هذه الحياة الدنيا بالاستدلال بقوله تعالى (لا تدركه الابصار) وقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ويعارض هذا الاستدلال انه ليس نصا في النفي حتى يرجح على الاحاديث الصريحة في الرؤية وقد قال بها بعض علماء الصحابة. وقال بعض العلماء ان عائشة ليست أعلم عندنا من ابن عباس الذي أثبت الرؤية للنبي ليلة المعراج، وفي هذا القول بحث فان ابن عباس استنبط اثبات الرؤية في الدنيا من الآيات وقد انفرد بذلك دون سائر الصحابة. وأما من روي عنهم إثبات الرؤية في الآخرة فليس فيهم أحد يقال انه أعلم من عائشة الا والدها الصديق وعلي المرتضى وزيدا بن ثابت وقد يذكر في طبقتها منهم العبادلة. ولكن الحديث عن أبي بكر وزيد بن ثابت في هذا الباب ضعيف وعن علي موضوع حتى ان ما روي عنها نفسها فيه أقوى سندا . ويقول النفاة لو رأى النبي (ص) ربه ليلة المعراج لما خفي نبأ ذلك عن عائشة مع ما علم من حرصها على العلم ، وسؤالها اياه عن آية النجم؟ وقد يقول النفاة أيضا: لو كانت الرؤية في الآخرة عقيدة يطالب المسلمون بالايمان بها لما جهلتها عائشة . ولكن هذا القول لا ينهض لمعارضة اثبات المثبتين لها بالاحاديث الصريحة ، وانما قصاراه أن يعد دليلا على أن المسألة من أمور الآخرة التي كان يذكرها النبي (ص) أحيانا لبعض الخواص اذ لا يقصر العامة جهلها ، فلم يقصد أن تكون عقيدة يدعى اليها مع التوحيد .

وأحسن ما يجاب به عن استنباط عائشة وأقواه عند المثبتين أن يقال انها تريد به نفي الرؤية في الدنيا كما قال بذلك الجمهور ولا تقاس شؤون البشر في الآخرة على شؤونهم في الدنيا لان لذلك العالم سننا ونواميس تخالف سنن هذا العالم ونواميسه حتى في الامور المادية كالاكل والشرب والمأكول والمشروب. فماء الجنة غير آسن فلا يتغير كماء الدنيا بما

يخالطه أو يجاوره في مقره أو وجوه، وخمرها ليس فيها غول يغتال العقل ولا يصدعون عنها ولا ينزفون ، ولبنها لا يعتريه فساد ولا تخالطه (ميكروبات) أمراض ، وكذلك فاكهتها وثمراتها هي على كونها أعلى وأشهى مما في الدنيا لا تفسد . قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء . وكذلك أمزجة أهلها ، هي أصح وأسلم من أمزجة أهل الدنيا حتى انهم يأكلون ويشربون فيكون هضمهم بالتبخر ورشح العرق ، ففي الحديث الصحيح انه جشاء ورشح لها ريح المسك . ولا عجب في ذلك فان علماء العصر الذين يظنون ان في كوكب المريخ أحياء عقلاء كالبشر يجزمون بأنهم لا بد ان يكونوا أكبر منا أجساما وأسرع من الخيل العادية في حركتهم العادية ، هذا وعالم المريخ لا يعرف فيه من الحياة الروحانية العالية مثل ما ورد في حياة الجنة ، ولكن ما ذكره علماء العصر في شأنه يقرب تصور ما ورد في صفة الآخرة من الاذهان المقيدة بالمألوفات ، فان بعض الناس انما ينكرون أخبار الآخرة لانها مخالفة لما جمدوا عليه من المألوفات، ولو انهم أخبروا بما اكتشف من أسرار الكون في هذا العصر كخواص الكهرباء والراديوم قبل ان يصير مشهودا مقطوعا به لما صدقوه،

قال الله عز وجل في بيان جزاء المؤمنين القائمين بأعمال الايمان حق القيام (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ووضح ذلك رسوله (ص) في حديث قدسي رواه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال (ص) « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وروى أهل الكتاب مثل هذا عن سيدنا عيسى (ص) فاذا ثبت لنا ان كل ما في دار الكرامة أعلى وأسمى مما في الدنيا حتى الاجسام وصفات الناس وغرائزهم وانه لا يشارك ما في الدنيا الا بالاسم ، الذي عبر به لضرورة تقريب تلك المعاني الغيبية من الفهم ، فهل يصح بعد ذلك أن نعمد الى أعلى ماهنالك من الشؤون الالهية المعنوية فنشبهه بشؤون الدنيا فنجعل تجلي الرب سبحانه وتعالى لاولئك العباد المكرمين الذين رقاهم وكملهم وأهلهم لكمال معرفته تحيزا ومشابهة الخلق ؟ ونجعل ما يحصل لهم من ذلك التجلي من العلم الاكمل والمعرفة العليا التي تستغرق أرواحهم وجميع مشاعرها الظاهرة والباطنة إدراكا لكنهه عز وجل واحاطة

علم به تعالى عن ذلك ؟ ثم نعذر أنفسنا على هذا الجهل بأن ذلك قد سمي رؤية ومعاينة ولا بد ان تكون الرؤية هنالك كرؤيتنا التي نعهدها هنا ؟

سبحان الله ! أيكون كل ماهنالك من أعيان المخلوقات وصفاتها وأحوالها مخالفا لماله اسمه منها هنا الا مايتعلق بشأن الخالق عز وجل فهو الذي يجب ان يكون مشابها لشؤون المخلوقين بعضهم مع بعض ؟ أهذا هو المذهب الذي يدعي أصحابه اتباع المعقول ، ويسخرون من أهل السنة بزعمهم انهم جمدوا على بعض أحاديث الآحاد من المنقول؟ وهم الذين قد جمدوا على مادون ذلك من الالفاظ العربية التي استعملت في صفات الباري تعالى وشؤونه وأخبار عالم الغيب فتراهم يصرفونها عن معانيها و يعطلون مدلولاتها المقصودة لتوهمهم انها لاتكون صحيحة الا اذا كانت مدلولاتها في عالم الغيب كدلولاتها في هذا العالم من كل وجه. ثم تحكموا فأثبتوا بعض صفات الباري تعالى بدون تأويل كالعلم والقدرة والارادة وأوّلوا أكثرها كالكلام والرحمة والمحبة والغضب والرضا والعلو والوجه واليدين الخ وهذا عين التشبيه ، وهذا عين التعطيل — وأهل السنة يثبتون له تعالى كل ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) وينزهونه فيه كله عن مشابهة خلقه ولا يرون فرقا بين العلم والرحمة والكلام فكلها من صفات الكمال الثابتة له مع التنزيه — فعلمه ليس كعلم البشر منتزعا من صور المعلومات بالحس أو الفكر — وكلامه ليس كيفية عرضية تحصل بتموج الهواء بتأثير الصوت الذي يخرج من الفم — وكذلك سائر شؤونه تعالى ، فتجليه لخواص خلقه في دار كرامته ليس كظهور بعضهم لبعض، وما يحصل لهم من رؤيته ومعرفته وسماع كلامه لا يشابه ما يكون من بعضهم لبعض ، واذا كنا قد عرفنا بالمشاهدة في عالم الحس ان إيقاد مصباح زيت الزيتون أو زيت البترول لا يشبه ايقاد مصباح الكهرباء بوجه من الوجوه ولا يشترط في الثاني ما يشترط في الاول — ونجزم بأن هذا الفرق لا يمكن ان يتصوره من لم يعرف الكهرباء البتة— فيجب علينا ان لا نستغرب ما هو أبعد من هذا الفرق بين عالم الغيب والشهادة في اختلاف الكيفية لحقيقة واحدة كالرؤية. ومن كان له حظ من معرفة الله تعالى في الدنيا لا يحتاج الى الامثال ، وحسب المحروم منها ان ينتفع بالامثال ، (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

مدرسة
دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٤

التيوبركيولين Tuberculin

زيادة الياء والنون في هذا اللفظ اللاتيني هي — كما قلنا — للدلالة على المادة أو الأصل الفعال في الدرن [Tubercle] أعني أنه اسم لخلاصة تستخرج من باسيل الدرن نفسه أو مما يربى فيه . فهي نوعان نوع يسمى بالتيوبركيولين العتيق والآخر بالتيوبركيولين الجديد . وأول من أدخل هذا الصنف من العلاج في الطب هو العلامة كوخ سنة ١٨٩٠ محاولا بذلك ايجاد دواء شاف للدرن بكافة أنواعه ، ولكنه لم يتحقق غرضه الى الآن

أما التيوبركيولين العتيق فهو عبارة عن السموم التي يفرزها ميكروب الدرن في السائل الذي يربى فيه كالمرق مع الجلسرين، ويتحصل عليه بالتصفية خلال المرشحات لفصل الميكروب عنه فهو في الحقيقة سموم الميكروب التي تخرج من جسمه في السائل المذكور، ويكون لونه أصفر أدكن وقوامه غليظا . وفائدة الجلسرين حفظه من الفساد

واذا حقن هذا السائل في الشخص السليم لا يحدث منه شيء ، ولكن اذا حقن في انسان أو حيوان مصاب بدرن في أي عضو من جسمه ارتفعت حرارته وأصابته رعدة وأحس بتوعك وآلام في مفاصله وقد يفرز زلال في بوله أو يظهر طفح على جلده ويلتهب المكان المصاب بالدرن . ونظرًا لشدة هذه الاعراض لم يستحسن الاطباء معالجة الدرن بهذه الطريقة ، واقتصر بعضهم على استعمالها في معالجة الدرن الجلدي المسمى لوبس (داء الذئب) لان ما يصيب الجلد من الحقن

يمكن مراقبته وتلافيه . زد على ذلك ان تنبيه الجلد المريض بهذا الداء قد يكون نافعا فيه ، ومع ذلك يأبى كثير من الاطباء استعماله حتى في هذا الداء ، فاقتصرت فائدة التيوبركيولين على استعماله في تشخيص الدرن في الانعام كالبقر فان السليم منها اذا حقن به لم يصبه شيء ، ولكن اذا حقنت البقرة المسلولة ارتفعت حرارتها أي أصابتها الحمى . واستعماله لتشخيص الدرن في الانسان لامسوغ له مع ان هنالك طرقا أخرى تفضله

أما التيوبركيولين الجديد فهو عبارة عن خلاصة تستخرج من نفس جسم الميكروبات الدرنية، وبعبارة أخرى هو السم الكامن في أجسامها فهو غير السم الذي تفرزه في السائل الذي تربى فيه . واذا حقن هذا التيوبركيولين الجديد أيضا في السليم لايحدث منه شيء واذا حقن في المريض حدثت أعراض كالاعراض المذكورة آنفا غير أنها لا تكون عادة مصحوبة بالانفعال الموضعي في مكان الدرن فلا يتنبه ولا يلتهب . وهو قليل الاستعمال لتشخيص مرض الانعام ، ولكن بعض الاطباء يستعملونه في معالجة الدرن الانساني وان خالفهم الآخرون في نفعه، بل منهم من يرى ان ضرره أكبر من نفعه

واذا حقن تحت الجلد حدث منه خرّاج، ولذلك اضطر بعض الصانع الى ازالة بعض المواد التي تشبه الدهن منه وهي التي يظنون انها السبب في التقيح وفي عسر امتصاصه

وهنالك عدة طرائق لاستعمال التيوبركيولين العتيق للتشخيص أشهرها أربع وهي :—

(١) الحقن تحت الجلد (٢) وضعه على الملتحمة عند الموق ويبقى الجفنان مفتوحين بضع دقائق فاذا كان في جسم الشخص أي درن احمرت ملتحمة الجفن الاسفل وكذلك اللحيمة الدمعية التي في الموق بعد ثلاث ساعات ويزداد الاحتقان بعد ست ساعات وترم اللحيمة ويكثر الدمع وتغطي العين ببعض الافراز (الرمص) ويصل هذا الالتهاب الى أقصاه بين ٦ ساعات و١٣ ساعة ثم يأخذ في الزوال بعد يومين أو أكثر، وهذه الطريقة ليست خالية من الخطر على العين. ومحلول التيوبركيولين الذي

يستعمل فيها يكون بنسبة ٥ ر . في المائة من الماء المقطر العقيم

(٣) بطريق الجلد وذلك بتلقيح الجلد كما يلقح لاجل الوقاية من الجدري فيحصل التفاعل باحمرار الجلد وتورمه في ٢٤ ساعة ويشتد بعد يومين ، وفي اليوم الثالث يبدأ في الزوال ويتم ذلك في اليوم الرابع . وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في الاطفال الذين يقل عمرهم عن خمس سنوات

(٤) يعمل مرهم من التيوبركيولين مع [اللانولين Lanoline] [1] (دهن يستخرج من صوف الغنم) بنسبة (١ الى ١) ويدهن به جزء من الجلد فيلتهب بعد يوم أواثنين وقد يظهر فيه دمّل أو بثرة. واعلم انه قد يتأثر الحيوان من التيوبركيولين ويكون سليما اذا سبقت اصابته بالدرن وشفي منه. واذا حقن تحت الجلد بمقدار كبير (١. ر. السنتيمتر المكعب) ولم يحصل انفعال دل على السلامة من المرض مطلقا أو على الاقل من المرض الفعال في البنية فلاينافي ذلك وجود مرض سابق شفي منه المحقون

الجمرة الخبيثة Anthrax

يعرف هذا المرض في الحيوانات باسم (الحمى الطحالية) وهو يصيب الانسان أيضا . وينشأ من ميكروب باسيلي يوجد في العضو المصـاب وفي الدم والاحشاء والافرازات ، ولا حركة له ، وطوله يختلف من ٥ ملك [2] الى ٢٠ ملك وقد يكون مستقيما أومنحنيا قليلا ويتكاثر بالانقسام ويتكون في داخله أيضاحبيبات، وهذه اذا انفصلت منه استطالت ونشأ منها الباسيـل ، ولكن التكاثر بهذه الطريقة الحبيبية لايحصل الا في خارج أجسام الحيوانات . وهذه الحبيبات تقاوم درجات كبيرة جدا من الحرارة فلا يسهل قتلها ولو بالغلي الا بعد بضع دقائق

يصيب هذا الداء الحيوانات اذا لقحت بالميكروب بالعض أو بلدغ الحشرات، وقد تصاب أيضا به اذا أكلت من مرعى تلوث ببراز الحيوانات المريضة

أما اصابة الانسان به فتكون امامن الحيوانات الحية، ولذلك تصاب به الرعاة كثيرا، واما من جثث الموتى بهذا الداء — وهو الاكثر— كما يحصل للقصابين (الجزارين)

---

(١) كلمة لاتينية معناها حرفيا « دهن الصوف » (٢) ملك مختصر كلمة ميكرون

والدباغين بتلقيح أجسامهم بالميكروب اذا مست شيئا من جثة الحيوان . وقد تحصل العدوى من أكل اللحم المصاب أو من مس الصوف والشعر المأخوذين من الحيوانات المريضة، وقد يصل أيضا هذا الداء بطريق التنفس بأن يستنشق ميكروبه مع التراب والغبار الذي يتطاير من البضائع الصوفية ونحوها اذا لم يطهر الصوف قبل صناعته

ومن النادر ان ينتقل هذا المرض من انسان الى آخر بمجرد المس ، وقد شوهد المرض بين تجار الخرق البالية التي تستعمل في صناعة الورق

والحيوانات التي تصاب به هي الانسان والغنم والمعز والارانب وخنازير الهند والفيران وكذلك الخيل والخنازير، أما الكلاب والقطط فلا تصاب به

الاعراض — لهذا المرض ثلاثة أشكال (١) الشكل الموضعي (٢) الشكل الداخلي الرئوي (٣) الشكل الداخلي المعدي المعوي. وفي كلا الشكلين الاخيرين قد يصاب ظاهر الجسم أيضا، وإنما نشأت هـذه الاشكال المختلفة بحسب مدخل الميكروب فانه قد يدخل من الجلد أو من الرئة في الهواء المستنشق أو من الجهاز الهضمي مع الطعام أو الشراب

أما الشكل الاول فيشاهد كثيرا في الوجه أو العنق أو الايدي بعد جرح أو سحج (خدش) فبعد زمن التفريخ الذي يتراوح بين بضعة أيام وبضع ساعات يحدث أكلان ولهيب في المكان الملقح ، ويظهر دمل صغير يتلئ بسائل رقيق ثم ينفجر وتموت قاعدة هذا الدمل فتكون سوداء اللون ويتلهب ما حولها من الجلد فيحمر ويرم ويتصلب ويمتد تورمه الى [بوصة] ونصف أو بوصتين أو أكثر، ويتكون حول البقعة السوداء فقاعات صغيرة تشتمل على مصل ، وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة وتلتهب . وقد يستمر الشخص في عمله ثلاثة أيام أو خمسة ثم يشعر بالحمى مع الضعف والانحلال . وقد يعتريه الهذيان أو العرق الغزير أو الاسهال وينتهي أمره بالموت الذي يسبقه همود شديد

أما الشكل الداخلي فتختلف أعراضه باختـلاف الجهاز المصاب ، ويتقدمه اضطراب وضيق تنفس واضمحلال وآلام في الاطراف ، ثم ترتفع الحرارة فجأة مع اعراضها المعروفة . فان كانت الرئتان مصابتين اصابه ضيق شديد في التنفس مع

احساس بالاختناق، ويزرقّ جسمه ، وتخور قواه ، ولكن يكون السعال خفيفا ، واذا بصق فقد يكون البصاق ملوثا بالدم ثم يعتريه الهذيان والغيبوبة فيموت . وفي بعض الحالات قد يبقى ادراك المريض الى النهاية . واذا كان الجهاز الهضمي هو المصاب حدث قيء، وألم بالبطن واسهال وخرج بالبراز دم وقد يحصل عسر في الازدراد أو نزف من الحلقوم والفم ، وتكون الحمى غير عالية ، ويزرقّ جسم المريض أيضا ويضيق نفسه ويصاب بالضجر وقد يتخبط كالمصروع قبيل الوفاة

الانذار — هو سيئ جدا خصوصا في الاشكال الباطنية

المعالجة — تعالج الجمرة الظاهرية باستئصالها كلها وكيّ موضعها إما بالنار وإما بالادوية الكاوية مثل كلوريد الزنك (الخارصين) أو بالفنيك النقي فتتحسن حالة المريض وقد يشفى سريعا

أما الشكل الداخلي فعلاجه قليل الجدوى . ويعالج بالكينين والمنعشات والسوائل المغذية

الوقاية — تكون بالابتعاد عن المصاب وحرق أوتطهير مفرزاته وكل ما لامسه وخصوصا صوف الاغنام وملابس المرضى ، وبقتل الحيوانات المصابة بأيسر الطرق ثم احراق جثثها أو دفنها في مكان عميق مع وضع الجير حولها

ومما تجب العناية به ان لا يؤذن للعمال في مصانع الصوف أو الجلود بمس شيء منها الا بعد تطهيره بالطرق الطبية كأن يطهر الصوف مثلا في أفران البخار وتطهر الجلود بوضعها في بعض المحاليل المطهرة التي لاتضر بها . واعلم ان كلامنا هذا في مس الجلود قبل دبغها فان الدبغ وحده كاف لتطهيرها

ويجب على الممرض ومن شاكله تطهير يديه جيدا قبل الطعام والشراب وتغيير الملابس قبل ذهابه الى منزله أو مخالطته الاصحاء

السقاوة والسراجة Glanders

مرض عرف قديما حتى وصفه أطباء اليونان والرومان في كتبهم وهو يصيب الخيل والبغال والحمير وبعض الحيوانات الأخرى الداجنة ومنها ينتقل الى الانسان

أيضا . وسببه ميكروب مستقيم الشكل اكتشف سنة ١٨٨٢ م

يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره، وطوله يختلف من ميكرونين الى خمسة

وهـذا الداء قلما يصيب الانسان وأكثر من يصاب به خدمة الخيـل أو الاصطبلات . وكيفية العدوى به أن يلقح أي جزء من جلد الانسان بميكروب هذا الداء في أثناء تنظيف الخيل المصابة أو كشط جلود الموتى منها، وقد يصاب الشخص بسبب عض حيوان له وتلقيحه بلعابه ، أو يصاب بسبب عطاس الحيوان في وجهه فيدخل جزء من مخاط أنفه في عين الانسان أو أنفه أو فمه . وقيل إنه ينتقل أيضا بأكل اللحوم النيئة من الحيوانات المصـابة . ومن الجائز أن ينتقـل هذا الداء من شخص الى آخر

الأعراض — لهذا الداء شكلان : —

(الشكل الاول) الحاد وهو المسمى بالعربية السقاوة . يبتدئ ظهور أعراضه بتوعك وصداع وغثيان وآلام في الاطراف حتى قد يظن أن الداء هو الرثية [الروماتزم] أو الحمى التيفودية وقد يوجد ألم بالجنب وضيق في التنفس . واذا كان الميكروب دخل من الجلد التهب مدخله وورم وصـار مؤلما حتى يشبه الجلد مرض الحمرة ثم يتقرح وتتضخم الغدد اللمفاوية القريبة، وبعد اسبوع أو أكثر يظهر طفح من دمامل صغيرة حمراء أعلاها فقاعات ، وهذه تكبر حتى تصير نفاخات كبيرة أو بثور مختلفة الحجم يسيل منها دم ومدة وصديد، وتلتهب قاعدة هذه البثور وما حولها ثم تسقط قشورها فيتكون منها قروح . وقد تتكون عقـد تحت الجلد تستحيل الى خراجات غالبا. وكثيرا ما تظهر هذه العقد أيضا في العضلات

وقد يصيب الداء أيضا الاغشية المخاطية وتكون أعراضه سيلان مخاط رقيق في أول الامر ثم يغلظ وتصحبه المدة أو الدم وتكون رائحته منتنة ، ويكون في الاغشية أيضا عقـد تتقرح حتى تثقب بعض الاجزاء أو تأكل بعض العظام الرقيقـة كما يحصل في داخل الانف . وقد تصاب أيضا الملتحمة أو الحنجرة أو أغشية الشعب وغير ذلك . وتكون حرارة المريض عالية جدا مصحوبة بأعراض الحمى المعتادة ، ولكن ارتفاعها قد يتذبذب، ويفرز زلال في البول ويصـاب المريض بالهـذيان

والارتعاش فالغيبوبة فالموت . ومدة الداء من أسبوعين الى ثلاثة

ويكثر وجود باسيل المرض في العقد المذكورة وفي القروح وما يسيل منها ، فأعظم الخطر منها في العدوى

(أما الشكل الثاني) فهو المزمن ويسمى بالسراجة وتكون أعراضه قاصرة على الاصابات الموضعية على الاكثر كأن تظهر قروح أوخراجات حول المفاصل أوتلتهب مواضع مختلفة تحت الجلدأو في العضلات، واذا حدثت بثور كان تكونها بطيئاً وقد تصاب اغشية الانف المخاطية . وفي بعض الحالات ينحف المريض ويبح صوته ويصيبه السعال أو النزف الرئوي. ومدة هذا الشكل المزمن قد تكون أربعة أشهر

الانذار — غير جيد . وفي الاحوال الحادة لا ينجو الا القليل ، ويشفى نحو نصف الحالات المزمنة

المعالجة — لا يوجد لهذا الداء دواء مقطوع بنجاحه وانما تعالج الاعراض كالمعتاد

الرثية السيلانية أو الروماتزم السيلاني

سبق الكلام على مرض السيلان في الجزء الاول وإنما نريد أن نصف هنا ميكروبه واعراض اصابته للمفاصل

أما ميكروبه فهو من الشكل البزري ويسمى بالافرنجية [Gonococcus] ومعناها حرفيا في اليونانية [بزور المني] فهي من الاسماء التي أخطأوا في أصل وضعها. يوجد هذا الميكروب كثيرا في افراز الاحليل اذا كان الشخص مصابا بالسيلان ويشاهد على الاكثر داخل الكريات الصديدية البيضاء وهو من الميكروبات التي يتعسر زرعها في الخارج، ويعيش بوجود الهواء أو بغيره، وفي البيئة القلوية قليلا أو الحمضية ولكنه لا يعيش خارج الانسان الا ببعض الوسائل الصناعية العلمية الدقيقة. ولا يصيب هذا الداء غير الانسان . ويشاهد ميكروبه في افراز الاحليل والفرج وتقل مشاهدته في إفراز الرحم ويندرأو لا يشاهد مطلقا وجوده في افراز المهبل. أمافي الذكر فيوجد أولا في إحليله وقد يمتد منه الى الخصيتين أو المثانة أو الغدد الاربية

(فينشأ منه الخبرجل) وفي بعض الحالات قد يصل الميكروب في الذكر والانثى الى الاعضاء الباطنية كالمبيضين أو البليورا أو البريتون أو الغشاء المبطن للقلب أو الاغشية الزلالية المبطنة للمفاصل وغير ذلك كثير

واصابة المفاصل هي المقصودة بالكلام هنا

تبدأ هذه الاصابة بعد ١٤ يوما أو ٣ أو ٤ أسابيع من مبدإ ظهور سيلان الاحليل حينا يكون هذا السيلان قيحا أو حينا يكون صديدا (رقيقا) وهو الاكثر أي في زمن [النقطة العسكرية] (١)

الاعراض — في الحالات الحادة تصاب عدة مفاصل في أول الامر بالألم والورم، وبعد قليل يقتصر المرض على مفصل واحد وهو المرفق في الغالب وقد يكون الركبة أو الرسغ أو غير ذلك . ويمتد احمرار المفصل الى مسافة بعيدة وترم المنسوجات في تلك المسافة كلها حتى قد يظن أن بها خراجا . ويتألم المريض ألما شديدا عند أقل حركة ولكن تكون الحمى غير شديدة . ويزول الالتهاب بالتدريج البطيء جدا ويترك وراءه يبسا في المفصل . وقلّ أن يتقيح . ومن النادر أن تصاب أغشية القلب . وهذا الداء يصيب الذكور والاناث على حد سواء

وهناك اصابات بهذا المرض أخف مما ذكر فيكون احمرار المفاصل فيها أقل وكذلك ورمها ، ولكن تصاب عدة مفاصل في وقت واحد خصوصا الركبتين والمرفقين والرسغين وكثيرا ما يكون هنالك آلام في الصفاقات وفي الاغشية المغلفة لأوتار العضلات ، وتغلب اصابة صفاق أخمص القدم . وقد تصاب أيضا الملتحمة بالالتهاب وكذلك الصلبة وغيرهما . وفي تلك الحالات الخفيفة يكون زوال الالتهاب أيضا تدريجيا وقد تطول مدته الى ثلاثة أسابيع أو اكثر ويخلفه كذلك يبس في المفاصل

وسبب تلك الالتهابات كلها هو وجود ميكروب السيلان في الاعضاء الملتهبة وقد تصاحبه أيضا ميكروبات الصديد وذلك اذا وجدت المدة

(١) اصطلاح يراد به السيلان المزمن كما يحصل لكثير من الجنود وهو عسير الشفاء جدا يكاد يكون متعذرا

حال المسلمين الاجتماعية

ومطالبة الاغنياء وسائر الطبقات منها (*)

وفيه بيان حال مشتركي المنار ومساعديه ورأي الاستاذ الامام والشيخ علي يوسف فيه

٢

قد فصلنا القول في المقالة الاولى في الفرض الاول الذي رمى اليه (م . ن) في رسالتــه وهو اعانة جماعة الدعوة والارشاد . واما الفرض الثاني مما رمى اليه وهو مساعدة المنار فقد علم رأينا فيه مما علقناه على رسالته ، وهو أننا لا نقبل تبرعه للمجلة ولا تبرع غيره لانفسنا ، فساعدة المنار تنحصر في أمرين أدناهما أن يؤدي كل مشترك ماعليه من قيمة الاشتراك في كل سنة ، وأعلاهما الدعوة الى الاشتراك فيه واقتناء مجلداته وأداء حقه الذي هو عبارة عن قيمة الاشتراك

وقد وجد أفراد قاموا بما تيسر لهم من أعلى المساعدة كالنابغة الشهير السيد محمد بن يحيى بن عقيل في سنغافورة ، وشهيد العربية السيد الزهراوي الشهير وصديقه الشيخ أحمد نبهان من علماء حمص وفضلائها في بلاد سورية ، والكاتب اللوذعي الهادي السبعي في تونس ، والفاضل الغيور محمد افندي عمر في القطر المصري . وانما ذكرت الهادي السبعي وقد كان وكيلا للمنار بالعمولة لأنه من الأفراد الذين يقل نظيرهم في علو الهمة وقوة التأثير ، واننا لم نأسف لاضطرارنا الى ترك معاملة أحد أسفنا لاضطرارنا الى ترك معاملته لتأخيره المحاسبة والمكاتبة عن أوقاتها زمنا طويلا ، على أننا لم نهتد بعده سبيلا الى تحصيل حقوق المنار من أكثر التونسيين ، على ما تفضل به من التبرع بتحصيلها الوجيه الامثل عبد الجليل الزاووش

وأما أدنى المساعدة وهي أداء حق المنار فمن المشتركين السابقون بالوفاء وهم الذين يؤدون الاشتراك في كل عام وأفضلهم الذين يؤدونه في أوائل السنين وإن لم يطالبوا أو يذكروا ، ويليهم الذين اذا ذكروا أو طولبوا أدوا ، وان تركوا نسوا أو

(*) تابع لما نشر في الجزء الثاني ص ٨٩

تناسوا ، ومنهم الذين يلوون ويمطلون، ومنهم من لا يخرج الحق من يده الى أمثالنا في حسن التقاضي الا نكدا ، وقد يكون أبسط الناس لمن يخاف أذاه أو هجوه يدا ، وقد بينا من قبل أحسن أقطار المسلمين وأصنافهم وفاء وأشدها مطلا

وانما لنقاسي من مطل الناس أو هضمهم للحق ما هو أوضح برهان على انحطاط أمتنا، وضعف تأثير العلم الديني والدنيوي في نفوس أفرادها ، فلا ينبغي أن يغترّ أحد بشهرة أحد في علم ولا فلسفة، ولا بظهوره في مظهر صلاح ولا عدالة، بل يجب أن يزن الجميع بميزان النقد ، فالناس — كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم — معادن كمعادن الذهب والفضة ، أي والنحاس والحديد والزنك وغير ذلك ، فالمظاهر العلمية أو العملية كالصقال قد يجعل النحاس أو الحديد المصقولين أبهج من الذهب أو الفضة غير المصقولين ، ولكنهما اذا تركا زمنا طويلا بغير صقل علاهما الصدأ ، وأفسدهما الطبَعُ ، ولا يضر الحجرين الكريمين ترك صقلهما ، فان صقلا كان مزيد كمال في جمالها وبهائها . وأنشد الغزالي في الاحياء أبياتا في اختبار مدعي الزهد والتصوف بالمال :

لا يَغُرَّنْكَ من المر ء قميص رقعه
أو إزار فوق عظم السـ ـاق منه رفعه
أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

فان شئت مثلا من عبر المنار ، وما اتفق لنا من مبكيات الاختبار ، فأعظم الامثال التي يجب أن تضرب في هذا المجال رجل من الاغنياء العلماء الشرفاء ، يشرح الكتب الشهيرة ، ويتحلى بالحجارة الكريمة ، ويركب المركبات الفاخرة ، تجرها الخيول المطهمة ، ثم هو يلوي ويسوف في اشتراك المنار عدة سنين ، ثم يقول لوكيل التحصيل بعد المطل الطويل ، إنه لا يدفع قيمة الاشتراك لانه عالم من علماء الدين ! فيالله العجب هل يوجد خزي أخزى من وصف العلم أو الدين بأنه يقتضي هضم حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل ، أليس الجهل أفضل من مثل هذا العلم ؟ بلى وأستغفر الله من الزيادة على ما قلت

هذا وان صنف العلماء المعممين في مصر قلما يشترك أحد منهم في جريدة أو مجلة

أو جمعية خيرية، و يقل فيمن يشترك في صحيفة لغرض ما ان لا يسعى في السماح له بنصف قيمة الاشتراك أو ما دون النصف ، كأنهم يرون أن الصحف يجب أن تهدى اليهم ، وإن لم يفيدوا أصحابها بعلمهم ولا بجاههم ، ان كان لهم علم ينفع ، أوجاه يشفع ، ولكن يقل فيهم أيضا من يأكل حقا ثابتا عليه لأحد

ومن أغرب ما وقع لنا معهم أن واحدا منهم كان قد أعجبنا حياؤه وتدينه ، فساعدناه في مصلحة من مصالحه مساعدة ذات شأن عنده، فعرض علينا جزاءها أو مكافأة عليها عدة جنيهات ، فقلنا اننا لا نأخذ أجرا على المساعدة فاشترى بها مجلدات من المنار ، ثم انه تأخر عليه اشتراك عدة سنوات فلما طولب بها في هذا العام قال إنه كان دفع الاشتراك عنها سلفا في تاريخ كذا ، فقيل له ان مادفعته يومئذ انما كان ثمن المجلدات السابقة فقال — ويالله العجب مما قال — بل كانت تلك المجلدات هدية من صاحب المنار !! فان كان قد قال هذا القول معتقدا صحته فهل تفكر في السبب الذي حمل صاحب المنار على مساعدته مساعدة تستحق المكافأة وعلى ترك أخذ ما عرضه عليه منها ثم على اهدائه عدة مجلدات من المنار ؟ لعله يتفكر فيعلم ان لاسبب يقتضي ذلك ثم ينصف من نفسه. !! على اننا مع العلم بهذا الشذوذ من هذا العالم الحيي ، وذلك المؤلف الغني ، نقول ان علماء الدين أمثل من علماء الدنيا وفاء ، وأسهل قضاء :

ذكرت في بعض مجلدات المنار السابقة أن علماء الحقوق من القضاة والمحامين احسن وفاء من غيرهم ، وان اقل المتعلمين وفاء كتبة الدواوين، وكم من كاتب صغير، خير من قاض أو محام كبير ، وانما الناس معادن، يتفاضلون بالاخلاق لا بالعلم ولا بالمناصب ، أضرب لذلك مثلا قاضيا اشتهر بدقة الفهم ، واستقلال الرأي ، وحسن الذوق ، وانتظام الفكر ، وفصاحة القول ، وسلاسة الانشاء ، والجمع فيه بين إقناع الفلسفة وتأثير الخيال ، حتى صار يعده المدنيون من رجال الاصلاح ، وكان مع هذا كله يمنع ما عليه من حقوق الافراد والجمعيات عامدا متعمدا : طلب الاشتراك في المنار بلسانه ، ومات وعليه اشتراك عدة سنين اعيا وكيل المنار تحصيلها منه ، وكان مشتركا في الجمعية الخيرية ومن كبار أعضائها فأمر الاستاذ الامام رئيس الجمعية بمحو

اسمه من دفاترها بعد امتناعه من دفع قيمة الاشتراك عدة سنين .

وان لنا الآن عند بعض القضاة والمحامين اشتراك عدة سنين يئس جابي المنار منهم، وطلب من الادارة قطع المنار عنهم ، وقد ساءني ذلك لان منهم من أجل نبوغه ومروءته ، وألتمس له عذرا فيما شكا الجابي منه ، ويعز علي ان يحشر في زمرة الماطلين ، أو يدوّن في سجلّ الماضين ،

وأما الماطلون من الاغنياء الذين لم يصقلوم العلم الديني ولا الدنيوي فهم كثيرون ومطلهم نغشن مشوه . مثاله قول غني من الفيوم عليه اشتراك بضعة عشر سنة لجابي المنار في القاهرة: اني ابتليت بمصائب عنعني من المطالعة منهاموث امرأتي، ومجموعات سني المنار محفوظة عندي في الفيوم فاعطني أجرة البريد لاحضرها لك !!

ولا يسعني السكوت في هذا المقام عن كلمة ثناء على فضل من أنبتت أرض في مصر في هذا العصر ، بل على من يندر وجود مثلهم في اي مصر واي عصر، وهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والوزير الكبير مصطفى رياض باشا والنابغة الهمام حسن باشا عاصم، فأما الوزير فقد بينت في فاتحة المجلد الخامس عشر انه كان أول من أراد التبرع للمنار فاشترك بعشر نسخ توزع على الفقراء ثم جعلها خمس عشرة نسخة، وقد أقرها بعده ولده محمود باشا سنة ثم قطعها، وفضل رياض باشا على الاهرام والمؤيد والمقتطف والمقطم مما يعرفه جمهور الادباء، وأما حسن باشا عاصم فقد كان على وقف حياته على خدمة الامة احسن الناس وفاء حتى انه كان يتحرى أن يكون أول من يدفع الاشتراك للجمعية الخيرية في كل عام على أنه أكثر أعضائها خدمة لها ، وكان يدفع اشتراك جميع الجرائد في أول كل عام أيضا وكان يجيء في ادارة المنار في بعض السنين حاملا الدراهم بيده

وأما الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان أحرص الناس على مساعدة المنار بكل ما تصل اليه طاقته، وكان كثير من الناس يظن في مساعدته له الظنون البعيدة حتى ان منهم من كان يظن أنه هو الذي يكتب ويحرر أكثر ما ينشر فيه، وقد صارحنا هذا مما كاشفنا به بعض القراء حين كتبنا في المجلد الرابع ان كل ما ينشر في المنار غير معزوّ الى أحد فهو لمنشئه، ومن الناس من لم يرجع عن هذا الظن الا بعد وفاة الاستاذ

بعد كتابة ما تقدم نظرت في مذكراتي التي كتبتها قبل انشاء المنار فاذا فيها انني جئته على موعد في مساء اليوم السادس من شعبان سنة ١٣١٥ فعلمت منه ان سليم افندي الانسي أخبره بأن بعض الناس جاؤا من طرابلس الشام لانشاء جريدة . وأنه أجابه بقوله : هل علموا ان الجرائد هنا قليلة ؟ وكتبت يومئذ في ذلك ما يأتي :

« فعند ذلك كاشفته بعزمي وأخبرته انه جاءني خبر من طرابلس بأن والي بيروت يقول انني جئت مصر لانشئ جريدة أطعن فيها بوكلاء (وزراء) الدولة . وقلت له : القصد أعلى من الكلام في الشخصيات وان وكلاء الدولة مدحوا كثيرا وذموا كثيرا فماذا كان من نتيجة المدح والذم ؟

« فشرح لي الاستاذ حالة الجرائد في مصر (كما فهمته واختبرته) وقال ان المصريين أقامتهم الظروف في حالة جعلت أفكارهم موجهة الى شيء واحد من الجرائد وهو أخبار الحكومة المحلية وماذا يقال عن الخديو وعن الانكليز ولا يلتفتون الى ماوراء هذا . وهذا الامر قد قامت به ثلاث جرائد المقطم والمؤيد والاهرام ...[1] واذا كتبتَ في المواضيع الادبية كالتربية والتعليم أو آداب اللغة لا يلتفت الى كلامك الناس فاني لا أعرف أحدا في مصر من طلبة الازهر أو المدارس مشتغلا باللغة وآدابها الا ان يكون في الزوايا من لم يعرف . نعم أن هذا الامر مهم ومفيد لكنه لا يأتي منه ما يكفي لنفقاته ولا ينبغي التعب وانفاق المال هكذا ...

(وفيها انني ذكرت له هنا ما ذكره لي صاحب الهلال من كثرة مشتركيه وأنه ارتاب في ذلك وقال ان المشتركين الذين يدفعون الدراهم قليلون وما كل من يكتب اسمه في دفاتر أصحاب الصحف كذلك . ثم كتبت ما نصه) :

« ثم انتقلنا الى موضوع الامة ومرضها وان أنفع الوسائل في معالجتها التربية والتعليم ونشر الافكار الصحيحة » فقلت هذا ماحدا بي لانشاء الجريدة ، وانني أسمح ان انفق عليها سنة وسنتين من غير ان أكسب شيئا ... فقال ان كان هكذا

(١) هذا نص مافي المذكرة بحروفه ونقطه وأتذكر انه ذكر لي مشرب هذه الجرائد فأشرت اليه بالنقط لانه لا ينسى

فهو حسن ، وهذا أشرف الاعمال وأفضلها ، وأنا اذا كنت على ثقة من مشرب الجريدة فاني أساعدها بكل جهدي » اه

ولما كتبت فاتحة العدد الاول أعجبه ما بينته فيها من خطة المنار ومقاصده ولم ينتقد منها الا كلمة واحدة في حقوق « الامة على الامام » قال إن المسلمين ليس لهم الآن إمام انما امامهم القرآن. فتركت تلك الكلمة لاجله. ولم أطلعه على شيء قبل طبعه مما لا يتعلق بشخصه والحكاية عنه الا تلك الفاتحة. ثم كانت تزداد ثقته بالمنار وصاحبه (ولا محل لشرح ذلك هنا) ولكنه لعزة نفسه ومحافظته على قيمة كلامه كان يكتفي من الترغيب في المنار غالبا بمدحه، والشهادة بفائدته ونفعه، دون التصريح بالدعوة الى الاشتراك فيه ، وقلما كان ذلك يجدي لبعد أكثر الناس الموسرين عن الاهتمام بأمر الاصلاح الديني والاجتماعي ، قد اشترك في المنار عند ظهوره الافراد من أصدقائه ومريديه بترغيبه، واشترك المئات من غيرهم بغير ترغيب من احد ولم يكن في ذلك غناء ، وما زاد دخل المنار على نفقاته الا في السنة الخامسة، وقد كان لمقالاته (الاسلام والنصرانية) تأثير في ذلك . ولم أعلم أن عشرات من المشتركين طلبوا الاشتراك بتأثير ثنائه عليه الا في تلك السنة وكان هؤلاء المشتركون من مديرية الدقهلية وما جاورها، سمعوا منه ذلك الترغيب في بلادهم أيام كان فيها يوزع الاعانات على الذين نكبوا بالحريق ، ولا أتذكر اني طلبت منه المساعدة تصريحا ولا تلميحا الا في أوائل تلك الايام ، فاني كتبت اليه كتابا أشرت فيه الى الشكوى من قلة الاقبال على المنار — وكان في المنصورة — فكتب الي كتابا قال فيه هذه الكلمة التي كانت أحب الي من كل ما تجدد من طلب الاشتراك ، لانها بينت رأيه في المنار كتابة وهي :

«الناس في عماية عن النافع وفي انكباب على الضار، فلا تعجب اذا لم يسرعوا بالاشتراك في المنار، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلا، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل »

وأذكر أيضا أن وجيها من أسرة كبيرة غنية في بعض المديريات كان يعد من حزب الاستاذ طلب مني بحضرته ارسال المنار الى بضعة عشر مشتركا من أقاربه وأصحابه على انه هو الكافل لهم ، والملتزم لتحصيل قيمة الاشتراك منهم ، فأرسلناه اليهم ، وبقي عدة سنين لا يدفع عن نفسه ولا عن أحد منهم شيئا حتى في حياة الاستاذ ، ثم بعد تكرار المطالبة وصل الينا منه ومن غيره اشتراك بعض السنين من بعضهم ، ويئسنا من الآخرين فمحونا أسماءهم .

وأما أصحاب النفوذ والوجاهة من أصدقائه — الذين كانوا أقدر منه على نشر المنار لو أرادوا لتصريحهم بما لا يصرح هو بمثله — فلم أعلم لأحد منهم مساعدة تذكر الان مصطفى بك الباجوري رحمه الله تعالى طلب المنار لجماعة في طنطا أكثرهم من أصدقائه المحامين . على أن كثيرا من جماعة الاستاذ ما كانوا يدفعون قيمة الاشتراك ولا كنا نحن نطالبهم بها لاجله ، وهو لم يأمر بارساله الى أحد بغير ثمن الا الى اثنين من أصدقائه (أحدهما) شيخ صوفي صالح مشهور في الوجه القبلي (وثانيهما) قاض شرعي من اخوانه مريدي السيد جمال الدين في الوجه البحري ، (رحمهم الله أجمعين)

وجملة القول ان الاستاذ قدس الله روحه صرح لي بما حقيقته انه لم يعمل للمنار ما يجب عمله له ، بل قال لي مرة أو أكثر من مرة : انني لم أعمل له شيئا . أي ما يعده هو شيئا يذكر ، ولا سيما بعد ما رأى من مقاومة أعدائه له ، وعدم قيام أصدقائه بما كان يجب من مساعدته ، على ما رأوا من شدة ميله ورغبته ، وقد كان هو يقوم بموافاة رغائبهم وقضاء حوائجهم بمجرد الشعور بها ، ولا ينتظر منهم إلحاحا ولا تصريحا بطلبها ، وكان يجب ان يكون كل فرد منهم أولى بذلك منه ، لا لأن له الفضل عليهم ، والمقام الاعلى فيهم ، بل لانه أشدهم حياء وأرقهم شعورا . فلا ينبغي لمن عرف طباعه وأخلاقه العالية ان يكلفه ما لا يليق بها ، كالتصريح بطلب الشيء بلسان المقال ، مع العلم به من دلالة الحال ، على انه هو لم يكن يكلف صديقه مثل ذلك وان كان ذلك الصديق لا يستحيي منه ، ولا يثقل مثله على طباعه وأخلاقه .

من أجل هذا كانت مقاومة أعداء الاستاذ للمنار أعظم من مساعدته له ، وانما

كانوا يقاومونه لتنويهه به ، واذاعته لعلمه وفضله ، وانني أذكر في هذا المقام كلاما للشيخ علي يوسف صاحب المؤيد عفا الله عنه فيه عبرة لصاحب الرسالة التي أوجبت كتابتنا لهذا المقال ، ولغيره ممن يعتبرون بوقائع الاحوال *

قال لي الشيخ علي يوسف مرة: إنك أنت رجل غير عادي ، فلقد أوتيت من العلم والبصيرة ومعرفة حكم الدين واسراره وما يحتاج اليه المسلمون من الاصلاح في هذا العصر ومن حسن البيان ما جعل مجلتك من الحاجات الضرورية التي لا غنى للمسلمين عنها اذا أرادوا أن يرتقوا في هذه الدنيا مع المحافظة على دينهم، وكان يجب أن يوجد المنار في كل بيت من بيوت المسلمين ، ومصر مستعدة لرواج هذه الافكار فيها، وانت ههنا غريب ليس لك اعداء ولا حساد إذ لا يعدك احد فيها مزاحما له في جاهه وصيته. الا انك التزمت في المنار اطراء الشيخ محمد عبده والتنويه به، وهو اهل لذلك الا انه غير محتاج اليه اذ لا يزيد في قدره عند عارفي فضله الكثيرين ولا يقنع غيرهم من مبغضيه ، وان للشيخ اعداء كثيرين لهم نفوذ في البلاد، وأنت بهذا التنويه به تجعلهم خصوما للمنار يقاومونه وينفرون الناس منه، واكثر من يسمع ذلك منهم يأخذه بالقبول، فخير لك أن تترك هذه الخطة وتسلك في ذكر الشيخ طريق المؤيد بأن تعبر عنه اذا اقتضت الحال ذكره بأحسن ما يقرن بأسماء كبار العلماء وهو لقب « فضيلة الاستاذ فلان — أو بزيادة — العلامة فلان » فبهذا تأمن كيد أعداء الشيخ لك المفضي الى حرمان أكثر المسلمين بمصر من الاستفادة من المنار اه

فقلت له انني أعلم قدر ما في هذا الكلام من النصيحة وانني قد علمت بالاختبار ان أعداء الشيخ يصدون عن المنار وقلما يوجد من يعارضهم في ذلك . ولكن المنار أنشئ للاصلاح لا للتجارة، ودعوة الاصلاح لا يرجى ان تنجح وتبقى الا اذا كان للاصلاح زعيم يرجع اليه ويعول عليه ، ولا أعرف أحدا في المسلمين اهلا لهذه الزعامة بعلمه وبصيرته واخلاصه وأخلاقه الا هذا الرجل، فأنا أقصد بالتنويه به ترشيحه لزعامة الاصلاح في العالم الاسلامي كله لا في مصر فقط . وهذا الغرض ركن من أركان الاصلاح يرجح على كثرة قراء المنار في القطر المصري. فقال اذا كان الامر كذلك فأنت أدرى بشأنك

هذا — وإن هذا القول من الشيخ علي يوسف قد كان قبل اشتداد غضب الامير على الاستاذ الامام واظهاره للناس وما ترتب على ذلك من التقاطع الاخير بين الاستاذ والشيخ علي ، ومن سعي كثير من كبار المقربين للامير للتفريق بيني وبين الاستاذ رحمه الله تعالى، اذ كان ممن كلمه في ذلك الوزير الشهير بطرس باشا غالي ، وممن كلمني فيه نقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الشيخ توفيق البكري، ولا حاجة الى شرح ذلك في هذا المقال

لان صاحب الرسالة (م . ن) يعلم ما لا يعلمه الا الاقلون من تاريخ المنار وما لقي من المقاومة وكونها على قوتها لم تكن مانعة من انتشاره واحترام كبراء الامة — حتى خصومه — له ولمنشئه ، وأنه على كثرة ما كان ينتقد العلماء ويلقي عليهم من تبعة فساد دين الامة ودنياها لم يتصد أحد منهم للرد عليه مع دعوته اياهم الى انتقاد ما يرونه منتقدا فيه على رأس كل عام ، ويعلم أيضا أن مقاومة الامراء والكبراء من العلماء وزعماء الحزب الوطني وغيرهم لم تكن صادة لمن دونهم في الجاه كمحمد افندي عمر بن الدعوة الى الاشتراك في المنار ومن استجابة كثير من الناس له ، ذلك بأن الحرية الشخصية قد رسخت في البلاد ، حتى صارت مستعدة لقبول كل دعوة وانتشارها بقدر من يقتنع بفائدتها من الافراد. ولكن الدعوة لا تنجح بنشر مقالة أو مقالات معدودة ، بل يشترط لنجاحها أن يكون لها دعاة دائبون ، وتأثير القول فيها أكبر من تأثير الكتابة، ولابد من المواظبة والتكرار، كما علم من سنن الله تعالى في كل دعوة الى إصلاح أو إفساد، فهذا هو سبب حكمنا على رسالته بأنها لا تفضي الى نيل المراد، فالاقوال والافعال العارضة الموقتة ضعيفة التأثير في الامور العامة ، وإنما العمدة فيها على الدعوة الدائمة، فقد أيد المنار أقوى من أنبتت هذه الديار حجة وتأثيرا روحيا ولم يكن نجاحه بتأييده وتنشيطه ، وخذله وثبط عنه أعظم من فيها نفوذا ولم يخب بخذله وتثبيطه، وقد زالت ولله الحمد تلك المناهضة، فلا يخشى ان يلقى الداعي بعداوة ولا معارضة

ثم ليعلم صاحب تلك الرسالة ان المنار ثابت بفضل الله تعالى وان انقطع عنه منذ بدأت الحرب الاوربية كل مدد كان يأتيه من البلاد العثمانية والروسية ومن المغرب الاسلامي ، وكذا من المشرق والجنوب الا قليلا ، — وان محت أدارته أيضا

أسماء مئات من مشتركي القطر المصري ؛ بعضهم بحق وبعضهم بغير حق بل بشهادة غير عادلة من الجباة . — وكان هذا في فترة بضع سنين لم أنظر فيها شيئا من أمر الادارة وقد قضيت كثيرا منها في الاسفار — وان المتأخر من مال الاشتراك على الثابتين من المشتركين يزيد على ألف جنيه مصري ، واني لأعترف بأن جل التبعة في ذلك على تقصير الادارة وتركها مطالبة الكثيرين منهم لا على من طولبوا فلووا ومطلوا ؛ وانا لنرجو ان توفق ادارتنا فيما شرعت فيه من الاصلاح الى اقتضاء حقوقنا بالحسنى، فقلما يوجد في مشتركي المنار من يستحل أكل ماله بالباطل وهضم حقه بغير عذر ، ولكن يثقل على بعض من عليهم اشتراك عدة سنين ان يؤدوها دفعة واحدة، ولا يضرنا تأديتها أقساطا متعددة ، وإن منهم أفرادا يطمعون بأن نترك لهم شيئا مما عليهم برضا منا ، ومن هؤلاء من يتوسل الى ذلك بأن بعض الاجزاء لم يصل اليهم ، وحجتنا انه كان ينبغي لهم أن يطلبوها في وقتها واذاً لارسلت اليهم بغير ثمن حسب الشرط ، وانا نعلم بالاختبار ان كثيرا من المشتركين تضل عندهم الاجزاء أو يأخذها بعض أصدقائهم من مكاتبهم أو بيوتهم من حيث يدرون أو من حيث لايدرون، أو تضيع بانتقالهم من مكان أو بلد الى غيره، ثم يتوهمون انها لم تصل اليهم البتة

وقد عزمنا على ان نبذل جهدنا في حسن الاقتضاء ، راجين من الاكثرين حسن القضاء ، وعلى ان نكتب بعد ذلك ما نرى فيه الفائدة من الاختبار ، ومنه التصريح بأسماء المحسنين والمسيئين في القضاء، ليكونوا عبرة للمعتبر بحال المسلمين ، ونؤكد البشارة لاخينا (م. ن) الداعي الى مساعدة المنار خوفا من سقوطه بما أحدثته الحرب من العسرة ان ما على خيار المشتركين في القطر المصري وحده يزيد على ما يحتاج اليه من النفقات فلا يضره انقطاع المدد عنه من الخارج ، فاذا كان يحب زيادة انتشاره لاجل تعميم فائدته فالطريق الى ذلك هي الدعوة الى منهجه الاصلاحي ، ولكل دعوة أهل ، ولكل مجتهد نصيب ، ودعوة الاصلاح بالحق أحق أن تستجاب ، ولاسيما اذا روعيت فيها الحكمة وفصل الخطاب، (أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدي الا ان يُهدى ؟ فما لكم كيف تحكمون !)

رحلة الحجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى ان وفقني في هذا العام لتلبية دعوة أبينا ابراهيم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ، بأداء فريضة الحج ، واكمال المناسك بالعج والثج، ثم أحمده عودا على بدء ان وفقني للوفاء لوالدتي بالحج معها . بعد ان حالت دونه الاقدار بالاعذار تارة من قبلي وتارة من قبلها ، بل أحمده قبل ذلك كله أن سخر من سخر من الدول لازالة ما أحدثته الحرب الاوربيـة العامة من موانع السفر بالبحار الى الحجاز ، ولتكلف إعداد السفن لحمل الحجاج ، بعد أن وفق الشريف أمير مكة للقيام بأمر استقلال العرب في تلك الاقطار، ولمعاهدة تلك الدول المتصرفة في جميع البحار ، فسبحان من سخر من شاء لما شاء بتوفيق أقدار لأقدار، وأظهر حجته على الخلق في كل عصر من الاعصار، من آيات يزداد بها إيمان المؤمنين، ويحق بها القول على الجاحدين ، — والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، الأميّ الذي أرسل لتعليم الاميين والكاتبين ، العربي المبعوث لتوحيد الامم باللغة والدين، وعلى آله وأصحابه الكرام ، الذين أخذوا عنه المناسك وأحيوا شعائر الاسلام

أما بعد فان ركوب الالوف من المسلمين لمتون البحار ، وجذبهم من أقصى المغرب والمشرق لاداء فريضة الحج في هذا العام ، يصح ان يعد من تأييد الله تعالى للاسلام ومن المعجزات الدائمة لخليليه ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ومصداقا لحديث «ان الله سيؤيد الاسلام برجال ماهم من أهله» وقد ورد بلفظ آخر صرحوا بصحة سنده. أوليس خذلانه — جلت قدرته — لحكومة الاتحاديين الملحدين ، بما أقدموا عليه من التنكيل بالعرب وانتهاك حرمات الدين، وتوفيقه — عمت رحمته — لأمير مكة ومن معه من المسلمين، بالخروج على البغاة المارقين، وتسخيره — بهرت حكمته — لدولتي الفرنسيس والبريطانيـين الكتابيين ، بحمل الحجاج من الغرب والشرق الى البلد

الامين = أليس هذا كله أقدارا تتابعت ، وأسرارا تشايعت، فانجلت عن استجابته سبحانه وتعالى لدعوة ابراهيم خليله ، وإحياء شريعة محمد عبده ورسوله ، بعد ما كاد يظن ان أسباب الحرب الظاهرة ، حالت دون تلك الدعوة الطاهرة ، (١٤ : ٣٩ ربّنا إني أسكنتُ من ذُرّيتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتكَ المحرّم ربنا ليقيموا الصلاةَ فاجعلْ أفئدةً من الناسِ تهوي اليهم وارزقهم من الثمراتِ لعلهم يشكرون) بلى وانها لتؤيد ما روي عن ابن عباس، من تلبية الناس لتلك الدعوة في عالم الارواح، اذ قام عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من بناء البيت العتيق، ممتثلا قول الله له (٢٢: ٢٥ وأذّن في الناس بالحجّ يأتوكَ رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتينَ من كلّ فجٍّ عميقٍ ٢٦ ليشهدوا منافعَ لهم ويذكرُوا اسمَ الله في أيامٍ معلوماتٍ على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ٢٧ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوّفوا بالبيت العتيق) (*) فقد روي عنه ما معناه أن الله تعالى أمره أن ينادي بذلك وقال له عليك النداء وعلي البلاغ . وأنه قام في مقامه (المعروف الى الآن بمقام ابراهيم) وقيل في الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس فنادى يا أيها الناس ان الله قد اتخذ بيتا فحجوه — فاجابه كل من كتب الله له الحج الى يوم القيامة قائلين «لبيك اللهم لبيك» فان لم تكن هذه الاجابة حقيقية في عالم الارواح ، ولا عبارة عن الاجابة بالقوة ولسان الاستعداد ، فهي تمثيل لما تظهره مجاري الاقدار، من وراء حجب الاستقبال، فتشاهده الاجيال في كل حول من الاحوال

لقد كان النزوع الى حج بيت الله الحرام ، هوى ساكنا في القلب يحركه الموسم في كل عام ، وتحول موانع الاقدار دون جذبه البدن الى تلك المشاعر العظام،

(*) التأذين والاذان بالشيء النداء للاعلام به . والرجال جمع راجل وهم المشاة ، والمعنى يأتوك مشاة وركبانا على كل ضامر من الابل وغيرها وهو المهزول من طول السفر ، ويأتين صفة لكل ضامر . والفج الطريق والمسلك المنفرج بين الجبال ونحوها ، والعميق البعيد الغور أو المدى ، والايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق بعده ، وكذا يوم عرفة في قول ، والامر بالاكل من لحوم ذبائح الهدي التي تذبح بمنى في تلك الايام — ومثلها الاضاحي في سائر البقاع — للندب عند الجمهور وللوجوب عند طائفة . والتفث المناسك ، أو التحلل من الاحرام الذي يزال به الوسخ بالحلق والطيب اذ أصل التفث الوسخ . والمراد بالطواف هنا طواف الافاضة الذي تتم به أركان الحج فيتم التحلل منه .

وأهمها ماكان أولا من عدم الامن على النفس من ظلم الحكومة الحميدية ، ثم ما هو شر منه وأنكى من إلحاد الحكومة الاتحادية، ومنها ما كان في بعض السنين من عدم استطاعة السبيل ، أوعجز السيدة الوالدة عن الرحيل

فلما دعت الحكومة المصرية المسلمين في هذا العام الى الحج بألسنة الصحف المنشَّرة ، والتزمت حمل من يحج الى جدة ذهابا وايابا بأجرة قليلة ، تاركة ما كانت تتقاضاه من كل مريد للحج من التأمين المالي ، وعلمنا أن هذه الدعوة مبنيـة على تأمين الشريف أمير مكة للبـلاد، وازالتـه كل ما كان هنالك من أسباب العيث والفساد ، — صادفت هذه الدعوة في أنفسنا أتم الاستعداد والاستطاعة ، وانتفاء جميع الموانع دون هذه الطاعة ، بل تأكدت داعية الفريضة ، بما يرجى في اثناء أدائها من واجب النصيحة ، التي تقتضي الحال الحاضرة أداءها لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فقد علمنا أن طريق الحج ، قد مهـد لمسلمي الشرق والغرب ، الذين حالت بيننا وبينهم الحرب ، فلا سبيـل للتواصل بيننا وبينهم من الطاق ولا من الباب ، ولا للتناصح بخطاب ولا كتاب ، ونحن الآن أحوج ما كنا الى التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون على ما يجب من التقوى والبر ، فهـل نتوانى في أداء هذه الواجبات، وقد ابيحت لنا في أشرف الامكنة وأفضل الاوقات، إذ تؤدي المناسك في بيت الله ومشاعره العظام منًى والمزدلفة وعرفات ؟

نعم ان حكومة هذه البلاد آذنتنا بإباحة الحج في هذا العام ، فذكرتنا بايذانها به أذان أبينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فلبى القلب داعي الله قبل تلبية اللسان وسعي الاقدام : «لبيك اللهم لبيك لبيك ، لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك » فلم نكن ممن يثنيهم عن هذه التلبية إرجاف المرجفين، ولا خرص الخراصين، ولا إفك المذاعين، الذين أذاعوا في طول البلاد وعرضها ان من يقصدون الحج في هذا الاوان ، يلقون بأيديهم الى التهلكة بما أعد لهم من مدافع الترك وطيارات الالمان ، ولا قولهم إن صاحب المنار مرسل مع وفد العلماء الذين أرسلهم سلطان مصر لمبايعة شريف مكة بالخلافة ، ولا قول بعضهم إنه هو الذي يريد ذلك دون العلماء ولا قول بعضهم بالعكس ، فالفرائض والواجبات لاتترك

لتقوّل غوغاء الناس، ولا لاوهام العوام ولا الخواص ، وحسبي ان أعلم انني أحج لوجه الله تعالى منفقا من مالي الذي أعتقد حله وقد ادخرته لذلك في هميان منذ سنين، واني ابتغي زيادة الاجر عند الله تعالى بصحبة والدتي وخدمتها في هذه السبيل ، وبما أبغيه من الازدياد من العلم النافع والاختبار والاستفادة من أهل العلم والبصيرة ، وبما أنويه من النصيحة لكل من أرى الفائدة في نصحه من اخواني المسلمين فى تلك البقاع الطاهرة الشريفة ، بما أرى فيه الخير والمصلحة لامتي في أمري دينها ودنياها، لا أحابي في ذلك شريفا ولا أميرا ، ولا أغش فيه سوقة ولا فقيرا، وانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى. كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم.

على ان حبل الكذب — كما تقول العامة — قصير، ولا سيما اذا كان في شيء كالحج موعده قريب ، فسفر الحج في هذا العام كان أقل من خمسة أسابيع ، فما أسرع ما ظهر كذب تلك الاقاويل

لم يبق أحد في مصر الا وقد علم ان حجاج بلاده قد دخلوا المسجد الحرام بمشيئة الله تعالى آمنين ، وأدوا مناسكهم وقضوا تفثهم محلقين رؤوسهم ومقصرين ، وعادوا الى أوطانهم سالمين مغبوطين ، وان الشريف لم يدع أحدا من الحجاج الى مبايعته ، ولا يزال الخطباء يدعون للسلطان العثماني في بلاده ؛ وان صاحب المنار لم يكن بينه وبين وفد العلماء السلطاني خلاف في امر المبايعة المخترعة بمصر ولا في غيره، وانه عاد مع والدته الى أهله وولده وموطن عمله كسائر الحاج ، اذ لم يذهب مدعوا الى منصب قاضي القضاة ولا مشيخة الاسلام ، وها هو ذا يقص خبر رحلته ، على جميع من يطلع على مجلته ، بما يعهد قراؤها من صدقه وصراحته ، اذ كان — ولا يزال — يشرح ما طرأ من الفساد على الرؤساء والحكام ، وما سرى من الضلال والخرافات الى العوام ، غير مبال بسخط الخاصة، ولا مهتم باستمالة العامة ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) :

(لها بقية)

باب الشعر والادب

قال محمد توفيق علي [١] من قصيدة له في مدحه عليه الصلاة والسلام

هل مر يوم لم يلح فيه أفقه　　شمس تضيء لنا من القرآن
هل هزت الاجيال دين محمد　　فرأته غير مثبت الاركان
هل ينكر الثقلان أن نبينا　　كنز العلوم وكعبة العرفان
ومثبت التوحيد في أركانها　　بالمعجزات وساطع البرهان
ولربما جعل الحسام نصيره　　في ردع أهل الظلم والطغيان
وأعادها نورا وكانت ظلمة　　دهماء سابغة على الاكوان
لو أننا متمسكون بدينه　　لم يرض منا مؤمن بهوان
ولما هزمنا لو تجمعت العدا　　لقتالنا واستظهروا بالجان
لكننا فشت المعاصي بيننا　　وتحكمت فينا يد الشيطان
توبوا الى الله الكريم وأصلحوا　　أعمالكم خافوا من النيران

وقال في أصحاب السوء

ليَ أصحاب اذا عاشرتهم　　لا تقل ان عثروا يوما لعا [٢]
يأكلون السحت فيما بينهم　　ليس من جوع ولكن جشعا
يمزجون الخمر بالماء فهل　　مزجوا أن شربوها أدمعا
قعدوا عن كل فخر وعلا　　وسعى للعار منهم من سعى
وهم والله في أعناقهم　　لا يحبون التقيَّ الورعا

(١) هو ضابط (يوز باشي) في الجيش المصري وكان رفيقا لنا في سفر الحج وسيأتي ذكره في الرحلة (٢) يقال للعاثر « لعاً لك » دعاء له — أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك . واذا دعي عليه يقال له : لا لعا لك

كم نهيناهم عن الخمر فلم — يجدوا من دونها منتجعا
كم زجرناهم عن الفحش فلم — يجدوا في غيره متسعا
انهم قد ظلموا أنفسهم — فاصفح اللهم عمن رجعا

﴿ وقال في ذم الخمر وضررها ﴾

خذوا كأسها عني فما أنا شارب — ولا أنا عن ديني ودنياي راغب
لقد حرم الله المدام وانني — الى الله مما تستحلون تائب
لئن بتُّ جبارا على الارض قاهرا — فلست لجبار السماء أحارب
أأشرب سما ناقعا في زجاجة — تحوم حوالي شاربيه المصائب
لئن شبهوا كاساتها بكواكب — فكم أنذرتنا بالنحوس الكواكب
وان عصروها من خدود كواعب — فكم من بلايا جرهن الكواعب

﴿ وقال في تفضيل الماء على الخمر ﴾

اذا طاف بالكأس الدهاق عليكم — فما أنا منكم يبرأ الله منكم
لي الماء وحدي لا أبالي بجمعكم — رضيتم غضبتم خنتم أو وفيتم
فصفق أباريق المدام وهاتها — زلالا فنفسي أوشكت تتضرم
فتلك مدامي لا بنات دنانهم — وذاك زجاجي لا الزجاج المفدَّم [1]
اذا رقرقت في الكاس ألفيت فضة — تدفق أو ذوبا من الدر يسجم
يقطرها الدنُّ الحلال [2] كأنما — تتابعها عقد من الدر ينظم

---

(١) الاناء المفدم ما وضع على رأسه الفدام وهو بفتح الفاء وكسرها ليف يصفى به ما يصب منه في الاكواب. يقال فدمه بالتخفيف و التشديد وأفدمه

(٢) الدن بالفتح وعاء كبير للشراب ووصفه بالحلال باعتبار ما فيه . وتقطير الماء إسالته قطرة بعد قطرة ولعله أراد بالدن المفدم ماتوضع عليه المصفاة (الفلتر) واسناد التقطير اليه مجاز

يرن رنين العود في كل قطرة كأن قيانا تحته تترنم
وشتان بين الماء والخمر في فم ولكنْ ذا حِلٌّ وهذا محرم
فمن شاء أن يلقى جهنم قبل أن يموت ففي حان المدام جهنم
تجاذب روح الشاربين بنشوة تكاد لها أحشاؤهم تتضرَّم
ومن خاف ناب الافعوان ينوشه[1] ففي كأسها ناب خفيٌّ مسمَّم
يمزق أستار النفوس لُعابه ويلطم ناب الشاربين فيهتم[2]
منابع أدواء موارد ريبة تطول بها البلوى ويقذى بها الفم
وطاب لأصحابي من الخمر نتنها وأوهمهم شيطانها فتوهموا
يقولون شرب الخمريات فريضة علينا فلسنا ان تركناه نَهضِم
فهلا ترى أنا نموت بتركها فقلت لهم موتوا فلا خير فيكم
ألم يكفكم وِرداً كؤوسٌ مزاجها من الذل والحرمان صابٌ وعلقم
وتضييعكم عز البلاد وهدمكم بناءً حقيقا انه لا يهدَّم
أقامته أطراف العوالي وصانه قروناً على الدنيا الحديد المثلم
اذا مالت الدنيا به قام ركنه يناطح رُوق النجم والدهر مرغم
ألا أبلغوا اهرام مصر توجعي وان تلك لا ترثي ولا تترحم
وقولوا لرمسيس بن سيتي أفق لنا أتتركنا في ذا الشقاء وتنعم[3]

باب المراسلة والمناظرة

﴿ جمعية آداب اللغة العربية بلندن ﴾

سيدي الاستاذ محرر « المنار »

لا أرى بدًّا — اذا سمحت مكارمكم — من نشر كتابي هذا في « المنار »

(١) الافعوان بالضم ذكر الافاعي و ينوشه يتناوله و يأكل منه. استعمله بمعنى ينهشه (٢) يعني أن لعاب الكأس وهو الخمر يفسد الاسنان و يتلفها فعبر عن ذلك بلطم الناب وهتمه أي كسره (٣) لا ندري من أين علم الناظم أن رمسيس سعيد ناعم

ولي من ظاهر عنايتكم بهذا المشروع شفيع بذلك ، ومن تكرار تحريري في المجلات الاخرى عذر في الركون اليكم، فان من الضروريات في جميع الاعمال العامة الكبيرة كسب تعضيد مجموع الصحافة لا بصفة وقتية بل بصورة دائمة . فلا بدّ اذن لقلمي العاثر من تكرار الاعلان عن هذا المشروع ، ومن أمثال فضيلتكم ترجى المؤازرة الادبية الوجيهة فيما يذهب بضرر ويجلب فائدة للشعوب المستضعفة التي تذودون عن كرامتها وتناضلون عن حقوقها .

أغراض المشروع واضحة جلية وقد سبق لكم نشرها في « دعوة اللجنة التحضيرية » ، وكلها تدور حول نقطة جوهرية وهي خدمة اللغة العربية بجميع الوسائل الميسورة ، وتحت هذا تنطوي عدة مسائل أدبية اجتماعية وقومية حيوية لا يخطيء في تقريرها المفكر البصير.

يتساءل بعض النقاد: لماذا أشركنا معنا — نحن العُرب — المستشرقين في عمل كهذا جدير بنا أن نستقلّ به؟ وهو سؤال غريب اذ ماسمعت أن العلم مقيد بقيود الجنسية، ومامن مطلع الا ويقرّ مؤلف «تاريخ آداب اللغة العربية» على قوله في مميزات النهضة الادبية الاخيرة منذ سنة ١٧٩٨ م الى الآن : « من العوامل الرئيسية في احياء آداب اللغة العربية في هذه النهضة اشتراك الافرنج في درسها ونشر كتبها والتنقيب عن تلك الكتب في مظانها . وليس اهتمام الافرنج بالآداب العربية حديثا فانه يرجع الى الاجيال الوسطى قبل نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث » فقوم هذا شأنهم وتلك آثارهم يجب أن ننزلهم منزلة الاكرام ، ان لم يكن لحرمة العلم والادب عامة فلحرمة لغتنا التي هي ديوان أخلاقنا وحضارتنا وآدبنا . فمن الاعتساف ونكران الجميل أن ينعى علينا هذا التصرف وأن نعابَ به . ومن الفكاهة المرّة أن يشترط علي طالبُ علم افادته عن سيرة رئيس « اللجنة التحضيرية » وسيرة كل عضو من أعضائها قبل أن يتبرع بعلم واحد لهذا العمل « وان راق لديه كثيرا » . . . . . . ! ! ألهذا الحد بلغ بنا التحفظ والتهيب وسوء ظن بعضنا بالبعض الآخر؟ يكفي في الرد على مثل هذا السؤال أن يقال: ليس بين أعضاء اللجنة التحضيرية إلا مَن يغار على نهضة اللغة ، وكلنا طلبة علم نريد ترقية معلوماتنا وتمرين أنفسنا

على الترجمة ثم التأليف ، وتعويد أقلامنا على لغة مهذبة نقية مع تعيين الكلمات الاصطلاحية العلمية والفنية متحدين لغة الكتابة السليمة التي هي في كل أمة غير لغة العامة. وبعبارة أوضح إننا من أوساط المتعلمين لا ميزة لنا غير اجتهادنا واقدامنا على أداء واجب تناساه من هم أقدر منا ، فلسنا بالفلاسفة ولا بالفحول، كما لا أعرف أننا وضعنا في درجة العوام والغوغاء . ولسنا ممن يصطادون الاموال لنفع جيوبهم ، ولا ممن صدرت عليهم أحكام المحاكم الجنائية ولا غيرها ، فعلامَ يتخوف مَن يروقه العمل من التبرّع، وكل قرش وكل جنيه يرسل باسم اللجنة يودع فورا في « المصرف الاهلي المصري » بلندن ؟ . . . . . .

وأما الاستاذ مرجليوث فلعل شهادة سواي فيه أولى بالاعتبار . قال مؤسس «الهلال» وقد أوجز كثيرا كعادته : «ليس بين قراء العربية من لا يعرف الاستاذ مرجليوث لما نذكره من آثار قلمه في خدمة اللغة العربية بالتأليف أو النشر . وقد تلقى علومه في جامعة اوكسفورد وتولى تعليم اللغة العربية فيها من سنة ١٨٨٩ م ، وهو يمتاز على الخصوص بسعة معرفته في اللغة العربية وآدابها. يكاتب أصدقاءه من العرب بأسلوب عربي خالص من شوائب العجمة. وله فضل نشر كتب عربية هامة آخرها كتاب معجم الادباء لياقوت الحموي . وقد نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمتها الانكليزية وهو عمل لا يستطيعه الا القابض على ناصية اللغة العربية لان هذه الرسائل لا يفهمها العربي الا بمراجعة المعاجم ،ونشر آثارا عربية تاريخية وشعرية، وقطعة بابيروس عربي كانت في مكتبة اوكسفورد . وألف في مشاهد اورشليم ودمشق كتابا حافلا بالرسوم والشروح ، وله كتاب في سيرة النبي بالانكليزية . وترجم الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي الى الانكليزي وله مقالات عديدة في المجلة الاسيوية الانكليزية وغيرها » . اه

وكتب الي أحد الفضلاء يسألني عن مزية العمل من الوجهة السياسية «حيث أن مركزنا السياسي الحاضر هو في نظره أهم المسائل» . . . . مع أننا أبنّا مرارا أنه ليس لهذا المشروع أي صبغة سياسية ، وما تطرقت السياسة الى عمل كهذا الا أفسدته. ولن يبدل حالتنا السياسية جمعية ولا جمعيتان، فان العليل لا يبرأ بالاعلان زورا عن عافيته، بل

باستئصال دائه وعلته . ولكن اذا كنا ومعظم الافريقيين والشرقيين والعرب عامة معدودين في نظار الاوربيين بمرتبة البهائم ، ألا يعد من الحكمة اذن تخفيف هذه الوطأة باظهار فضائلنا في أدوار نهضتنا العلمية والادبية وتصحيح الغلط الفاحش الشائع عنا ، فكل هذا يمكن تحقيقه بهذا العمل الجامع أيضا لمزاياه الادبية البحتة .

لو كانت لنا في هذه الديار منزلة من الاحترام لما راجت على حسابنا رواية « قسمة » التي هي كانت ظلما وفضيحة اجتماعية وتاريخية كبرى لنا . ولئن انتقد بشدة تمثيلها مثل القائد الانجليزي السير سمث دروين رحمة بالآداب العامة ، فلعله ولعل كثيرين سواه من علية القوم يعتقدون صحة ما تمثله تلك القصة الخيالية من الكبائر آسفين على حالنا الشائنة . . . . . فيا للمصائب ! ! واذا كانت كل من روسيا واليابان رغما عن تحالفهما مع انجلترا يقدران أن أصدق التحالف ما كان بين الشعوب بعضها مع البعض لا ما بين الحكومات فقط ، فأصبحت جريدة « التيمس » تصدر من حين الى آخر بفضل المساعدة المالية التي تهبها كل من تينك الحكومتين ملحقات ضافية شارحة الحياة الروسية واليابانية بكل أسلوب ووسيلة جذابة للرأي العام الانجليزي ، أينبغي علينا نحن المرموقين بالازدراء والسخرية الذين لا تربطنا محالفة ولا جامعة حرة راقية بأوروبا — أينبغي علينا أقدامنا على عمل كهذا يشمل ما بين أغراضه ازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق أو بالاحرى بين الفرنجة والعرب ؟

يقول كولردج : « اللغة عدة العقل الانساني الجامعة لغنائم فتوحاته السابقة وأسلحة انتصاراته المستقبلة » ويقول وليم سمث : « اللغة هي ذكرى النوع الانساني هي عصب حياة ممتد بين جميع العصور يربطها بالوجود المشترك الطويل المترقي » : ويقول هير : « اللغة مقياس الفكر والخلق القومي » ويقول السير هـ داقي : « ليست اللغة ناقلة الفكر فقط بل هي أيضا عدة عظيمة صالحة في التفكير » . وفي كل هذه الحكم الغالية الصائبة أحسن جواب لمن تبلغ بهم المغالاة في الانتقاد الى « الجزع » من غيرة الشبان على لغتهم ، قائلين أن اللغة وسيلة لا غاية « وحرام » أن نعنى بها هذه العناية . . . ! لا أنكر أني اعتبر اللغة وسيلة لا غاية وان صلحت أيضا لان تكون غاية مطلقة كفن جميل ، وما أنا ممن يدعو الى الكلام المتوعر المعقد الذي

يكلف الذهن المشقة في فهمه ويختم العقلُ به ؛ ولكن من الواجب علينا أن نصون لغتنا عن الابتذال الذي تدلى اليه معظم المعرّبين ، ومن المفروض علينا أن نتمشى مع الزمن في ترقية الوسيلة التي نتلقى بها العلم والاّ أصبح العلم دائمًا غريبًا عنا ، ومن الحكمة أن نُظهر لغتنا في مظهر عزيز لائق بها « لانها مقياس الفكر والخلق القومي » على حد قول هبر . وفي اغراء الشبان العرب في أوروبا بالعناية بعمل أدبي علمي اجتماعي كهذا ما يصرفهم عن مضيعات الوقت والصحة والمال ، وما يساعدهم في دراستهم وفي تهيئة أنفسهم لخدمة أممهم في الحاضر والمستقبل .

لا يكابر أحد في أن الامة اذا ترقت نهضت معها لغتها ونالت احترام الاجنبي لها ، ولكن اللغة كذلك من أقوى دعائم الرقي ، ونهوضها من نتائجه كما أنه من وسائل النهوض العام للامة ، فنهوض الامة ونهوض اللغة على ذلك حالتان لا تفترقان ، وأمران متساندان ونهضتان مرتبطتان .

نادي مستشفى سانت جورج   أحمد زكي أبو شادي

بلندن   (طبيب)

[المنار] ان هذا المشروع جليل ونفعه للعرب ظاهر لا يماري فيه الا أصحاب الوساوس السياسية ولا يصعب إقناع المستقل منهم بالرأي والفهم بفائدته وانما يستحيل اقناع أصحاب الاهواء بما يخالف أهواءهم

باب الاخبار والآراء

السيد محمد وجيه الكيلاني (راجع ص ١٢٤ من الجزء الثاني)

جاء في جريدة الهدى العربية التي تصدر في نيويورك ما نصه :

شيخ الاسلام بالفيلبين ووفاته

عند منتصف ليل خامس مايو قضى الى رحمة مولاه في ريتشمند من أعمال ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة السيد محمد وجيه الجيلاني شيخ الاسلام بجزر الفيليبين وقد كان قدم هذه البلاد منذ سنة ونيف وقام أكثر هذه المدة في فيلادلفيا وتردد احيانا على واشنطون وعلى نيويورك إلا ان صحته لم تكن حسنة فأقعدته عن

التجول كثيرا وهذا ما أخر في إتمام مساعيه

كان السيد الجيلاني عالما فقيها وعلى كثير من التساهل الديني ولد في دمشق وانتقل الى الاستانة حيث اسندت اليه مراتب دينية عالية . ولما ان بعثت حكومة الولايات المتحدة بعد احتلالها الفيليبين وفدا الى الاستانة للاتفاق مع سلطان تركيا على تعيين شيخ إسلام يتولى رعاية المسلمين عين السيد الجيلاني لهذه الوظيفة فذهب الى الفيليبين عن طريق سوريا وبلاد العرب وبلاد العجم والهند وكان هناك يقابل امراء وعلماء المسلمين ويستنهض هممهم في مشروع تهذيبي افتكر به لترقية شؤون مسلمي الفيليبين الادبية . والتقى في مكة بجماعة من هؤلاء المسلمين قادمين الحج فعاد واياهم وكانوا يؤدون له اكراما أشبه بالعبادة فيسجدون امامه شأن البرابرة فنهاهم عن ذلك ، وحين وصل الى بلادهم اخذ ينتقل من جزيرة الى أخرى في الارخبيل ويدعو قوم المورو المسلمين الى عقد الاجتماعات فيخطب فيهم حاثاً على الاقلاع عما يفهمون من الجهاد الديني وهو ان يحلق الواحد منهم شعر رأسه ويحمل سلاحه ويخرج بقصد الايقاع بالبيض الكفرة ولا يعود حتى يقتل عددا مفروضا أو يقتل هو

وكان السيد الجيلاني مدة اقامته في تلك الجزر على تفاهم تام مع رجال الحكومة الاميركية الذين كانوا يرجعون اليه في كل مشاكلهم مع الوطنيين المسلمين . وساء السيد الجيلاني ما وجد ابناء دينه عليه من الهمجية فأخذ يفتكر في طريقة لتهذيبهم الا انه لم يوافق رجال الحكومة الامريكية هناك على انشاء مدارس عمومية للحكومة فقال ان المسلمين لايطمئنون الا اذا كان لهم مكتب ملاصق للجامع يدرسون فيه كتابهم الشريف بادئ ذي بدء . ولاجل تحقيق هذه الفكرة قدم الى الولايات المتحدة وأخذ ينشر المقالات عن أحول الفيلبين في بعض الصحف الامريكية وفي الوقت نفسه سعى الى تأليف جمعية تهذيبية تتولى أمر انشاء المدارس الاسلامية في الفيلبين يكون مركزها الرئيسي في الولايات المتحدة وذات فرع اداري في الفيليبين يتولى هو رئاسته نظرا الى انقياد المسلمين هناك اليه وتحققهم حسن مقاصده فلا تداخلهم ريبة من مساعي الاميريكيين أو عمد هؤلاء الى القيام بالمشروع مستقلين وقد كان السيد الجيلاني يتردد الى ادارة الهدي حين يزور نيويورك فعرفنا عنه

ما سبق بيانه من مقاصده ومساعيه ولكن وطأة المرض اشتدت عليه في الاشهر الاخيرة فلم نجتمع به أو نعرف شيئا عن مشروعه. وكان من أمره أخيرا انه اضطر لاسباب صحية الى مغادرة هذه البلاد وبينما هو في الطريق اشتدت عليه علته في ريتشمند فرجينيا . وهناك توفي . تغمده الله بواسع رحمته اه

﴿ إشراف أهل سورية على الفناء والزوال ﴾

لقيت في مكة المكرمة الضابط الحرّ الصدوق خالد أفندي الحكيم الحمصي وكان وصل اليها قبلي بأيام قلائل فارا بدمه من بلاده بطريق البادية، فسألته عما وصل الينا من مصادر متعددة من أخبار المجاعة والغلاء ومصادرة السلطة العسكرية للاموال والغلال في طول البلاد السورية الفلسطينية وعرضها، وتنكيلها بالاهالي تقتيلا وتصليبا ونفيا من الديار — هل هو حق كما سمعنا أم هو مبالغ فيه ؟ وذكرت له ملخص ما وصل الينا من ذلك . فقال ان ما بلغكم دون الواقع وليس الخبر كالمعاينة ، واني أقدّر انه لم يبق في البلاد من أهلها الا العشر. اه فاذا طال الامد على هذه الحال ، فسورية صائرة الى الفناء والزوال ، ولا يبعد ان ينقرض أهلها الذين فيها من الارض ، قبل انقضاء هذه الحرب . فلا شك في ان مصابها بحكومتها الطاغية الباغية أعظم من مصاب بلاد البلجيك والصرب والجبل الاسود باجتياح الجرمان لها، وثلها عروش ملوكها. فيجب على السوريين المقيمين في مصر وأوربة وأمريكة أن يسارعوا الى البحث عن أقرب الوسائل الى إنقاذ البقية الباقية من أهل وطنهم لعلهم يهتدون اليها و يدخلونها من بابها بعد ان علموا ان دولة الانسانية (الولايات المتحدة) لم تقدر — وكذا غيرها من الدول التي على الحياد — على ما أحبت من إغاثة هذا الشعب المسكين بالقوت والعلاج، ولا دول الحلفاء المحاربون لدولة الاتحاديين قدروا على إنقاذه بالحرب والكفاح ، فان كان في هؤلاء السوريين من ينتظر هذا الانقاذ بعد النصر النهائي المأمول، فليعلموا أن أمد الحرب سوف يطول، وأن لسان حال وطنهم ينشد صاحب هذا الامل و يقول:

فلاك البقا فلرب يوم أن تسل   حتى تراجعني فلا تلقاني

متى تنتهي الحرب وكيف تنتهي

قد أكثر الناس من حديث الصلح في هذه الايام ونقلت الجرائد لنا عن كثير

من قواد دول الاحلاف وساستهم أنهم يرون ان الحرب تنتهي بانتهاء ربيع العام القابل (١٩١٧) أو صيفه بناء على ان مدّ القوة الالمانية قد تحول الى جزر، وجزر دول الاحلاف قد تحول الى مد تتدفق ثوائبه، ولا تنتهي عجائبه،

كنت التقيت في شهر شوال الماضي بوكيل شركة روتر البرقية في القاهرة فسألني — وقد ذكرت هذه المسألة — عن رأيي فيها فقلت له اذا أصرّت انكلترة على ما عزمت عليه من قهر المانية وإرغامها على قبول ما تشترطه مع أحلافها للصلح، وحافظ هؤلاء الاحلاف على عهدهم بأن لا ينفرد أحد منهم بقبول الصلح، فالرأي الراجح ان هذه الحرب تستمر عدة سنين، تنهد فيها قوى جميع المتقاتلين، وتخسر أوربة الملايين الكثيرة من أفلاذ كبدها، وألوف الملايين من دنانيرها، وعشرات المدن ومئات البلاد من ممالكها. فان أصغر الامم الاوربية وأضعفها تختار الفناء، على قبول الذل والقهر والاستخذاء،

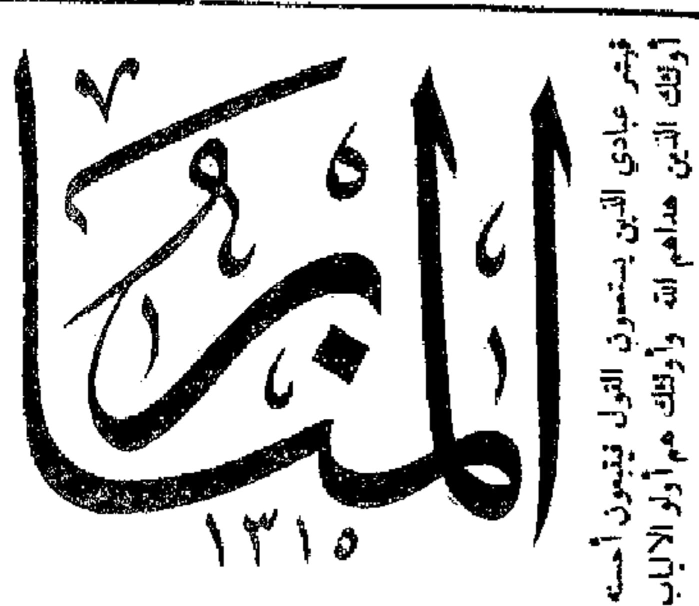
وأرى ان الاحلاف لا يمكنهم ان ينتزعوا من المانية ما بيدها من مملكة بلجيكة وولايات فرنسة الا ان تكون خرابا يبابا لا حجر فيها ولا مدر، ولا شجر ولا بشر، وبعد ان ينفق على تخريبها الملايين من الرجال، والقناطير المقنطرة من الاموال، واذا كنا نرى المحاربين يخرّبون بلادهم بأيديهم اذا اضطروا الى تركها لاعدائهم ولو موقتا كما فعلت روسية وغيرها، فهل ينكر على الالمان العتاة ألا يتركوا بلاد أعدائهم الاقاعا صفصفا؟

أما تقصير أجل الحرب فليس له طريق معقول عندي — اذا أصرت الحكومات على عزمها — الا قيام الشعوب الاوربية من الفريقين على دولها. وإلزامها إياهن بصلح يعود فيه كل شيء الى أصله ولا يتضمن إذلال دولة لاخرى، لان كل دولة وكل أمة أوربية تفضل الفناء على الذل وخدش الاستقلال التام لا الالمان وحدهم،

هذا معنى ماقلته يومئذ ولكن قيام الشعوب على حكوماتها لا يرجى ما دام كل منهم يرجو النصر التام. فصدق على الفريقين قوله تعالى (واذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا)

﴿ تاخر صدور هذا الجزء من المنار ﴾

يصدر هذا الجزء بعد يوم تاريخه بشهر وأيام بسبب غيبتنا في سفر الحج مثل هذه المدة ثم اشتغالنا بلقاء المهنئين أسبوعين أو أكثر وعطل حصل بآلة الطبع



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٥ — ٤ القوس (خ ٣) ١٢٩٥هـ ش ٢٦ نوفمبر ١٩١٦

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعدذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بماشاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

٨ — الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد

وتحقيق معنى الظن واليقين والتواتر (*)

قال المتكلمون ان العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد لان المطلوب فيها القطع ، وأخبار الآحاد لا تفيد الا الظن . وقد قال تعالى (ان الظن لايغني من الحق شيئا) وانما تثبت بالاحاديث المتواترة لانها هي التي تفيد اليقين الذي هو شرط الايمان

وقد فهم كثير من الناس من هذا القول ما لم يرده المحققون من قائليه فأخطأوا في فهم المراد وفي فهم كلمتي الظن واليقين فظنوا ان الاحاديث الصحيحة التي رواها الآحاد من الثقات العدول في صفات البارئ عز وجل وفي أمور الآخرة لا يجب الايمان بها شرعا ولا يضرّ المسلم تكذيبها ، وان لم يكن عنده شك في صحتها ، بناء على ان أحاديث الآحاد لا تفيد في نفسها الا الظن الذي لا يجوز الاخذ به في

---

*) هذه تتمة الاجوبة عن الاسئلة المستنبطة من الكتاب الذي نشر في الجزء الذي قبل هذا

المعْتد لانه لا يغني من الحق شيئا . وهذا الظن الذي فهموه من عبارة المتكلمين هو الذي لا يغني من الحق شيئا ، وما أظن ان مسلما يعتد بعلمه يقول به ؛ ولعل أول من قال تلك الكلمة أراد بها ان أحاديث الآحاد لا تقوم بها الحجة في العقائد على المنكر لورودها، وانما تقوم بالمتواتر لانه لا سبيل الى انكاره

الظن ضرب من ضروب التصديق بغير الحسي ولا الضروري من المدركات،فهو مما تتفاوت أفراده بالقوة والضعف ، فمنه ما يكون يقينا لا تردد فيه ، ومنه ما يكون راجحا مع ملاحظة مقابل مرجوح تارة ومع عدمها تارة ، وقيل إنه يشمل المرجوح أيضا ، فالتصديق المبني على الادلة النظرية الذي يجزم به المستدل مع عدم ملاحظة احتمال النقيض يسمى ظنا، ولكن ادراك الحواس لا يسمى ظنا ، ولا العلم الضروري كقولنا : النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . وهذا الحد الذي شرحنا به معنى الظن هو تفسير لقول الازهري ، في التهذيب : الظن يقين وشك ، وقول ابن سيده في المحكم : هو شك ويقين الا انه ليس بيقين عيان انما هو يقين تدبر : فأما يقين العيان فلا يقال فيه الا علم . هذا قول أئمة اللغة . وأما قول الفيروزبادي في القاموس — : الظن التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم — فهو مأخوذ من اصطلاح علماء المعقول كالمناطقة والفلاسفة، ومثله قول المناوي: الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ولكن الفيروزبادي لم يسمه الا ان يزيد على تعريفه قوله : وقد يوضع موضع العلم : بمعنى أنه يستعمل في اللغة بمعنى اليقين. فان أراد انه يوضع موضع العلم حتى في الحسيات والضروريات فقوله غير صحيح . واليقين العلم وازاحة الشك وتحقيق الامر ، وهو نقيض الشك، والعلم نقيض الجهل. قاله في لسان العرب. ثم قال — : وربما عبروا بالظن عن اليقين وباليقين عن الظن .

وقال الراغب : الظن اسم لما يحصل عن أمارة ومتى قويت أدت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم يتجاوز حد الوهم . ثم ذكر أن من اليقين قوله تعالى (وظن أنه الفراق) وقوله تعالى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) وقوله (وظن أهلها انهم قادرون عليها) وقوله (وظن داود أنما فتناه) وانما يظهر هذا في اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الجازم المبني على الامارات والاستنباط والاستصحاب دون الحس

والضرورة — لا اليقين المنطقي المبني على الضرورة أو الحس أو ما يؤدي اليهما بحيث لا يحتمل النقيض . وقد فسر الراغب اليقين بقوله : هو سكون الفهم مع ثبات الحكم، وقال انه من صفة العلم فوق للمعرفة والدراية .

فعلم من قولهم أن اليقين في الاصل هو الاعتقاد الثابت الذي لاشك فيه ولا اضطراب . وأما قولهم بالتعبير به عن الظن والعكس فليس معناه ان كل يقين ظن يقين وانما معناه أن الظن على مراتب منها ما يرادف اليقين ومنها ما هو دونه ، فبينهما العموم والخصوص باطلاق . والمشهور في تعريف اليقين عند علماء الدين أن الاعتقاد الجازم المطابق، واشتراط المطابقة للواقع اصطلاحي خاص باليقين في الايمان الصحيح ، ولعل المطابقة تشترط في العلم فيسمى الجازم بغير الواقع موقنا به لا عالماً

اذا فهمت هذا فاعلم ان كل اعتقاد يستفاد من السماع يطلق عليه في اللغة اسم الظن باعتبار مأخذ لذاته ، واسم اليقين ان جزم صاحبه به ، وكذا اسم العلم ان مدلوله حقا ، ولكن نفس السماع أي ادراك الاصوات المحقق لا يسمى ظنا بل علما .

وخبر التواتر انما يفيد العلم القطعي بضرب من الاستدلال النظري ، وان اعتمدوا انه يفيد الضروري فان من شروطه أن يخبر كل واحد من المخبرين الكثيرين عن حسي ، أي عما سمعه بأذنه أو رآه بعينه مثلا ، وان يقوم الدليل أو القرائن على أنهم لم يتواطؤا على الكذب، وأن يتحقق ذلك في كل طبقة من الطبقات. وقد اختلف العلماء في العدد الذي يحصل بخبره التواتر مع توفر الشروط التي ذكروها . فاكتفى بعضهم بالآحاد كسبعة وعشرة واشترط بعضهم العشرات. ولكنهم اتفقوا على أن آيته حصول العلم الجازم بمدلول الخبر ومثل هذا العلم كثيرا ما يحصل بخبر الواحد وان لم يكن متصفا بالصفات التي اشترطها المحدثون في راوي الحديث الصحيح كالعدالة والضبط وعدم مخالفة الثقات المشهورين فضلا عن مخالفة الامور القطعية التي عدوا مخالفتها علامة الكذب ووضع الحديث .

مثال هذا النوع من خبر الواحد الذي يحصل به الاعتقاد الجازم وان لم يكن المخبر به متصفا بعدالة رواة الحديث أكثر مانسمعه كل يوم ممن نعاشر ونخالط من أصدقائنا ومعاملينا وأهل بيوتنا وخدمنا من الاخبار عن أمور معيشتنا كقولهم :

حضر الطعام، وهيء الحمام، وجاء لازيارة فلان. ومن هذا القبيل كل خبر لا مجال للتهمة فيه. وأما اخبارهم فيما يتهمون فيه فهي التي يُرتاب فيها، ويحتاج الى القرائن والادلة في تمييز راجحها من مرجوحها، مثال ذلك مدح النفس والدفاع عنها والطعن في الخصوم، ورواية الغرائب والعجائب ، فالاخبار في أمثال هذه المسائل يكثر فيها الكذب والخلط ، إما بالعمد أو بعدم الضبط، أو بسوء الفهم والاستنباط ، أو بضعف البيان ، أو بتقليد الآباء أو الاموات ، وما يتبع ذلك من الوهم ، ومن خطأ الحس والرأي .

فمن وعى ما ذكرنا وتدبره يعلم منه ما يعلم من نفسه، اذ هو فكر في مصادر علمه، والاخبار التي يحدث بها والتي يتلقاها عن غيره ، وهو أن الاصل في أخبار جميع الناس الصدق ، وان الكذب انما يقع لاسباب عارضة ، وأنه هو وسائر الناس يصدقون في كل يوم كثيراً من أخبار الآحاد حتى غير العدول تصديقا جازما لا يزاحمه شك ولا احتمال ، ولا يخطر لهم فيها النقيض على بال ، ومنها ما يجزمون باستحالة وقوع نقيضه عادة وان جاز عقلا ، كبعض أخبار العدول الثقات الضابطين الخالية من الشبهات ، ورجال الحكومة المسؤلين في الرسميات .

بل أقول ان من هذه الاخبار ما يجزم العقل بصدقه وامتناع نقيضه، وأعني بالعقل هنا العقل البشري الذي يبني حكمه على الاختبار ، ويزنه بميزان رعاية المصالح ودفع المضار ، لا عقل واضعي المنطق والفلسفة، الذي يجيز وقوع كل ما يمكن تصوره، ويحصر وقوع المحال في اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما وما يؤدي الى مثل ذلك حتما .

وقد تحير هؤلاء في تعريف العلم حتى قال بعضهم انه لا يمكن تعريفه، ومن أشهر أقوال مدققي متكلمينا في ملكة العلم إنها صفة توجب انكشافا لا يحتمل النقيض. فالعلم بالشيء عندهم لا يمكن نقضه ولا الرجوع عنه، فلو كان هذا العلم شرطا في كل مسألة من مسائل العقائد لكان الكفر بعد الايمان محالا، ولكن قد ثبت وقوع الكفر بعد الايمان بنص القرآن، فالعلم الذي لا يحتمل النقيض ليس شرطا لصحة الايمان، وانما الشرط أن يكون المؤمن جازما بما يعتقده، غير مرتاب ولا متردد، وقول الاستاذ الامام: الرجوع عن الحق بعد اليقين فيه كاليقين في الحق كلاهما قليل في الناس. — اراد به اليقين المنطقي، وأراد بالرجوع عنه اظهار الجحود والمخالفة كبراً وعنادا لا اعتقادا فان اعتقاد

نقيض المتيقن ليس في استطاعة الموقن،الا اذا اختلط عقله،واختل فهمه،وهذا قليل الوقوع كالرجوع عن الحق كبرا وعنادا بعد الاذعان له، اذ أكثر المعاندين للحق المستكبرين عنه الذين قال الله في بعضهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) لم يكن ذلك الجحود منهم بعد اذعان، أو لم يكن استيقانهم على شرط علم الكلام وفلسفة اليونان

واذا فكر السائل في العلوم النقلية وطريقة أدائها وتعليمها عند البشر من جميع الامم رأى ان أكثر أخبارها المقطوع بها يتلقاها الآحاد بعضهم عن بعض ، فاذا اشترطنا فيها ذلك العلم الكلامي واليقين المنطقي، وأن لا نعد شيئا منها حقا ثابتا الا اذا تلقيناه بالتواتر اللفظي، فكيف تكون حالنا في معارفنا التاريخية، وما يبنى عليها من علومنا الاجتماعية وأعمالنا السياسية ، وفي سائر العلوم التي ينقلها بعضنا عن بعض ؟

بعد هذا كله أقول انه لم يعرف عن أحد من شعوب البشر مثل ماعرف عن المسلمين من العناية بنقد الاخبار النبوية وتمحيصها، وضبط متونها وحفظ أسانيدها، بل كانوا ينقلون الاخبار التاريخية والادبية والشعر والمجون بالاسانيد المتصلة ، ووضعوا كتب التراجم لجميع أصناف العلماء والادباء كما وضعوها من قبل لرجال الحديث ، ليسهل طريق العلم بالصحيح وما دونه من ذلك ، ولكنهم دققوا في نقد رجال الحديث ما لم يدققوا في شيء آخر، فاذا كان ما صح من الحديث عندهم متنا وسندا لا يجزم به فباذا نثق من أخبار البشر، واذا كان المسلم منا يصدقها فكيف يمكنه ان يرد مضمونها اذا كان في عقائد الدين ، بناء على كلمة عرفية للمتكلمين ؟

الحديث الصحيح عند المحدثين ما ثبت بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ. وينافي العدالة عندهم ثبوت الكذب وكذا الاتهام به والفسق والغفلة وكثرة الغلط والجهالة — أي كون الراوي مجهولا عند علماء الجرح والتعديل، ولولا هذا الشرط لاخترع الكذابون أسانيد كثيرة لا أصل لها وخدعوا الامة بها - وكذا البدعة فمن كان مبتدعا لشيء من أمر الدين لم يكن عليه أهل الصدر الاول لا يحكم بصحة حديثه قيل مطلقا وقيل فيما يؤيد بدعته وهو المعتمد ، بل لا بد لثبوت ذلك من روايته عن غيره .

والضبط عندهم ضبط الصدر وضبط الكتاب، فالاول الحفظ عن ظهر قلب بحيث يتمكن من استحضار ما حفظه متى شاء ، فان غلط أو أخطأ في الاداء لا يعد حديثه

صحيحا . والثاني حفظ الكتاب منذ سمع فيه وصححه على من تلقاه عنه الى ان يؤدي منه ، فاذا غاب عنه غيبة أمكن أن يعرض فيها التغيير والتحريف أو الزيادة أو النقصان لا تعد روايته له ولا منه صحيحة ،

واتصال الاسناد سلامته من سقوط فيه بحيث يكون كل فرد من رواته قد سمع ذلك المروي من شيخه ، ويقابله الانقطاع ، وهو أقسام ، فالحديث (المنقطع) وهو ماسقط من سنده بعض الرواة لا يعد صحيحا، الا انهم اختلفوا فيما سقط منه من بعد التابعي ويسمونه (المرسل) وذلك كأن يقول التابعي: قال رسول الله (ص) كذا . فالجمهور يتوقفون فيه، و بعضهم يحتج بمراسيل من علم من حاله انه لا يروى الا عن الصحابة أو ثقات التابعين كسعيد بن المسيب، دون من يروي عن غيرهم كالحسن البصري

ومن (الانقطاع) عندهم (التدليس) وهو رواية الراوي عمن فوق شيخه الذي سمع منه بلفظ يوهم السماع منه ايهاما لا تصريحا ، كان يقول المدلس قال فلان — أو : عن فلان . وقد اختلفوا في حديث المدلِّس فقيل لا يقبل مطلقا وقيل الا فيما صرح فيه بالسماع ، والجمهور على قبول حديث من لا يدلس الا عن ثقة كابن عيينة .

ولاجل هذا شددوا في قبول الحديث (المعنعن) أي الذي يقال فيه عن فلان عن فلان. فقالوا عنعنة المدلس غير مقبولة ، واشترط مسلم في العنعنة معاصرة الراوي لمن روى عنه، والبخاري اشترط العلم باللقيّ ولم يكتف بمجرد المعاصرة . فاذا قال العدل الثقة الضابط عن فلان أو قال: قال فلان كذا — لا يعتد البخاري بروايته هذه الا اذا كان قد علم انه قد لقي ذلك الرجل واجتمع به، ولكن مسلما يكتفي بالعلم بأنهما وجدا في عصر واحد ومن الممكن ان يكون لقيه وروى عنه .

ومن أقسام الحديث عندهم (المضطرب) وهو ما يقع في اسناده أو متنه اختلاف من الرواة بتقديم وتأخير أو زيادة ونقصان أو اختصار أو حذف أو ابدال راوٍ براو أو متن بمتن أو تصحيف في أسماء الرواة أو ألقابهم أو أنسابهم أو في ألفاظ المتن ، فان أمكن الجمع وعرف الاصل والا توقف في قبول الحديث والاحتجاج به

ومنها (الشاذ) وهو ماخالف راويه فيه من هو أوثق منه فان لم يكن المخالف للثقة ثقة سمي حديثه (المردود) وان كان ثقة رجح عليه مخالفه الذي هو أوثق منه

وسمي حديثه (المحفوظ) فهو مقابل الشاذ. ومنها (المنكر) وهو ما خالف راويه الضعيف فيه من هو أضعف منه ، ويقابله (المعروف) وكلاهما راويه ضعيف لا يحتج بحديثه ومنها (المعلل) وهو ما فيه علة خفية كوصل المنقطع ورفع الموقوف وادخال حديث في آخر أو ادراج كلام الراوي في المتن أو الادراج في سياق الاسناد .

ولو شئنا أن نبين تدقيق علماء الجرح والتعديل في نقد رواة الحديث لرأى فيها غير المطلعين عليها من القراء ما لم يخطر لاحد من أمثالهم على بال . ولعلموا منه أن أكثر من يعدونهم من الثقات الصدوقين من أهل هذا العصر لو كانوا في أزمنة أولئك النقاد لما عدوا روايتهم صحيحة ولو لعدم اتقان الحفظ والضبط . ومن تدقيقهم أنهم يعدون بعض الرواة ثقات في الرواية عن أهل قطر دون آخر، كقولهم فلان غير ثقة في المصريين أو الشاميين - لانه كان عرض له عند الرواية عنهم اختلاط في العقل، أو هرم خانته به الذاكرة وفقد جودة الضبط .

وقد وضعوا كتبا ببيان الاحاديث الموضوعة خاصة بينوا فيها وفي غيرها أسباب وضع الحديث والكذب فيه وعلامته وأسماء الوضاعين والكتب والنسخ الموضوعة برمتها التي لا يصح منها شيء ، كما وضعوا عدة كتب للاحاديث التي اشتهرت على الالسنة وبينوا درجاتها، وميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع منها . ولكن عناية العلماء بنقد المتون وعرض الاحاديث القوية الاسانيد على القواعد التي بينوا بها علامات الوضع كانت أقل من العناية بنقد الاسانيد، وقل أن يهتم المنتمون الى المذاهب بنقد متون الاحاديث الا اذا كانت مذاهبهم مخالفة لها فكان هذا من سيئات التعصب للمذاهب

نتيجة البحث وخلاصة الجواب

فمن فقه ما شرحناه علم أن أكثر الاحاديث الآحادية المتفق على صحتها لذاتها كأكثر الاحاديث المسندة في صحيحي البخاري ومسلم — جديرة بأن يجزم بها جزما لا تردد فيه ولا اضطراب، وتعد أخبارها مفيدة لليقين بالمعنى اللغوي الذي تقدم ، ولا شك في أن أهل العلم بهذا الشأن قلما يشكون في صحة حديث منها ، فكيف يمكن لمسلم يجزم بأن الرسول (ص) أخبر بكذا ولا يؤمن بصدقه فيه ؟ أليس هذا من قبيل الجمع بين الكفر والايمان؟ وليعلم انني أعني بالمتفق عليه هنا ما لم ينتقد أحد من أئمة العلم متنه ولا سنده، فيخرج من ذلك ما انتقده مثل الدارقطني وما انتقده أئمة الفقهاء وغيرهم،

ومن غير الاكثر ما تظهر فيه علة في متنه خفيت على المتقدمين أولم تنقل عنهم وذلك نادر. وقد عد بعضهم هذه الاحاديث المتفق على صحتها مفيدة للعلم اليقيني الاصطلاحي اذا تعددت طرقها ، قال الحافظ ابن حجر في شرح نخبة الفكر ما نصه:

(فائدة) ذكر ابن الصلاح ان مثال المتواتر على التفسير المتقدم يعز وجوده الا أن يدعي ذلك في حديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وما ادعاه من العزة ممنوع وكذا ما ادعاه غيره من العدم لان ذلك نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لإبعاد العادة أن يتواطئوا على كذب أو يحصل منهم اتفاقا، ومن أحسن مايقرر به كون المتواتر موجودا وجود كثرة في الاحاديث ان الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا وغربا المقطوع عندهم بصحة نسبتها الى مصنفيها إذا اجتمعت على اخراج حديث وتعددت طرقه تعددا تحيل العادة تواطأهم (فيه) على الكذب الى آخر الشروط أفاد العلم اليقيني بصحته الى قائله ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير اه

﴿ الزار، وهل اعتقاد تأثير الولي والعفريت فيه شرك جلي ﴾

(س ٩) من أحد المشتركين في القاهرة — ع . م

حضرة الاستاذ العلامة المفضال السيد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فاني أهنئكم أولا بسلامة العودة من الاقطار الحجازية المباركة وأدعو لكم الله سبحانه وتعالى أن يجعله حجا مبرورا ان شاء الله

سيدي استشكل عليّ أمر بخصوص مايسمونه (الزار) الذي يستشفي به بعض (الجاهلات) من النساء من أمراضهن العصبية فأحببت أن أعرضه عليكم راجيا التكرم بالاجابة ولو تأشيرا على هذا بصفة خصوصية

« احدى السيدات مصابة بمرض عصبي : يأتيها غالبا على نوبات ربوٌ وآلام شديدة بالمعدة والكليتين مع صداع وسعال وضعف عومي شديد ، وخصوصا في ابتداء كل مرة من الحمل ، عرتها هذه الحالة منذ خمسة عشر عاما بعد زواجها بقليل، ثم إنها على صلاح وتقوى، وقد كانت لا تعتقد بمسألة الزار ولكنها تحت تأثير كلام النساء خصوصا أقاربها من والدة وأخوات اعتقدت أخيرا وتوهمت ان أحد الاولياء

أو أحد العفاريت هو الذي أصابها بهذا المرض الهيستيري من زمن وصممت على عمل حفلة الزار بمصاريف من عند أهلها في منزلهم لا في منزل زوجها الذي عارض في ذلك بشدة لعدم اعتقاده بمثل هذه الخرافات ، ولم يرض بخسارة ديشه في مصاريف باطلة على عقيدة باطلة »

والآن ألا ترى سيادتكم أن اعتقاد هذه السيدة تأثير الولي الفلاني أو العفريت الفلاني يؤدي بها الى الشرك الجلي ؟ وفي هذه الحالة تصبح محرمة على زوجها المسلم الصحيح (غير الجغرافي أو السياسي) الذي لا يعتقد بتأثير ولي أو نبي ؟ فتفضلوا بإفادتي عن ذلك ولو كلفكم الجواب شيئا من التفصيل ؟ وتفضلوا بقبول مزيد تشكراتي وجزيل ممنونيتي سلفا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

(ج) يذكر جمهور علماء الكلام أن الايمان بوحدانية الافعال عبارة عن التصديق الجازم بأنه لا فعل لغير الله تعالى في الحقيقة، فكل ما يقع في الكون من خير وشر ونفع وضر فهو من فعل الله تعالى وحده، ويصرح الاشعرية في كتب العقائد بأن الاسباب الظاهرة للحوادث — ومنها كسب الإنسان وغير الإنسان من الملائكة والجان — لا تأثير لها في نفسها، وانما يخلق الله المسببات والمكسوبات عندها لا بها، فلا فرق بين النار والماء في حصول الاحراق والإرواء، الا أن عادة الله قد جرت بخلق الاحراق عند مس النار واتصالها بالجسم القابل للاحتراق وخلق الإرواء عقب خلق شرب الماء ، ولكن الشرع أمر بالكسب، كالتداوي والاكل والشرب، فينبغي القيام بالمشروع منه وهو ما جرت سنة الله تعالى بجعله سببا مطرداء وما كان سببا غير مطرد كرقية الملسوع وما في حكمه فإتيانه ينافي التوكل وكمال الايمان والتوحيد، وأما ما كان دون ذلك مما لم يثبت كونه سببا البتة أو قامت عليه شبهات وهمية باطلة اغتر بها بعض العوام في بعض البلاد — كالزار في بلاد مصر والسودان، فلا عذر لمؤمن في الاقدام عليه، أي لانه من الجبت[1] الذي هو عبارة عن خرافات الكهنة والسحرة، ومن اعتقد أن ولي الزار أو شيخه ينفع ولو بقدرة خلقها الله فيه ومزية أعطاه اياها وأن عفريته يضر ولو بقدرة خلقها الله فيه أيضا — فهو عند هؤلاء المتكلمين مشرك بالله تعالى . فالخطر على منتحلي خرافات

(١) راجع تفسير (يؤمنون بالجبت والطاغوت) في ص ١٥٦ ج ٥ من التفسير

الزار وغيرها شديد في مذهب هؤلاء المتكلمين الذين ينتمي اليهم أكثر الخرافيين؟

وأما مذهب غير هؤلاء من المتكلمين ومحققي أهل الاثر من الحنابلة وغيرهم فهو أن الله تعالى جعل الاسباب مؤثرة بخواص خلقها فيها كالاحراق في النار، والارواء في الماء، ومقاومة سير المرض في الدواء، ومنها ارادة الانسان وعمله الاختياري، ولكن هؤلاء يقولون كغيرهم إن الاسباب تعرف بالتجارب والاختبار، وتكون مشتركة بين جميع المجربين من الناس، واتخاذ الاسباب الوهمية مذموم شرعا وعقلا ، وأنه لاتأثير لمخلوق فيما وراء الاسباب التي جرت سنة الله في الخلق بربط المسببات بها، فمن اعتقد أن غير الله تعالى ينفع أو يضر بذاته دون ماجرت به سنته تعالى في الاسباب، أو بتأثيره في ارادة الله تعالى وقدرته؟ بأن يفعل الله تعالى بتأثيره عنده شيئا لم يكن لولاه ليفعله بمحض ارادته حسب علمه الازلي — فهو مشرك بالله كافر بوحدانيته، لاعتقاده أن لغيره فعلا وتأثيرا معه بقدرته الذاتية — وهو المنفرد بذلك — أو بتأثيره في ارادته — والاله الخالق القديم لا يكون محلا للتأثيرات الحادثة، ويستحيل أن تكون ارادته تابعة لارادة أحد من خلقه، الذين هم تحت تصرف قدرته وقهره

اذا تدبر السائل هذا ظهر له أن التصديق بخرافة الزار خطر على الدين ، وأنه ليس من شأنه أن يقع من أهل التوحيد الصحيح ، لاعلى مذهب المتكلمين ، ولا على مذهب الاثريين ، وانما يقع مثله ممن يأخذون دينهم عن أمثالهم من الجاهلات والجاهلين، كغوغاء العوام الذين يقلد بعضهم بعضا في أمور الدنيا والدين، كالعادات السخيفة والعلاجات الضارة ، المبنية على تجارب فاسدة ناقصة ،

ولكننا مع هذا كله لا نجزم بكفر امرأة تصدق ببدعة الزار، ولا بجعلها به مشركة بالله عز وجل ، بل يجب أن نحتاط في مثل هذا الحكم ، وندفع الجزم به قبل العلم بحقيقة اعتقاد المرأة ولو بالشبهات ، كما يجب أن تحتاط تلك المرأة باتقاء التصديق بهذه الخرافات ، التي يخشى أن تكون شركا جليا أو خفيا ولو على بعض الاقوال ، فنقول نحن عملا باحتياطنا : يجوز على هذه المرأة أن تؤمن ايمانا جازما بأن الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، وان ما اقتضته ارادته وجرى به قدره من ربط الاسباب بالمسببات ، هو عام مطرد في المخلوقات، وانه لاقدرة لمخلوق على شيء خارج عن سنته تعالى في الكائنات، بل جميع الخلق سواء في العجز عما وراء

الاسباب ، كما انهم سواء في جريانها فيهم وخضوعهم لها ، وانحصارهم في حظيرة قهرها . ويجوز أن يعرض لها وهي على هذا الاعتقاد مرض فيخبرها من تظن فيهم الصدق وعلم التجربة والاختبار ، ان سبب هذا المرض ملابسة عفريت من الجن لها، وأن غيرها قد أصيب بمثله قبلها، وأنهم جربوا له كل علاج فلم ينجع فيه الا تلك الفعلة الشنعاء وحدها، وان علة نفعها أن العفريت الذي يلابس المريض في هذا المرض يزعجه ما يكون في حفلة الزار ، من الذنوب والاوزار ، حتى يلجئه الى الفرار، بين تلك الاغاني والمعازف، والمزامر والمزاهر، والقرابين والذبائح، وما في التضمخ بدمها من الفضائح، — ويجوز على هذه المرأة أن تصدق هؤلاء المخبرين الضالين المضلين ، ولا سيما بعد اليأس من معالجة الاطباء المشهورين، وأن تعتقد أن ذلك لا ينافي الايمان، لان طرد الشياطين من الابدان ، كطرد الجراد ونحوه من المزارع والغيطان، فهو من الاسباب الكسبية ، التي جرت بها السنن الآلهية ، ويجوز أيضا ان تعلم أن عمل الزار حرام، وان المستحل لما يعتقد حرمته يعد مرتدا عن الاسلام ، كالجاحد المعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الاجماع ، ثم تقول انني لا أستحله، ولكنني آخذ بقول من قال ان التداوي بالمحرم جائز اذا لم يوجد غيره ،

فاذا جاز أن تعتقد المرأة ما ذكرنا وان كان باطلا في نفسه فكيف تتجرأ على الافتاء بردتها ، و بطلان عقد نكاحها ، وسائر ما يترتب على الردة من الاحكام؟

أما ما يحسن أن توعظ به امرأة تدرك ما ذكرنا فهو ان خرافة الزار القبيحة المنكرة ليست سببا من أسباب الشفاء من هـذا المرض ، وان ما يدعى من التجربة المثبتة لنفعه باطل، وأنه عمل لكثيرات فلم يفد، وأن من اتفق انهن شفين بعده لم يكن شفاؤهن به بل بأسباب أخرى حقيقية أو وهمية ، وانه لو كان علاجا نافعا بالتجربة الصحيحة لعملت به جميع الشعوب التي فاقت غيرها في العلوم والمعارف ، المبنية على إتقان التجارب ، ولكننا نرى هؤلاء يسخرون من هذه الخرافة وأهلها ، التي هي محصورة في مصر والسودان بل في الطبقة الجاهلة من أهلهما ، واذا كان الامر كذلك فكيف تقدم على العمل بخرافة أدنى ما يقال فيها انها مشتملة على عدة بدع محرمة في الدين، محتقرة عند جميع المرتقين ؟

مدرسة دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٥

المعالجة — يجب البدء بعلاج مدخل هذا الميكروب في الجسم، بأن يعالج الاحليل في الذكر مثلا علاجا فعالا، وتعالج المفاصل بالقلويات وبيودور البوتاسيوم. وينبغي مراعاة القوانين الصحية باستنشاق الاهوية الجيدة وتعاطي الاغذية السهلة الهضم والمقويات كمركبات الحديد وزيت السمك ونحوهما. ويدلك المفصل ببعض المراهم المسكنة أو الزئبقية، أو يدهن بصبغة اليود. ويجب اراحته من الحركة مطلقا، ولكن بعد زوال الالتهاب الحاد ينبغي دلك المفصل وتكبيسه وتليينه باليد

والعلاج باللقاح أفاد في بعض الاحوال خصوصا في الاصابات المزمنة أي التي طالت مدتها، والافضل أن يؤخذ الميكروب من نفس المريض، ولكن هذا العلاج يحتاج الى مدة طويلة

ويجب البدء بحقن مقادير صغيرة من اللقاح ثم تزاد بالتدريج، ولا يجوز عمل الحقن الثاني الا بعد تمام زوال كافة الاعراض التي قد تنشأ من الحقن الاول. وهنالك مصل لعلاج هذا الداء أيضا لا يخلو من الفائدة

استدراكان

(الاول) جاء في مجلة [اللانست Lancet] الطبية الانجليزية الصادرة في ١٢ أغسطس سنة ٩١٦ رأي لاحد أطباء الانجليز في عدوى الالتهاب السحائي الوبائي وملخصه « ان ميكروب هذا الداء هو عين ميكروب السيلان — لا شبيها به فقط كما قلنا سابقا — وان قمل الجسم هو الذي ينقله من شخص الى آخر إما بامتصاص دم المصاب بالالتهاب السحائي وتلقيح الآخرين به اذا انتقل القمل اليهم، أو بتلوث القمل

به مما يسيل من المصاب بالسيلان في ملابسه من الصديد ونقله الى غيره فيدخل الميكروب تحت الجلد و يسير في الاوعية اللمفاوية الى السحايا وغيرها كالمفاصل التي قد تلتهب أيضا في هذا المرض ،، وأنكر هذا الطبيب انتقال الميكروب في الهواء ودخوله من الفم أوالانف . وقال: ان المصاب بالسيلان ذاته عنده شيء من المناعة فلا تصاب سحاياه الا قليلا. فاذا صح هذا الرأي — والغالب أنه صحيح — سهلت مقاومة هذا الداء الخبيث وتيسر اجتنابه . ومن هذا الرأي تفهم بعض حكم الاستنجاء وطهارة الثوب ونظافته ، ونظافة الجسم بالغسل والحلق، وغير ذلك من شرائع الديانة الاسلامية الغراء التي شرحناها سابقا . وترى مما تقدم أن القمل يقتل بالحمى التيفوسية والراجعة و بالالتهاب السحائي أكثر مما تقتل العقارب والثعابين . وذلك يحقق أيضا المثل العامي القائل « وضع تعالى سره في أضعف خلقه » وترى منه أيضا مقدار الخطر الذي يتهدد كل من يتردد الى مواخير الفسق ، فان أكثر الزواني مصابات بالسيلان الحاد أو المزمن و بعضهن يرى بملابسه وفراشه القمل

(الثاني) أن من أسهل الطرق لتطهير الماء والخُضر ونحوها من الميكروبات أن يذاب في الماء [بي سلفات الصوديوم] وتسمى أيضا [كبريتات الصوديوم الحمضية] بنسبة ... ويترك الماء مدة نصف ساعة فان حامض الكبريتيك الذي يوجد فيه يقتل تلك الاحياء الدنيئة وأجنة ديدان [البلهارسية Miracidia Cercariae] ولاضرر من شرب هذا الماء . واذا نقعت فيه الخضر مدة نصف ساعة تطهرت كذلك . ويجوز أن تطهر به الاواني الخزفية والزجاجية ونحوها ما عدا المعدنية فان الافضل تطهيرها بالغلي. وهذه الطريقة نافعة جدا اذا اتبعت في زمن انتشار أوبئة الحمى التيفودية والكوليرا و الدوسنطاريا وغيرها مما يتلوث به الماء والخضر، فإنها كافية للتطهير بدل الغلي الذي لا يحسن لبعض الخضر والفاكهة

تسمم الدم

لهذا الداء ثلاثة أشكال : —

(الشكل الاول) أن تدور سموم الميكروبات في الدم، ويسمى ذلك باليونانية

[سبريميا Sapraemia] ومعناها حرفيا، الدم الفاسد

(الشكل الثاني) أن تدور الميكروبات مع سمومها في الدم، ويسمى ذلك باليونانية [سبتيسيميا Septicaemia] ومعناها حرفيا ، الدم المتعفن

(الشكل الثالث) مثل الشكل الثاني غير أنه يزيد عليه بتكون أخرجة في عدة أجزاء من الجسم، ويسمى ذلك باليونانية [بيميا Pyaemia] ومعناها حرفيا الدم الصديدي

وجميع هذه الاشكال تنشأ من ميكروبات الصديد وهي على الاكثر من الشكل البزري ، ومنها ما يكون عنقوديا أو سلسليا. والسلسلية هذه أشدها خطرا كما سبق، ومن الميكروبات العنقودية ما يكون لونه أبيض أو أصفر، ويشاهد ذلك اذا تجمعت منها جموع كثيرة في المزارع الصناعية . وهناك بعض ميكروبات لها أشكال أخرى تحدث الصديد كباسيل الصديد الازرق [Pyocyaneus] ومن ميكروبات الامراض الاخرى ما يحدث الصديد أيضا كميكروب الحمى التيفودية والدرن

والميكروبات البزرية المذكورة منتشرة كثيرا وهي من أكبر ما يخشاه الجراحون في عملياتهم فيتقونها بالتطهير التام بالغلي وغيره، فانها اذا وجدت أي سحج أو جرح في الجلد أو الاغشية المخاطية دخلت فيه وأحدثت التهابا فتقيحا ، وتذوب الانسجة ويتجمع بسببها عدد لا يحصى من الكريات البيضاء فينشأ من ذلك المدة والصديد ونحوهما . فاذا أصابت سطح الجلد نشأت منها الدمامل والبثور ونحوها، واذا أصابت الانسجة الغائرة نشأت الاخرجة وما شاكلها، واذا أصابت الاغشية المخاطية التهبت وحدث منها الزكام ونحوه

واذا كانت الاصابة صغيرة ومحدودة ولم يدخل الميكروب الى الدم قل حصول أي توعك أو حمى،لان السموم التي تمتص في البنية تكون حينئذ قليلة جدا، ولكن اذا كان موضع الالتهاب كبيرا نشأت الحمى بسبب امتصاص سموم الميكروبات في البنية ونشأ الشكل الاول المذكور هنا، فاذا دخلت هذه الميكروبات الى الدورة حدث الشكل الثاني، وقد تدخل من أي جرح مهما يكن صغيرا، واذا رسب بعض هذه الميكروبات الممتصة في أجزاء الجسم المختلفة تكونت حولها وبفعلها أخرجة. وهذا هو الشكل

الثالث . وطريق امتصاص الميكروب في الشكل الثاني هو الاوعية اللمفاوية وفي الثالث الاوردة ، وفيها يدخل أيضا بعض مواد التهابية عفنة مع الميكروب

أما أعراض الشكل الاول فهي ارتفاع حرارة الجسم مع سائر الاعراض الاخرى للحمى ، وكذلك أعراض الشكل الثاني والثالث، غير أن المعتاد فيهما أن تبتدئ الحمى برعدة شديدة ويشتد المرض على المريض حتى يكون كالمصاب بالتيفوس، فيعتريه الهذيان والذهول والهمود وكافة الاعراض الشديدة لتلك الحمى، وتكون مدة المرض في هذين الشكلين قصيرة وتنتهي بالموت غالبا . وفي التسمم الصديدي تكثر الرعدة وتحصل يوميا مرة أو مرتين، وفي كل مرة تظهر التهابات فأخرجة جديدة ويكثر العرق عقب كل رعدة ويصاب المريض بالهمود وينحف جسمه بسرعة ويصفر لونه وقد يصاب بالقيء الكثير أو الاسهال ، وقد تزول الرعدة بعد خمسة أيام أو ستة . وتكون الحمى في هذا الشكل متقطعة مرتفعة في المساء ومنخفضة في الصباح عادة، وقد تصل الى الدرجة الطبيعية خصوصا في أول المرض. وتختلف باقي الاعراض باختلاف العضو المصاب بالاخرجة فان لكل عضو مصاب بها علامات وأعراضا مخصوصة. ومدة هذا المرض لاتزيد عن ستة أيام غالبا ولا تمتد الى ما بعد العاشر كذلك، اللهم الا اذا أزمن المرض وحينئذ لا تصاب الاحشاء وانما تتكون الاخرجة في المفاصل أو تحت الجلد . واذا شقت كلها وعولجت قد يشفى المريض بعد عدة أسابيع أو أشهر

ومما يساعد على حدوث تلك الاشكال المذكورة عدم الاعتدال وغيره مما يضعف البنية كبعض الامراض المزمنة مثل التهاب الكلى أو البول السكري، ولكن لا يحصل أي شكل منها ما لم يوجد في الجسم مدخل للميكروب

العلاج — تفتح الاخرجة وتطهر وتضمد يوميا فان كانت الحمى ناشئة عن امتصاص السموم فقط شفي الجرح وشفي المريض أيضا ، وان كانت الميكروبات دائرة في الجسم تعسر الشفاء أو تعذر ، ويعطى المريض المنعشات والمغذيات وترعى معه جميع الوسائل الصحية

أما الادوية فهي قليلة الجدوى، ولكن استعمال الحقن بالمصل المتعدد القوي

[Polyvalent] أي المحضر بحقن عدة أنواع من الميكروب أفاد في كثير من الاحوال، وتجب تجربته اذا دخلت الميكروبات البنية سواء أحدثت أخرجة أم لم تحدث

الوقاية من تسمم الدم بجميع أنواعه — أن يتقي الانسان كل ما يحدث جرحا أو سحجا في الجسم وان كان صغيرا. فاذا حدث بالرغم من احتياط الانسان وجبت المبادرة الى تطهير الجرح وتضميده والمواظبة على ذلك يوميا حتى يشفى . ويراعى في ذلك اتباع جميع قوانين علم الجراحة في تطهير الايدي والآلات والضمادات وغيرها مما يمس الجرح . واذا تكون خراج في الجسم وجب الاسراع الى شقه وتطهير جوفه وتصريف ما يتكون فيه من المدة والصديد بأسرع ما يمكن بحيث لا يترا كم فيه شيء منها خوفا من امتصاص الميكروب أو سمه في البنية. ولعلم الجراحة في ذلك من الوسائل العلمية المعقولة ما فيه الكفاية من شر هذا الداء وقانا الله منه

السعال الديكي Whooping Cough

موض يصيب الاطفال كثيرا بين السنة الاولى والثامنة، وحدوثه للبنات أكثر منه للذكور . وتقل اصابته لمن كان عمره فوق ذلك لان أكثر الناس يصابون به في صغرهم وهو يحميهم من الاصابة به مرة أخرى بل هو في ذلك أكثر وقاية من الحميات الاخرى ذوات الطفح . ويحدث انتشاره بشكل أوبئة لا تأثير لحرارة الجو أو غيرها فيها، وكثيرا ما تكون هذه الاوبئة عقب أوبئة الحصبة

هذا المرض ينتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى ، فاذا كثر اختلاط الاطفال بالمصابين به انتشر المرض بينهم، وقد ينتقل بواسطة الملابس الملوثة بميكروب هذا الداء اذا أصابها شيء من بصاق المصاب

وكان القدماء يعتقدون عدوى هذا الداء نظرا لما يشاهدونه من انتشاره بين من يخالط المصاب، ولكن لم يكتشف ميكروبه الا سنة ١٩٠٦ والذي اكتشفه باحثان اسمهما [بورديه Bordet] و [جنجو Gengou]

وهذا الميكرب من الشكل الباسيلي يشبه كثيرا ميكروب النزلة الوافدة غير أنه أطول منها وأغلظ ، ولا حبيبات له ولا حركة . يشاهد كثيرا في أوائل المرض في

المخاط الثخين الخارج في آخر النوبة من الشعب الرئوية الصغيرة ، وكثيرا ما يكون مختلطا بميكروب النزلة الوافدة

الأعراض : مدة التفريخ نحو عشرة أيام ويبدأ المرض باصابة بسيطة بالسعال تشبه السعال الناشئ من التعرض للبرد . وقد يكون هذا السعال مصحوبا بحمى خفيفة ويستمر إلى نحو سبعة أيام أو عشرة ثم يسمع هذا الصياح المخصوص الذي يشبه صياح الديك، ولذلك شبه هذا المرض به، فبينما يكون الطفل المصاب في لعبه تنتابه نوبة من السعال تمتاز بحصول نحو ١٥ أو ٣٠ مرة من الشهيق المتوالي في زمن ٧ أو ١٠ ثواني ثم يعقبها زفير له هذا الصوت المخصوص ، ويتكرر ذلك مرة أو أكثر حتى يخرج من صدر المصاب قطعة صغيرة من البلغم اللزج أو بقايا ما في جوفه . والسبب في حصول هذا الصوت اقتراب الحبلين الصوتيين أحدهما من الآخر فيضيق ما بينهما ، أو أنهما لا ينفسحان بالسرعة المطلوبة حين حصول الزفير . وفي أثناء هذه النوبة يحتقن الوجه أو يزرق وينتفخ وتكاد تخرج العينان منه، ويتدلى اللسان وقد تجرح الثنايا قيده فيبصق المريض الدم . ويكون الطفل في أثناء ذلك غير قادر مطلقا على منع هذا السعال، وقد يصاب من شدته بنزف من الأنف (الرعاف) أو من فمه أو يحصل النزف تحت الملتحمة ؛ وفي أحوال نادرة يصاب بنزف في مخه

وهذه النوب تحصل بلا سبب معروف وإنما قد يهيجها بكاء الطفل أو إغضابه أو نزع ملابسه . ويقال إن النوب أكثر في الليل منها في النهار . وعدد مراتها في الليل يتراوح بين مرة واحدة وستين مرة، وفي أكثر الاحوال لا تزيد عن ثلاثين في كل ٢٤ ساعة. ويكون الطفل في الفترات التي بين النوب كأنه في صحة تامة ولا حمى عنده ما لم يتضاعف المرض، وقد تكون شهوة الطعام عنده جيدة . ومدة هذا الطور من الداء تمتد الى ثلاثة أسابيع أو ستة بل قد تطول الى ثلاثة أشهر أو أكثر، ثم تأخذ النوب في القلة تدريجا حتى تزول تماما أو يعقبها سعال بسيط كالسعال الاول بدون صياح ويمكث بضعة أسابيع. وهذا المرض قل أن يميت ما لم يشتد تشنج المزمار أو يحصل نزف في المخ . وقد يحصل الموت بسبب مضاعفات هذا الداء

المضاعفات والعقابيل (العواقب) — من مضاعفات هذا الداء النزلة الشعبية أو

الشعبية الرئوية فترتفع الحمى ويضيق نفس المريض كثيرا ، وفي كثير من الاحوال يزول حينئذ هذا الصياح المخصوص كما أنه يزول في كافة المضاعفات الحمية الاخرى . ومنها التهاب الاذن والتشنجات . ومن العقابيل استمرار النزلة الشعبية والامفيزيما[1] الرئوية (أي تمدد حويصلاتها وفقدانها مرونتها وانفتاح بعضها في البعض الآخر) والدرن الرئوي وهو قليل الحصول في هذا المرض

الانذار — هذا المرض قد يطول جدا ولكنه في الغالب يشفى منه المريض ومن النادر أن يموت به الشخص غير أن الموت قد يحصل بسبب بعض المضاعفات أو العقابيل المذكورة

المعالجة — يسكن المصاب في غرفة دافئة متجددة الهواء ، ولا يجب عليه التزام الفراش مالم يتضاعف المرض . وهنالك أدوية كثيرة لتقصير مدة المرض وتخفيف وطأته ، ومن أحسنها [البلادونا[2] Belladonna] فيعطى من صبغتها نقطتين أو ثلاثا ثلاث مرات في اليوم للطفل الذي يبلغ عمره سنتين ولمن هو أكبر نقطا أكثر بحسب السن ، وهنالك موادتستعمل أيضا استنشاقا لتطهير الشعب ولكنها قليلة الفائدة ، ومن أحسن العلاجات تغيير الهواء والسكنى بجوار البحار فان ذلك مما يقصر مدة المرض

الالتهاب الرئوي Pneumonia

هذا المرض نوعان : (١) نوع يصيب حويصلات الرئة ويسمى الالتهاب الفصيصي (٢) ونوع يصيب جزءا عظيما منها ويسمى الالتهاب الفصي ، ويختلف النوعان اختلافا كبيرا من الوجهة الميكروبية والمجهرية والمرضية

أما النوع الاول فقد يكون ابتدائيا أو تابعا لمرض آخر ، وهو كثير الاصابة للاطفال والشيوخ ، وليس له ميكروب مخصوص بل يوجد فيه أنواع عديدة منها

---

(١) لفظ يوناني معناه ادخال الهواء أو النفخ لانتفاخ الرئة في هذا المرض

(٢) كلمة ايطالية معناها حرفيا « السيدة الحسناء » تطلق على نبات شهير عند الاطباء كان نساء ايطالية يستعملنه لتجميل وجوههن ، ومن أصوله الفعالة مادة سامة جدا تمدد الحدقة فتجعل العين نجلاء

ميكروبات الصديد المعتادة أو ميكروبات المرض الذي سبب هذا الالتهاب الرئوي كالدفتريا أو الحمى التيفودية أو الانفلونزا أو الطاعون

وأما النوع الثاني وهو كثير الحصول للشبان، وقد يصيب أيًّا كان غيرهم، وهذا المرض يشبه كثيرا الحميات الاخرى العفنة كالحمى التيفوسية وينتهي مثلها بالبحران، وينشأ غالبا من ميكروب من النوع البزري المزدوج اكتشف في معمل باستور في ديسمبر سنة ١٨٨٠ وهذا المرض هو المقصود بالكلام هنا ، ومنه نوع خطر ينشأ من باسيل اكتشفه [فردلندر Friedlander]سنة ١٨٨٠ ولكنه قليل الحصول فان ٩٥٪ من الاصابات بهذا الداء تنشأ من الميكروب الاول البزري

الاسباب يحدث هذا المرض للذكور أكثر من الاناث بنحو الضعف ، ويصيب الناس في جميع الاعمار من سن الطفولية الى سن الشيخوخة ، ولكنه أكثر حصولا للشبان الى أن يصلوا الى متوسط العمر (من ٣٥ — ٥٠) ينتشر هذا المرض في فصلي الشتاء والربيع حينما يكثر تغير درجة حرارة الجو فجأة، وحينما يكون الهواء مشبعا بالرطوبة أو البرد

ومما يساعد على حصوله كثرة التعرض لتيار الهواء وضعف البنية واجهاد العقل وقلة التغذية ، والانهماك في السكر أو الجماع

وهذه الاشياء تجعل المصاب به ضعيف المقاومة جدا بحيث يكون شفاؤه متعسرا ، والوفاة به كثيرة الحصول . والاصابة به لاتحمي من معاودته ؛ فقد شوهد أن بعض الاشخاص أصيب به نحو١٥ أو ٢٠ مرة، ولكن في الغالب أن لايصاب به الشخص سوى مرتين

يوجد ميكروب هذا الداء حتى في لعاب السليم وفي حفر أنفه ، فاذا ضعفت البنية بمثل الاسباب المذكورة هاجمها الميكروب وأحدث بها المرض ، وقد يتصل بالانسان أيضًا من شخص آخر مصاب بالالتهاب الرئوي ويكون حينئذ أقوى وأضر. وهذا الميكروب يحدث التهابات في أعضاء الانسان الاخرى مثل البليورا والشغاف والمفاصل والسحايا ، وقد يحدث أخرجة بالاحشاء وتحت الجلد

ولم يجزم العلماء الى الآن ان كان وصول هذا الميكروب الى الرئة من طريق

الشعب أو من طريق الدم ، فقد شوهد وجوده في نفس الدم فاذا ضعف عضو بسبب ما رسب الميكروب من الدم فيه . وهو يصيب عدة حيوانات كالفيران والارانب والكلاب . أما الحمام والدجاج فلا يصيبهما بشيء ، وطوله يتراوح بين ٥و٠ من الميكرون و٧٥ و٠ منه . ويظهر تحت المجهر كانه محاط بغلاف أو هالة صافية اللون يكون فيها عادة بزرتان أو أربع

الاعراض — يبتدئ المرض فجأة برعدة شديدة وترتفع الحمى بسرعة زائدة الى ٣٩° أو ٤٠° مع كافة أعراضها الاخرى المعروفة وأحيانا (تشاهد النملة على الشفتين) ثم يشعر المريض بضيق في نفسه ، وآلام في الجنب المصاب ، ثم يكثر السعال ، ويكون بصاقه صدئيا — كأن به صدأ من الحديد لاحمرار لونه — ويكون شفافا خاليا من فقاقيع الهواء لزجا بحيث يشتد التصاقه بالاواني ويشاهد في هذا البصاق الميكروب

وللاطباء علامات خاصة لتشخيص هذا الداء تدرك بالقرع والسمع وغيرهما من طرق البحث الشهيرة

وتستمر الحرارة عالية مدة المرض كلها ، ويكون خد المريض وجبهته محتقنة يعلوها قليل من الصفرة أحيانا ، ويكون تنفسه سريعا جدا حتى قد تصل مراته الى ٨٠ في الدقيقة ، ويسرع نبضه ويقل بوله ، وقل أن يعتريه الهذيان بخلاف الحميات الاخرى ، الا في بعض الحالات الشديدة فقد يهذي ليلا ، وبعد اليوم السادس أو الثامن تنخفض الحرارة فجأة في مدة ١٢ أو ١٨ ساعة ، بحيث تصير طبيعية ، ويبتل اللسان بعد الجفاف ويحس المريض بالتحسن العام ، ولكن هذا البحران قد يصحبه اسهال أو عرق غزير وفي أكثر من نصف الاصابات تنخفض الحرارة بالتدريج ، فتصير طبيعية بعد ٤ أيام أو ٥ ، وفي كلتا الحالتين يتحسن النبض والتنفس حين انخفاض الحرارة ، وتزول العلامات الطبيعية التي يعرف بها المرض من الصدر ، ويزول لون البصاق الاحمر فيصير مصفرا أو مخضرا ، ويكون به صديد وتقل لزوجته ، ثم يصير بالتدريج طبيعيا

والموت يحصل غالبا من وقوف القلب ، أو من اصابة الرئة الاخرى السليمة

فيسرع التنفس والنبض ، ويزرق الوجه ، ويكثر الهذيان ويعقبه الغيبوبة فالموت ، ويكون الموت عادة بين اليوم الخامس والعاشر ، ومن المرضى من يموت في اليوم الثاني أو الثالث

والالتهاب الرئوي يصيب قاعدة الرئة أكثر من قمتها ، والجهة اليمنى أكثر من الجهة اليسرى، وقد يصيب الرئتين معا ، ولكنه يعجل باحداهما قليلا عن الاخرى

واذا أصاب الرئة احتقنت بالدم ، وثقل وزنها ، واحمر لونها ، وصار قوامها هشا بعد الوفاة ، وامتلأت حويصلاتها بكريات الدم الحمراء والبيضاء وغير ذلك من مواد الدم بحيث تكون خالية من الهواء ، ثم تمتص الكريات الحمراء ، وتزدحم الحويصلات بالبيضاء ، فيتغير لون الرئة من الحمرة الى اللون السنجابي ، وفي كلتا الحالتين يكون قوام الرئة كمنسوج الكبد حتى سماه الاطباء (بالتكبد)

المضاعفات — جميع المضاعفات تنشأ على الاكثر من انتشار ميكروب الالتهاب الرئوي في الاعضاء الاخرى فقد تلتهب البلورا وقد ينسكب في تجويفها مصل أو صديد . ومن المضاعفات أيضا التهاب الشغاف أو الاعصاب أو الكليتين أو البريتون أو السحايا أو المفاصل وغير ذلك

الانذار — عدد الوفيات في هذا المرض نحو ١٧ ٪ من الاصابات . والمرض خطر جدا لغير المعتدلين وامضعفاء البنية . ومما ينذر بسوء العاقبة الهذيان الشديد أو الذي يحصل في أوائل المرض ، وضعف النبض والزرقة والتهاب الرئة كلها أو امتداده الى الرئة الاخرى

المعالجة — يجب على المريض أن يلتزم الفراش في الحال . وفي وقت شدة المرض يبقى معتمدا بظهره على شيء بحيث يكون رأسه مرتفعا على الفراش قليلا

ويجب أن تكون الغرفة متجددة الهواء نقية ، والغذاء من السوائل السهلة الهضم المغذية كاللبن والمرق ونحوهما ، تعطى بمقادير صغيرة متكررة . وينبغي أن نطلق الامعاء بالمسهلات، وتعطى للمريض المواد المعرقة مع قليل من المسكنات لتخفيف ألم الجنب والسعال . ومما يخففه أيضا اللبخ الساخنة على الجنب الملتهب أو ورق الخردل الصناعي ومن الناس من يضع على الرئة الملتهبة أكياسا فيها ثلج لتخفيف الالم وخفض الحرارة

وهذا العلاج المذكور كاف في الحالات البسيطة فاذا اشتدت وطأة المرض وضعف القلب وكثر الهذيان وجب اعطاء المريض المنعشات كالاستركنين والديجيتالا والنوشادر أو قليلا من الخمر (مثل ٣ أو ٤ أواق في اليوم) . وكلوريد الكلسيوم (١٠ قمحات كل ٤ ساعات) يقال عنه أنه مقو للقلب فان أكثر الخوف هو من وقوفه

فاذا ازرق المريض وضاق نفسه وخيف عليه من الاختناق أو من وقوف القلب وجبت المبادرة الى فصده أو على الاقل تركيب العلق على الصدر لسحب جزء من الدم . ولا خوف من سحب ١٠ أو ١٢ أوقية من الدم اذا كان الشخص قوي البنية ممتلئا به . واستنشاق الاكسجين نافع جدا في هذا المرض ، وكذلك كربونات النوشادر (٥ الى ٧ قمحات كل ٣ أو ٤ ساعات) لاخراج المواد المتراكمة في الشعب

أما استعمال المصل أو اللقاح فلم تظهر له فائدة كبيرة

فاذاجاوز المريض طور البحران وجبت مساعدته بالادوية المقوية والاغذية الجيدة

بلاد العرب وأحوالها

منذ الاعصر الخالية

نشرت مجلة الشرق والغرب التي أنشأها دعاة النصرانية (المبشرون) لبث دعوتهم بمصر مقالة تحت هذا العنوان قالت ان ما أوردته فيها هو نتيجة ما وصلت اليه مباحث العلماء الذين بنوا أقوالهم على ما اتصل بهم من اشتات الروايات ذات الطرق المديدة القديمة « فأخذوها وطبقوها على اعتبارات جغرافية وجيولوجية — قالت — ولعل أشهر علماء الافرنج الذين عالجوا هذا الموضوع البحاثة « قيطاني » — أو كاتياني كما يعربه آخرون — الايطالي الذي اشتهر بتصنيفاته المفيدة عن العرب

والاسلام من وجهة تاريخية اقتصادية وقد بنينا هذه المجالة على ماجاء في مؤلف من أحدث مؤلفاته »

ونقول نحن ان هذا المؤرخ الايطالي قد اشتهر عند الترك وبعض العرب بتشويهه لسيرة النبي (ص) وهي أشرف سير البشر — لان الأتحاديين ترجموا ما كتبه فيها بالتركية كما بينا ذلك في منار هذه السنة (ص ١٦٢ ج ٣) ولكن مباحث هذا المؤرخ المدقق في تاريخنا مما لا نستغني عنه وزد او نتبجح كلها . ونحن ننقل عن هذه المجلة ما اقتبسته عنه من المباحث المتعلقة بحالة جزيرة العرب الجولوجية وطبيعتها الجغرافية ، ومهاجرة أهلها منها الى حيث أقاموا بناء الحضارة القديمة. وهذه عبارة المجلة بنصها لم نصحح منها الا عبارات قليلة : —

لقد أثبتت المباحث الحديثة أن الانسان وجد على الارض قبل المسيح بألوف من السنين وان بلاد العرب كانت مأهولة كأقدم بلاد العالم ، فكيف كانت حالة العرب في ذلك العهد لنائي يا ترى ؟ لاريب في انها كانت تختلف كل الاختلاف عما هي عليه الآن . والمعروف عنها الآن — ومنذ عدة مئات من السنين أيضا — انها برية قاحلة ذات أراض جرداء خالية من الماء[1] . على أنها في الاعصر الجولوجية كانت على خلاف ذلك . فقد مر على قارتي آسيا وأوربا زمن كان فيه قسماها الشماليان أشد برداً مما هما عليه الآن . وكان الفرق بين الصيف والشتاء أشد وضوحاً مما هو الآن . فكان الهواء في الصيف أكثر امتصاصاً للرطوبة فيزداد به هطل الثلوج في الشمال وهطل الامطار في الجنوب . وبناء عليه كانت أجزاء عديدة من آسيا وافريقيا بقاعاً خصبة جداً وهي الآن قفار جرداء ، وما الأودية الناشفة سوى مجار كانت تتدفق فيها الانهار

ومن تلك البلاد بلاد العرب . فقد كانت سلسلة الجبال التي في غربها تتقي رياح السموم وتجري منها أنهر على هضاب أواسط بلاد العرب وتصب في خليج العجم . ومن تلك الانهر نهر الدواسر الذي كان يجري في وادي الدواسر وكان

(١) المنار : كان الصواب أن يقال قليلة المياه

منبعه في الهضاب المكية . وكذلك نهر الرماح الذي كان يصب مع نهر الدواسر في خليج العجم

ولا يخفى ان للحالة الجوية تأثيراً عظيما في السكنى ، وهذا يبين لنا لماذا كانت بلاد العرب مهد الشعوب السامية . وخلاصة ذلك انه في تلك الازمنة الخلية كانت البلاد غاصة بالسكان بخلاف حالتها الآن

ثم بدأت الاحوال الجوية في نصف الكرة الارضية الشمالية تتغير بالتدريج فقل امتصاص الهواء الرطوبة وقل هطل الامطار . وأصبحت البلاد التي بين أوربا والمنطقة الحارة تشعر بذلك التغير العظيم . وبتمادي الزمن بدأ شمالي افريقيا وبلاد العرب يجف ، فصارت الملايين التي تسكن بلاد العرب تشعر بعدم ملاءمة البلاد لسكناها

ولا حاجة الى القول بأن الرحيل عن بلاد العرب استغرق ألوفا من السنين وكان تدريجياً وبهذه الطريقة يمكن تعليل توالي هجرة الشعوب السامية. ولم تكن كل غزوات أي هجرات ناشئة عن اعتبارات حربية بل كان معظمها ناشئا عن اعتبارات سلمية بحتة كهجرة الارلنديين اليوم الى أمريكا . وكانت آخر تلك الهجرات أعظمها شأنا وقد حدثت عند ظهور الاسلام يوم فتحت أبواب بلاد العرب وأخذ سيل المهاجرة يتدفق منها شرقا وشمالا وغربا

وكان لتلك الحركة غايتان تتفقان مع طبيعة البلاد الجغرافية، اذ لا يخفى أن شبه جزيرة العرب مقسومة الى قسمين (١) البلاد العربية الغربية (وهي اليمن والحجاز) ومنفذها سورية في الشمال الغربي ومصر والحبشة على سواحل البحر (٢) الوسط الشرقي ومنفذه الطبيعي العراق وما بين النهرين . أما القسم الجنوبي من بلاد العرب (أي حضرموت) فقائم بنفسه

فسيل المهاجرة من بلاد العرب كان يتدفق اذاً شمالا الى فلسطين وسوريا أو غربا الى مصر والحبشة. أو شمالا شرقيا الى العراق ووادي دجلة والفرات

وقد وقعت أول هذه المهاجرات عند أول فجر التاريخ . ثم تبعتها المهاجرات

الاخرى في الازمنة التاريخية المعروفة .

(١) المهاجرة الاولى — قبيل فجر هذا التاريخ قام بهذه المهاجرة شعوب سامية نزحوا الى العراق ومعهم شعوب سومريون فتألفت منهم الامة البابلية و يعتقد العلامة (قيطاني — أو — كايتاني) أن المصريين القدماء الذين دخلوا وادي النيل عن طريق البحر الاحمر واستعمروا أولا مصر العليا كانو ساميين وقد هاجروا في نفس الزمن الذي هاجر فيه مواطنوهم الى العراق . ومما يؤيد هذا الرأي أن في اللغة المصرية القديمة آثارا سامية عديدة منها الكاف ضمير المخاطب المفرد المضاف اليه[1]

(٢) أما المهاجرة الثانية فقد وقعت في أول عهد التاريخ المعروف أي بين سنة ٣ آلاف و ٢٥٠٠ قبل المسيح وكان اتجاه سيل هذه المهاجرة أيضا الى شمال العراق وجنوبه و يتضمن حروب سرجون الملك السامي الشهير

(٣) واما المهاجرة الثالثة فقد وقعت من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وفي أثنائها نزح الاشوريون الساميون من بلاد العرب وأسسوا مملكة أشور وعاصمتها نينوى على أعالي دجلة وفي ذلك الزمن عينه نزح الرعاة (الهيكسوس) من غربي البلاد العربية الى مصر وغزا الفينيقيون غربي سوريا واجتاح الكنعانيون فلسطين

(٤) هجرة الاراميين بعد سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وانتشر الاراميون في وادي الفرات وسوريا فأصبحت لغتهم لغة التجارة اذ كان بيدهم طريق التجارة المار بحلب

ومن الشعوب السامية التي لم تنزح من بلاد العرب القبائل الصائبية والحميرية والعرب الذين كانوا يتكلمون العربية الحديثة . وكانت هذه اللغة قد نشأت بتمادي الزمن نشوءا بطيئا جدا . أما سبب عدم هجرة هذه الشعوب فهو لأن غربي بلاد العرب كان أكثر خصبا من شرقيها وقد كان طريقا للتجارة بين الهند والبحر المتوسط يمر باليمن والحجاز وينتهي الى غزة وهنا يأتي بنا الى :

(٥) ظهور الاسلام . وليس هذا أول مرة ظهرت فيها القبائل المتكلمة باللغة

---

(١) المنار الامر أعظم من ذلك فلعل النصف أو أكثر من النصف من هذه اللغة عربي ولكن الكثير منه محرف كما علم بالتفصيل مما نشرناه في مجلد المنار الثامن عشر عن علاقة هذه اللغة أحمد كمال بك

العربية لتستوطن البلاد المجاورة فان بعضها سبق فاستوطن غسان والحيرة والعراق ومهد الطريق للعرب الذين كانوا في أيام محمد (صلى الله عليه وسلم) فعودوهم المهاجرة والاستيطان، وكانت بلاد العرب قد ضاقت مرة اخرى بأهلها الساميين الذين اشتهروا بالقوة والبأس والذكاء وكثرة النمو. ومما يدل على ضيق الوسائل الاقتصادية في تلك البلاد بأهلها فقرهم المدقع وعوزهم وعادة وأد البنات عندهم. أما قواهم المتزايدة فكانوا ينفقونها في محاربة بعضهم بعضا وفي شن الغارات والغزوات الى أن بدت طلائع تلك النهضة الدينية فجمعت بين القبائل المتخاصمة وجعلتهم يوحدون قواهم و يوجهونها الى الخارج . وهكذا فتحت ابواب العربية وخرج العرب ليغزوا البلدان في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية

وقد كان بين أولئك العرب رجال ذوو صفات ومآرب مختلفة فمنهم الشديد القوي كعمر، والقائد المحنك كخالد، ومنهم المجازف، ومنهم المسوق الى الحرب بطمع الاسلاب [1]. على أن عامل الدين هو الذي فتح لهم السبيل ومهده ومنحهم قوة. ولكن كان للعوامل الاقتصادية التي أشرنا اليها والتي كانت تؤثر في بلاد العرب منذ أقدم الازمنة شأن يذكر وكان الجانب الاكبر من جيش محمد (ص) رجالا قد دانوا حديثا بالاسلام فكانوا يقبلون عليه أو يرتدون عنه بسرعة عظيمة لان معرفتهم كانت ناقصة، ولا شك أن أمثال أولئك ما كانوا ليتمسكوا بعروة الاسلام لولا ما رأوه من الانتصارات التي يؤتاها جيش المسلمين ولولا انقلابهم من ضيق العيش الى سعته [2]. وكان في جيش للميدان الغربي مئات من المكيين الذين أيدوا الامويين فيما بعد ولا يزال المسلمون يقولون حتى اليوم إنهم لم يكونوا على شيء من الاسلام

(١) المنار : يعني أن الجمهور الاعظم من العرب كانوا يقاتلون في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية التي يقوم بها دينه وكتابه ، وادناهم منزلة أفراد يطمعون في الغنائم والاسلاب كما هو شأن أرقى الامم الآن في حروبها

(٢) هذه دعوى باطلة وتعليلها الذي عللها به باطل فان المسلمين ما انقلبوا الى سعة العيش التي يعنيها في عهد النبي (ص) بل بعده اذ فتحوا الشام ومصر وفارس . واين السعة في جزيرة العرب واين ما وصفها به آنفا من الضيق ؟

وأمثال أولئك كانوا يعتبرون أنفسهم في بيئة هي عربية أكثر منها اسلامية .

أما حروب الاسلام التي أفضت الى مزج العرب بأهالي البلاد التي افتتحوها من بخارى شرقا الى اسبانيا غربا فقد كانت عبارة عن مهاجرة هي آخر المهاجرات السامية من شبه جزيرة بلاد العرب ولم تحدث مهاجرة بعد ذلك أو بمقدار صغير جداً لا نزال نشاهد آثاره حتى اليوم وهو ناتج عن نفس الاسباب التي أفضت الى المهاجرات السابقة أي امحال بلاد العرب .

أما النتيجة فهي ظهور القوة الكامنة في الامة العربية ظهورا بينا واتخاذها مجرى جديدا وبيئة مثمرة .

وقد ذكر الاستاذ هركرونيه أن عرب حضرموت الذين هم أفقر سكان تلك البلاد فكوا القيود التي كانت تربطهم ببلادهم وهاجروا الى الهند وجزائر الهند الشرقية حيث أظهروا همة عالية ونشاطا غريبا . فقد أصبحوا خبيرين بأمور التجارة مع أنهم كانوا يجهلونها في موطنهم الاصلي ، ولا تزال الاعمال والاشغال تنتقل الى قبضة يدهم حتى لقد أصبح بعضهم من كبار الاغنياء . ولا ينحصر تفوقهم في الاعمال والمتاجر فقط بل في الامور العقلية أيضا

وهذه صورة مصغرة للعرب الذين نزلوا بسوريا و بلاد فارس في المئة الاولى للهجرة . وهي تنطبق على حالة العرب عموما منذ ألوف من السنين حتى اليوم

وقد أظهر حركة شريف مكة بنهضته الاخيرة أن العرب لا يزالون يأبون الضيم ويعشقون الحرية والاستقلال، وهم يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل الدفاع عن كيانهم . ترى هل نحن على وشك أن نرى من جانب بلاد العرب مسافات بطريقة مدهشة كما رأى العالم منذ مئات من السنين ؟

المنشور الهاشمي الشريف الثاني

ذكرنا في الجزء الرابع من منار هذه السنة ملخص المنشور الاول الذي خاطب به الشريف الاكبر صاحب مكة المكرمة مسلمي الارض مبينا لهم سبب نهضة الحجازيين باستقلال العرب دون متغلبة الاتحاديين . واليوم ننقل لهم نص منشور آخر نشر في العدد الحادي عشر من جريدة القبلة الصادر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ لتعميم فائدته والعناية بحفظه ، لان أمثال هذه المنشورات من أهم مواد تاريخنا في هذا العصر، وقد ضاق عنه الجزء الخامس الذي طبع الكثير منه قبل عودتنا من الحجاز ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »

لقد رأينا دفعا للالتباس ومنعا لما عسى أن يحدث من التردد في حقيقة قيامنا ونهضتنا معاشر الحجازيين الموضحة أسبابها في منشورنا الاول أن نردفه بهذه الاسطر ليكون منها لأفاضل العالم عموما والمسلمين خصوصا زيادة الاطلاع على نياتنا ومقاصدنا المتعلقة بكياننا من حيث هو ملتزمين فيها أقرب المواد عهداً وأبسطها دلالة

من المعلوم ان عقلاء المسلمين وذوي البصيرة من ساكني الممالك العثمانية وسائر أقطار الدنيا غير راضين عن دخول الدولة العثمانية في الحرب الحاضرة لاسباب جوهرية أجمعوا عليها، منها ان الدولة العثمانية قريبة عهد الخروج من الحرب الايطالية أولا والحرب البلقانية ثانيا وقد أصاب جيوشها وخزائنها وكل مرافقها وعامة تشكلاتها من الضعف والضياع والفناء ما لا يخفى تأثيره على ثروة الدولة خاصة وثروة المملكة وأهلها عامة، حتى كان الجندي لا يكاد يصل الى قريته أو الى مكان عمله ليتحصل على ما يسد به رمقه ورمق أولاده وسائر أهل بيته الا ويكون قد دعي الى التجنيد مرة ثانية . وهكذا شأن الصانع والعامل والمحتطب . فالامة التي أصيب أفرادها بمثل

هذه الكوارث لا نرى حاجة الى بيان مصيرها ومصير دولتها اذا دفعت بنفسها في هوة حرب جديدة لا تشبه غيرها من الحروب . لا سيما وان واردات الدولة من الضرائب (*) المفروضة على مساعي الافراد المنكودي الحظ بين تجارية وصناعية وزراعية

هذا أحد الاسباب التي حملت عقلاء المسلمين على استنكار دخول الدولة في الحرب الحاضرة وهو سبب مبني على حقيقة الحالة الداخلية في كل بلاد السلطنة. وهنالك أسباب خارجية تتعلق بالجهة التي انحازت الحكومة الاتحادية الى الحرب معها ضد الفريق الآخر من الدول المشتبكة في الحرب . فان الدولة العثمانية دولة اسلامية وبلادها مترامية الاطراف كثيرة السواحل فكانت السياسة التي سار عليها سلاطين آل عثمان العظام من قديم الزمان تحسين الصلات والملاقات مع الدول التي يسكن ممالكها القسم الاعظم من المسلمين والتي لا تزال صاحبة الارجحية في في البحار، فلما دخلت الحكومة الاتحادية في الحرب ضد هذه الدول منحازة الى فريق آخر كثير الطمع واسع الجشع اضيق بلاده عن ساكنيها تشاءم من ذلك أهل النظر والروية من المسلمين لعلمهم بما يكون من نتائجه السيئة قبل حدوثها

ولقد كنت من جملة هؤلاء عند ما سئلت تلغرافيا عن رأيي في هذه الحرب، فأبديت ما اقتضاه واجب النصح، وهذا مما أتخذه دليلا على اخلاصي لهذه الدولة وحرصي على سلامتها وصيانة بيضة الاسلام

ربما قد حصل ما كنا نخشاه، وانتهت الدولة الى ما نخوفناه، وأصبحت حدود المملكة العثمانية اليوم في أوربا أسوار الآستانة تقريبا . وان طلائع جيوش الروس تحصد الاهالي العثمانيين في ضواحي ولايتي سيواس والموصل، وطلائع الانكليز تسوق الوفد الاسرى من أبناء هذه المملكة في بادية العريش بعد ان استولت على ولاية البصرة وشطر من ولاية بغداد، ولا شك في أن من تأمل هذه الحالة ورأى أن الحرب لا تزال قائمة على ساق وقدم لا يحتاج الى كبير عناء في استجلاء النتيجة أنها لا تخرج عن أحد أمرين فاما ان تستسلم الى هذا الخطر الداهم حتى تزول من الوجود أو أن تسعى الى الخلاص منه

(*) المنار: قوله من الضرائب — خبر إن لا بيان للواردات كما يتوهم بادئ بدء

إننا نترك للعالم بأسره التأمل في هذا والجواب عليه وليس عندنا أقل ريبة في انهم يعذروننا في نهوضنا الذي جاء في وقته قبل أن تحيط المهالك بالبقية الباقية من هذا الملك فتأخذنا على غرة . بل اننا لا نتردد في مشروعية نهوضنا ووجوبه علينا، ولو كنا نعلم بأن بقاءنا مرتبطين بهذه الدولة التي أصبحت ألعوبة في أيدي المتغلبين مما ينفعها ويحفظ لها أملاكها لما تحركنا بشيء مما قمنا به،ولصبرنا وتحملنا كل مايحملوننا إياه . ولكن أنّى لنا ذلك وقد صار من المقطوع به اننا لو استسلمنا لما هم سائرون بنا اليه لأدى ذلك بنا وبهم الى هوة الاضمحلال التي تسقط فيها الولايات الاخرى على مرأى منا ومسمع

نعم اننا نقول هذا ونترك الحكم فيه الى إنصاف العالم أجمع، ولكننا لانستطيع السكوت عن المجاهرة بأن السبب الوحيد لمحو هذه الدولة وإبادة من بقي لها من الرعية وهم سكان الاناضول وغيرهم انما هو استرسال المتغلبة من زعماء الاتحاديين وهم أنور وجمال وطلعت وأشياعهم، وخروج الدولة عن خطتها السياسية الاساسية التي وضعها عظماء سواس العثمانيين وهي خطة موالاة الدولتين المعظمتين بريطانيا وفرنسا التي لا ينكر فوائدها الا من ينكر التاريخ ، ويكفي لمعرفة أخلاق زعماء الاتحاديين ومقدار صدقهم ووفائهم انه لم يمض غير زمن يسير على عقد القرض الذي ساعدتهم به فرنسا وهم في أشد الحاجة اليه حتى انضموا الى أعدائها وأعلنوا الحرب عليها، وانا لا نستدل على ما ذكرناه من أخلاقهم بهذا العمل دون سواه الا لشهرته المستفيضة بين عموم الناس وقرب عهدنا به، أضف الى ذلك ما يلقاه الاهالي العثمانيون لافرق بين مسلمهم وذميهم من ضروب العسف والجور اللذين يحجب ركامهما ضياء الشمس، لا سيما ما ارتكبه القابضون على ازمة الحكومة من هؤلاء المتغلبة وأشياعهم أثناء هذه الحرب من ظلم أهل ذمتنا من الروم والارمن خلافا لماجاءت به شريعتنا المطهرة، ثم نهجوا هذا المنهج في أبناء العرب بالشام والعراق وغيرهم مما هو معلوم الى يومنا هذا كإيقاعهم بأهالي العوالي التي هي احدى ضواحي المدينة المنورة من سبي مخدرات العرب وسوقهن الى الثكنات العسكرية بما تأباه الشريعة الاسلامية والشهامة العربية

ثم اننا قمنا ولا يزال قيامنا ومجاهرتنا بالعداوة والبغضاء مقصودا بهما أنور وجمال

وظلمت وشيعتهم . وانه ليشاركنا في ذلك كل مسلم عاقل حتى أفراد البيت العثماني، ودليلنا مع مشاركة هذا البيت الجليل اغتيال المتغلبة لعميده الشهيد السعيد ولي عهد السلطنة المغفور له المرحوم يوسف عز الدين . واننا نتبرأ منهم ونظهر لهم العداوة والبغضاء، ويشترك معنا فيها كل بر وتقي من مسلمي البلاد العثمانية وسائر البلاد الاسلامية، بسبب ما أتوه من الوبال، وماجروه على دولة الاسلام من الاضمحلال، حتى جعلوها ضحية لاغراضهم وغاياتهم النفسية . نبرأ الى الله منهم ونعلم انها كلمة حق عليها نحيا وعليها نموت . وكيف لا نقول هذا وامامنا من عبر الدهر ما نسرده على اخواننا المسلمين ليعلموه ويعوه

فان جمال باشا المتحكم في الشام واهلها قد أمر سكان ذلك القطر الاسلامي بأن يؤلفوا من مخدرات نسائهم جمعية نسائية، ثم أوعز الى هذه الجمعية أن تأدب له مأدبه في ناديها ، وقد تم ذلك بالفعل وحضرها هو ورجال العسكرية والملكية ومن دعاهم من سائر رجاله واعوانه ، وكان النسوة المسلمات أعضاء هذه الجمعية يباشرن اكرام ضيوفهن. وعند ختام الحفلة شرعن في القاء الخطب والاناشيد بين تلك الجماهير من الرجال كانشرت ذلك صحف سوريا على اختلاف مشاربها مظهرة الاعجاب والفخر ارضاء لجمال باشا . فسبحان الله تعالى الذي يقول في محكم كتابه الكريم (ياأيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين) [1] وقوله تعالى [2] (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن

---

(١) وقع في جريدة القبلة غلط في هذه الآية نصه : أي لا يعرفن فيؤذين، وهو غلط مطبعي يوهم غير العارف ان معناه صحيح وما هو الا ضد المعنى الصحيح . فالمراد من الآية ان إدناء الجلابيب والمبالغة في الستر أقرب الى ان يعرفن أنهن حرائر لا إماء فلا يؤذيهن أهل الريبة . وسبب ذلك أن البغاء في بلاد العرب كان محصوراً في الاماء من عهد الجاهلية ولذلك قالت هند للنبي (ص) عند مبايعة النساء على ترك الشرك والسرقة والزنا : أو تزني الحرة ؟ فكان الفساق من المنافقين والمشركين يعرفون الاماء بتهتكهن فيتعرضون لهن فأمر الله تعالى المؤمنات بالستر ليتميزن به فلا يتعرض لهن الفساق ، ثم بطل البغاء برسوخ الاسلام حتى تركه الاماء أيضا (٢) لعل الاصل وقال تعالى أو : ويقول تعالى .

ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ...) الخ (*)

من هذا يعلم صراحة مراد هؤلاء المتغلبين ومقاصدهم بالشريعة الاسلامية والعادات العربية، وفيه عبرة وذكرى لاخواننا مسلمي البلاد العثمانية وسائر اخواننا في اقطار الدنيا ليتعظوا بذلك ولا يكون سبباً لاسترسال هؤلاء الطغاة في انتهاك حرمات الله والجرأة على مخالفة أوامره لجاه يستفيدونه، أو راتب يستزيدونه، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن كان قد وهبه الله تعالى قوة على تغيير المنكر بيده أو لسانه أو قلبه فليفعل، ومن كان لديه ما يدافع به عن جرأة هؤلاء القوم المتغلبين فليأتنا به فاننا ان شاء الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)[1]

شريف مكة وأميرها

تحريراً في ١١ ذي القعدة الحرام ١٣٣٤

[المنار] ملخص هذا المنشور ان زعماء الاتحاديين عرضوا الدولة للهلاك بالحرب والظلم والبغي والعدوان، وعبثوا بدين الاسلام، وظلموا المسلمين والذميين، وان مسلمي الترك وفي مقدمتهم بيت السلطنة يعلمون ذلك كالعرب ولكنهم غلبوا على أمرهم، وان بقاء البلاد الحجازية خاضعة لهم يضرها و يضر أهلها و يوقعهم في الخطر من حيث لا ينفع الدولة ولا يغني عنها شيئا، وان الواجب في هذا المقام العمل بما أمر به الرسول (ص) في قوله المروي في مسند احمد وصحيح مسلم والسنن الاربع «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه» الخ و بذلك عمل صاحب المنشور هو ومن معه من أهل الحجاز فهم في مقدمة أهل الحل والعقد في الامة ولو لم يكن معه غير اسرته الهاشمية وعصبتهم واتباعهم من العرب لكفى بهم أهل حل وعقد في مهد الاسلام وأفضل بلاد الارض، و يليهم في هذه الصفة سائر الامراء والزعماء في جزيرة العرب، ولم يبق في ديار الاسلام زعماء أحرار غيرهم لان سائر علماء المسلمين وكبرائهم في الاستانة وغيرها تحت قهر سلطة عسكرية تقودها بأيدي ملاحدة الاتحاديين ونصارى الألمان. ولما كان شريف مكة

(*) سقط من جريدة القبلة ما بعد كلمة (إلا) الأولى الى (إلا) الثانية

(١) في جريدة القبلة « وإنا وإياكم » وهو غلط مطبعي طبعا

ومن شايعه من العرب قادرين على النهوض لمقاومة منكرات الاتحاديين قاموا بالواجب الايماني عليهم . وقد صرح في هذا المنشور بأنه اذا ظهر له خطأه في اجتهاده هذا يرجع عنه . وكفى بذلك حجة على جميع المسلمين

تقريظ المطبوعات الجديدة

أهدي الينا في العام الماضي عدة مطبوعات جديدة من الكتب والصحف لم نجد فراغا من الوقت لنظر فيها نظرا يمكننا من إبداء الرأي فيها، وان منها ما يبخس حقه اذا كتب عنه في المجلات العلمية ، ما هو بمعنى الاعلان الذي ينشر في الجرائد السياسية، وقد يعد طول الزمان على السكوت عنها، أشد هضما لها وبخسا لحقها، فلهذا رأينا أن التنويه بها ، بما عليه النظرة المعجلى فيها، ربما كان كالثمد يفضل ناجزه المستمدُ الصديان، على الغمر النسيئ يخاف عليه النسيان ، وهو لا يمنع من إعادة النظر فيها اذا سمح الزمان ، وهذا ما جاد به الزمن الضنين الآن :

﴿ كتاب شرح البيع ﴾

(في القوانين المصرية والفرنسية . وفي الشريعة الاسلامية)

« تأليف محمد حلمي عيسى بك وكيل الادارة القضائية للمحاكم الاهلية بوزارة الحقانية » شرح فيه أحكام عقد البيع في قانوني المحاكم الاهلية والمختلطة المصرية مستمدا من مصادرهما — الشريعة الاسلامية والقانون الفرنسي — سالكا في شرحه مسلك المدقق المستقل بالفهم والرأي . فجاء سفرا كبيرا بلغت صفحاته بضع مئات. وطبعه في العام الماضي (١٣٣٤) في مطبعة المعارف طبعا جيدا على ورق جيد يليق به ، وقد أقبل عليه علماء القانون أي إقبال ، وأحسنت تقريظه الصحف أي إحسان.

ان هذا المصنّف من الكتب التي يرجع الى مثلها الباحثون في فلسفة الشرائع والقوانين، و يعتمدون على نقوله ومباحثه في المقابلة والتنظير بينها وتفضيل بعضها على بعض، ولو أتيح لي ان أوفيه حقه من التقريظ والنقد فيما يعنيني من مباحثه الدقيقة — وهو المقابلة بين الشريعة والقوانين — لكنت قرأت ما أورده من ذلك كله أو الكثير منه، و بينت ما يريني الله من الحق فيما أورده من الاحكام الشرعية التي اعتمد في أكثرها

على بعض كتب الحنفية . وما فاته من الاحكام ، في كتب غيرهم من فقهاء الاسلام. فقد قال في مقدمة الكتاب انه جعل المقارنة بين القانون المصري بقسميه وبين الشريعة على كتاب مرشد الحيران الذي ألفه قدري باشا ومجلة الاحكام العدلية التي أوجبت الدولة العثمانية على محاكمها المدنية الحكم بها . وذكر في أسماء الكتب التي كان يراجعها عند الشرح عدة كتب للحنفية والمالكية، ولم يذكر بينها شيئا من كتب فقه الشافعية والحنابلة ، على أن كتب هذين المذهبين أجمع لدلائل الكتاب والسنة، وكتب الشافعية منها أشد تنقيحا، وكتب الحنابلة أوسع طريقا، فلو أن المؤلف عني بكتب الحنابلة وعلماء الحديث المستقلين كما عني بكتب الحنفية لكان علمه بالشريعة الاسلامية أوسع ، ومقابلته بينها و بين القوانين أصح وأنفع ، ومن أجل هذه الكتب كتاب المغني للشيخ موفق الدين ابن قدامة و (المحلى) للامام ابن حزم و (نيل الاوطار) للامام الشوكاني. ومن أجل الكتب الباحثة في حكم الشريعة (اعلام الموقعين) للعلامة ابن القيم ، وأحسن ما كتب في العقود وأنفعه فيما نعلم هو ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية ونشر في مجموعة الفتاوى التي طبعت له. فلعل المصنف يعنى بالرجوع الى أمثال هذه الكتب اذا نفح الكتاب عند ارادة اعادة طبعه — ان شاء الله تعالى

« تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها »

(مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينهما من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ الى اليوم ، لمؤلفه نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية بمصر ، وصاحب تاريخ السودان) وهو مجلد ضخم تزيد صفحاته على ٧٧٠ طبع بمطبعة المعارف طبعا جميلا، وأجمعت الصحف على حسن تقريظه والثناء عليه ، وما وفاه أحد منهم حقه ، ولا شرح للناس حقيقته وكنهه ، وقد كان اسم الكتاب حجابا يخفي ما وراءه من الحقائق التاريخية والاجتماعية والسياسية والعلمية ، المتعلق أكثرها بالعرب والبلاد العربية ، من شؤونها الغابرة ، وحالتها الحاضرة ، — ولا يزال هذا الحجاب مسدولا على تلك

المخدرات، ماأماطته الصحف عن ذلك الوجه ، ولا أظهرت كل ماوراءه من الجمال والحسن ، على ان كشف الحجاب عن أبكار المعاني ، ككشفه عن ابكار المغاني ، كل منهما يباح للخاطبين ، كما يباح للمحارم من الاهل والاقربين ، وما أكثر من يبيحه للناس أجمعين، فما بال ابكار مؤرخنا العربي لاتزال محجوبة عن خطابها المتعددين، وذوي قرباها الكثيرين، بذلك الاسم الذي لا يدل الاعلى جزء من مسماه، كما حجب استعداد أمتنا العربية بالاستبداد الذي يغشاه، وحجب ما في وطننا العربي من الآثار والمعادن بجهل الحاكم الذي يتولاه ؟

ألا أيها الخطاب ، لتلك الا بكار العُرُب الاتراب ، لقد نصب الله لكم من يرفع عن محاسن وجوههن الحجاب ، وان كان يخفض من أفكار من في مصر من دعاة السفور ، الذي يجزم بانه مزيد في التهتك والفجور ، ولكنه قبل رفعه، يبين لكم سبب وضعه ، فيقول :

إن المؤلف لما أتيح له الوقوف على تلك الحقائق التي يجهلها الا كثرون من تاريخ سيناء عز عليه أن تبقى مجهولة، كما هو شأن محبي العلم الذين يتعبون في تحصيله وتمحيصه، فعمد الى تقييد أوابدها ، وقنص شواردها ، بعد أن قتل مسائلها بالبحث والتدقيق تقتيلا ، وفصل القول فيها تفصيلا ، فجاء تاريخا مطولا لهذه البقعة الغامرة ، لم يوضع مثله لأعظم أقطارنا العامرة ، فكان مظنة الانتقاد بأنه اشتغال بالكمالي من جزئيات تاريخ بلاد أمتنا العربية ، قبل الوصول الى ما يفي بالحاجة من مباحثه الكلية ، وكان مؤرخنا اللوذعي لمح بلحظ الغيب ذلك الانتقاد يجول في مطاوي الافكار ، بعد ان تمثل بين يديه تاريخ سيناء سفرا من أكبر الاسفار ، فاراد أن ينظم تلك المباحث الكمالية في سلك الضروريات ؟ فوضع للكتاب خاتمة كانت كالمقصد من الوسيلة أو كالنتيجة بعد المقدمات

ذلك بأنه لما كانت سيناء معقد الاتصال والارتباط بين أعظم الاقطار العربية، أعني جزيرة العرب ومصر وسورية، جعل خاتمة التاريخ التفصيلي لها، خلاصة تاريخ الاقطار التي تحيط بها ، ولما كانت فائدة التاريخ هي العظة الا عتبار ، وكان الفراغ من هذا الكتاب في إبان هذه الحرب التي خاضت غمراتها الدول السائدة على تلك

الاقطار، والتي يتبدل بها مايتبدل من احوال الامم والاطوار، — ذكر قومه الاقربين سوريين ومصريين ، ومن وراءهم من العرب أجمعين، بان أصل أروماتهم واحد وهو الجنس العربي الكريم ، والاصل الذي ينتمي اليه أنبياؤهم المرسلون في مللهم ونسبهم واحد وهو خليل الله ابراهيم، وبأن لغتهم واحدة وهي العربية ، وكذلك عاداتهم ومصالحهم الاجتماعية والاقتصادية . وهل يعذر أحد على الرضاء بالخلاف والفرقة، بعد تجارب هذه الجواذب والدواعي الى الوفاق والوحدة ؟ كلا، لاعذر الا الجهل أو عصبية الجاهلية ، وهاك شذرات منه في بيان هذه الحقيقة وحججها الجلية،

قال المصنف في تمهيد خاتمته الحسنى :

١ — « ان الباحث في تاريخ مصر والشام والعراق كلما تعمق في البحث وجد أن معظم سكان هذه البلاد كانوا في كل عصور التاريخ — كما هم في هذا العصر — عربا أو من أصل عربي [1] ، وكان لغتهم العربية أو اختا لها [2] وعليه فاول الصلات التي تربط هذه البلاد بعضها ببعض وأهمها هي الصلة الجنسية العربية» ثم إنه جاء بزبدة تاريخ هذه البلاد ايضاحا لهذه الحقيقة وقد بدأ بخلاصة تاريخ العرب

مهد العرب

٢ — ذكر في بيان مهد العرب ان أوجه الآراء في مهد الجنس السامي اثنان (أحدهما) رأي مفسري التوراة وهو انه جزيرة العراق. (ثانيهما) رأي بعض علماء التاريخ واللغات والعاديات [3] — وفي مقدمتهم العلامة روبرتسن سمث الانكليزي — وهو ان مهده جزيرة العرب (قال) « ومنها تفرق في الشرق قبل التاريخ كما تفرق العرب المسلمون في صدر الاسلام، ولهم على ذلك أدلة لغوية اجتماعية، ومن أدلتهم اللغوية ان اللغة العربية هي أقرب أخواتها — الكلدانية والسريانية أو الارامية والعبرانية والحبشية — الى اللغة السامية الاصلية، وان في الارامية والعبرانية آثار الحياة البدوية العربية

« ومهما يكن من أمر ذلك المهد فاننا نرى العرب قد أسسوا في جزيرتهم عدة

---

(١) ان الذين لم يسموا عربا كدول الفراعنة والفينيقيين كانوا اوكانت دول الحضارة منهم من أصل عربي (٢) ان السريانية والعبرانية تعدان اختين للعربية لان أصلهما واحد سامي مهده الاول جزيرة العرب (٣) هي آثار الامم القديمة نسبة الى عاد الاولى العربية ثم صارت عامة

ممالك اشتهرت قديما وحديثا، وخرجوا من جزيرتهم للفتوحات غربا الى سيناء ومصر وافريقية الشمالية، وشرقا الى العراق وتركستان، وشمالا الى سورية وآسية الصغرى، فأسسوا فيها عدة ممالك قبل الاسلام و بعده . فكان مهد العرب ومسرحهم منذ القديم من المحيط الاتلانتيكي شرقا وغربا ومن أعالي الفرات ودجلة والبحر المتوسط الى أقاصي السودان شمالا وجنوبا »

العرب البائدة في العراق ومصر وسورية

٣ — ذكر من تاريخ العرب البائدة انهم كانوا يسكنون ما بين العراق والعقبة، وينقلون التجارة ما بين بابل ومصر. ثم قال: «وما زالوا حتى ظهر منهم في القرن الثالث والعشرين (قبل المسيح) ملك اسمه [حمورابي] فأسس مملكة قوية عرفت « بدولة حمورابي» بلغت اسمى ماوصلت اليه دولة في العهد القديم من الرقي الادبي والمادي . واشتهرت على الخصوص بسن الشرائع والقوانين و بناء الهياكل والقصور، واستمرت حاكمة الى أواخر القرن الـ ٢١ قبل المسيح »

« وذكر مؤرخو العرب ان العمالقة هم الرعاة (الهكسوس) الذين ملكوا مصر في مدة الدول الخامسة عشرة الى السابعة عشرة . ويظن الآن ان سكان مصر وايثوبيا الاولين الذين سكنوا النيل قبل التاريخ هم عرب هاجروا اليه من جزيرة العرب عن طريق سينا أو بوغاز باب المندب كما سيجيء

« هذا وسنرى في تاريخ سورية أن معظم سكانها الاولين هاجروا اليها من جزيرة العرب وأسسوا فيها دولا شتى »

ثم ذكر خلاصة مفيدة من تاريخ العرب المتعربة والمستعربة من القحطانيين والعدنانيين واستطرد الى ذكر خلاصة تاريخ ظهور الاسلام وامتداد دعوته وفتوحه ودوله من العرب وغيرهم ختمها بالدولة العثمانية ، وما انتهت اليه حالها في عهد طغاة الاتحاديين من اضطهاد العرب والعربية ، وتقحمهم بالدولة أخطار هذه الحرب الاوربية ، وحكم عليهم بأنهم أضاعوا بذلك ملكهم مهما تكن عاقبة هذه الحرب

مستقبل جزيرة العرب

٤ — وقال في شأن مستقبل جزيرة العرب بعد الحرب ما نصه (ص ٦٦١)

« وأما جزيرة العرب فالطبيعة ورجالها تحميها ، وقد أعلن الحلفاء استقلالها تحت يد أمرائها ، وأصدر (الجنرال السرجون مكسويل) القائد العام البريطاني بمصر منشورا وجهه الى « العرب الكرام » بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٤ جاء فيه ما نصه :

« [ان جلالة الملك جورج الخامس ملك الانكليز قد أعلن أنه لا يتخذ إجراءات حربية برية أو بحرية في بلاد العرب أو في موانيها ما لم تمس الحاجة الى ذلك قصد حماية مصالح العرب من اعتداء الترك وغيرهم أو إنجاد من ينهض من العرب للخلاص من ربقة الترك] »

وبعد وصف جزيرة العرب وبيان حالها وسكانها في هذا العصر عقد فصلا ثانيا لخلاصة تاريخ سورية (ص ٦٧٥)

٥ — بين المؤرخ ان شعوب سورية القديمة هم الاراميون والكنعانيون والحثيون والعبرانيون والفلسطينيون والفينيقيون (قال) « وكلهم هاجروا اليها من جزيرة العرب أو العراق الا الفلسطينيين » أي والذين هاجروا اليها من العراق كانوا من جزيرة العرب فهاجروا الى العراق قبل الهجرة الى سورية . و « أو » في كلامه لمنع الخلو لا لمنع الجمع فالتحقيق ان من عرب الجزيرة من هاجروا الى سورية توا ومنهم من هاجر الى العراق توا ثم هاجر بعضهم الى سورية وبعضهم الى مصر

وبعد ان قال في كل شعب من هؤلاء الشعوب قولا وجيزا مفيدا وشكا من عدم اجتماع كلمة السوريين في كل عصر من العصور ومن ضعفهم بانقسامهم واختلاف أغراضهم وأديانهم . وذكر ان عددهم الآن ثلاثة ملايين

٦ — ثم ذكر خلاصة تاريخ العراق وذكر ممالكه القديمة والحديثة من الكلدانيين الى العثمانيين وذكر أن عدد سكانه يقدر الآن بثلاثة ملايين ايضا نصفهم بدو ونصفهم حضر وكلهم عرب الا قليل من الاكراد . (*)

(*) استطرد المؤرخ هنا الى مالم يستطرد الى مثله في سورية من ذكر البيوتات فبدأ بذكر الفاروقيين وقال انهم يسكنون الموصل وفاته أن منهم فرعا في بغداد أيضا . وثنى بذكر السادة العلويين وقال انهم يسكنون الموصل وبغداد والبصرة . وثلث بذكر السويديين من سلالة الخلفاء العباسيين قال وكلهم في بغداد . ثم ذكر الجيلانية والآلوسية في بغداد . وفاته أن هذين البيتين من بيوت السادة العلوية أيضا ، =

٧ — ثم انتقل المصنف الى خلاصة تاريخ مصر فبدأه بقوله :

[« كان المشهور الذي عليه الجمهور ان سكان مصر القدماء هم أبناء مصرايم ابن حام بن نوح — هاجر اليها من آسية . ولكن بعض المتضلعين من اللغة الهيروغليفية اكتشفوا حديثا أن هذه اللغة واللغة العربية السامية هما من أصل واحد كما مرّ . فاذا ثبت هذا كان سكان مصر الاولون أجداد القبط الحاليين هم من أصل عربي قديم « وكان هذا هو الفتح العربي الاول لمصر »] اهـ

ثم تكلم على دولة الرعاة الذين سماهم اليونان (هكسوس) أي الملوك الرعاة وهي كلمة محرفة عن كلمتي (حق شاسو)[١] في لغة قدماء المصريين ومعناها «ملك البوادي » وسماهم مؤرخو العرب العمالقة كما تقدم آنفا ، وذكر خلاف المؤرخين فيهم وقول ياقوت« إن العمالقة امتدوا من بلاد العرب الى سورية فكانوا ملوكا في سورية وفراعنة في مصر » ثم قال

[وخلاصة القول انهم قوم رحلة أو عرب أتوا من المشرق « فاذا ثبت ذلك كان هذا هو الفتح العربي الثاني لمصر » والظاهر انهم كانوا من جنس عرب سورية لان في أيامهم عم السلام بين مصر وسورية ، ونزح كثير من السوريين الى مصر]اهـ

٨ — ثم ختم المصنف خاتمة الكتاب بالكلام على مهاجري قومه السوريين

= وكان ينبغي أن يبدأ بذكر السادة العلوية ويقولون انهم يوجدون في جميع الولايات العراقية كما يوجدون في جميع الولايات السورية وغيرها وان اشهر بيوتهم في العراق بيت النقيب و بيت الالوسي في بغداد و بيت النقيب في البصرة. وقد ذكر من آل الآلوسي السيد محمود شكري وقال انه مروج مذهب السلف (الوهابية) في العراق وذكر الوهابية هنا غلط مبني على أغلاطه أخرى عند ذكر هؤلاء في الكلام على نجد فانه جعل الحنابلة غير الوهابية ونسب الى الوهابية ما لا يقوله أحد ممن يطلق عليهم هذا اللقب . ولا عجب فقد اغتر كثير من الناس بما كتبه دحلان وغيره عن هؤلاء الناس ، وما ذلك الا من فتن السياسة أعاذنا الله من إفكها وتضليلها .

(١) يحتمل أن يكون كلمة شاسوا من مادة شاس يشوس فهو اشوس وهم أشاوس . والاشوس يطلق على المتكبر وأصله من يصغر عينيه وينظر بمؤخرها أو من ينظر الى الشيء نظر احتقار — وعلى الشجاع والطويل القامة ، وكذلك كانت العمالقة وربما كانت كلمة حق بمعنى ملك بكسر الميم كما يستعملها أهل الحجاز الآن

بمصر فأشار الى اليهود والمسلمين منهم اشارة وجيزة في صفحة واحدة لقلة عددهم وتوسع في ذكر النصارى — قال — (وهم من نعني بالعنصر السوري عند التخصيص) أي عند الاطلاق، فذكر قدماءهم ومتأخريهم وقدر عددهم بسبعين ألف نسمة وثروتهم بخمسة وعشرين مليونا ، وذكر أنديتهم وجمعياتهم الخيرية وصحفهم الحية والميتة . ورؤساءهم الروحيين وبيوت الثروة فيهم ومحال التجارة الواسعة لهم ومكتباتهم ورجال الجيش والقضاء والكتاب وكبار الموظفين منهم وأصحاب الفنون

مستقبل سورية بعد الحرب

وقفى على ذلك بالكلام على مستقبل سورية بعد الحرب فقال ان السوريين على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم السياسية يتفق كلهم أو جلهم على أربعة أمور (١) السخط على الاتحاديين سرا وجهرا لدخولهم في الحرب الحاضرة (٢) الميل الصادق الى الحلفاء في هذه الحرب (٣) إنشاء حكومة جديدة على مبادئ اللامركزية الشوروية تضمن لهم الامن والراحة والنجاح في بلادهم مع المحافظة على لغتهم وتقاليدهم وعاداتهم ووحدتهم القومية (٤) شعورهم بالحاجة الى دولة من دول الحلفاء العظام يستعينون بها على تنظيم حكومتهم الجديدة . ولكنهم يختلفون في كيفية إنشاء الحكومة وتنظيمها ، ثم في نوع المساعدة التي يتطلبونها ومقدارها

قال « نعم ان هناك فئة لا يهمهم الاحتفاظ بقوميتهم ما دامت البلاد ممتعة بأسباب الامن والراحة والرقي . ولكن هؤلاء هم فئة قليلة جدا ، والسواد الاعظم من أهالي سورية من مسلمين ونصارى ويهود متمسكون بقوميتهم ولغتهم وعاداتهم كل التمسك . وأهل الخبرة منهم يقولون انه لا يكون للسوريين كلمة نافذة ولا مكانة سياسية ولا شأن ولا مقام ولا راحة ولا سلام في بلادهم أو خارج بلادهم الا اذا احتفظوا بقوميتهم ، واتحدوا في الرأي على اختلاف المذاهب والاديان

« واهم الاسباب التي تدعو الى اتحادهم ثلاثة — ١ — أن يتخذوا أساس المعاملة المصلحة العامة الوطنية ليس الا — ٢ — ان يتذكروا انهم كلهم من أصل واحد عربي أو سامي ، وانهم كانوا عربا أو ساميين ، قبل ان كانوا يهودا ونصارى ومسلمين ، — ٣ — أن يحافظوا على لغتهم العربية لانها لغة راقية ، ولانه لا شيء

يقرب العناصر المتنافرة ، مثل الاجماع على لغة واحدة »

وتكلم بعد ذلك في مسألة تجنس السوري بالجنسية المصرية فبين المرغبات فيها وأضدادها ،وأهمها انهواء مصر شديد الوطأة على المهاجرين الى مصر من البلاد المعتدلة كسورية فهو لا يزال يضعفهم الى ان ينقرضوا ، والنصارى منهم وان كثروا يبقون عنصرا ضعيفا منفردا بسبب الفارق بينهم وبين العنصر الاكبر — وهم المسلمون — في الدين وعدم الاختلاط بالزواج .

ثم نصح للسوريين بعشر نصائح ، قال انها منتهى ما بلغ اليه اختباره بعد ان جاوز الخمسين ، وقضى في مصر منها أكثر من ثلاثين ، وهي

(١) ان لا ينتسبوا الى الاصول السائدة في مهاجرهم مستحيين بأصلهم السوري وهم احفاد الحثيين والفينيقيين السابقين الى الاختراع والاكتشاف «وأنصار ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد الذين كانوا أول من نادى بوحدانية الله وهذب الاخلاق وشاد الاديان التي تسود العالم الآن » ٢— قوله « ليكن ارتباطكم بوطنكم لاصلي حيا ماامكن لتبديل الهواء أوتجديد الدم بالزواج » وأدرج في هذه الحث على الزواج الباكر والرياضة البدنية — ٣ — قوله «انتم في مصر عنصر ضعيف فاستعينوا على ضعفكم بقوات ثلاث :العلم الشريف والمال الحلال والخلق الحسن ، واحذروا آفات ثلاثا : المسكر والمنكر والقمار» — ٤ — الحث على الحرف الراقية من علمية وادبية وزراعية وصناعية وخاصة التجارة مع النهي عن الربا — ٥ — الترغيب عن خدمة الحكومة وقال في الموظفين منهم : ربما كان مجموع ثروتهم في القطر المصري كله لا يساوي ثروة تاجر أومزارع واحد من تجارهم أومزارعيهم الكبار» — ٧ — تكريم نوابغهم وإجلال أفاضلهم وتقويم المعوج منهم تحقيقا للتضامن الذي يجعلهم كانهم أسرة واحدة ٨— التعاون على المنافع والمصالح العامة كانشاء المعابد والمدارس والمستشفيات،وعدم تكريم الغني الذي يقصر في ذلك — ٩— قوله «لاتدعوا الاختلافات المذهبية التي أورثتكم الشقاق والشقاء في بلادكم ترافقكم الى دار هجرتكم فتكدر صفاءكم وتحرمكم لذة التمتع بالالفة الجنسية» وذكر من وسيلة ذلك كثرة الاندية وارتباط بعضها ببعض — ١٠ — طاعة السلطان وقانون البلاد والعمل لنفع الامة المصرية والحرص على كرامتها . وختم الكلام أو

الكتاب بأبيات في الجمع بين حب مصر والشام وجعل قلبه شطرين بينهما وتمني تعانقهما عناق الاخاء الى المنتهى

﴿ جريدة القبلة ﴾

« جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع ، لخدمة الاسلام والعرب » مديرها المسؤل محب الدين الخطيب

أنشئت هذه الجريدة بمكة المكرمة في شهر شوال سنة ١٣٣٤ ، ومحب الدين الخطيب المدير المسؤل لها هو صديقنا المشهور في عالم الصحافة باشتغاله عدة سنين بالتحرير والترجمة في جريدة المؤيد بمصر ، ومن المحررين لها صديقنا فؤاد الخطيب الشاعر الاديب المشهور الذي كان استاذ اللغة والآداب العربية في مدرسة غردون الكلية في السودان

وانا نرى ان أنفع ما ينشره محب الدين فيها بعد منشورات سيدنا الشريف الحكيمة هو ما يترجمه عن الكتب والصحف التركية مما يبثه في الشعب التركي كتابه من الثابتة الجديدة المتفرنجة (حزب تركية الفتاة) الذين تعتمد عليهم جمعية الاتحاد والترقي في تحويل الترك عن الاسلام بالتشكيك في عقائده وشريعته ، والتشويه لآدابه وفضائله ، والمحو لصبغته من القلوب واستبدال صبغة جنسية تورانية بها ، وسنقتبس بعض ما نشرته من ذلك

قيمة الاشتراك في هذه الجريدة المفيدة ريال مجيدي ونصف في الحجاز وعشرة فرنكات في سائر الاقطار ، وهي قيمة قليلة لعلها لا تفي بنفقات الجريدة ، الا اذا كثر المشتركون فيها فصار ألوفا كثيرة ، لان الورق والحبر قد تضاعفت أثمانهما في هذه السنين كما تضاعفت أثمان أكثر ما تصدره أوربة من مصنوعاتها ، بعد ان شغلتها الحرب بأوزارها عن كل ما عداها

ونحن نحث الشعب العربي والعارفين باللغة العربية من كل من يصلي الى القبلة من سائر الشعوب على الاشتراك في هذه الجريدة وشد أزرها ، ونحث أرباب الاقلام منهم على مواصلتها بجود به قرائحهم من المقالات والاخبار والآراء المفيدة للجامعة العربية أو للامة الاسلامية ، ونحمد الله تعالى أنه لا تنافي بين المصلحتين الاسلامية والعربية كما بينا ذلك في مقال في كنه المسألة العربية ضاقت عنه أجزاء المنار الماضية وهذا

الجزء أيضا، وسينشر عند أول فرصة ان شاء الله تعالى؛ وأما العصبية التركية الطورانية التي قام بها الاتحاديون ووقفوا مال الدولة ونفوذها على تأييدها فهي تنافي الاسلام وتعارضه وذلك بديهي في نفسه وسنعيد ما نشرناه في تأييده بما يزيده إيضاحا وظهورا

وقد كان الواجب على المنار ان يبادر الى تقريظ هذه الجريدة في أول جزء صدر منه عقب ظهورها خلافا لعادته في إرجاء تقريظ المطبوعات ، ولكن لكل أجل كتاب ، وإنما صرحنا بهذا ليعلم قراء المنار في الاقطار أن تأخيرنا لتقريظها لم يكن لقلة العناية بشأنها ، اذ نبهنا الى ذلك ما كتبه الينا بعضهم في السؤال عنها حتى من بعض مهاجري السوريين في أمريكة

(مجلة الاحكام الشرعية)

مجلة قضائية شرعية مشهورة ومنشئها حسن بك حماده المحامي الشرعي مشهور أيضا فلا حاجة الى التعريف بهما ، وقد كانت المجلة حجبت عن قرائها في أثناء سنتها التاسعة بسبب تعيين منشئها مفتشا بنظارة الاوقاف في الآستانة ثم انه أعاد اصدارها في العام الماضي فأتم مجلد السنة العاشرة واستمر على اصدارها وقد صدر العدد الاول من مجلد السنة الحادية عشرة في منتصف المحرم مشتملا على مقدمة مختصرة وتسع قرارات شرعية وحكمين وثلاث قرارات للمجلس الحسبي العالي وسبع منشورات من وزارة الحقانية

وقد صارت المجلة وافية بحاجة المحامين الشرعيين وأصحاب القضايا والمباحث القضائية الشرعية بما تستوعبه من نشر الاحكام الشرعية ومنشورات الحقانية للمحاكم الشرعية وقرارات المجالس الحسبية ولذلك كثر الاقبال عليها من جميع جهات القطر فنهنئ صديقنا منشئها ونتمنى له دوام التوفيق والارتقاء

(الثمرات)

جريدة أسبوعية أدبية انتقادية لمنشئها حسن أفندي السندوبي المشهور في عالم الادب بمقالاته في المؤيد وبكتابه (أعيان البيان) أصدرها في العام المنصرم ولم يمض في سيره لاسباب ذكرها ، وقد أعاد اصدارها في هذا العام فنرجو لها الرواج . وقيمة اشتراكها ١٠٠ قرش في القطر المصري

﴿ رحلة الحجاز ﴾

ضاق هذا الجزء عن نشر شيء من رحلتنا الحجازية وموعدنا الاجزاء الآتية

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

﴿قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق﴾

مصر ٢٩ صفر ١٣٣٥ — ٤ الجدي (ش ١) ١٢٩٥ هـ ش ٢٥ دسمبر ١٩١٦

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او بعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ هل البسملة آية من كل سورة أم لا ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء في العلاقمة (شرقية)

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية الله مباركة طيبة وسلامه عليكم . وبعد فلما دلني فضلكم وهداني الاطلاع على ما خط يراعكم الى ساحة علمكم الذي يغترف منه القاصي والداني سجال العلوم والمعارف فيروى به الظمآى ويسترشد به المسترشدون — تلك مجلة المنار الغراء التي تتفجر ينابيع الحكمة من بين سطورها — بعثت اليكم رسالتي هذه أستفتيكم في مسألة متعلقة بالبسملة طال بين الائمة النزاع والمجادلة فيها ، وتلك المسألة هي هل « بسم الله الرحمن الرحيم » آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا ؟ اختلفوا فيها فذهب كل فريق الى شق من شقي ذلك الاستفهام ونصب على ما يدعيه الدلائل، غير أنه بالاطلاع على شواهد كل يعلم أنها لا تنتج مدعاه ، فلقد تركوا الامر مريجا وظل كل يعول على ترجيح مذهبه كائنا ما كان ، غير مبال بسرد الاحاديث المتعارضة ، ونقل الآثار المتناقضة، صحيحة كانت أم ضعيفة . قالوا انعقد الاجماع على أن البسملة آية من القرآن ، ويروى ضمن أدلة فريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما « من ترك البسملة فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله عز وجل » مع تصريحهم بأنه لا خلاف في أن البسملة ليست آية من (براءة) حتى لقد نقلوا الاجماع على ذلك ، فبين ما روي عن ابن عباس وبين ذلك التصريح التناقض الظاهر ، إذ مقتضى قوله

مائة وأربع عشرة آية أنها آية حتى من (براءة) وفي الادلة من ذلك التناقض كثير لهذا لم يهتد طالب الحق اليه فبعثت اليكم عسى أن توافوني ببيان شاف وقول فصل تطمئن اليه النفس، كما هو المعهود فيكم لمثل هذا الموقف ، أمدكم الله بسديد الرأي ، وأعانكم على ما يرفع الاسلام وينفع المسلمين ويعز الحق، إنه هو العزيز الحكيم ؟

احمد عطاية قوره

(ج) في المسألة أدلة قطعية وأدلة ظنية ، والقاعدة في تعارض القطعي مع الظني أن يرجح القطعي اذا تعذر الجمع بينه و بين الظني، ولولا التعصب للمذاهب من قوم وللاسانيد من آخرين لأجمع المحدثون والفقهاء والمتكلمون على أن البسملة آية من كل سورة غير براءة (التوبة) كما أجمع الصحابة على كتابتها في المصاحف وكما أجمع القراء السبعة المتواترة قراءاتهم على قراءتها واقرائها عند البدء في كل سورة غير براءة — فهذان دليلان قطعيان أحدهما خطي متواتر والآخر قولي متواتر يؤيدهما كثير من أحاديث الاثبات الصحيحة، فوجب ارجاع ما ورد من أدلة النفي الظنية الى الاثبات والا فلا يعتد بها، وان صح سندها . ومنها ترك بعض القراء السبعة لتلاوتها في السورة التي توصل بما قبلها . أما دعوى انها كتبت في المصاحف للفصل بين السور فلو كانت صحيحة لكتبوها بين سورتي الانفال و براءة (التوبة) أيضا . ومن المعلوم بالقطع ان الصحابة ومن أهتدى بهديهم لم يكتبوا في المصاحف شيئا غير كلام الله تعالى . وأما حديث ابن عباس كان رسول الله (ص) لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم رواه أبو داود والحاكم وصححه على شرط الصحيحين والبزار بسندين رجال أحدهما رجال الصحيح — فهو حجة على ان البسملة كانت تنزل مع كل سورة، لا انها آية كتبت للفصل بين السور بالاجتهاد ، وقد توفي صلى الله عليه وسلم ولم يامر بكتابتها في أول سورة براءة ، وعللوا ذلك بنزولها بنقض عهود المشركين و بالسيف .

وأما أحاديث الاثبات (فمنها) حديث «نزلت علي آنفا سورة — فقرأ — بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر» الخ رواه مسلم والنسائي عن أنس . (ومنها): سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله (ص) فقال كانت مدا . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم — يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم . رواه البخاري، وفي معناه حديث أم سلمة عند أحمد وأبي داود والدارقطني وقد قرأت الفاتحة كلها بالبسملة. (ومنها) عدة أحاديث لأبي هريرة — قال نعيم المجمر: صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن — الحديث وفيه — ويقول اذا سلم: والذي نفسي بيده اني لأشبهكم صلاة برسول الله (ص) رواه النسائي وصححه ابن خزيمة

وابن حبان والحاكم وقال على شرط البخاري ومسلم، وقال البيهقي صحيح الاسناد وله شواهد (ومنها) قوله عن النبي (ص) كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات، ولكن اختلف غيره في عبد الله بن عبد الله الاصبحي من رجاله. ومن الآثار في المسألة أن عليا كرم الله وجهه سئل عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين. أي سورة الحمد لله الخ. فقيل له: انما هي ست، فقال بسم الله الرحمن الرحيم. رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات. ومنها انكار الصحابة على معاوية ترك الجهر بها رواه الشافعي عن انس والحاكم في المستدرك وقال على شرط مسلم قال: صلى معاوية بالناس بالمدينة صلاة جهر فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر في الخفض والرفع فلما فرغ ناداه المهاجرون والانصار: يامعاوية نقصت الصلاة، أين بسم الله الرحمن الرحيم واين التكبير اذا خفضت ورفعت؟ فكان اذا صلى بهم بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكبر. ولعل المراد الجهر بذلك والا لأعاد الصلاة اذ لا يعذر مثله بجهل كون البسملة منها. ويحتمل ان يكون أعادها وان لم يذكر في هذه الرواية.

واما احاديث النفي فاقواها حديث أنس: صليت مع النبي (ص) وابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والشيخان واصحاب السنن وله ألفاظ اخرى، ومنها: فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والنسائي باسناد على شرط الصحيح وابن حبان والدارقطني. وفي رواية اخرى نفي السماع لا القراءة. وفي لفظ لابن خزيمة: كانوا يسرون الخ وقد اعل المثبتون حديث انس هذا بالاضطراب في متنه، وبما روي من اثبات الجهر بها عنه وعن غيره. وقال بعضهم انه كان نسي هذه المسالة فلم يجزم بها. قال ابو سلمة سالت انسا أكان رسول الله (ص) يستفتح بالحمد لله رب العالمين او ببسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال انك سالتني عن شيء ما احفظه وما سالني عنه احد قبلك. الحديث رواه الدارقطني وقال هذا اسناد صحيح

ومن أدلة النفي ما صح في الحديث القدسي من قسمة الصلاة بين العبد والرب نصفين وفسرها (ص) بقوله «فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله عز وجل حمدني عبدي» الخ الحديث رواه مسلم وأصحاب السنن الاربعة. والاستدلال بترك ذكر البسملة فيه على عدم كونها من الفاتحة ضعيف ولو صح لصح أن يستدل به على كون سائر الاذكار والاعمال ليست من الصلاة

والقول الجامع ان النبي (ص) كان يجهر بالبسملة تارة ويسر بها تارة. وقال ابن القيم ان الاسرار كان أكثر. وذهب القرطبي في الجمع بين الأحاديث الى ان سبب الاسرار بها قول المشركين الذين كانوا يسمعون القرآن منه: محمد يذكر إله اليمامة. يعنون مسيلمة الكذاب لانه سمي الرحمن أو أطلقوا عليه لفظ رحمن بالتنكير كقول مادحه * وأنت غيث الورى لازالت رحمانا * وكانوا يشاغبون النبي (ص) بانكار تسمية الله عز وجل بالرحمن كما

علم من سورة الفرقان وغيرها، فأمر (ص) بأن يخافت بالبسملة. قال الحكيم الترمذي فبقي الى يومنا هذا على ذكر الرسم وان زالت العلة. روى ذلك الطبراني في الكبير والأوسط، وذكره النيسابوري في التيسير من رواية ابن جبير عن ابن عباس، وقال في مجمع الزوائد ان رجاله موثقون

وصفوة القول ان أحاديث الاثبات أقوى دلالة من أحاديث النفي، وأولى بالتقديم عند التعارض واذا فرضنا أنها تعادلت وتساقطت أو رجح المنفي على المثبت خلافا للقاعدة جاء بعد ذلك إثباتها في المصحف الامام في أول الفاتحة وأول كل سورة ماعدا براءة (التوبة) وهو قطعي ينهزم امامه كل ما خالفه من الظنيات وقد أجمع الصحابة على ان كل ما في المصحف فهو كلام الله تعالى اثبت كما نزل سواء قرئت الفاتحة في الصلاة بالبسملة جهرا أو سرا أم لم تقرأ، ولا عبرة بخلاف أحد بعد ذلك ولا برواية احد يزعم مخالفة أحد منهم لذلك. ولا حاجة مع هذا الى تتبع جميع ما ورد من الروايات الضعيفة والآثار والآراء الخلافية، ومن ذلك اثر ابن عباس المذكور في السؤال. ولولا التطويل الممل بغير طائل لأوردنا كل ما ورد في المسألة رواية ودراية.

﴿ تصحيح وتنقيح في مجلد هذا العام ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠١	٣	وكيلا	وليا
»	»	تأومرّني	تأمروني
٢٠٢	٢	ففتقدها	ففتقناها
»	١٨	الرسل	الرسول
٢٠٥	٥	كان ماضره	كان ضره
٢٠٧	١٤	تدعو	تدعوا
٢٠٨	١٢	على	عليه
»	١٣	بكل وصف	بكل ماوصف
٢٠٩	٢١	يا آبانا	يا أبانا
٢٣٦	٢٣	الصفة للموصوف	الموصوف للصفة
٢٣٦	٢٥	في طريقة	في اطراده وطريقة
٣٣٧	٤	تعقلون	يعقلون
٣٣٨	١٨	(وهو	(وهي
٣٤١	٢٤	أحدا	أحد
٣٤٤	٧	أن	أنه
»	١١	مأخذ	مأخذه
٢٤٦	١٦	يقيمون	يقومون
٢٤٧	١٦	هو	ضعف
٢٤٨	١٣	صوت الامة	صوت الحق الذي كان له السلطان
»	١٤	التي	

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٣٩	٧	ثالثة	ثانية
٢٥٢	٢٢	ومطيعا	مطيعا
»	٢٤	الناطفة	الناطقة
٢٥٣	٢٢	الضعية	الضعيفة
»	١٣	يدعوا	يدعو
٢٥٤	٢٣	عملية	علمية
٣٨٩	٧	الى الكذب	الى رواية الكذب
٣٩٢	٢	ان كانت	اذلم تكن
»	»	آية	أول ما نزل
»	»	والا	
»	٤	فهي	أو هي
»	٦	قد	وقد
»	٢٢	لاذى	لآذى
٣٩٩	١٣	المؤمنون	المؤمنين
»	١٤	عن	بذلك عن

ذكرى المولد النبوي

كتبنا رسالة في ذكرى المولد النبوي الشريف بينا فيها كيفية نشأة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ومعنى اصطفاء الله تعالى له ولاهل بيته ولقومه ولأمته، وحكمة ظهوره في العرب الاميين دون شعوب المدنية في عهده،وخبر البعثة والدعوة الاسلامية. وسنجعل لهامقدمة نبين فيها ما ينبغي بيانه نطبعها معها على حدة — وهذا نص الذكرى —:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم حمد الشاكرين ، أن بعثت فينا محمدًا خاتم النبيين والمرسلين ، وأرسلته رحمة عامة للعالمين ، واختصصت بعثته به الأميين وسائر المؤمنين ، واستجبت به دعوة إبراهيم ، وحققت به بشارة عيسى والنبيين (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)

نحمدُك اللّهمّ ونصلّي ونسلمُ على هذا النبيّ الامين، وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا الدين، ومَنْ تبعهمْ في هداهم وَهَدْيِهم الى يوم الدين

*

أما بَعدُ فإنَّ الاحتفالَ بذكرى المولدِ النّبويّ في شهرِ ربيعٍ الاول، عادةٌ أحدثها في القرن السابع الملكُ المُظفرُ أبو سعيد صاحبُ إربل، من البلاد التابعة الآنَ لولاية الموصل، ثم انتشرتْ هذه العادةُ في الأقطار، وقد بذَّتْ مِصرُ بها جميعَ الامصار، والفائدةُ التي ينبغي أنْ تُتوخى (١) في هذا اليومِ الذي فضَلَ الأيام، هي التذكيرُ بخُلاصةِ تاريخ النبيّ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام، ليتذكرَ المؤمنون مِنّة الله عليهمْ ببعثته، وتتغذّى أرواحُهم بزيادة الإيمان وكمال محبتهِ، ويَحرِصوا على إقامة دينهِ وإحياء سُنّته. وها نحنُ أولاء نُشنِّفُ الاسماعَ بفرائدَ مِنْ نسبهِ وحَسبهِ (٢)، ومزايا قومه وعشيرته، وأخبارِ مَولدهِ وتربيتهِ، وكيفيّةِ معيشتهِ في نفسهِ، وزواجهِ وسيرته مع أهلهِ، تمهيداً لبيانِ المقصدِ الأهمّ الأعظم، وهو نبأُ بعثتهِ صلى الله عليهِ وسلم، مُستمدِّين ذلكَ من الكتابِ العزيزِ والسُّنّة الثابتة

---

(١) تتوخى تتعمد وتخص بالطلب والقصد (٢) الحسب ما يعد من مفاخر الآباء

عندَ المحدِّثين ، وما تمسُّ الحاجةُ اليهِ مما أثبتهُ ثِقاتُ المؤرِّخين، مُعرِضينَ عن الرِّواياتِ الموْضوعات ، والواهياتِ والمنكَراتِ ، التي عُنيَ الكثيرونَ بنقلِها لما فيها من الخوارقِ والغرائبِ ، مبالَغةً فيما أجازَه العلماءُ من قَبُول الأخبارِ الضعيفةِ في المناقِب ، ولما يُرجَى من حُسنِ تأثيرِها في قُلُوب العَوَام، معَ الغَفلةِ عمَّا يُخشى من ضدِّ ذلك في نابتةِ هذه الأيَّام ؛ على أنَّ لنا فيما لا يُحصَى منَ الفضائلِ والمناقبِ المشهُورَةِ والمتواتِرَة، مايُغني عن جميعِ الرِّوايات الضعيفةِ والمُنكَرة، وبذلكَ يُعرَفُ قدرُ الإصلاحِ العظيم ، الذي أرسَلَ اللهُ به هذا النبيَّ الكريم ؛ عليهِ مِن اللهِ أفضلُ الصلاةِ والتسليم

قومه ونسبه صلى الله عليه وسلم

(إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) إذْ جعَلَ فيهمُ النُّبوَّةَ والهِدايةَ لِلمُتقدِّمينَ والمتأخِّرين؛ ثمَّ اصطفَى كنانةَ من آل اسماعيلَ بْنِ ابراهيم ، واصطفى قُرَيشًا من كِنانةَ ، واصطفَى منْ قُرَيشٍ بني هاشم، واصطفَى سيِّدَ ولدِ آدمَ من بني هاشم ؛ فكانَ آلُ اسماعيلَ افضلَ الاوَّلينَ والآخرين، كما كان بنو إسحاقَ أفضلَ المتوسِّطين ، اذ كانتْ هدايةُ الانبياء من بني اسحاقَ وغيرِهم خاصَّة ، وهدايةُ هذا النبيِّ من آل اسماعيلَ عامَّة ، فبهِ أكملَ اللهُ تعالى الدين، وأتمَّ نعمتَهُ على العالمين ، كما اقتضَتْهُ سنَّتُهُ تعالى في النُّشوءِ والارْتقاء، التي كانت في البَشرِ أظهرَ منها في سائرِ الأحياء .

كيف كان اصطفاء الله تعالى لهذه الأصول من الأمة العربية ،
الذي ثبت في صحيح مسلم وغيره من كتب السنة السنية ؟ وبماذا امتاز
قوم خاتم الرسل الكرام ، ففضلوا به غيرهم من الأقوام، حتى استعدوا
به لهذا الإصلاح الروحي المدني العام ، الذي اشتمل عليه دين
الإسلام ، على ما طرأ عليهم من الأمية وعبادة الأصنام، وما أحدثت
فيهم غلبة البداوة من التفرق والانقسام ؟

الجواب — :

كانت العرب ممتازة باستقلال الفكر وسعة الحرية الشخصية،
أيام كانت الأمم ترسف [1] في عبودية الرياستين الدينية والدنيوية،
محظورًا عليها أن تفهم غير ما يلقنها الكهنة ورجال الدين من الأحكام
الدينية، وأن تخالفهم في مسألة عقلية أو كونية أو أدبية ،كما حظرت
عليها حرية التصرفات المدنية والمالية

كانت العرب ممتازة باستقلال الإرادة في جميع الاعمال ،
أيام كانت الامم مذللة مسخرة للملوك والنبلاء المالكين للرقاب
والأموال ، يستخدمونها كما يستخدمون البهائم ، ويصرفونها كما
يصرفون السوائم [2] لا رأي لها معهم في سلم ولا حرب، ولا إرادة
لها في عمل ولا كسب

كانت العرب ممتازة بعزة النفس ، وشدة البأس ، وقوة
الأبدان ، وجرأة الجنان ، أيام كانت الأمم مؤلفة من رؤساء

(١) ترسف تمشي مشية المقيد — يشبه تصرفها في استعباد الرؤساء لها بمشي الاسير في قيوده (٢) السوائم المواشي الراعية

أفسدَهم الإسرافُ في التَّرَفِ، ومرؤسينَ أضعفَهم البؤسُ والشَّظَفُ (١)
وسادةٍ أبطرَهم بَغْيُ الاستبداد، ومَسُودينَ أذلهم قهرُ الاستعباد

كانت العربُ أقربَ إلى فضيلةِ المساواةِ بين الأفراد، من غير شرائع تُحترَمُ بالاعتقاد، ولا قوانينَ تكفُلُها قوّةُ الأجناد. أيَّامَ كانت الأُمم تنقسمُ إلى طبقات، يرتفعُ بعضُها على بعضٍ عِدَّةَ دَرَجات، لا بفضائلَ ذاتيَّة، من علميَّة أو عمليَّة، بل بحكم وراثة الخلفِ الطالحين (٢) للسلف المستكبرين، باستبداد الملكِ أو تقاليد الدِّين

كانت العرب ممتازةً بالذكاء واللوذعيَّة، وكثيرٍ من الفضائلِ الموْرُوثة والكسبيَّة، كقِرَى الضيوف، وإغاثةِ الملهوف، والنَّجدَةِ والإباء، (٣) وعلوّ الهمةِ والسخاء، والرّحمة والإيثار (٤) وحماية اللاجىء وحرمة الجار. أيَّامَ كانت الأُمم مُرْهَقَةً بالأَثَرَةِ والأنانية (٥) وَالآنين من ثِقَلِ الضَّرائبِ والأتاوَى (٦) الأميرية، ورؤساؤها منغمسينَ في الشَّهواتِ البهيميَّة، وفسادُ الأخلاقِ قد عمَّ الراعيَ والرَّعيَّة

(١) الشظف بفتحتين ضيق المعيشة

(٢) الخلف بسكون اللام الذين يخلفون غيرهم في الشر. والطالحون بالطاء الفاسدين فهو ضد الصالحين

(٣) النجدة مضاء عزم يبعث على المضي فيما يعجز عنه غيره. والاباء الترفع عن الخسائس

(٤) الايثار تقديمك غيرك على نفسك بما تحتاج اليه مما تملك

(٥) تقديم نفسك على غيرك ولو بما هو أولى به منك فهي ضد الايثار، والانانية المبالغة في حب النفس الحامل على الأثرة، وهو نسبة الى كلمة « أنا »

(٦) الضرائب جمع ضريبة وهي ما يضرب على العبيد ونحوهم من المال يؤدونه أقساطا، ومنها الجزية، وضريبة الارض الخراج. والاتاوى جمع إتاوة وهي الرشوة، وتطلق على الخراج ونحوه

كانت العربُ قد بلغت أوجَ الكمال ، في فصاحةِ اللسان وبلاغةِ المقال ، وكادت تتحدُ لغاتُ قبائلها أولهجاتُها العربية، وتسودُ المُضَرِيةُ منها على الحِميرية، بما كان لقريشٍ وغيرها من الرحلاتِ التجارية ، والأسواقِ الأدبيّة ، فاستعدّت بذلك للوحدةِ القومية ، وللتأثرِ والتأثير بالبراهين العقلية، والمعاني الخطابية والشعرية ، وللتعبير عن جميع العلوم الالهيّةِ والشرعيةِ ، والفنونِ العقلية والكونيّة. أيامَ كانت الأمم تنفصمُ عُرَى وحدتها بالتعصبات الدينيّةِ والمذهبيّةِ ، وتتفرّقُ وشائجها[1] بالعداواتِ الجنسيّةِ ، وتتمزّقُ دُوَلُها بالحروب الأجنبيّة والأهلية.

فتلكَ أمهاتُ مزايا الامة العربية، التي أعدّها الله تعالى بها للبعثة المحمدّية ، والسيادة الدينيّة والمدنيّة ، بعدَ أن طال العهدُ على مدنيّتهم المادية ، واستعمارهم للبلادِ الكلدانيّةِ البابليّةِ ، والبلادِ الفينيقيّةِ (السورية) والمصريّة ، التي تشهدُ لها سيادةُ لغتهم للغاتِ الساميّة، وبقاياها في اللغة الهيروغليفيّة [2] ، وبعدَ أن غلبَتْ عليهمُ الأميّة ، وخرافاتُ الوثنية ، وعصبيةُ الجاهلية

وجملةُ مزاياهم أنهم كانوا أسلمَ الناسَ فطرةً، على كونِ أممِ الحضارةِ كانت أرقى منهم في كلّ فنّ وصناعة . والاصلاحُ الاسلاميّ مبنيّ على

---

(١) الوشيج والوشيجة اشتباك القرابة وتداخل بعضها في بعض وأصله شجر الرماح ونحوه مما يشتبك (٢) أقدم مدنية وحضارة عرفها التاريخ مدنية الكلدانيين والبابليين في العراق والمصريين في مصر والفينيقيين في سورية وقد ثبت لدى بعض علماء العاديات (الآثار القديمة) ان أهلها من بلاد العرب

تقديم إصلاح الانفس باستقلال العقل والإرادة وتهذيب الأخلاق، على إصلاح ما في الارض من معدن ونبات وحيوان، أي أن الله تعالى كان يُعِدُّ هذه الامة لهذا الإصلاح العظيم، الذي جاء به محمد عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم

اصطفاء كنانة وقريش وبني هاشم

أما اصطفاء الله لكنانة الشيخ الجليل، من سلالة نبيه الذبيح إسماعيل، فيفسره ما كانت تحفظه العرب من أخبار كرمه ونبله، ومنها انه كان على سنة جده إبراهيم الخليل لا يأكل وحده. وقد نقل الحافظ في شرح البخاري أنهم كانوا يحجون اليه لعلمه وفضله . ومما يؤثر عنه من الحكم الجلية ، كما روي في السيرة الحلبية : رُبَّ صُورَةٍ تُخَالِفُ الْمَخْبَرَةِ ، قَدْ غَرَّتْ بِجَمَالِهَا ، وَاخْتُبِرَ قُبْحُ فِعَالِهَا ، فَاحْذَرِ الصُّوَرَ ، وَاطْلُبِ الْخَبَرَ. فهذا دليل على ما وصف به من العلم والحكمة، وأما حج العرب اليه فهو دليل على أنه كان مثابة التعارف ، ومعقد رابطة الاجتماع والتآلف .

*

وأما اصطفاء الله تعالى لقريش الميامين الغر، وهم ذرية فهر بن مالك وقيل جده النضر. فقد كان بما آتاهم الله من المناقب العظام، ولا سيما بعد سكنى مكة وخدمة المسجد الحرام، إذ كانوا أصرح ولد اسماعيل أنسابا، وأشرفهم أحسابا وأعلاهم آدابا، وأفصحهم ألسنة ، وهم الممهدون لجمع الكلمة . — فقد نقل أهل السير، أن مالك بن النضر

كان ملكَ العرب، وأنَّ كعبَ بن لؤيٍّ كان يجمعُ قومَهُ وَيعِظُهم يوم الجمعة، وكانوا يُسمُّونهُ يومَ العَرُوبة، وأنهم كانوا يُجلُّونهُ في حياته، ثمَّ انهم أرَّخوا بموته، وأنَّ قُصيًّا هو الذي جمع شمْلَ قبائلِ قريشٍ بمكة، إذ كان هو الوارث لمن كانوا يتولَّونه من خُزاعة [١] وقد تملك عليهم فملكوه، إلا أنهُ قد أقرَّ للعرب ما كانوا عليه. وذلك أنهُ كان يراهُ ديناً في نفسه، لا ينبغي له تغييرُه ولا لغيره من بعده (قال ابن اسحق) وهو الذي أنشأ النَّدوة، وجعل بابها الى الكعبة، وقد أجمعتْ قريشٌ على طاعته وحبه، فكانت اليه الحِجابةُ والسِّقايةُ والرِّفادةُ والنَّدوةُ واللواء، ثم وُزِّعتِ المناصبُ بعده على الزعماء [٢]

(١) قد كان ذلك بتزوجه لحبّى بنت حليل الذي كان آخر من ولي منهم. قال ابن اسحق: فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل، فرأى قصي انه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر. وان قريشا فرعة اسماعيل ابن ابراهيم وصريح ولده، ثم قال بعد بيان ما كان في ذلك من أمره. فولي قصي البيت وأمر مكة. الخ

(٢) كان لقريش من المناصب غير تلك الخمسة. الاشناق والعمارة والسفارة والأعنة والقبة، والأموال المحجرة للمعبودات كالاصنام، والايسار الذي منه الاستقسام بالأزلام، الذي يرجح به بين الاقدام والاحجام. وقد عابهم عليها الاسلام: (فالحجابة) هي السدانة أي خدمة المسجد الحرام. (والسقاية) توزيع الماء الحلى والقراح على جميع الحجاج. (والرفادة) إسعاف الفقراء والمساكين. ولا سيما الحجاج المنقطعين. (والندوة) الشورى لاجالة الرأي في الامور العظام. التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للائتمار بالنبي عليه الصلاة والسلام. (واللواء) راية قريش وكانت تسمى العقاب، (والاشناق) تحمل الديات والمغارم. لمنع انتشار التعادي والتخاصم. (والعمارة) حفظ بناء المسجد الحرام قيل وحفظه من اللغط وهجر الكلام (والسفارة) المراسلة بين فريقين في شأن من الشؤون العامة، كالقتال أو المفاخرة. (والاعنة) قيادة الفرسان في أيام الطعان أو الرهان، (والقبة) الخيمة الرسمية التي تنصب وقت الحرب. ويجتمع فيها ما يجهز به الجيش

وأفضلُ من ذلك كله ما وُفِّقوا له في حداثة الرسول. من التَّحالُفِ الذي عُرِفَ بحِلْفِ الفُضول، إذ تعاقدُوا وتعاهدُوا أن لا يجدُوا بمكة مظلوماً إلا قاموا معهُ، وكانوا عوْناً لهُ على مَن ظَلمهُ، الى إن تُرَدَّ مَظْلَمتُهُ . وفي حديث الزُّبير بن العوَّام عند الطبرانيّ، ومثلهُ حديثُ أمّ هانئ في معجمه الأوسطِ كتاريخ البخاريّ «فضَّل اللهُ قُريشاً بسبعِ خِصالٍ : فضَّلهم بأنهم عَبَدُوا اللهَ عشرَ سنينَ لا يَعبدُ اللهَ الا قُرشيّ [1] وفضلهم بأنه نَصرَهُم يومَ الفِيل وهم مشركون . وفضلهم بأنه نزّل فيهم سورةً من القرآن لم يدخلْ فيها أحد من العالمين . — وهي لإيلافِ قُرَيش — وفضلهم بأن فيهمُ النبوةَ والخِلافَةَ ، والحِجابةَ والسقاية »

كان ذلك كلُّهُ من ارْتقاء قريشٍ واستمدادِ العرب للاسلام، ولكنَّ هذه القوى المعنويّةَ كلَّها وُجِّهت لمعاداته عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام

*

وأما اصطفاء الله تعالى لِبني هاشمٍ، فقد كان مما امتازوا بهِ من الفضائلِ والمكارمِ، فقد روى أبو نُعيم من حديث المستوْرِد الفِهريّ رضي الله عنهُ « إنَّ فيهم لَخِصالاً أربعاً : إنهم أصلحُ الناس عند فتنة، وأسرعُهم إقامةً بعد مُصيبة. وأوْشكُهم كرّةً بعد فَرَّة، وخيرُهم لمسكين ويتيمٍ، وأمنعُهم من ظلمِ الملوك» . وكان جدُّهم هاشمُ صاحبَ إيلافِ

(١) أي لا يعبده و يوحده أحد الا أناس منهم إذ كانوا على ملة ابراهيم وكانت الوثنية قد شملت العرب كلهم كما شملت غيرهم

قريش ، الذي أخذ لهم العهد من قيصر الروم على حمايتهم في رحلة الصيف ، وروي أنه هو الذي سن الرحلتين ، وأخذ العهود بها من الحكومتين حكومة اليمن العربية ، وحكومة الشام الرومية ، فاتسعت بهما معيشة قريش ، وأمنوا في تجارتهم من كل خوف ، وقد امتن الله عليهم بذلك في القرآن ، بما عدت به التجارة من أشرف أعمال الإنسان ، وإنما أطلق لقب هاشم على عمرو بن عبد مناف ، لأنه أول من هشم الثريد للمسنتين العجاف[1] ، وكان يشبع منه كل عام أهل الموسم كافة ، كما أشبع منه قومه في سنة القحط والمجاعة ، على أن مائدته كانت منصوبة لا ترفع في السراء ولا في الضراء ، وزاد عليه ولده عبد المطلب فكان يطعم الوحش وطير السماء ، وكان أول من تحنث بغار حراء ، وروي أنه حرم الخمر على نفسه ، وجعل ماء زمزم للشرب فحرم أن يغتسل به ،

فجملة ما امتاز به آله صلى الله عليه وسلم على سائر قومه الأخلاق العلية ، والفواضل والفضائل النفسية ، وكانوا أبعد من سائر قريش عن الكبر والأثرة والامور الحربية ، ولذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الإسلام ، وحكمة ذلك ظاهرة لأولي الأحلام ، فهو أنفى للشبه عن رسالته عليه أفضل الصلاة والسلام

(١) المسنتون اسم فاعل من أسنت القوم أصابتهم السنة والقحط والعجاف جمع أعجف وعجفاء وهم الذين ضعفوا وهزلت أبدانهم ، العبارة مؤخوذة من قول ابن الزبعرى في مدح هاشم :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه		ورجال مكة مسنتون عجاف

سرد نسبه صلى الله عليه وسلم

بَعْدَ هذَا التَّذْكِيرِ بِمَنَاقِبِ قَوْمِهِ ، وَالتَّفْسِيرِ لاصْطِفَاءِ اللهِ تَعَالَى لِقَبِيلِهِ وَآلِ بَيْتِهِ ، نُشَنِّفُ الأَسْمَاعَ بِنَسَبِهِ الْمَحْفُوظِ بِالتَّفْصِيلِ، الْمُتَوَاتِرِ اتِّصَالُهُ بِنَبِيِّ اللهِ إِسْمَاعِيلَ ، فَنَقُولُ : هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَاسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ، ابْنِ هَاشِمٍ وَاسْمُهُ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَبُوهُ عَمْرو ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُهُ الْمُغِيرَةُ، ابْنِ قُصَيٍّ وَلُقِّبَ بِمُجَمِّعٍ إِذْ جَمَعَ قُرَيْشًا فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ ابْنِ حَكِيمٍ الَّذِي لُقِّبَ بِكِلَابٍ وَالْكِلَابُ مَصْدَرٌ كَالْمُكَالَبَةِ ، وَمَعْنَاهُ الْمُجَاهَرَةُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْمُنَاصَبَةِ، ابْنِ مُرَّةَ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَلْدُ الْقَوِيُّ ابْنِ كَعْبٍ وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كَعْبِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ ، بْنِ لُؤَيٍّ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ لِوَاءٍ أَوْ لَأْيٍ أَوْ لَأْيٍ[1] ابْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ وَمَعْنَاهُ الْحَجَرُ الصَّغِيرُ[2] وَهُوَ قُرَيْشٌ عَلَى الْمُعْتَمَدِ عِنْدَ الْجَمَاهِيرِ ، ابْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَاسْمُهُ قَيْسٌ ، وَالنَّضْرُ هُوَ الْحَسَنُ الْمُشْرِقُ الْوَجْهِ، ابْنِ كِنَانَةَ وَمَعْنَاهُ وِعَاءُ السِّهَامِ مِنَ الْجِلْدِ ، ابْنِ خُزَيْمَةَ وَهُوَ تَصْغِيرُ اسْمِ الْمَرَّةِ مِنَ الْخَزْمِ[3] ، ابْنِ مُدْرِكَةَ وَاسْمُهُ عَامِرٌ أَوْ عَمْرٌو ، ابْنِ إِلْيَاسَ وَهُوَ مُخَفَّفُ الْيَأْسِ ، ابْنِ مُضَرَ وَهُوَ مَعْدُولٌ عَنْ مَاضِرٍ ، وَمَعْنَاهُ اللَّبَنُ الأَبْيَضُ أَوِ الْحَامِضُ الْخَاثِرُ ، ابْنِ نِزَارٍ مِنَ النَّزْرِ

(١) اللواء معروف واللأى الثور الوحشي ويكنى به عن حسن العينين. واللأي الابطاء
(٢) الفهر الحجر الذي يؤخذ باليد عادة ويدق به الشيء وقيل مطلقا
(٣) الخزم نظم اللآلئ في السلك

وَمَعْنَاهُ الْقَلِيلُ ، وَلَعَلَّهُ سُمِّيَ بِهِ تَفَاؤُلاً بِقِلَّةِ وُجُودِ مِثْلِهِ فِي ذَلِكَ الْجِيلِ ، ابْنِ مَعَدٍّ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَعْدِ ، وَهُوَ الْجَذْبُ السَّرِيعُ وَالذَّهَابُ فِي الْأَرْضِ ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ وَفِي نَصِيحَةِ عُمَرَ لِلْجَيْشِ ، « تَمَعْدَدُوا » أَيْ تَشَبَّهُوا بِمَعَدٍّ فِي خُشُونَةِ الْعَيْشِ ، ابْنِ عَدْنَانَ ، وَهُوَ مِنْ عَدَنَ بِمَعْنَى أَقَامَ فِي الْمَكَانِ

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « كَانَ عَدْنَانُ وَمَعَدٌّ وَرَبِيعَةُ وَمُضَرُ وَخُزَيْمَةُ وَأَسَدٌ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا تَذْكُرُوهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ »[1] وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مَرْفُوعًا « لَا تَسُبُّوا مُضَرَ وَلَا رَبِيعَةَ فَإِنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ »[2] فَهَذَا مَا كَانَ يَسْرُدُهُ الرَّسُولُ مِنْ نَسَبِهِ كَالدُّرِّ النَّظِيمِ ، وَهُوَ وَاسِطَةُ عِقْدِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ،

نَسَبٌ تَحْسَبُ الْعُلَا بِحُلَاهُ ... قَلَّدَتْهَا نُجُومَهَا الْجَوْزَاءُ

حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدُدٍ وَفَخَارٍ ... أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ

زواج عبد الله بآمنة والحمل بالنبي وولادته صلى الله عليه وسلم

انْحَصَرَ نَسْلُ هَاشِمٍ فِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَاهُ ، وَوُلِدَ

(١) عزاه الحافظ في فتح الباري الى تخريج أبي جعفر بن حبيب في تاريخه المحبر ، قوله وربيعة ومضر أي ابن نزار بن معد ، قوله وأسد هو ابن خزيمة

(٢) قال الحافظ وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد ابن المسيب ؛ أي ومراسيله أصح المراسيل

لِعَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ أَبُو طَالِبٍ وَٱلْعَبَّاسُ وَحَمْزَةُ وَعَبْدُ ٱللهِ . وَقَدْ زَوَّجَ عَبْدُ ٱللهِ آمِنَةَ ٱبْنَةَ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، وَزُهْرَةُ أَخُو جَدِّهِ قُصَيِّ ابْنِ حَكِيمِ بْنِ مُرَّةَ ، وَقَدْ بَنَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِ أَهْلِهَا وَأَقَامَ مَعَهَا فِيهِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ حَمَلَتْ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وَلَمْ تَجِدْ فِي حَمْلِهِ ثِقَلاً وَلاَ وَحَماً كَمَا هُوَ شَأْنُ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلصَّحِيحَاتِ ٱلأَجْسَامِ ، وَقَدْ رَوَى ٱلْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ فِي مَرَاسِيلِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، أَنَّ ٱلصَّحَابَةَ سَأَلُوهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هٰذَا ٱلشَّأْنِ، فَقَالُوا يَارَسُولَ ٱللهِ خَبِّرْنَا عَنْ نَفْسِكَ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا : مَا كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ؟ فَقَالَ « دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ [1] ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ ٱلشَّامِ » وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هٰذِهِ رُؤْيَا كَانَتْ فِي ٱلْمَنَامِ ، وَلٰكِنَّهَا رُؤْيَا صَادِقَةٌ لاَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَصَحَّحَ ٱبْنُ حِبَّانَ أَنَّ ذٰلِكَ ٱلنُّورَ تَمَثَّلَ لِعَيْنَيْهَا حِينَ أَخَذَهَا ٱلْمَخَاضُ فَوَضَعَتْهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَامِ

تاريخ ولادته وخبر رضاعته وحضانته
صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوِيَّ ٱلْخَلْقِ ، جَمِيلَ ٱلصُّورَةِ صَحِيحَ ٱلْجِسْمِ ، وَكَانَتْ وِلاَدَتُهُ فِي عَامِ ٱلْفِيلِ ، فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلثَّانِيَةِ عَشْرَةَ أَوِ

---

(١) أي أنا مصداق دعوته التي حكاها الله عنه في قوله(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) الآية — ومصداق بشرى عيسى برسول يأتي من بعده

التاسعة من شهر ربيع الأول الموافقة للعشرين من شهر إبريل ، وكان ذلك العام هو الحادي والسبعين بعد الخمس مئة من مولد المسيح عليهما الصلاة والسلام ، وقد توفي والده وهو حمل ، فكفله جده شيبة الحمد ، فأرضعته أمه ثلاثة أيام ، وكذا ثويبة مولاة أبي لهب عدة أيام ، وكانت نساء قريش لا يرضعن الأولاد فعهد جده بإرضاعه إلى حليمة السعدية ، وجعله في قبيلتها بالبادية لينشأ في العيشة الخلوية ، ثم ردته حليمة إلى أمه بعد أربع سنين ، فحضنته إلى أن توفيت وله ست سنين ، فأصبح ﷺ يتيم الأبوين ، فكفله بعدها جده عبد المطلب سنتين ، ثم توفي بعد أن أوصى به أبا طالب عمه ، فحاطه بعنايته كما يحوط ولده وأهله ، إلا أنه كان لفقره يعيش عيشة القشف ، فلم يتعود صلى الله عليه وسلم نعيم الترف ، وذلك من عنايته تعالى بتربية هذا المصلح العظيم ، عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم

معيشته في الحداثة وكسبه وزواجه
صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يتيماً ، ونشأ في قومه فقيرًا ، ومات والده في سن الشباب ، لم يترك له مالا إلا خمسة جمال وبضع نعاج ، وكان قد ألف رعي الغنم مع إخوته في الرضاع ، فصار يرعى لأهل

مكة ، فيوفر على كافله أبي طالب بما يأخذ على ذلك من الأجرة ، ثم سافر مع عمه أبي طالب في تجارته إلى الشام ، وله من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام ، وهنالك رآه بحيرا الراهب ، وبشر به عمه أبا طالب ، وحذره من اليهود عليه ، بعد أن رأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم إنه سافر إلى الشام مرة ثانية ، متجرا بمال خديجة تجارة المضاربة ، فأعطته أفضل ما كانت تعطي غيره إذ جاءت تلك التجارة بأرباح مضاعفة ، بل جاءت بسعادة الدنيا والآخرة

كانت خديجة بنت خويلد بن عبد العزى بن قصي ، أعقل وأكمل امرأة في قريش ، حتى كانت تدعى في الجاهلية [الطاهرة] ، لما لها من الصيانة والفضائل الظاهرة ، ولما حدثها غلامها ميسرة بما رأى منه عليه الصلاة والسلام ، في رحلته معه إلى الشام ، من الأخلاق العالية ، والفضائل السامية ، وما قاله بحيرا الراهب ، لعمه أبي طالب ، تعلقت رغبتها بأن تتخذه بعلا ، بل ترقت أفكارها إلى ما هو أعلى (*)

(*) روى الفاكهي في كتاب مكة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب فاستأذنه أن يتوجه الى خديجة ، فأذن له وبعث بعده جارية يقال لها نبعة ، فقال انظري ما تقول له خديجة ، قالت نبعة فرأيت عجبا : ما هو إلا أن سمعت به خديجة فخرجت الى الباب فأخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها ، ثم قالت بأبي أنت وأمي والله ما أفعل هذا الشيء ، ولكني أرجو ان تكون أنت النبي الذي ستبعث ، فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الإله الذي يبعثك لي ، =

فَتمَّ ذَلِكَ الزَّوَاجُ المَيْمُون، وَكَانَ هو ابْنَ خمْسٍ وَعِشْرِينَ وَهِيَ ابْنَةُ أَرْبَعِين، وَتُوُفِّيَتْ بَعْدَ الْبِعْثَة بِعشْرِ سِنِين، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ صلَّى اللهُ عَلَيْه وَسلَّم عَلَيْهَا، وَلاَ أَحَبَّ أَحَدًا مِثْلَهَا، وَكَانَ طُولَ عُمُرِه يَذْكُرُهَا، حَتَّى كَانَت عَائِشَةُ تَغَارُ مِنها وَلَمْ تَرَهَا، قَالَتْ مِنْ حَدِيث لَهَا: فَذَكَرَهَا يَوْمًا مِنَ الأَيَّام، فَأَخَذَتْنِي الغَيْرَةُ فَقُلْتُ لَهُ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلام: هَلْ كَانَتْ إِلاَّ عَجُوزًا قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ خيْرًا مِنْهَا؟ فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ «لاَ وَاللهِ مَا أَبْدَلَنِي خَيْرًا مِنْهَا، آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاس، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاس، وَوَاسَتْنِي فِي مَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاس، وَرَزَقَنِي اللهُ مِنهَا الْوَلَدَ دُونَ غَيرِهَا مِنَ النِّسَاء»[1] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عنهَا «إِنَّهَا

= قالت فقال لها «والله لئن كنت أنا هو قد اصطنعت عندي ما لا أضيعه أبدا، وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبدا» ويؤيد هذا ماورد في كيفية بدء الوحي في الصحيح، ان خديجة قالت له حين خاف على نفسه عاقبة ما أصابه من الجهد، عند ما ظهر له الملك، «كلا والله ما يخزيك الله أبدا، انك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» وكذا ماثبت من أنها كانت تعد له الزاد، لينقطع الى التحنث فى غار حراء، وروى الواقدي بسنده الى نفيسة بنت أمية أخت يعلى قالت: كانت خديجة امرأة شريفة جلدة كثيرة المال، ولما تأيمت كان كل شريف من قريش يتمنى أن يتزوجها، فلما سافر النبي (ص) في تجارتها ورجع بربح وافر رغبت فيه، فأرسلتني دسيسا اليه، فقلت له ما يمنعك ان تتزوج؟ فقال «مافي يدي شيء» فقلت فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة؟ قال «ومن؟» قالت: خديجة، فأجاب

(١) وفي رواية اذ حرمني أولاد النساء. رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وكذا الدولابي في الذرية الطاهرة من طريق وائل بن داود - وقد وثقه أحمد - عن عبدالله البهي - وهو مقبول - عنها. قالت عائشة فقلت في نفسي: لا أذكرها بسيئة أبدا

ما غَارَتْ عَلَى امْرَأَةٍ كَمَا غَارَتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَهِيَ لَمْ تَرَهَا ، وَعَلَّلَتْ ذَلِكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا . قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ « أَرْسِلُوا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ » فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا وَقُلْتُ خَدِيجَةَ ! فَقَالَ « إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا » وَفِي رِوَايَةٍ عَزَاهَا الْحَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ إِلَى الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ « إِنِّي لَأُحِبُّ حَبِيبَهَا »[1] — فَهَذَا هُوَ الْوَفَاءُ الْكَامِلُ اللَّائِقُ بِذَلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، عَلَيْهِ مِنَ اللهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ (له بقية)

مدرسة

دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٦

الالتهاب الرئوي الباسيلي

ذكرنا فيما سبق أن من الميكروبات التي تحدث التهاب الرئة باسيلا اكتشفه [فردلندر Friedländer] وهذا النوع من الالتهاب شديد جدا خطر على الحياة ، ويشاهد ميكروبه كثيرا في حويصلات الرئة، وقد تتقيح منه أو تصاب بالغنغرينة (الموت)

(١) كذا في الاصابة . ورواية الاستيعاب عنها : وان كان ليذبح الشاة فيتتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن . والصدائق جمع صديقة

الدوسنطاريا Dysentery

كلمة يونانية وضعها أبقراط ثم عربت ومعناها [مرض الامعاء] ويسمى بالعربية الخالصة (الزحار) لانه يحدث الزحير

وهذا الداء عبارة عن التهاب الامعاء الغليظة أو القولون ، وهو نوعان : —

(الاول) يحدث في جميع بقاع الارض خصوصا في زمن الحرب أو القحط وينشأ من باسيل مخصوص ، وهو النوع المراد بالكلام هنا

و(الثاني) كثير الحصول في بلاد الشرق ، ويمتاز بطول مدته وبتضاعفه بخراج الكبد وبكونه ينشأ من نوع من الاميبا (خلية حيوانية وليست نباتية كيكروب النوع الاول) . وهذا النوع سنتكلم عليه ان شاء الله في باب الامراض التي تنشأ عن الميكروبات الحيوانية

الدوسنطاريا الباسيلية

تنشأ — كما قلنا — من باسيل اكتشفه [شيغا Shiga] في بلاد اليابان سنة ١٨٩٧ وبعد ذلك وجد مثله [كروس Kruse] في ألمانية، ولذلك يسمى بميكروب [ميكروب شيغا كروس] ثم وجد غيرهما أنواعا أخرى من باسيل الدوسنطاريا مثل [فلكسنر] و[سترنج]

هذا الباسيل عديم الحركة ولا حبيبات له ، والحرارة التي درجتها ٥٨ — ٦٠ سنتيغراد تقتله سريعا وكذلك المطهرات ويعيش في الهواء وفي غيره . ويقتصر وجوده في المرض على أغشية الامعاء المخاطية ولا يصل الى الدم. ومن الجائز أن يبقى في الامعاء مدة بدون أن يحدث ضررا فيها ولكنه في العادة يفرز سما يمتص في الدم ثم يفرز منه بواسطة الاغشية المخاطية للامعاء فيحدث فيها المرض، ومن هذا السم جزء يؤثر في المجموع العصبي فيحدث التهابا في الاعصاب

الاسباب — هذا النوع من الدوسنطاريا وإن كان كثير الحصول في البلاد الحارة الا انه قد ينتشر في أوقات مختلفة بشكل وبائي في أي بقعة من بقاع الارض. ومما يهيئ الجسم لقبول المرض كل ما يضعف البنية كالتعرض للبرد أو البيئة الفاسدة

الهواء أو الاصابة بحمى النافض (الملاريا) أو إدمان الخمر أو أكل المواد العسرة الهضم كالفواكه غير الناضجة أو المتعفنة وكذلك الازدحام ، ولذلك يكثر انتشار هذا المرض بين الجنود وفي السجون والتكايا ونحوها . ومن مضعفات البنية التي تهيئ لهذا المرض ضعف العقل — ولذلك ينتشر بين المجانين — والامساك المتعاصي

ينتقل الميكروب من المصاب بواسطة البراز الملوث به الى الشراب أو الطعام أو الى الاواني وغيرها فيصل الى أمعاء الآخرين ويحدث فيهم المرض، فهو في عدواه يشبه الحمى التيفودية سواء بسواء. ومما ينشره أيضا بين الناس الذباب والعواصف، فانها تنقل الميكروب من البراز وتثيره مع الغبار الى الطعام أو الشراب وغيرهما . ولهذا الداء أيضا حملة أصحاء كالذين ذكروا في باب الحمى التيفودية والدفثيريا

الاعراض — مدة التفريخ تتروح بين بضعة أيام وأحد عشر يوما. ويبدأ المرض بالاسهال فيتبرز المصاب من مرتين الى ست برازا سائلا مصفراً أو يميل الى السمرة ويحس بألم في بطنه وتوعك عام وفقد في شهوة الطعام . وبعد ثلاثة أيام أو أربعة تكثر فجأة مرات التبرز حتى تصل الى عشر أو عشرين بل أربعين فستين أو أكثر. ويكون قدر البراز في كل مرة قليلا جدا يخالطه مخاط ومصل ودم وصديد وبعض أجزاء من الغشاء المخاطي للامعاء، وقل أن يشاهد فيه شيء من مواد البراز الطبيعية، وقد يكثر النزف حتى يتبرز المصاب دما خالصا بسبب احتقان الغشاء المخاطي وتمزق عروقه في أول الامر ثم بسبب تقرحه بعد ذلك ، ويكون له رائحة مخصوصة، ويشتد المغص ويكثر الزحير ويلتهب باب البدن (الشرج) ويكثر بسبب ذلك التبول أيضا أو يحصل فيه الزحير أيضا فيميل المصاب الى إخراج بوله نقطة فنقطة بحيث لا يمكنه الصبر على تجمع القدر المعتاد من البول في المثانة

وهذه الاعراض تؤثر في بنية المريض فينحف ويضعف ويصفر لونه ويبيض لسانه وترتفع حرارته ويصيبه الصداع والدوار والاقهاء والعطش

وفي الحالات البسيطة تخف وطأة المرض بعد ثمانية أيام أو عشرة، أما في الحالات الشديدة فتزداد الاعراض حتى تنهك قوى المريض ويتقرح الشرج وما حوله من المقعدة، ويصاب بالهمود فتغور عيناه وتزرق أطرافه ويضعف صوته ونبضه حتى يموت

ويكثر في أول الاعراض أن يصاب الشخص بالقيء و يستمر معه بشدة حتى النهاية . ويقل البول أيضا ولكن لا يوجد فيه زلال غالبا

وفي بعض الاصابات يزمن المرض فيكون البراز أحيانا طبيعيا وأحيانا مركبا من مخاط وصديد ودم مع الرائحة المخصوصة المذكورة ، وتستمر تلك الحال أشهرا عديدة، أو سنوات كثيرة فينحف المريض و يضعف وقد يموت – اذا لم يعالج – بنهاكة القوى أو بالمضاعفات كالالتهاب البريتوني من انخراق الامعاء، أو يصاب بضيق فيها بسبب انقباض آثار التحام القروح

وقد وصف [القصطلاني Castellani] (وهو عالم إيطالي شهير له مؤلف ضخم في أمراض البلاد الحارة باللغة الانكليزية) نوعا من هذا المرض سماه [الپارادوسنطاريا] وهو أخف من الدوسنطاريا المعتادة وله باسيل قريب من باسيلها

و يحدث المرض بسبب تأثير سم الميكروب في أنسجة القولون كما قلنا أثناء افرازه من البنية فتموت أجزاء من الغشاء المخاطي وغدده و بعض الانسجة العضلية التي في جدر الامعاء فتتقرح وقد يصل الالتهاب و التقرح الى الغشاء البريتوني فيلتهب و يلتصق بأجزاء أخرى أو يخترق ويكون سببا في الموت السريع

زد على ذلك ان المعدة والامعاء الدقاق قد تصاب أيضا بنزلة وتلتهب غدد الماساريقا و تنتفخ الكبد و تحتقن

المضاعفات – التهاب الاعصاب بسبب تأثير السم فيها والتهاب المفاصل والاخرجة في أجزاء الجسم المختلفة والالتهاب البريتوني من الانثقاب والنزف المعوي الشديد

الانذار – عدد الوفيات من ٣٠ الى ٨٠ ٪ ومما ينذر بالخطر سقوط أجزاء كثيرة من أغشية الامعاء في البراز والنزف الشديد وكثرة القيء والهمود . والمرض قتال للاطفال والشيوخ والضعفاء ومدمني الخمر

المعالجة – يجب على المريض أن يلتزم الراحة في الفراش ويتدفأ جيدا حتى يدفأ وتخصص له آنية للتبرز فيها لكيلا يتعب نفسه في الانتقال . ويكون غذاؤه سائلا سهل الهضم مشتملا على المواد التي يحتاج اليها الجسم ، فيعطى له اللبن خالصا

أو ممزوجا بماء الجير و يعطى له المرق، ولا بأس من تحلية اللبن بالسكر أوخلطه بقليل من النشاء الصافي الذي يطبخ به، أو اعطاؤه اللبن الخاثر (لبن الزبادي) ولا يجوز أن تكون هذه المواد شديدة البرودة فانها تهيج الامعاء ، والافضل أن تدفأ

وتبدأ المعالجة الدوائية باعطاء المسهلات كزيت الخروع أو الملح الانكليزي وهو الافضل، ومن الاطباء من يعطي هذا الملح بمقادير صغيرة كدرهم كل ساعة ليلا ونهارا حتى تكثر مواد البراز و يزول منها الدم والمخاط وتنخفض الحرارة و يزول الالم والزحير. و يمكن الاستمرار على تعاطي الملح بهذه الكيفية يوما أو ثلاثة، ومن النادر أن يحتاج الى أكثر منها، ثم يكمل العلاج باعطاء مركبات البزموت[1] والافيون و بعض المطهرات كالسالول

و يجوز في الحالات الشديدة حقن المريض بالمصل المضاد للزحار كمصل معمل [لستر Lister] فيحقن منه ٢٠ سنتيمترا مكعبا مرتين في اليوم في الاحوال المعتادة، وفي الاحوال السيئة يجوز الحقن الى ثلاث أو أربع مرات، ويتكرر ذلك مدة يومين أو ثلاثة. وقد اكتشف حديثا بعض كيماوي مصر حقنة أخرى يقال إنها نافعة كثيرا

والحقن في الشرج نافع في كثير من الحالات، فيحقن الماء المغلي بعد أن تصير حرارته فوق حرارة الجسم الطبيعية بقليل جدا، و يحقن كذلك دافئا محلول البوريك ١٪ أو محلول حامض الصفصافيك بنسبة واحد الى خمسمائة وغيرهما . وحقن محلول ملح الطعام الدافئ بنسبة ٧ الى ألف نافع جدا، ومقدار ما يحقن في كل مرة لتر . وهنالك محقونات كثيرة لاحاجة الى استقصائها

فاذا اشتد الالم والزحير يلبس في الشرج أقماع مركبة من الافيون أو المورفين[2] مع زبدة الكاكاو ، ومحلول ملح الطعام المذكور نافع أيضا لازالة هذا الزحير ، والجلوس في الماء الساخن مريح أيضا من الزحير ، وكذلك وضع اللبخ والكمادات الساخنة ونحوها على الشرج . والافيون يسكن ألم البطن واللبخ الساخنة . واذا

(١) اسم لعنصر معدني شهير، وهو مشتق من كلمة ألمانية مجهولة الأصل

(٢) اسم لمادة فعالة في الافيون وهي أهم ما فيه، والكلمة يونانية مشتقة من اسم إله النوم أو الاحلام عندهم

أصاب المريضَ الهمودُ أعطي المنعشات المنبهات كالقهوة والشاي والخمر، وغير ذلك مما ذكر مرارا

فاذا تحسنت الحال يزاد طعام المريض تدريجيا كأن يأكل قليلا من الخبز المشى الاسفنجي الجاف واللحم المفروم جيدا، وهكذا يزاد الطعام حتى يصير كالمعتاد. وفي طور النقاهة يعطى له مركبات الحديد والمواد المرة كالكينين بمقادير صغيرة لتقويته

الوقاية — تكون بما يأتي (١) بعزل المرضى وتطهير مواد برازهم بالمطهرات الطبية أو بحرقها ويجب أن تغطى أوانيها بخرقة مبتلة بمحلول مطهر منعا من نقل الذباب للعدوى (٢) بمنع الناقهين من الاختلاط بالناس حتى تعلم طهارة برازهم من الميكروب بعد البحث البكتيريولوجي ثلاث مرات في ثلاثة أسابيع (٣) بالبحث عن الحملة الاصحاء اذا انتشر الوباء في مكان وعزلهم ومعالجتهم بالمطهرات للامعاء أو بالحقن باللقاح ونحو ذلك حتى يزول الميكروب منهم. وهؤلاء الحملة هم من كانوا أصيبوا بالزحار أو اختلطوا بمصاب به (٤) بامتناع الاصحاء من شرب أي ماء الا بعد غليه أو ترشيحه ومن أكل أي شيء الا بعد غليه أو إزالة قشره أو غسله جيدا بالماء المغلي أو المذاب فيه كبريتات الصوديوم الحمضية كما سبق. ولا يجوز استعمال الماء غير المغلي حتى لغسل الاواني أو للوضوء (٥) بتجنب المواد العسرة الهضم والمسببة لاعتقال البطن، وكذلك يتقى البرد. (٦) بابادة الذباب بقدر الامكان، وتنظف الطرق وترش جيدا حتى لايثار غبارها (٧) من العلماء من يشير على الاصحاء اذا خافوا العدوى بعمل اللقاح، وهو عمل محمود وقد افاد في كثير من الاحوال، وأشهر من أشار بذلك القصطلاني

أمراض الفطر

داء مادُورَا — أو — قدم مادورا Madura Disease

هو داء منسوب الى مدينة مادورا في جنوب بلاد الهند ويوجد كثيرا في غيرها من البلاد الحارة والمعتدلة

وينشأ من دخول فطر مخصوص في القدم غالبا (وأحيانا في اليد) وقد يصعد

الداء من القدم الى الساق، ومن النادر أن يصيب الجذع، فينمو هذا الفطر في الجزء المصاب و ينشأ من تهييجه للمكان أنسجة مخصوصة تشبه الانسجة الحمراء التي تتكون في الجروح و يسميها الاطباء المحدثون (بالازرار اللحمية) و يتقيح المكان المصاب وتتلف أجزاؤه وتتأ كل، وقد يصل الداء الى نفس العظام فيحدث بها النخر وتتكون نواصير يخرج منها صديد وحبيبات سوداء أو سمراء وقد تكون بيضاء أو بيضاء مصفرة تبعا لنوع الفطر فان له أنواعا كثيرة. و يكون حجم الحبيبة كرأس الدبوس وقد يكون كبيرا كحبة الحمص. وتتألف الحبيبة من خيوط كثيرة متفرعة ملتف بعضها بالبعض الآخر وهي خيوط الفطر نفسه

فاذا أصيب القدم بهذا الداء ورم وانتفخ أخمصه كثيرا حتى يتحدب فترتفع الاصابع بسبب ذلك عن الارض و يسود الجلد وتظهر به حلمات متعددة ونواصير كثيرة ، فاذا سُبرت قد نجدها واصلة الى العظام النخرة

واذا أصيبت اليد أصابها ما أصاب القدم. ولاعلاج لهذا الداء في أول الامر الا باستئصال الاجزاء المصابة، فاذا أزمن وجب استئصال القدم كلها

وتكون الوقاية منه بتجنب كل سحج أو جرح للقدم بقدر المستطاع وتنظيفها دائما (ومن هنا تظهر بعض حكم الوضوء) ودوام الاحتذاء . فاذا أصيبت القدم بأي جرح وجب تطهيره بالمطهرات الطبية ومعالجته بحسب الاصول الجراحية حتى يشفى تماما اتقاء لهذا الداء ولغيره مما ذكر سابقا كالتيتانوس

السل الكاذب — الأسپار غلوس [1] Aspergillosis

الاسپارغلوس يطلق على فطر ينتشر في بعض أعضاء الجسم فيتلفها . و يشاهد أحيانا في الرئة فيحدث بها مرضا يشبه الدرن حتى قد تتكون فيها كهوف ، ولذلك يسمى هذا الداء بالسل الكاذب . وتكون أعراضه ضيقاً في التنفس وسعالا و بصقا ونفث دم . ولا ينتشر الفطر من الرئة الى الاعضاء الاخرى . وقد يشفى من تلقاء نفسه بموت الفطر

(١) كلمة لا تينية معناها المنبث أو المنتشر

يصيب هذا الداء أحيانا مربي الحمام ومطعميه بأفواههم لوجود الفطر في بعض الحبوب التي يضعها المربي في فمه لاطعام الحمام ،

وهذا الفطر قد يصيب أحيانا العين أو الاذن أو الانف أو الجروح والقروح وغير ذلك كانسجة القدم فيتكون به نوع من أنواع الداء السابق (داء مادورا)

الفطر الشعاعي Actinomycosis

أول من وصف هذا الداء في الانسان هو اسرائيل الالماني من أهالي برلين سنة ١٨٧٧ م وفي سنة ١٨٧٨ أثبت [بونفيك Ponfick] أن النوع الذي يصيب الانسان هو عين ما يصيب الانعام

هذا الفطر يكون قطعا ترى بالعين المجردة صفراء أو سنجابية لا معة مستديرة قطرها نحو ١/٤ من البوصة وقد يكون أحيانا ١/٣٢ منها، فاذا نظرت هذه القطعة بالمجهر رؤي في مركزها خيوط مشتبكة مع بزور و يتفرع من هذه الخيوط خيوط أخرى فتكون كأشعة النور المنبعثة من السراج وتنتهي بانتفاخ أطرافها . وهـذا الداء يصيب الحيوانات الداجنة ولا ينتقل منها الى الانسان ، وانما يصاب به الانسان والحيوان من أكل بعض الخضر أو الحبوب كالشعير

فاذا دخل الفطر الى الجسم لعمق بالغشاء المخاطي للامعاء أو الشعب ثم يثقبها ويصل الى الاعضاء الغائرة فيحدث المرض في أجزاء مختلفة من الجسم ، وذلك بتهييجه للمكان المصاب فيلتهب ما حول الفطر وتتكون أنسجة غريبة كالازرار اللحمية ثم تتقيح وتتأكل وتستحيل الى مِدَّة، فينشأ في أول الامر في العضو المصاب أورام يكون قطرها نحو ثلاث بوصات أو أكثر، وهذه تتأكل حتى تفسد العضو. وينتشر الداء بالمجاورة من وضع الى آخر ، ولكن الفطر قد ينتشر بالاوعية الى أجزاء الجسم البعيدة أحيانا

<u>الاعراض</u> — تختلف باختلاف العضو المصاب وكثيرا ما يبدأ المرض بالفم فيحدث فيه ورم تحت الجلد فوق الفك الاسفل أو فوق حافته يكون صلبا بطيء النمو ثم ينتقل تدريجيا الى العنق .

وقد يضمر جزء من هذا الورم ولكنه يزداد في الاجزاء الاخرى و يمتد حتى يصيب

الجلد نفسه، ويتكون فيه ما يشبه الخراج فينفجر ويخرج منه صديد به حبيبات الفطر، ويتعسر شفاء هذا الجرح بل يتخلف عنه ناسور . والظاهر ان الفطر في هذه الاحوال يصل الى الفك من الاسنان النخرة. وقد يصيب الداء الفك الاعلى ومنه يصل الى قاعدة الجمجمة ، وقد يمتد الى المري، فيتقرح منه وتتآكل الفقرات أيضا

واذا أصاب الداء الامعاء ظهر على سطحها المخاطي بقع مبيضة مغطاة بحبيبات صفراء أو سمراء، ويكون قطر البقعة نحو ½ البوصة وسمكها ⅛ بوصة. وقد يثقب هذا الداء الامعاء ويصل الى البريتون . ومن الفطر ما يصل الى الكبد ، ومنه ما يصيب الرئة فتلتهب شعبها أو أنسجتها ، ومنه ما يصيب الجلد فيدخل من أي جزء أثناء مس الحبوب أو القش ، ولكنه قليل الحصول

المعالجة — أحسن دواء لهذا الداء هو [يودور البوتاسيوم] فقد ظهر نفعه فيمن استعمل له من الناس والانعام ، ويجب إعطاؤه بمقادير كبيرة حتى تصل الى أربعة دراهم في اليوم. واذا كان الورم في مكان يمكن الوصول اليه أمكننا أن نعاون الدواء في فعله بالعمليات الجراحية كالكحت أو الاستئصال

القُلاع Aphthae

هو أشهر أدواء الفطر وأكثرها حصولا للبشر في جميع الاقطار . يشاهد هذا الداء في الاطفال الضعفاء خصوصا من يربون تربية صناعية أو الذين أصابهم اسهال مدة طويلة ، وقد يشاهد أيضا في الشبان والكهول إذا أصابهم داء أنهك قواهم كالسل والسرطان والحمى التيفودية

ويشاهد في المصاب بقع بيضاء لبنية على الأغشية المخاطية للشفتين أو الخدين أو اللثة أو الحلق أو اللسان، وتكون مرتفعة قليلا عن سطح الغشاء ومحاطة بخط أحمر دقيق، فاذا نزعت هذه القطع البيضاء وجد الغشاء المخاطي الذي تحتها محمرا ويسال منه قليل من الدم ، وبعد زمن قصير قد تتكون البقع عليه ثانية . وهي تتألف من خلايا بشرية مع كريات دهنية ومن بزور الفطر وخيوطه . ينمو هذا الفطر في طبقات الابيثيليوم الوسطى ومنها يمتد الى الطبقات العليا والسفلى. ويصاب الطفل بسببه بالحمى

والاسهال ويكثر لعابه ويتضرر أو يتعذر إرضاعه ، وكثيرا ما يتقرح الشرج بسبب كثرة الاسهال

المعالجة — يجب تحسين صحة المصاب بجميع الوسائل الممكنة. ومن أول ما تجب العناية به معالجة الاسهال. ويجب مسح فم الطفل بخرقة مطهرة مغموسة في الماء المعقم أو في محلول البوريك، ثم يوضع في فم الطفل نحو نصف ملعقة صغيرة من غلسرين البورق مرتين في اليوم أو ثلاثا ، فانه قاتل لهذا الفطر

الوقاية — يجب على الام أن تغسل ثديها بعد كل رضاعة وقبلها، وأن لا تضع شيئا في فم الطفل مطلقا الا اذا كان مطهرا بالغلي أو غيره كأدوات اللعب وكالحلمات الصناعية، كذلك لا يجوز مس فمه بالاصابع الا بعد تطهيرها، واذا كان الطفل يغذى بغير لبن أمه وجب تطهير طعامه أيضا بالغلي . ويجب المبادرة الى معالجة كل ما يفسد صحة الطفل كالاسهال أو القيء وغيرهما

الارضة Tinea

تسمى الارضة بالافرنجية تينيا . وهي أنواع كثيرة تنشأ كلها من فطر يصيب الجلد . وهاك أشهر أنواعها :—

(١) الارضة المتنوعة الالوان [Versicolor] تصيب الجلد وتنمو فيه بالعرق والتدفئة، وهي كثيرة الحصول للذكور، ولا تصيب الا الاجزاء المغطاة بالملابس فيشاهد في الجلد بقع مستديرة سمراء مصفرة مرتفعة قليلا عن سطح الجلد وتمتد في أجزاء كثيرة منه، ولا يحدث منها ضرر سوى بعض أكلان

المعالجة — تكون بالاستحمام بالصابون (واحسنه الفنيكي) مع الدلك بشيء خشن ثم يدهن الجسم ببعض المراهم الكبريتية أو الزئبقية ولكن يلاحظ في المراهم الزئبقية أن لا يدهن بها سطح متسع من الجلد خوفا من التسمم. ويجب غلي الملابس وتطهيرها بعد الاستحمام وكذلك أدواته كالفوط وغيرها

(٢) الارضة الحالقة [Tonsurans] وهي تصيب رؤس الاطفال خصوصا الفقراء، وتنتشر في المدارس ونحوها باستعمال الامشاط والقبعات الملوثة بالفطر. وينشأ من

هذا المرض صلع بالرأس ويتقصف الشعر المصاب، وتكثر بالرأس القشور والهبرية.
وتطول مدة الداء، وبعد عدة سنين يشفى من تلقاء نفسه

(٣) الارضة الحلقية [Circinata] تشاهد حلقات الداء غالبا في الوجه والعنق والذراع، وتكون الحلقات قرنفلية مرتفعة قليلا عن سطح الجلد مغطاة بقشور رقيقة

(٤) الارضة الذقنية [Sycosis] تصيب شعر اللحية على الاكثر فتفسده وتسقطه وتلتهب الذقن بسببها، وهي عسيرة الشفاء

وعلاج هذه الانواع يكون بنتف الشعر واستعمال النظافة التامة والتطهير بمثل اليود أو الكبريت أو مركبات الزئبق. وعلاجها بأشعة رونتجن مؤكد نفعه سريع التأثير

القراع Favus

داء مشهور يصيب أي جزء من اجزاء الجلد خصوصا فروة الرأس. وينتقل من شخص إلى آخر بالعدوى، وقد ينتقل الى الانسان من بعض الحيوانات الداجنة كالقطط والارانب والكلاب. وعلاجه يكون بالنتف والتطهير وأشعة رونتجن كما سبق. وينبغي الاعتناء بصحة المصاب بارشاده الى القواعد الصحية، وإعطائه الادوية المقوية

مبايعة شريف مكة واميرها

على ملك العرب

جاء في جريدة القبلة التي صدرت بمكة في ثالث المحرم فاتحة هذا العام مانصه:

امتلأت قاعات قصر الديوان الهاشمي العالي صباح أمس بجماهير الاشراف الكرام والعلماء الاعلام والاعيان العظام بحيث لم يبق في بلد الله الامين ذو حيثية ومكانة عالية الا وحضر هذا الاجتماع الفخم ليعرضوا على جلالة سيدنا ومولانا المعظم أمنية طالما تمنوا اظهارها من حيز القوة الى حيز الفعل ألا وهي اقناع جلالته

بقبول بيعتهم له ملكا على العرب ومرجعا دينيا لهم ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية

ولما غصت أنحاء القصر العالي بحضرات الاعيان القادمين لهذا الغرض تشرف بالمثول بين يدي جلالة سيدنا المعظم في غرفة أعماله الخاصة حضرة العلامة الورع الشيخ عبد الله سراج رئيس علماء بيت الله الحرام وقاضي القضاة ونائب رئيس الوكلاء الفخام وأنبأ جلالته بحضور هذه الجماهير لعرض بعض المعروضات على مسامعه الكريمة، ولما شرف جلالته قاعة الاستقبال الكبرى في الديوان الهاشمي العالي استقبل رجال الامة تلك الطلعة الهاشمية المقدسة بقلوب طافحة بالمحبة والاحترام والاجلال والاعظام . ثم تمثل حضرة العلامة قاضي القضاة بين يدي جلالته نائبا عن وجوه الامة كما هي عادته في مثل هذه المواقف من القديم فعرض على جلالته الغرض من تشرف المجتمعين بالوقوف بين يديه، وأنهم قد كتبوا عريضة في هذا المعنى يريدون تلاوتها على مسامعه الشريفة فأجابه جلالته بالكلمات الملوكية الآتية :

« انني لم أكن أرى ضرورة شديدة لهذا العمل الذي جئتم من أجله وذلك لما أعلمه من نهوض بلادي بالامر الذي نهضنا به وشدة إخلاصها له وعضها عليه بالنواجذ ، ولم تنحصر هذه العواطف في بلادنا وحدها بل ان لعرب الشام وعرب العراق مثل ما لأهل بلادنا من الحرص على استرداد مجدهم وجمع كلمتهم . وقد وردت لي الرسائل من أعيانهم بذلك ، على أن هذا الامر الذي جئتم اليوم من أجله سينفي كل ما ربما يخطر على بال الذين يجهلون حقيقة أحوالنا من الخواطر البعيدة عن مبادئنا وشيمتنا وأصول ديننا وقوميتنا

« واني أقسم لكم بالله العظيم إنني لم أرد هذا الامر الذي تكلفونني به ولم يخطر على بالي عند ما قمت معكم بنهضتنا السعيدة ، ولكني رأيت كما رأيتم اننا امام خطر عظيم وخطب جسيم ربما قضى علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته »

وهنا ارتفع ضجيج الحاضرين بالدعاء لجلالته، والالحاح بقبول الذي جاؤا لاجله، فقال جلالته :

« انكم حملتموني أمرا أنا أعرف الناس بما يستلزمه من الجهد ، وطالما قلت لكم

اني واحد من جمهور الامة أبرم ما يبرمون من حق، وأرفض ما يرفضون من باطل، وأمد يدي لكل من يتفقون على اسناد أمرهم اليه على كتاب الله وسنة رسوله. واذا كان لا مناص مما أردتموه فاني أشترط عليكم أن تعينوني على أنفسكم، وتساعدوني بآرائكم وأعمالكم في كل مايحقق آمالنا وآمالكم من الخدمة العامة للعرب والمسلمين، واننا نستعين بالله تعالى في كل ما يحبه من قول وعمل وعليه الاتكال في كل حال »

ولما انتهى جلالته من الخطاب الملوكي الذي كان يتخلله دعاء الناس وثناؤهم أخرج حضرة قاضي القضاة العريضة التي أشرنا اليها وأعطاها لحضرة الشيخ عبد الملك مرداد ليتلوها على مسامع جلالته وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملك الحق المبين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامي العربي سيد الخلق أجمعين ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الطيبين ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فان للعرب المنزلة الرفيعة بين الامم لانهم في مقدمة الاقوام الساميين، الذين نشروا في الارض حقيقة التوحيد وهداية الدين ، فدانت الدنيا كلها في كل أزمانها الى ما أراد الله أن يتمه على ألسنة أنبيائهم العظام من الشرائع الالهية، والسنن القويمة والمحامد الاخلاقية والفضائل والكمالات، حتى استنارت الامم بنورهم، واهتدت بهديهم. ولقد فضل الله في كتابه الكريم ولد اسماعيل وآل ابراهيم على العالمين جميعا، وانه قد ثبت في صحيح مسلم أن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفى من بني هاشم نبينا وفخرنا وذخرنا جدكم الاعظم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فبجدكم الاعظم خرجنا من الظلمات الى النور ، و ببيتكم الاقدس كان رشادنا بعد الجهل، وان البيت الذي عدل بنا عن طريق الغواية، الى طريق الهداية، لا يزال ملزما بلم شعثنا، وتقويم أودنا، واستلام زمام أمورنا، مهما تجشمتم من العناء لاجل هنائنا، ومهما تحملتم من الجهد لاجل سعادتنا؛ وما كان لنا أن نلجأ لغير البيت الذي اختاره الله عز وجل، ولا أن نصطفي قوما غير الذين اصطفاهم لنفسه . وقد ثبت في صحيح

البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

« ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين »

وانه قال صلى الله عليه وسلم :

« لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم [١] اثنان »

فأنتم قريش بل أنتم الصفوة من هاشم، واننا ندين الله تعالى يوم الوقفة الكبرى بين يديه بأننا لا نعلم اليوم أميرا مسلما أتقى لله منكم وأشدخوفا منه وتمسكا بأوامره واقامة لشعائره قولا وعملا، وأقدر على النظر في أمورنا بما يرضي الله عز وجل، ونحن الذين عرفناكم في أيام الرخاء وأيام الشدة وفي حالتي السر والعلن

وان حولكم أمة برهنت في أدوار كثيرة من أدوار التاريخ على انها عظيمة المدارك، عالية الهمة، كثيرة الاقدام، حازمة عادلة صبور [٢] رحيمة منصفة، ولو ان صفحات التاريخ فقدت من الوجود لكفى في الدلالة على عقلها لغتها التي حيرت أسرارها العقول، وآدابها التي هي خزانة المعارف، وأشعارها التي نظمت لآلئ الحكمة في البوادي القاحلة أيام جاهليتها الاولى، فضلا عما أقامته من معالم الحضارة في كل بقاع الدنيا القديمة مما لا يزال أثره ماثلا للانظار

ان أمة كهذه أثبتت العلوم الحديثة أن تكوين دماغها وارتقاء عقلها لا يقل عن مثله في أرقى الامم ، ويرهن تاريخها على انها أمة جد وعمل وتفنن وحسن سلوك ومكارم أخلاق، تحفظ الجميل لمن يسديه اليها، وتعرف معروف كل من له يد عليها ، هي أمة تستحق أن تنتشل من قيودها الثقيلة وتنقذ من وصاية فئة سفاكة مخربة جاهلة مغرورة، ليس فيها استعداد فطري للتحلي بشيء مما تحلى به العرب من المزايا والخصائص، والاخلاق والفضائل؛ وان من مظالم عصرنا الفادحة رضاء الامم ببقاء العرب محكومين لتلك الفئة الوضيعة التي تحتاج الى الحجر عليها ، لا أن تكون أمة كأمتنا ذات مجد أثيل وتاريخ مجيد وآداب عالية وفضائل سامية راضخة لوصاياها خانعة

(١) سقط من القبلة لفظ منهم . وفي رواية لمسلم : ما بقي في الناس اثنان

(٢) صبور يستوى فيه المذكر والمؤنث ولعله قال صبورة للتناسب بين ما قبله وما بعده اذا لم يكن من غلط الطبع

لجورها، حتى ذاقت صنوف الذل وأنواع الهوان باسم الاسلام الذي تنقض هذه الفئة كل يوم دعامة من دعائمه. وقد ورد من حديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح :

« اذا ذلت[1] العرب ذل الاسلام »

فنحن ياسيد العرب ومنقذ الاسلام من أيدي أعدائه المارقين، نحمد اليك الله الذي أعزنا بك، ونصر جند الله ببركتك وروحانية جدك صلى الله عليه وسلم، ونتقرب الى الله سبحانه وتعالى بمحاربة من حاربك وموادة من وادك، وان مودة آل بيت الرسول عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام هي الاجر الذي سأله على ما هدانا اليه من سعادتي الدنيا والآخرة حيث قال عز من قائل :

(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) [2]

فانهض ياسيدنا الى ماشاء الله أن يجريه على يديك من اصلاح شؤننا وولاية أمورنا نحن معاشر العرب الذين يعلقون آمالهم على صلاح دينهم ودنياهم على تبوئك سرير ملكهم

واننا نبايع سيدنا ومولانا (الحسين بن علي) ملكا لنا نحن العرب يعمل بيننا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ونقسم له على ذلك يمين الطاعة

---

(١) في جريدة القبلة ذل وهو غلط فلفظ العرب مؤنث والرواية ذلت

(٢) جرى الشيخ حفظ الله مودته في هذا على قول مشهور في كتب التفسير وفي الآية أقوال أخرى أصحها ما رواه الشيخان والترمذي وأكثر رواة التفسير المأثور عن ابن عباس قال « لم يكن بطن في زمن قريش الا كان له فيهم قرابة فقال : الا ان تصلوا ما بيني و بينكم من القرابة . وفسر ذلك في رواية أخرى بأن يحفظوا حق قرابته فيهم بنصره ومنعه ممن يؤذيه (ص) كعادتهم في حفظ القرابة بدلا من إيذائه . وجعل بعضهم النصرة بالايمان به واتباعه ليكون بمعنى (قل لا أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أي بطاعته كما قال قتادة وصرح بعضهم بان الاستثناء ، هنا منقطع وقد نفي سؤال الأجر بغير استثناء في قوله تعالى (وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين) وقد حكى سبحانه مثل هذا عن المرسلين في هود والشعراء وغيرهما من السور

والاخلاص والانقياد في السر والعلانية، كما اننا نعتبره مرجعا دينيا لنا أجمعنا عليه ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية

نبايعك على هذا ياصاحب الجلالة ونقسم لك بالله العظيم على طاعتك والرضاء بك والانقياد اليك في السر والعلانية . ولك علينا في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقمت الدين، واجتهدت فيما فيه صلاح حال العرب والمسلمين (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيه أجرا عظيما)

غرة المحرم الحرام سنة ١٣٣٥

ولما انتهت تلاوة العريضة أقبلت جماهير أهل الحل والعقد من الاشراف والعلماء والاعيان وكبار التجار وسائر ذوي الحيثيات فبايعوا على ذلك بوجوه مستبشرة وقلوب طافحة بالسرور . ثم تقدم حضرة الفاضل الشيخ فؤاد الخطيب فبسط لدى جلالته آمال سورية العربية وذكر أن أولئك الشهداء الذين سارت بذكرهم الركبان انما ماتوا من أجل الوحدة العربية ، ولتفانيهم في الدفاع عن شعائرهم الاسلامية ، وقال ان سكان تلك الديار جديرون بأن يكونوا من جملة العرب المستقلين المتمتعين برعاية جلالة سيد العرب وملكها . وبايعه بعد ذلك أسوة بسائر العرب على كتاب الله وسنة رسوله

ثم تقدم حضرة الشيخ عبد العزيز مرداد فدعا لهذه الدولة بالعز والسؤدد والارتقاء والفلاح بعناية سيدها ومنقذها جلالة ملك البلاد العربية . فأمن الحاضرون على كل جملة من دعائه

وقبل انفضاض هذه الحفلة الكبرى تفضل جلالة سيدنا الملك المعظم فأجاب استرحام القوم بتعميم البيعة في المسجد الحرام في وقت مخصوص سنعلن عنه في العدد القادم . وذلك اكراما لخواطر طبقات الشعب الذي أظهر الرغبة بالاشتراك مباشرة مع من قام عنه بالبيعة وناب منابه في أداء واجباتها

وفي آخر الحفلة تلا حضرة الشاعر الاديب الشيخ عبد المحسن الصحاف خطبة أنيقة بصوت جهوري وأتبعها بقصيدة غراء تناسب المقام اه

[المنار] ان سبق أهل العلم والمكانة والرأي في مكة المكرمة الى هذه المبايعة

وما تلاها من مبايعة وفود سائر بلاد الحجاز الذي فصلت خبره جريدة القبلة في عدد آخر مبني على ثلاثة أسباب (١) اعتقادهم ان فئة الاتحاديين الملحدة الباغية قد تغلبت على الدولة العثمانية بقوة الثورة والاعتماد على الالمانيين الطامعين في البلاد ووضع الدولة تحت وصايتهم حتى لم يعد للسلطان أدنى استقلال في حكم ولا رأي (٢) ان اعتداء هذه الفئة الباغية على العرب ومحاولتها اهلاكهم كما أهلكت الارمن بعضا فيهم ودفي دينهم وامتداد بغيها من الشام الى الحجاز وما ترتب عليه من الحصر البحري قد اضطر أهل الحجاز الى إعلان الاستقلال التام كما بيناه من قبل ، وذلك لا يتحقق الا بمبايعة الامة المستقلة لحاكمها أو بتغلبه هو عليها بالقوة، وحكومة الحجاز من النوع الاول المشروع (٣) ان صاحب الحجاز وأهل الرأي فيها يائسون من بقاء استقلال الدولة العثمانية وجازمون بأنها اما ان تكون تحت سيطرة الالمان القاسية واما ان تنحصر سلطتها في بعض ولايات الاناضول ، فبهذا وجب على العرب أن يسارعوا بعد الاستقلال بما استطاعوا من بلادهم الى تعيين شكل حكومتهم المستقلة ويطالبوا الدول المحالفة لهم بالاعتراف باستقلالهم قبل عقد الصلح لئلا تعدهم الدول من أتباع الترك . ونحن قد بينا رأينا في هذه المسألة في خطبتنا التي ألقيناها بين يدي الشريف الاعظم وعلى مسمع كبراء الحجاز والحجاج في منى وسننشرها في المنار

﴿ مبايعة وفود الاقطار الحجازية ﴾

جاء في العدد الرابع والعشرين من جريدة القبلة الذي صدر في ١٠ المحرم ما نصه :

« شهدنا في صباح أول أمس جموع العرب من سلائل مضر وربيعة وقضاعة وقحطان، واخوانهم من مختلف الامم والاوطان ؛ يهرعون من باب الصفا الى بيت الله الحرام ألوفا بعد ألوف، ملبين دعوة دينهم ويقينهم ، ومجيبين نداء وجداناتهم وضمائرهم ، في تقليد أمرهم لاقدر المسلمين على القيام به

« ولما كانت الساعة الثانية عربية كان جلالة الملك المعظم قد جاء من القصر

الملوكي الى مدرسته الملاصقة لبيت الله الحرام فدخل اليه منها يحف به آل البيت الاطهار ، وعلماء الشرع الابرار ، ووجوه الامة الاخيار ، فتنحت الجموع العظيمة لقرة عينها ، وسبب عزها وسعادتها ، وحينئذ أعطى حضرة العلامة صاحب المعالي قاضي القضاة ونائب وكيل الوكلاء عريضة أهل الحل والعقد لحضرة الفاضل الشيخ عبد الملك الخطيب ايتلوها على مسامع من لم يسمعها من جمهور الامة فيكونوا على بينة مما تضمنته من الحقائق الدينية والدنيوية ، فصعد حضرة الخطيب على دكة أقيمت أمام رواق الحرم الشريف وقرأها على الجماهير فقابلوها بالجذل والحبور والفرح والسرور. ثم أقبل حضرة قاضي القضاة على يد حضرة صاحب الجلالة الهاشمية ملك البلاد العربية فبايعه بالصيغة التي نشرناها ضمن العريضة في العدد الماضي من القبلة[1] وتبعه حضرات الاشراف والسادة ورجال الدولة والعلماء والاعيان ووفود البلاد فجماهير الامة على اختلاف طبقاتها . وكان رجال الشرطة يحافظون على النظام بكل دقة وانتباه . وقد رأى حضرة قاضي القضاة بعد أن تشرف بضعة ألوف من الناس بشرف المبايعة السعيدة أن الوقت لا يتسع لاستمرار الالوف الكثيرة في ذلك فطلب منهم أن يجيزوه في أخذ البيعة عنهم فأجازوه اجازة اجماع عام مطلق، فبايع عنهم على مسمع منهم ، ثم صعد حضرة الشيخ عبد الملك مرداد على الدكة فدعا بدعاء بليغ خشعت له القلوب وأمنت عليه الالسنة . وعند ختام الدعاء عاد جلالة ملكنا المحبوب الى المدرسة فلبث فيها برهة ثم سار موكبه الفخيم الى الديوان الهاشمي العالي وجماهير الامة تهتف له بالنصر والعز والتأييد، وتلاميذ المدارس مصطفة تحت الاعلام العربية المنصورة تنشد أناشيد الحماسة والاستبشار بالمستقبل الباهر السعيد . ولما وصل الموكب الفخيم الى القصر الملوكي العالي أقبلت ألوف الناس من العظماء الاعيان والتجار ومن في طبقتهم للتشرف بالاعتاب الهاشمية . وأخذ الخطباء والشعراء يتبارون في بيان عواطف الامة بهذا العيد الاعظم للعرب والاسلام . »

[المنار] قد نشرت جريدة القبلة ما وصل اليها من تلك الخطب والقصائد فاستغرق العدد كله . وقد ذكرت أسماء أشهر رجال الوفود من جده والطائف

(١) الصواب انه العدد الذي قبله وهو عدد ٢٢

وغيرهما . وقد علمنا أن كثيرا من زعماء العرب وفضلائهم في الجزيرة ومصر قد رفعوا الى ملك الحجاز رسائل التهاني بالبرق و بالبريد

احتضار سورية

— شهادة جريدة المانية —

ترجم أحد مراسلي الجرنال دي كير في جنيف مقالة نشرتها جريدة ألمانية في زوريخ — هي (نيوزوريخر زيتونيغ) — في ١٢ اكتوبر الماضي وصفت فيها شقاء سورية ويأسها أو اليأس منها، واننا ننشر ترجمتها بالعربية نقلا عن جريدة الاهرام الصادرة في ٣٠ المحرم لان شهادة الالمان في هذه القضية — وهم أعوان الاتحاديين على تتبير العرب كالارمن — لاتجرح بالكذب ولا الغلو كشهادة غيرهم . وهذا نصها :

« ان الجرائد السورية التي يرقبها الالمان رقابة شديدة صارمة تصف تعاسة تلك البلاد وشقاءها المر المفطر للاكباد ، فاذا ضربنا صفحا عن قتلى الحرب وجرحاها نجد ان الجوع والاوبئة كالكولرا والطاعون والتيفوس الخ قد أفنت عشر الاهالي ملكيين وعسكريين

« فسورية المعرضة لكل هجوم براً وبحراً والمتصلة بالآستانة بخط حديدي واحد وهو خط « حلب — أطنه » تحملت من ويلات الحرب ما لم تتحمله بلاد أخرى محاربة وإن لم تكن سورية ميداناً للقتال ولم تر المعارك الدموية الا في حدودها الجنوبية ، وهذه المعارك التي جرت لم تغير شيئا من حالة قناة السويس ولا حالة الحرب بوجه من الوجوه وحال من الاحوال

«ولا يذكر التاريخ ان هذه البلاد رأت من النوائب والبلايا منذ غزوة المغول [1]

(١) هم التتار السلف الطالح لهؤلاء الاتحاديين الذين تفتخر بهم جمعياتهم الداعية الى العصبية التركية الطورانية حتى صاروا يدعون بالجنكيزيين نسبة الى جنكيزخان الطاغية الملعون الذي دفع قومه الى تدمير بلاد الاسلام ومحو المدنية العربية

الى اليوم ما رأته في هذه الايام . فكثير من الارض لم يزرع والمحصول لا يكفي للسكان

« وفي شتاء عام ١٩١٥ بذل بعض السوريين المسلمين والمسيحيين بعض الجهد ليتخلصوا من الحكم التركي الذي ينهكهم ولكنهم لم يفلحوا وكانت النتيجة أنهم ذبحوا جميعا (يدرك القارئ أن الجريدة الالمانية تريد أن تبرر الذبح بزعمها ان اناسا ثاروا على الحكومة مع ان الحكومة التركية لم تقل ذلك)

« وزاد في فناء الاهالي واستئصالهم الجوع والطاعون ، وسمت السلطة العسكرية أن تعالج الداء (؟) ولكن العلاج جاء متأخرا وبعد فوات الوقت فلم يكن بالامكان استخدام دواء ينجع ويفيد . وفتحت في القدس ودمشق وبيروت ويافا قاعات الشاي [1] جعل فيها من الشاي والخبز والماء الساخن قليلا أو بلا ثمن للفقراء والبائسين . وتألفت جمعيات للقيام مقام الاطباء في معالجة المرض وتنظيف المنازل والحارات والشوارع وعزل المرضى وتوزيع الادوية التي يستطيعون الوصول اليها .

« ولكن المستشفيات العسكرية ذاتها ليس فيها أضمدة ولا موازين للحرارة ولا أبر للحقن ولا غير ذلك مما يعالج به المرضى . ثم ضاعف الاوبئة وجعلها عامة شاملة الجوع والضيق . وقد كانت عائلات كثيرة تستبقي حياتها بضعة ايام بقشور الليمون والبطيخ والطماطم الى أن يمرضوا جميعا وتعينهم احدى جمعيات البر

« وقد صدق أحد مراسلينا في القدس بقوله « ان أورشليم المقدسة تنقرض الآن المرة الثالثة ولكن انقراضها في هذه المرة هو أتم منه في المرتين السابقتين »

« والحكومة الحالية التي هي ليست مسؤولة كل المسؤولية عما هو واقع (؟) تبذل الآن ما بوسعها لتدارك هذه الحالة (؟) ويعاونها جميع الناس من جميع المذاهب والجنسيات ، وقد أهمل الناس جميع فروضهم الدينية خوفا على حياتهم كصوم رمضان عند المسلمين وصوم الصيف عند اليهود وكذلك سلك المسيحيون

« وتجتهد السلطة العسكرية في ان توزع الحبوب بالقسط والعدل والمساواة بين المدن والقرى وتمنع الناس من تخزين الاقوات حتى لا تصعد الاسعار . ووزع جمال

(١) لعل الذين فتحوها هم اليهود لأن أكثر السكان منهم أو الجمعيات الخيرية

باشال حديثاً على فقراء دمشق بعض الاكل ولكن الجوع والضيق في المدن الكبرى في حال هائلة لا يستطيع قلم الكاتب وصفهما وتصويرهما للقارئ

« فلا يمكن بحال من الاحوال ان تحول هذه المسكنات الوقتية التي يعالجون بها تلك البلاد دون احتضار الموت والنزع الاخير. فسورية هالكة مائتة لامحالة ، ولا مرد لهذا القضاء عنها ، وسواء بقيت بيد دولتها أو صارت الى يد دولة أخرى فان بعثها من مدفنها أمر مستحيل » .

[المنار] هذه شهادة الالمان لحلفائهم بل عليهم . والتبعة والمسؤلية في هذه الجنايات الفظيعة على هذا الشعب العظيم ليست كلها على حكومتهم الطاغية الباغية وحدها وان كانت أهلكت الحرث والنسل عمداً ، بل يقع سهم كبير منها على استاذتها ألمانية التي علمتها كيف تأخذ من البلاد جميع الرجال القادرين على العمل والصالحين للنسل من سن البلوغ الى سن الشيخوخة وتستعبدهم في أشق أعمال الحرب — وكيف تأخذ ما تنتجه الارض بعمل الشيوخ والنساء والاولاد للسلطة العسكرية مصادرة ونهباً ، ولم تعلمها ان تبقي للاهالي الضعفاء الباقين ما يسد رمقهم وان توزعه عليهم كما توزع هي الاطعمة في بلادها ورضيت منها بالفظائع التي لا تحتاج فيها الى تعليم لأنها غريزة وراثية فيها كقتل العلماء والكتاب ورجال الادارة حتى لا يبقى في البلاد من يعرف مصلحتها و يطالب بها ، وكنفي ارباب البيوتات ونهب أموالهم حتى لا يبقى في البلاد غني يلجأ اليه الفقراء والبائسون في وقت الضراء . ولماذا يموت السوريون جوعا ولم يمت أحد من الالمان جوعا وغلات سورية أكثر من حاجتها وغلات ألمانية دون حاجتها ؟ ولماذا تقطع الغلات العثمانية الفيافي والقفار والجبال والبحار حتى تصل الى ألمانية في قلب أوربة وأهلها يموتون جوعا ؟ ولما تستنزف ألمانية قوة الدولة العثمانية وثروة شعوبها وتسخرها كلها لخدمتها في هذه الحرب ولا تجود عليها بالادوية التي تعالج به مرضاها وعندها من الادوية ما يكفي أمما كثيرة ؟ آلآن تذكرت الصحف الالمانية سورية بالرثاء ، والاعتذار عن أحلافهم السفهاء ؟ أبمثل هؤلاء الملاحدة الكفرة الفجرة تريد أن تجذب اليها العالم الاسلامي الى الاتحاد بخدمتها ؟ لقد صدق من قال أن الالمان اتقنوا جميع العلوم والفنون ، الا علم طباع الامم واخلاق الشعوب ،

باب الشعر والادب

متى يذكر الوطن النوّم

للشاعر الاجتماعي السوري المقيم في امريكة وقد نشرت في صحفها الشهيرة

جلست وقد هجع الغافلون أفكّر في أمسنا والغدِ
وكيف استبدّ بنا الظالمون وجاروا على الشيخ والامردِ
نخلت اللواعج بين الجفون وأنَّ جهنّمَ في مرقدي
وضاق الفؤاد بما يكتم فأرسلت العينُ مدرارها

......

ذكرتُ الحروبَ وويلاتها وما صنع السيف والمدفعُ
وكيف تجورُ على ذاتها شعوبٌ لها الرتبة الارفعُ
وتخضب بالدم راياتها وكانت تذم الذي تصنعُ
فباتت بما شيدت تهدم صروحَ العلوم وأسوارَها

......

نساء تجود بأولادها على الموت والموتُ لا يرحم
وجند تذود بأكبادها عن الارض والارضُ لا تعلم
وتغذو الطيور بأجسادها فان عطشت فالشرابُ الدم
وفي كل منزلةٍ مأتمُ تشق به الغيدُ أزرارها

......

لقد شبع الذئب والاجدلُ واقفرت الدور والاربُعُ

فكم يقتل الجحفلَ الجحفلُ　　ويفتك بالاروع الاروع
ولن يرجع القتل من قتلوا　　ولن يستعيدوا الذي ضيعوا
فبئس الأُلى بالوغى علّموا　　وبئس الأُلى أججوا نارها

......

أمن أجل أن يسلم الواحدُ　　تُطَلُّ الدماء وتفنى الالوف
ويزرعُ أولادَه الوالدُ　　لتحصدَهم شفراتُ السيوف
أمور يَحارُ بها الناقدُ　　وتدمي فؤاد اللبيب الحصيف
فياليت شعري متى نفهم　　معاني الحياة وأسرارها ؟

......

وحوّلت طرفي الى المَشرق　　فلم أر غير جبال الغيوم
تحول على بدره المُشرِقِ　　كما اجتمعت حول نفسي الغموم
فأسندتُ رأسي الى مِرْفقي　　وقلت وقد غلبتني الهموم
بربك أيتها الأنجمُ　　متى تضع الحرب أوزارها ؟

......

كما يقتل الطير في الجنة　　ويُقتنص الظبيُ في السبسب
كذلك يجنى على أمتي　　بلا سبب وبلا مُوجب
فمالَ تؤخذُ بالقوة　　ويقتصُّ منها ولم تذنب
وكم تستكينُ وتستسلم　　وقد بلغ السيلُ زُنّارها

......

وسيقتْ الى النطع سوق النَّعَم　　مغاويرُها ورجالُ الادب

وكل امرئ لم يمت بالخذِم ... فقد قتلوه بسيف السَّغَب [1]

فما حرك الضيمُ فيها الشمم ... ولا رؤية الدم فيها الغضب

تبدلت الناسُ والأنجمُ ... ولما تبدّلْ [2] أطوارَها

......

أرى الليث يدفع عن غيضته ... بأنيـــــابه وبأظفاره

ويجتمع النحل في قريته ... اذا خشي الغدر من جاره

ويخشى المزارع على وكنته [3] ... فيدفع عنها بمنقاره

فلا الكاسرات ولا الضيغم ... ولا الشاةُ تمدح جزّارها [4]

......

عجبت من الضاحك اللاعب ... وأهلوه بين القنا والسيوف

يبيتون في وجل ناصب ... فان أصبحوا لجأوا للكهوف

وممن يصفق للضارب ... وأحبابه يجرعون الحتوف

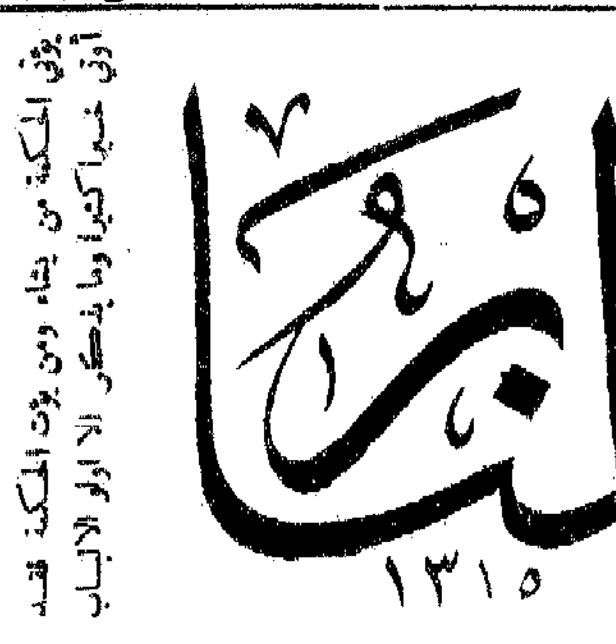
متى يذكرُ الوطنَ النوَّمُ ... كما تذكر الطيرُ أوكارها

---

(١) الخذم بوزن كتف السيف القاطع من الخذم وهو القطع بسرعة وفعله بوزن ضرب يضرب . والسغب الجوع

(٢) لو قال تبدلن بنون التوكيد لاستغنى عن ضرورة رفع الفعل المجزوم . والانجم في البيت اما الكواكب وصفها بالتبدل مبالغة أو انواع النبات الذي لاساق له (٣) الوكنة بالضم عش الطائر (٤) يشير الى بعض المنافقين الذين يمدحون هؤلاء المخربين ويعتذرون عن فظائعهم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ ربيع الاول ١٣٣٥ — ٤ الدلو (ش٣) ١٢٩٥ هـ ش ٢٤ يناير ١٩١٧

رحلة الحجاز

٢

(تابع لما في الجزء الخامس)

ضربت وزارة الداخلية يوم السبت الخامس والعشرين من شهر صفر (الموافق لأول الميزان ٢٣ سبتمبر) موعدا لسفر ركب المحمل المصري من القاهرة الى السويس وآذنت مريدي الحج بأن يكونوا قبل ذلك اليوم في السويس ليأخذوا فيها أهبتهم ويتبوءوا أمكنتهم من الباخرتين اللتين أعدتها لحملهم الى جُدة. و بينا أنا منهمك في الاستعداد للسفر بشراء ماينبغي شراؤه، وترتيب ماتقرر حمله، واعداد ماتحتاج اليه الدار و إدارة المنار، خطر في بالي أن أكتب رسالة في مناسك الحج أبين فيها أحكامه وحكمها بعبارة سهلة، مأخوذة مما صح في السنة، وأن أطبعها وأحملها معي هدية للحجاج الذين أصحبهم وألقاهم . فشرعت في ذلك وقت الظهر من يوم الاربعاء فكنت أكتب عدة أسطر ثم أترك الكتابة عدة دقائق للاشتغال بشيء ضروري، ثم انني اضطررت

الى ترك الكتابة من ظهر يوم الخميس الى ضحوة يوم الجمعة، ثم قضيت أصيل ذلك النهار وغسق الليل خارج المكتب والدار، فتعذر الجمع بين اكمال المناسك والسفر في يوم الجمعة فأكملت كتابتها في هذا اليوم (الجمعة) فكانت أكثر من كراستين وقد ضاق الوقت على طبعهما قبل السفر، اذتعين أن يكون آخر موعد له قبل الظهر بساعة من يوم السبت، فاضطررت بعد جمع حروفهما ليلا الى اختصار الاولى بالحذف من عدة مواضع منها، وطبعت بعد ان تمت فلم أتمكن من تصحيحها، فلذلك كثرت أغلاطها، وتعذر على المطبعة أن تجهز لنا ضحوة السبت جميع النسخ فا كتفينا بحمل مئات منها

ركبنا القطار الحديدي مع السيدتين الوالدة والشقيقة قبيل انتهاء الساعة الحادية عشرة من يوم السبت ببضع دقائق، وكان ركب المحمل قد سافر في قطار خاص في أول هذا اليوم ، وودعنا في المحطة الاهل والاخوان ، وخاصة من علم بموعد سفرنا من الخلان، وقد كنا بلونا لوعة الوداع بتعدد الاسفار، وكان أشجاها وداع الوالدين والاقربين والاصدقاء عند الهجرة الى هذه الديار، ولكنني لم أذق قبل هذا اليوم لوعة توديع الاهل والاولاد لانني لم أكن في حال سفر من أسفاري السابقة زوجا ولا والدا.

﴿ نبذة فلسفية شعرية في الوداع وما فيه تهذيب الطباع ﴾

قرأت قبل سفري الاول كثيرا مما قال الادباء والشعراء في الوداع، وحفظت من أشعارهم ما لا يسهل علي أن اتذكره الآن ، ولا أحب أن اشغل بالتطويل في هذا الموضوع قراء هذه الرحلة ، ولا أن أترك الالمام به وهو من أهم مسائل علم النفس التي تفيد بصيرة في علم التربية .

إنني عند وداع الوالدين وذوي القربى والاصدقاء في سفر الهجرة الى مصر وجدت في نفسي وفيمن ودعت منهم مصداقا لقول الشاعر :

لو كنتَ ساعةَ بيننا ما بيننا ورأيت كيف نُكرِّر التوديعا
لرأيت أن من الدموع محدِّثا وعلمت أن من الحديث دموعا

فقد كان الحديث للدموع وحدها لان لسان الفم حبس فخرس، ولسان العينين انطلق بالكلام المنسجم ، وقد كتبت الى بعضهم بعد الوصول الى مصر عبارة شعرية كنت شعرت أنها حقيقة وجدتها في نفسي ، وهي أنني وجدت وجد المودِّع

ولوعته يساويان وجد جميع من ودعوه وان كثروا، لأن كل واحد منهم فارق محبوبا واحدا وهو قد فارق أحبابا كثيرين يجد في نفسه من الالم لفراق كل منهم مثل ما يجده ذلك الفرد لفراقه هو والصواب ان لكل نوع من أنواع الوجدان والشعور حدا يختلف باختلاف أمزجة الناس ويتفاوت في الافراد بتفاوت ما يثيره في قلوبهم، ولو أمكن ان يوضع للادراكات النفسية موازين كموازين الحرارة والرطوبة والثقل لاعلمتنا بها أقصى حد لألم الفراق في نفس العاشق الواله، وفي نفس مثل الزوج والولد والوالده وهو إنما يبلغ حده الاقصى اذا كان الفراق بعيد الشقة، أو عرضة للهلاك أو شدة المشقة، كسفر ابن زريق من بغداد الى المغرب في ذلك العصر، فهو لولا الخوف من الفراق الابدي لمن أحب لما قال في وداعه يومئذ قول العاشق الممثل لما في فؤاده، لا قول الشاعر المصور لما في خياله:

ودعته وبودّي لو يودعني   طيب الحياة واني لا أودعه
كم قد تشفع بي ألاّ أفارقه   والضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى   وأدمعي مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق   عني بفرقته لكن أرقعه

ذلك بأن وداع الاحباب عند سفر قاصد (قريب) الى خير مرجوّ في حرم آمن، ليس كالوداع في سفر بعيد يضعف فيه الامل، فيما يثيره من الوجد والألم. بل أقول ان الانفس تهوى بعض الآلام الخفيفة، وتجد في باطنها لذة خفية، كلذة العاشق المستكنة في هجر محبوبه إياه هجر دلال أو هجر ملال، بعافيه وما يتلوه من تهييج عواطف الحب والوجد والاشتياق، الذي يشبه كدّ الذهن واتعابه في حل المسائل العلمية العويصة، أو اجهاد البدن في بعض الاعمال الواجبة أو الرياضات المستحبة، في ان كلا من ذلك جامع بين الالم واللذة: أو بما يترتب عليه من لذة الشكوى والعتاب كما قالت علية بنت المهدي

وأعذب أيام الهوى يومك الذي   تروّع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا   فأين حلاوات الرسائل والكتب

واذا كان لكل شعور ووجدان نفسي غاية وحد فسواء كان السبب الذي يبلغ به منتهى حده واحدا أو متعددا، واذا كان الغلو في حب الولد أو العشق أو غيرهما

من شأنه ان يترتب عليه بلوغ تلك الغاية وهو قلما يكون الا في حب الآحاد من الاولاد والاحباب فان الحب المتفرق على المحبوبين المتعددين من جنس واحد كالاولاد أو من عدة أجناس لايكاد يكون الا دون الحد الاقصى – اذا كان ماذكر كما ذكر وهو ما نراه فتلك القاعدة الشعرية التي كنت كتبتها لاتصدق بالاطراد بل الاكثر أن لوعة الفراق المتفرقة على الكثيرين تكون دون اللوعة المقصورة على الافراد

هذا وان سفرنا الى الحجاز سفر قاصد لاداء فرض لازم في عام يقل فيه عدد الحجاج فتسهل فيه مراعاة الحكومة لصحتهم والبلاد سالمة من الاوبئة فالرجاء قوي بأن تؤدى الفريضة فيه بالسهولة في مدة شهر واحد . فقراق الاهل والصحب في مثل هذا السفر ليس من شأن وداعه ان يثير منتهى الاشجان ، وينطق الدموع ويخرس اللسان ، وناهيك بمن كان مثلي مسافرا مع أشد الناس حبا له — والدته وشقيقته ، وكم ودع الناس بعضهم بعضا في مثل هذه الحال ضاحكين مسرورين ، وكذلك ودعنا الاهل والاصدقاء في محطة مصر ودخلنا القطار ، ولما وقفت في النافذة وقدم الي محمد شفيع وأنسي لاجل القبلة الاخيرة ، اضطربت عاطفة الابوة في جميع أعماق النفس ، فاضطرمت لوعة فراقهما في سويداء القلب ، ففاضت العينان ، واعتقل اللسان ، وخانتني تلك الارادة التي كنت أكابر بها الاشجان ، والعزيمة التي تعودت أن أملك بها أزمة الوجدان ، حتى عند الصدمة الاولى بموت الاخوة والاخوان ، وما ذلك الا أن ألم توديع الاولاد مشوب بالشفقة لاتستطيع مقاومته كل قوة الارادة ، وألم مثل تلك الصدمة ، هو الذي توجه لاحتماله كل العزيمة

تذكرت في هذا المقام ما قاله صديقنا عبد الحميد الرافعي شاعر طرابلس الشام في توديع أولاده عند سفر له الى الآستانة ، وهو قوله من قصيدة :

لست أنسى ساعة البين وما   هي الا فك روح من جسد
رمت فيها الصبر لكن لم أطق   وحبست الدمع لكن لم يكد
وبروحي غرر أقبلتهـــــا   لجبين الحسن منهـا مستمد
من صـغار كاللآلي لجلجت   منهم الالسن والجفن اطّرد
بعضهم أبكاه مرأى من بكى   ليس يدري قط ما اليوم وغد

والذي لاح له معنى النوى أطبق الدمع عليه فارتعد
هل سمعتم يا قومي عاشقا أنس الظبي به وهو شرد
ليتني فارقت عيني والحشا قبلما فارقت أهلا وولد
أودعوني عند ما ودعتهم حسرة كانت من الموت أشد
كلهم ينشدني قرب اللقا حاسبا للعود أياما تعد
والذي لا يعرف النطق غدا نطقه الإيما بعين أو بيد

وما بيني وبين هذا الصديق الا أن سفري خير من سفره ، وولدي أصغر من ولده ، فقد كان بعض ولده يفهم معنى الفراق والسفر، ونصير لم تكن أتمت السنة الثالثة وشفيع كان في أول الشهر الخامس عشر، وكان سبب سفره أن الشيخ أبا الهدى الشهير غضب عليه غضبة مضرية ، قطعت عليه موارد الرزق بعزله عن أعمال الحكومة ، فرحل الى الآستانة يستعطفه ويسترضيه ، عسى أن يعود بجاهه الى عمله أو عمل يفوقه أو يساريه ، معلق القلب بين الفوز بالامل ، وبين الخزي والفشل ، لا يدري أيعود كما رجا أهله بعد أيام تعد ، أو بعد شهور أو سنين لا تعد ، حسب القاعدة المطردة في كل عمل يطلب من حكومة الآستانة، فأين السفر الى تلك العاصمة، لطلب الرزق من أولئك الباخلين المخلفين؟ من السفر الى مكة المكرمة، لطلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين ؟ لقد كان ذلك الشاعر جديرا بأن لا تعود اليه السكينة ، الا بعد أن ينقلب الى أهله بما يرجو من الوظيفة ، وأما هذا الكاتب فقد عادت اليه سكينته بعد سير القطار بساعة زمانية، وانما كان يفكر أحيانا فيما يرجو من الاهتمام بصحة والديه في غيبته ، واستشارة الطبيب حتى عند الحوادث التي لم يكن يستشيره في مثلها ، وقد ضعف التفكر في ذلك وفي غيره من أمور الدنيا منذ الاحرام الى التحلل التام منه بأداء المناسك كلها ، حتى كأن الانسان يدخل بمجرد الاحرام في عالم آخر

والعبرة فيما بيناه من فلسفة الوداع أن نذكر القارئ بأن ألمه هو أول فوائد السفر المهذبة للنفس ولا سيما نفس الوالد، وقد غفل عنها من حصر ذلك في خمس فوائد . وانني رأيت بعض من آثر العزبة وبعض من حرم النسل يظنون ان الولد من منغصات العيش في الدنيا، لأن غبطة النفس به، وقرة العين برؤيته، ولذة الامل بطول عمره وحسن

مستقبله، لا توازي آلام وداعه عند السفر، والحذر عليه من الموت أو المرض والضرر، دع هم الوالد في تربيته وتعليمه في حياته، والخوف من سوء حاله بعد مماته، ولا سيما اذا كان قليل المال، وكثر عليه العيال. وما هذه الظنون، الا من أوهام الكسالى والمحرومين، إلا أن عدم اقدام فاقد المال أو قليله على الزواج، له وجه في هدي الشرع وآراء الناس. وأما ما يدخل في موضوعنا منها وهو لوعة الوداع ومرارة الفراق، وما يتلوها من حرارة الاشتياق، فهو من أعظم فوائد نعمة الاولاد على الوالدين في تهذيب أنفسهم، وتثقيف عواطفهم، واعلاء هممهم، وتقوية أريحيتهم، وهي على ما فيها من الفوائد، حلوة الطعم في ذوق الوالد، كما يستحلي المشتاق تجني الحبيب، ويقولون ضرب الحبيب زبيب، ولو قيل للمشتاق أتحب أن تخمد حرارة هذا الشوق في قلبك فتمسي لا تذكر من تشتاق ولا تحن الى لقائه — لقال لا، وفي معناه قول قيس العامري:

وقالوا لو تشاء سلوت عنها   فقلت لهم واني لا أشاء

ذلك بأن ما يهيج الوجد مما ذكر يشبه نغمات الالحان، المثيرة للاشجان، والمحركة للاحزان، على شهداء الحق في سبيل الايمان أو الاوطان، الحافزة الى الاخذ بثارهم، والرغبة في اقتفاء آثارهم، وهي مما يرغب فيه الفضلاء، ويحث عليه الحكماء؛ وان بكاء الفراق، الذي يرجى بعده التلاق، كالبكاء من خشية الله عز وجل يحسبه من لم يذق طعمه عذابا وألما، وما هو الا نعيم وغبطة، ولذلك قال من ذاق فعرف: أهل الليل في ليلهم، أطيب نفسا من أهل اللهو في لهوهم. وقال بعضهم: لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف. ولا تكمل تربية أحد الا بركوب الصعاب وحمل الآلام والاثقال

وأبعد تلك الظنون بل الوساوس عن الحقيقة وأوغلها في الوهم ما توسوس به النفس لبعض المحرومين: ان خوف الوالد أن يموت قبل أن يرشد ولده ويستقل بنفسه في معيشته، أو يكون له مورد واسع من الرزق يعيش به، ينغص عليه غبطته وسروره بوجوده. وقد سمعت مثل هذا ممن يعد نفسه ويعده بعض الناس من علاة الاخلاق، وما هو الا من أسرى الوساوس والاوهام، فان تفكر الناس في مستقبل أولادهم من بعدهم أو احتمال موتهم من قبلهم، ما كان لينغص عليهم هناءهم وغبطتهم بهم، الا من شذ من غلاة الموسوسين، الذين وصلوا أو كادوا أن يصلوا الى درجة

المجانين، وكل نعمة يخولها هؤلاء تكون عليهم نقمة يحرمون لذة وجودها، ويعذبون بتوهم فقدها، أو احتمال حدوث مصاب بسببها، ومن غلاة هؤلاء المساكين ديك الجن الذي قتل وصيفه ووصيفته لاشتداد شغفه بهما وخوفه ان يموت ويتمتع بهما غيره، ويقرب منه ذلك العاشق المسكين، الذي خلق من ماء الدموع وصلصال الانين، لا من الماء والطين، فاستوى عنده القرب والبعد، والوصل والصد، فهو يبكي من يحب في كل حال، كما وصف نفسه فقال:

فأبكي ان نأوا شوقا اليهم ✻ وأبكي ان دنوا خوف الفراق

اننا بعد توديع من ذكرنا ركبنا وحدنا في مخدع من مخادع مركبات الدرجة الاولى من القطار الحديدي ولكننا لما انتقلنا مع سائر الركاب في الاسماعيلية الى القطار الآخر الفيناه قطارا رديئا وقد اكتظ بالجنود البريطانية حتى ان المخادع الخاصة بالنساء المخدرات لم تكن تخلو منهم، فاضطررت الى وضع السيدتين فى مخدع منها رأيت فيه مواضع لي ولهما، واثقا بأننا لا نرى من هؤلاء الجنود ما نكره، وكذلك كان ولله الحمد، وآداب الجنود الانكليزية الخلص معروفة عند جميع المصريين يندر أن يرى أحد من سكران منهم تعديا او اساءة فكيف يكون ادبهم في حال الصحو ؟ وقد وقف القطار فى محطات جديدة كثيرة خاصة بالجنود المعسكرة على جانبي الطريق قريبة من الخط الحديدي او بعيدة عنه، وبسبب ذلك يتأخر القطار قليلا عن موعده المعتاد

وصلنا الى السويس قبل المغرب وكان قد سبقنا اليها امس مع جماهير الحجاج المصريين محمد نجيب افندي المعاون فى مديرية الجيزة وهو صهرنا على بنت اخي، والشيخ خالد النقشبندي، فكانا رفيقين لنا فى السفر فى كل حل وترحال، وكل منزل من منازل الحاج، وقد بتنا تلك الليلة في دار اختارها لنا الرفيقان من دور الاهالي التي يأوي اليها الحجاج في هذه الايام، وهم يتقاضون من الاجرة فى كل ليلة فوق ما يعهد في الفنادق الكبيرة التي تفوقها خدمة ونظافة، وكذلك اصحاب المركبات فى السويس يزيدون أجورها على الحجاج اضعافا

وفى ضحوة اليوم التالي ذهبنا الى مكتب الصحة لاجل ما فرضته الحكومة على كل حاج من تلقيح اطبائها إياه بالمصل الواقي من الهيضة الوبائية (الكوليرا) (لها بقية)

ذكرى المولد النبوي (*)

٢

البعثة النبوية وجملة سيرته صلى الله عليه وسلم قبلها

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وسطًا في قومِهِ وأُمَّتِه، ولكنَّهُ أرقاهم بل أرقى البشرِ في زكاءِ نفسِهِ وسلامةِ فطرتِه، نشأَ يتيمًا شريفًا، وشبَّ فقيرًا عفيفًا، ثُمَّ كانَ زوجًا مُحبًّا لِزوجِهِ مُخلِصًا لها، ولَمْ يتولَّ هو ولا والدُهُ شيئًا من أعمالِ قريشٍ في دينِها ولا دُنياها، ولا كانَ يعبُدُ عبادتَهم، ولا يحضُرُ سامِرَهم ولا ندوتَهم، ولَمْ ينظِمِ الشعرَ كما كانُوا ينظِمُون، ولا عُنِيَ بالخطابةِ كما كانُوا يعتَنُون، ولَمْ يُؤثَرْ عنهُ قولٌ ولا عملٌ يدلُّ على حُبِّ الرِّياسةِ، أو البحثِ في شؤونِ السِّياسةِ؛ ولَمْ يُشارِكْهُمْ في شيءٍ مِنْ خُرافاتِ الجاهليَّةِ وضلالاتِ الشِّرْكِ، ولا مِنَ المُفاخَراتِ الكلاميَّةِ وشؤونِ الغزْوِ والحرْبِ، بلْ كانَ يحبُّ العُزْلةَ، ويألَفُ الوحْدَةَ؛ ورُوِيَ أنَّهُ في حداثَتِهِ حضَرَ سمَرَهُمْ مرَّتَيْنِ، ألْقَى اللهُ فيهِما عليهِ النَّوْمَ؛ وحُبُّ العزلةِ والانكِماشِ، معروفٌ عنْ كثيرٍ منَ النَّاس، وإنَّما كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يمتازُ في

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٤٠٩

نَشأَتِهِ الأُولى عَلَى ٱلأَتْرَابْ ، بِٱلتِزامِ الصِّدْق وَٱلأَمَانَةِ وَعُلُوِّ الآدَابْ، فَبِذَلِكَ كانَ لهُ فِيهِمُ المقَامُ المَكِين، حَتَّى لَقَّبُوهُ بِٱلأَمِين.

عَلَى هٰذهِ ٱلحَالِ كانَ صلَّى ٱللهُ عليهِ وسلَّمَ حِينَ بلَغَ أَشدَّهُ وٱستَوى، وَكَمَلَتْ مِنْ جَسَدِهِ ٱلسَّلِيمِ وَنَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ جَمِيعُ القُوَى. — لا طَمَعَ في مَالٍ وَلاَ سُمْعَة ، وَلاَ تَطَلُّعَ إِلى جَاهٍ ولا شُهْرَة. وَكانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ ٱلوَحْيِ ٱلرُّؤْيَا الصَّالِحَة ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ [1] وَاضِحَة ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ ٱلخَلاَءُ ، [2] وَكَانَ يَخلو بِغَارِ حِرَاءٍ، [3] فَيَتَحَنَّثُ فيهِ ٱللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدْ، [4] ثُمَّ يَرْجِعُ إِلى خَدِيجة فَيَتَزَوَّد، [5] حَتَّى جَاءَهُ ٱلحَقُّ وَهوَ عَلى هٰذَا الشَّانْ ، بِنُزُولِ القُرْآنِ عليهِ

(١) الفلق بالتحريك يطلق على الصبح وهو من فلق الشيء بمعنى شقه وفرقه فرقين فان ضوء الصبح يشق الظلام اذ يظهر مستطيلا ثم مستطيرا ومنه (فالق الاصباح) وبهذا المعنى أضيف الى الصبح ، والمعنى انه كان يرى الرؤيا فتقع كما رأى اذ تنطبع المعاني في مرآة روحه الصقيلة كما هيه، فهذا ضرب من الوحي وكانت مدته قبل وحي اليقظة الصريح ستة أشهر من ربيع الاول شهر ولادته الى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن (٢) الخلاء بالمد الاختلاء والانفراد

(٣) الغار ثقب في الجبل وحراء بالكسر أحد الجبال المحيطة بمكة على يسار الذاهب منها الى منى . والغار في أعاليه مشرف على مكة ، بحيث ترى منه الكعبة ، كما يشرف على ما دونه من تلك البقاع ، فهو حسن الموقع جيد الهواء ، يتسع للمختلي فيه مجال الفكر، والشعور بعظمة الرب ،

(٤) أصل التحنث توقي الحنث أي الاثم وتجنبه وفسره الزهري في الحديث بالتعبد، قيل كان يعبد الله على ملة ابراهيم وقيل بالفكر خاصة، واختلف في عدد الليالي التي كان يقيمها ويتزود لمثلها (٥) التزود اتخاذ الزاد من طعام وماء

في شهر رمضان، بأن تمثل له الروح الأمين جبريل، ولقنه عن ربه أفضل التنزيل، قال له اقرأ فقال « ما أنا بقارئ » كررا ذلك ثلاث مرات، وهذا من أمر التكوين لا من تكليف ما لا يطاق، وكان الملك بعد كل جواب يغطه أي يضمه إلى صدره ويعصره، حتى يبلغ منه الجهد مبلغه، وحكمة ذلك أن تغلب فيه الروحانية على البشرية، ويستمد لتلقي الآيات الإلهية، فيكون واسطة بين الخلق والخالق، ومنتهى الحاضر ومبدأ الغائب، ولما أرسله في الثالثة قال (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم *) أي كن قارئاً بعد أن كنت أمياً، باسم ربك الذي خلق الإنسان الناطق من علق ولم يك شيئاً، لا باسمي ولا باسمك، ولا بحولي وقوتي ولا بحولك وقوتك، فهو القادر على جعلك قارئاً لآيات ربك، التي اقتضى جوده وكرمه أن يرسمها بالوحي في لوح قلبك، وعلى تعليمك من الكتاب والحكمة مالم تكن تعلم، كما علم الإنسان بالقلم وغير القلم مالم يكن يعلم، — فرجع صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات إلى خديجة يرجف فؤاده، وقد ارتعد بدنه ولكن حفظ رشاده، فقال « زملوني زملوني » فزملوه، أي لففوه بالثياب ودثروه، حتى إذا ذهب عنه الروع أخبر خديجة الخبر، وقال « لقد خشيت على نفسي » أي الهلاك أو الضرر،

فَقَالَتْ لَهُ : كَلاَّ وَاللهِ مَا يَحْزُنُكَ (١) اللهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، (٢) وَتَحْمِلُ الْكَلَّ (٣) وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ (٤) ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ (٥) . ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ ثَلاَثَ سِنِين ، قَوِيَ فِيهَا الاسْتِعْدَادُ وَاشْتَدَّ الشَّوْقُ وَالْحُزْن . قَال « بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ » وَذَكَرَ أَنَّهُ رُعِبَ مِنْهُ أَيْضًا ، وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ دُونَ الرُّعْبَةِ الأُولَى ، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَتَزَمَّلَ وَتَدَثَّر ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ ، وَبَلَّغَ صَلَّى اللهُ

---

(١) يحزنك من الحزن وهي رواية أبي ذر ، وعند غيره ما يخزيك من أخزاه بمعنى فضحه وأهانه (٢) أي تحسن للاقارب بما يليق بكل منهم

(٣) الكل بالفتح الثقيل حملا أو عيالا أو طبعاً والمتعب، أي تحمل أثقال الناس أو تحمل المتعب على ما يركبه من الابل أو الدواب (٤) أي تكسب المحتاج ما هو عادم له (٥) النوائب النوازل والمصائب والحوادث أي تعين الناس في كل امر غير باطل وهذه كلمة جامعة في بيان فضائله «ص» وهو يدل على فضل خديجة وعقلها واعتقادها ان من يلتزم الحق وعمل الخير لا يحزنه الله ولا يخزيه . والحديث في الصحيحين ، وتتمته باختصار قليل : فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عمها وكان قد تنصر في الجاهلية ، ويكتب من الانجيل بالعبرانية ، وكان شيخا كبيرا قد عمي . فقالت له اسمع من ابن أخيك . فقال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فاخبره «ص» خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى . ياليتني فيها جذع « اي شاب » ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال له رسول الله «ص» او مخرجيّ هم ؟ قال نعم، لم يأته رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي ، وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ رَبِّهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَتَتَايَعَ.[1] فَمَا هَذَا النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي جَاءَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينْ، وَمَا ذَلِكَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينْ، فَغَيَّرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى يَدَيْهِ تَارِيخَ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ؛

تبليغ الدعوة الإسلامية وخلاصتها

إِنَّ ذَلِكَ الْيَتِيمَ الْعَائِلَ فِي حَدَاثَتِهِ، الرَّاعِيَ شَرِيفَ التَّاجِرَ الْقَنُوعَ فِي شَبِيبَتِهِ، الزَّوْجَ الْمُخْلِصَ لِزَوْجَتِهِ، الْوَالِدَ الْعَطُوفَ عَلَى بَنَاتِهِ وَصِبْيَتِهِ[2] الْأُمِّيَّ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ سِفْرًا، وَلَا كَتَبَ سَطْرًا، وَلَا قَالَ شِعْرًا، وَلَا ارْتَجَلَ نَثْرًا، النَّاشِئَ فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ، الَّتِي فَرَّقَتْهَا نَزَعَاتُ الْعَصَبِيَّةِ، وَاسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهَا نَزَغَاتُ الْوَثَنِيَّةِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَمْسَتْ عَاصِمَتُهَا الدِّينِيَّةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، ذَاتَ حُكُومَةٍ شَبِيهَةٍ بِالْعُرْفِيَّةِ، لَيْسَ لَهَا رَئِيسٌ مَتْبُوعٌ، وَلَا قَانُونٌ مَشْرُوعٌ؛ قَامَ فِيهَا يَدْعُوهَا إِلَى تَوْحِيدٍ يَجْتَثُّ جَرَاثِيمَ الْوَثَنِيَّةِ، بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ؛ وَإِلَى اسْتِبْدَالِ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ بِتِلْكَ الْأُمِّيَّةِ، وَاسْتِبْدَالِ الْحِكْمَةِ بِتِلْكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِلَى تَزْكِيَةِ الْأَنْفُسِ مِنْ تِلْكَ الْخُرَافَاتِ وَالتَّقَالِيدِ الْوِرَاثِيَّةِ، وَإِلَى اسْتِعْمَالِ عُقُولِهَا وَحَوَاسِّهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ،

---

(١) التتايع (بالياء قبل العين) التهافت والاسراع في الشر أو التتابع (بالباء الموحدة) فيه (٢) صبيته القاسم وعبدالله والطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر لقبان لعبدالله وهؤلاء من خديجة كبناته الاربع ، وابراهيم من مارية القبطية

وَالِانْتِفَاعِ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَكْوَانِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ

بَلْ قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ شَأْنًا، وَأَعَمُّ فَائِدَةً وَنَفْعًا، — قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى كِتَابٍ مُهَيْمِنٍ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَدِينٍ أُنْزِلَ لِإِصْلَاحِ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ، وَشَرِيعَةٍ عَادِلَةٍ سَمَاوِيَّةٍ اجْتِهَادِيَّةٍ، تَسْتَأْصِلُ تِلْكَ الْفَوْضَى الِاجْتِمَاعِيَّةَ، وَتَكْفُلُ لَهُمُ السَّعَادَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ، بِإِعْتَاقِهَا الْبَشَرَ مِنْ رِقِّ السَّيْطَرَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَجَعْلِهِمْ أَحْرَارًا مُسْتَقِلِّينَ فِي فَهْمِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، وَأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى الْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ. وَجَعْلِ أَمْرِهِمْ شُورَى بَيْنَهُمْ فِي الْأَحْكَامِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ، وَجَعْلِ دَرْءِ الْمَفَاسِدِ وَحِفْظِ الْمَصَالِحِ أَسَاسًا لِلْأُمُورِ الْأَدَبِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، وَجَعْلِ الْإِخْلَاصِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ، فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ، مِمَّا يَسْتَعِدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَجَعْلِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرْضًا تَقُومُ بِهِ الْأَفْرَادُ وَتَتَعَاوَنُ عَلَيْهِ الْجَمَاعَاتُ، لِأَنَّهُ سِيَاجُ الْفَضِيلَةِ وَمُقَوِّمُ الْأَخْلَاقِ وَالْعَادَاتِ. وَجَعْلِ الْقِتَالِ ضَرُورَةً تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا، وَيُجْتَهَدُ فِي إِضْعَافِ ضَرَرِهَا وَشَرِّهَا، فَلَا يُقْتَلُ فِيهَا النِّسَاءُ وَلَا الْأَوْلَادُ وَلَا الْأُجَرَاءُ وَلَا الْعُبَّادُ، وَلَا يُمَثَّلُ فِيهَا بِالْقَتْلَى [1] وَلَا يُذَفَّفُ عَلَى الْجَرْحَى؛ [2] وَمَتَى رَجَحَتْ كِفَّتُنَا بِالْإِثْخَانِ [3] فِي الْأَعْدَاءِ، نَكْتَفِي

(١) التمثيل بالقتيل تشويهه بقطع بعض أعضائه كجدع الانف وصلم الاذنين وقلع العينين (٢) التذفيف على الجريح الاجهاز عليه اي إماتته (٣) الاثخان في الاعداء إضعافهم بكثرة من يقتل منهم . ومن رحمة الاسلام وإصلاحه =

بالأسر عن سفك الدماء ، (فإمَّا مَنا بَعْد وَإمَّا فِداء حَتَّى تَضعَ الحَرْبُ أَوْزَارَها) ، [١] وَتَزُولَ الضَّرُورَةُ الَّتِي أَوْقَدَتْ نَارَهَا ، وَإنْ جَنَحُوا للسَّلْم جَنَحْنا لَها ، [٢] لِأَنَّنا أَحقُّ بِها وأَهلُها ؛ — إلى غيْرِ ذلِكَ مِنْ ضُرُوب الاصلاح ، وأَسْبابِ الفوْزِ والفلاحِ . وَمِنْ أَهمّها أَحْكامُ الرِّقّ، بما رَغَّبَ وَأَوْجَبَ فِيها مِنَ العِتْق . وأحْكامُ اليتامَى والنِّساءِ ، فِي الحُقوقِ والإرْثِ والتَّصرُّفِ في الأَموال ، وحَسْبُكَ مِنْ هٰذا الإصْلاحِ العَظِيم ، قوْلُهُ تعالَى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بالمَعْرُوفِ وللرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عزِيزٌ حَكِيمٌ)

قامَ يُنَبِّئُهُمْ بأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ إلَى جَمِيعِ الأُمَمِ ، مِن العَرَبِ وَالعَجَمِ، وأَنَّهُ أُوحِيَ إلَيْهِ هٰذا القُرْآنُ لِيُنْذِرَهُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ، [٣] وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعالَى (تبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ

= ابطال ما كانت الامم تستبيحه من استئصال اعدائها . ولم يكتف بمنع قتل من لا يقاتل منهم حتى امر بان يكف عن قتل المقاتلين أنفسهم اذا ضعفوا وامنا شرهم، وان نكتفي حينئذ باسرهم، وخيرنا في الاسرى بين المن عليهم باطلاقهم وفك أسرهم بلا مقابل، و بين فداء اسرانا عندهم ان كان لنا عندهم اسرى . وذلك قوله تعالى (حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد) الخ

(١) الاوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل و يطلق على الذنب، والمعنى حتى تنقضي الحرب بوضع المحاربين لأثقالها من السلاح والذخائر عن انفسهم — وقيل بترك الكفار للعدوان والذنوب الموجبة لها . (٢) السلم ضد الحرب وكلاهما مؤنث اللفظ (٣) أي وينذر به كل من بلغه ووصلت اليه دعوته من سائر الامم

للعالمين نذيرا) ، وقوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) ؛ ويخبرهم عن الله عز وجل بأنه سينصره عليهم ، ويبشر المؤمنين منهم بأنهم هم الذين يحملون دعوته إلى غيرهم ، وأن الله سيفتح لهم مصر والشام ، ويعطيهم ملك كسرى وقيصر ، وأنهم سيكونون هم الأئمة الوارثين ، (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)

قام صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوة الكبرى ، وذكر بها قومه فأعرض الأكثرون عن الذكرى ، ولم يعقل أذكى قريش وأعقلهم لها سببا إلا الجنون ، أو نبز الداعي إليها بلقب شاعر أو كاهن مفتون ، إذ كانوا يعلمون أنه لم يكن لديه شيء من الأسباب والوسائل ، لما هو دونها بمراحل ، — لا حول لا قوة ، لا مال لا عصبية ، لا سليقة في الشعر تجذب القلب ، لا تمرن على الخطابة يؤثر في اللب ، كما يعلمون أنه طبع على الصدق ، وعاش طول عمره عيشة الجد ، فكان أقرب ما توصف به تلك الدعوة إلى الظنون ، أن قالوا إنها نزعة من نزعات الجنون ، ولولا ما أيده الله تعالى به من الآيات والبراهين ، وأعظمها هذا القرآن الحكيم والنور المبين . ولولا تصديق الله

تعالى إياه بالفعل، كما صدقه بذلك القول الفصل. لقال بقولهم ذلك في كل حين، من بلغته دعوى تلك الدعوة من المتقدمين والمتأخرين، (ن، والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجرا غير ممنون[1] * وإنك لعلى خلق عظيم * فستبصر ويبصرون * بأيكم المفتون * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[2]

«أي برهان على النبوة أعظم من هذا، أمي قام يدعو الكاتبين إلى فهم ما يكتبون وما يقرءون، بعيد عن مدارس العلم صاح بالعلماء ليمحصوا ما كانوا يعلمون. في ناحية عن ينابيع العرفان جاء يرشد العرفاء، ناشئ بين الواهمين هب لتقويم عوج الحكماء. غريب في أقرب الشعوب إلى سذاجة الطبيعة، وأبعدها عن فهم نظام الخليقة والنظر في سننه البديعة، أخذ يقرر للعالم أجمع أصول الشريعة؛ ويخط للسعادة طرقا لن يهلك سالكها، ولن يخلص تاركها

«ما هذا الخطاب المفحم؟ ما ذلك الدليل الملجم؟ أأقول ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم؟ لا، لا أقول ذلك، ولكن أقول كما أمره الله أن يصف نفسه: إن هو إلا بشر مثلكم يوحى إليه. نبي صدق الأنبياء، ولكن لم يأت في الإقناع برسالته بما يلهي الأبصار

(١) أي غير مقطوع (٢) النبذة الآتية التي أولها «أي برهان» وآخرها (تنزيل من حكيم حميد) مقتبسة من رسالة التوحيد لشيخنا الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى

أَوْ يُحَيِّرُ الْحَوَاسَّ، أَوْ يُدْهِشُ الْمَشَاعِرَ، وَلَكِنْ طَالَبَ كُلَّ قُوَّةٍ بِالْعَمَلِ فِيمَا أُعِدَّتْ لَهُ، وَاخْتَصَّ الْعَقْلَ بِالْخِطَابِ وَحَاكَمَ إِلَيْهِ الْخَطَأَ وَالصَّوَابَ؛ وَجَعَلَ فِي قُوَّةِ الْكَلَامِ وَسُلْطَانِ الْبَلَاغَةِ وَصِحَّةِ الدَّلِيلِ مَبْلَغَ الْحُجَّةِ وَآيَةَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »(1)

كَانَ مَثَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِثْبَاتِ مَا جَاءَ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي بَلَدٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَمْرَاضُ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَى أَهْلِهِ طَبِيبٌ وَلَا عِلَاجٌ، فَادَّعَى أَنَّهُ طَبِيبٌ يُبْرِئُ الْعِلَلَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَثْبَتَ دَعْوَاهُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، إِذْ جَاءَ بِكِتَابٍ عَالَجَ بِهِ أُولَئِكَ الْمَرْضَى الَّذِينَ أَعْضَلَ دَاؤُهُمْ، وَاخْتَلَفَتْ أَمْرَاضُهُمْ، فَشُفُوا وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ صِحَّتُهُمْ؛ إِلَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنْ دَوَائِهِ، حَتَّى هَلَكَ بِدَائِهِ؛ بَلِ الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ

أَلَا إِنَّ مُدَاوَاةَ أَمْرَاضِ الْأُمَمِ الرُّوحِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ، أَعَزُّ وَأَعْسَرُ مِنْ مُدَاوَاةِ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ، وَتَتَوَقَّفُ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ لَا عَلَى عِلْمٍ وَاحِدٍ، يُدْرَسُ الْآنَ مَنْقُولُهَا وَمَعْقُولُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَدَارِسِ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ دَرَسَهَا فِي كُتُبِهَا، وَتَلَقَّاهَا عَنْ أَسَاتِذَتِهَا، يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ بِالْعَمَلِ بِهَا، فَمَا الْقَوْلُ فِي أُمِّيٍّ نَشَأَ بَيْنَ أُمِّيِّينَ، قَامَ بِذَلِكَ الْإِصْلَاحِ الَّذِي تَغَيَّرَ بِهِ تَارِيخُ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ، فِي الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَاتِ وَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَامْتَدَّ مَعَ لُغَتِهِ

(1) هذا آخر ما اقتبسناه من رسالة التوحيد وفيها بعده الكلام على القرآن

في قرن واحد من الحجاز إلى آخر حدود أوربة من الغرب، وإلى حدود بلاد الصين من جهة الشرق، حتى خضعت له الأمم، ودالت لدولته الدول، وكانت تتبعه في كل فتوحه الحضارة والمدنية، والعلوم العقلية والكونية، على أيدي تلك الأمة الحديثة العهد بالأمية، التي علمها القرآن أن إصلاح الإنسان، يتبعه إصلاح الأكوان، فهل يمكن أن يكون هذا إلا بوحي من لدن حكيم عليم، وتأييد سماوي من الإله العزيز القدير الرحيم، اختص به ذلك النبي الأمي الكريم، عليه من الله افضل الصلاة والتسليم ؟

مناهضة الدعوة، والجاء الرسول الى الهجرة

بدأ دعوته صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته الأقربين، ومن في مكة من قريش ومن الموالي والوافدين، فلقي أشد الجحود والايذاء من قومه، حتى صدوه عن تبليغ دعوة ربه، عملا بقول أبي لهب: خذوا على يديه، قبل أن تجتمع العرب عليه ، وقد أخرجوا عمه أبا طالب وآله من مكة، لأنه لم يخل بينهم وبينه، فجمع أبو طالب بني هاشم والمطلب، ودخل بهم ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم في الشعب، وأجمعت قريش مقاطعتهم، وعدم مصاهرتهم؛ وأن لا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً، ولا يقبلوا منهم صلحاً، إلا

أَنْ يُسْلِمُوا مُحَمَّدًا لِلْقَتْلِ ، فَمَكَثُوا ثَلَاثَ سِنِينَ فِي الشِّعْبِ ، وَهُمْ فِي أَشَدِّ الْبَلَاءِ وَالْجَهْدِ، وَكَانَ بَعْضُ مَامَسَّهُمْ مِنَ الضَّرَرِ ، أَنْ أَكَلُوا وَرَقَ الشَّجَرِ ؛ ثُمَّ اشْتَدَّ إِيذَاءُ قُرَيْشٍ لَهُ وَلِمَنْ آمَنَ بِهِ بَعْدَ وَفَاةِ خَدِيجَةَ وَأَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ تُوُفِّيَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ مَنْ يَحْمِيهِ لِلْقِيَامِ بِهذَا الأَمْرِ ، فَلَمْ يَحْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَدٌ ، وَلٰكِنْ آمَنَ بِهِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ[1] ثُمَّ آمَنَ بِهِ آخَرُونَ مِنْهُمْ فِي مَوْسِمٍ آخَرَ، وَصَارُوا يَدْعُونَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرآنَ . فَفَشَا الإِسْلَامُ فِيهِمْ، وَجَاءَ فِي الْمَوْسِمِ الثَّالِثِ امْرَأَتَانِ وَثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلاً مِنْهُمْ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِرَبِّهِمْ وَإِلٰهِهِمْ ، وَأَنْ يَمْنَعُوهُ — أَيْ يَحْمُوهُ — مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَتَمَهَّدَتْ لَهُ بِذٰلِكَ أَسْبَابُ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ جُمْهُورٌ مَنْ آمَنَ بِهِ إِلَى الْحَبَشَةِ ، فَأَمَرَ مَنْ بَقِيَ أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُخْتَفِينَ، فَكَانَ الْقَادِرُونَ يُهَاجِرُونَ أَرْسَالاً مُتَتَابِعِينَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَكَابِرُ قُرَيْشٍ بِالأَمْرِ ، وَأَنَّ الرَّسُولَ سَيَتْبَعُ أَصْحَابَهُ بِالسِّرِّ ، فَفَزِعُوا إِلَى الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُهَيِّئُ رَاحِلَتَيْنِ وَزَادًا وَدَلِيلاً لِلْهِجْرَةِ مَعَ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ ، كَانَ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ يَأْتَمِرُونَ[2] بِالرَّسُولِ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ، فَبَعْضُهُمْ يَرَى نَفْيَهُ وَبَعْضُهُمْ

(١) هي المدينة المنورة (٢) يتشاورون في الأمر

يَرَى حَبْسَهُ وَبَعْضُهُمْ يُرَجِّحُ قَتْلَهُ ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًّا جَلْدًا، (١) يَقِفُونَ أَمَامَ دَارِهِ لَيْلاً ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ ضَرَبُوهُ بِسُيُوفِهِمْ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لِيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي جَمِيعِ الْقَبَائِلِ، فَيَرْضَى بِدِيَتِهِ بَنُو هَاشِمٍ ، فَلَمَّا وَقَفَ أُولَئِكَ الشُّبَّانُ عَلَى بَابِهِ ، أَمَرَ عَلِيًّا بِأَنْ يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ وَيَتَدَثَّرَ بِبُرْدِهِ ، وَخَرَجَ صلى الله عليه وسلم مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ وَلاَ شَعَرَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، بَلْ كَانُوا يَنْظُرُونَ مِنْ فُرُوجِ الْبَابِ ، فَيَرَوْنَ النَّائِمَ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ (٢) وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

(لها بقية)

صوت دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٧

الامراض التي تنشأ من الميكروبات الحيوانية

النافض أو الملاريا Malaria

لفظ ملاريا أصله بالايطالية كلمتان [mal aria] ومعناهما «الهواء الفاسد» سميت به هذه الحمى لتوهم الناس في زمن التسمية أن سببها فساد الهواء

---

(١) القوي الصابر (٢) المكر التدبير الخفي الذي يفضي بالممكور به الى ما لا يعلم ولا يحتسب ويكون في الشر غالباً وقد يكون لابطال الشر أو للخير ومنه مكر الله عز وجل . والاثبات الاعتقال، والاخراج النفي

يطلق هذا اللفظ على أنواع من الحمى تنشأ عن ميكروب حيواني من نوع [البروتوزوا Protozea] (راجع صفحة ٢٨ من هذا الكتاب) يعيش في دم الانسان وينتقل من شخص الى آخر بنقل بعض أنواع البعوض (الناموس) ويسمى هذا الميكروب بالافرنجية [Plasmodium] أو [أميبا الدم Hoemamoeba] واعلمنا أنه يعيش في دم الانسان لانه لم يعرف الى الآن أنه يعيش في دم أي حيوان آخر من ذوات الثدي، ماعدا نوعا يشبهه يعيش في دم بعض أنواع القردة ويحدث لها حمى

تمتاز أخف أنواع هذه الحمى التي تحدث في أكثر البلدان المعتدلة بتقطعها بمعنى أن نوبها تنفصل بعضها عن بعض بفترات يكون فيها المصاب كأنه سليم منها، أعني أنها لا تكون مستمرة كالحميات المعدية الاخرى ، فتستمر النوبة بضع ساعات ثم تزول وتعود في اليوم الثاني أو في الثالث [Tertian] أو في الرابع [Quartan] . والنوع الذي يعود في اليوم الثالث هو الاكثر حدوثا في الاقاليم المعتدلة . أما الذي يعود في اليوم الرابع فيكثر حصوله في بعض بلدان ايطاليا والهند. وهنالك أنواع أشد مدة الحمى فيها أطول وخطرها أكثر وتعرف في ايطاليا بالحمى الصيفية الخريفية [Aestivo - autumnal] وفي البلاد الحارة (بالحمى المستمرة أو الخبيثة) ويكثر انتشار هذه الحمى في الاقاليم التي بين خطي ٦٣° شمالي خط الاستواء و٥٧° جنوبيه

الاسباب — قلنا إن الذي ينقل ميكروب هذه الحمى هو البعوض فلذا توجد هذه الحمى حيث يوجد البعوض ويكثر، وتختفي أو تنعدم حيث لا يوجد، أعني أن حرارة الجو وكثرة الرطوبة والمستنقعات التي يتوالد فيها البعوض هما أعظم الاسباب لانتشار هذه الحمى. وجميع الاجناس البشرية عرضة للاصابة بها، ولكن السود أقل في ذلك من البيض . وهي تصيب الانسان في جميع الاعمار . ومما يهيئ للمرض ضعف الصحة والتعرض للرطوبة أو لحرارة الشمس الشديدة أو الافراط أو التفريط في الاكل أو الشرب

وقد يكمن الميكروب في الدم ولا يحدث الحمى وإنما بسبب ضعف الصحة وفقر الدم أو ضخامة الطحال . ولا يستمر بقاؤه في الدم الى أكثر من ثلاث سنين

اذا لم تتكرر العدوى به

ولهذا الميكروب أنواع ، ثلاثة منها على الاقل تعيش في دم الانسان ، والاخرى في دم الطيور . وقد اكتشف مايعيش منها في الانسان بين سنة ١٨٨١ و١٨٩٠ . وهذه الانواع الثلاثة تعيش داخل كريات الدم الحمراء وتتغذى بها فتمتص مادتها الهيموغلوبينية وتحولها الى حبيبات ملونة (سوداء أو سمراء مصفرة) [١] يمكن اعتبارها كأنها براز لها فاذا كبرت خلية الميكروب انقسمت الى عدة أقسام (تتراوح بين ٦ — ١٥ أو ٢٠) وانفجر غشاء الكرية الحمراء فتخرج هذه الاجسام وتسبح في الدم ثم تخترق كريات حمراء أخرى وتسكنها وتفعل بها مافعلته في الاولى . وكثير منها تقتله خلايا الطحال أو غيرها أو خلايا الدم البيضاء

وعند تمام نمو خلية الميكروب وانقسامها الى عدة أقسام ترتفع حرارة المصاب ، لان الميكروب حينئذ يخرج سمه فيدور مع الدم . ومن ذلك ترى أن هذا الميكروب اللعين يفسد الصحة باتلافه الكريات الحمراء التي عليها مدار التنفس وبافرازه سما يحدث الحمى ، وهناك ضرر ثالث وهو افرازه سما آخر يذيب كريات الدم الحمراء فيتعب الكبد ويكثر من افرازه الصفراء ويكثر الاسهال ، وقد يبول المريض بولا أحمر مشتملا على مادة الدم الذائبة فيه — كما سيأتي — فتلتهب الكلى بسبب ذلك

ولا يلزم من دخول هذا الميكروب الى الدم أن يحدث للمصاب ماذكر فانه قد يقتل ولا يصاب الشخص بشيء ، وقد يكمن في الطحال الى ان تضعف قوة مقاومة الجسم له فتظهر حينئذ أعراض الحمى ، وقد تتغلب البنية بعد ذلك على الميكروب فتبيده وتحصل للجسم مناعة تقيه شره مرة أخرى . وهذا الميكروب قد يصيب الاجنة في أرحام أمهاتها غير أن ذلك نادر جدا

أما البعوض الذي ينقل العدوى من شخص الى آخر فهو من النوع المسمى [Anopheles] وميكروب الملاريا لايضره بشيء اذا دخل جسمه . واعلم ان ذكر هذا البعوض لا يمص الدم بل الانثى فقط وهي التي تحمل العدوى ومدة حياتها

---

(١) هذه تشاهد سابحة في الدم أو داخل الكريات البيضاء التي تبتلعها أو داخل منسوج بعض الأعضاء كالطحال والكبد والمخ وغيرها

تزيد عن شهر في الغالب . وتضع كل انثى نحو ١٠٠ بيضة على سطح الماء طول كل بيضة نحو نصف مليمتر أو مليمتر كامل . وبعد يومين أو ثلاثة يفقس . واذا كان الجو حارا فقست قبل ذلك ، وتعوم الاجنة في الماء وهي المسماة بالعلق ، وبعد عدة أيام (١٣ — ٢٣) تصير بالتطور بعوضة

ويمتاز هذا النوع من الانواع الاخرى بما يأتي : —

(١) ان اناثه لا تلسع الانسان غالبا ولا تمص دمه الا ليلا (٢) أن شواربها [Palpi] طويلة مثل منقارها [Prboscis] الغليظ (٣) أنه توجد في أجنحتها نقط مسودة بخلاف أجنحة الاخرى فانها رائقة (٤) أن جسمها أطول وأنحف وهو مستقيم بخلاف الاخرى فانها أغلظ واذا وقفت على الحائط رأيت ظهرها محدودبا

واعلم أن بعوضة الملاريا لا تنقل العدوى الى بعوضة أخرى ، فلا يوجد الميكروب فيها الا اذا أخذته من الانسان بامتصاص دمه

واذا امتصت البعوضة دم المصاب لقحت [1] بعض خلايا الميكروب الخلايا الاخرى التي تتطور وتصل الى غدد اللعاب في البعوضة لتخرج منها أثناء وخز شخص آخر فتعديه بالملاريا ، ومدة هذا الطور الذي يقضيه الميكروب في جوف البعوضة تختلف من ٦ — ١٦ يوما بحسب حرارة الجو . والبعوضة لا تطير عادة من موطنها الى أبعد من نصف ميل انكليزي

الاعراض — تكون نوب هذه الحمى في أول الامر غير منتظمة غالبا ، ولعل السبب في ذلك أن الميكروبات التي تدخل الجسم تكون من انواع مختلفة ، فتتغلب البقية على أقلها عددا وتقتلها وبذلك ينفرد بالجسم نوع واحد وهو الاكثر عددا ، وفي بعض الاحيان يبقى نوعان أو ثلاثة . طور التفريخ يتراوح بين ٣ أيام و ٢٠ يوما وهو طويل في الاشكال المنتظمة ، قصير في غيرها ، وقد يحصل المرض بمجرد التلقيح

وفي بعض الاحوال تتقدم الحمى بعض أعراض أخرى كالتوعك والصداع وآلام بالاطراف وغثيان وغيرها .

---

(١) أما في دم الانسان فيحصل الانقسام بلا تلقيح

المنشور الهاشمي الشريف الثالث

نشر في العدد الحادي والثلاثين من جريدة القبلة الذي صدر في ٤ صفر

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات الى النور، والصلاة على سيدنا محمد صاحب الهداية الباقيـة ما بقيت العصور وكرت الدهور، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بعزائم الامور، وسلم تسليما كثيرا

وبعد فقد حان لنا أن نخاطب أبناء بلادنا — خاصتهم وعامتهم، وكبيرهم وصغيرهم، وحاضرهم وباديهم — في حقائق الامور التي كنا فيها، والحالة التي صرنا اليها، والواجبات التي حتمت علينا مقتضيات الدين والقومية والانسانية أن نقوم بها حق القيام

فانه لم يبق فيهم ولله الحمد من يخفى عليه أمر هؤلاء الاغرار الذين تسلطوا على المملكة العثمانية فأحلوا فيها ما أحلوا وحرموا ماحرموا، مما قدمت الاشارة الى بعضه في منشورينا السابقين. واتخذوا دين الله لهواً ولعباً، وسلبوا السلطة من أيدي أهلها. وتصرفوا بالمملكة تصرفا أضاعوا به من بلادها في بضع سنوات ما تزيد مساحته على مساحة بضع ممالك عظيمة في أوربا. وآذوا عباد الله بالقتل والشنق والتعذيب والتغريب ومصادرة الاموال وانتهاك الاعراض بما لا يحيط به العد والحصر. ولعل أرض الحرمين الشريفين كانت أقل الممالك العثمانية ابتلاء بمصائبهم ومفاسدهم. لا عن تكريم منهم لمشاعرها المقدسة، ولا رأفة منهم بأهلها، أولأن الحجازيين أحب اليهم من سكان الروملي والاناضول والشام والعراق، بل لما سخرنا الله له من الوقوف لهـم موقف النصح تارة والدفع بالتي هي أحسن أحيانا، على أمل أن يصبح الذي بيننا وبينه عداوة كأنه ولي حميم

بذلنا مافي الوسع لدفع الاذى عن هذه الديار بالطريقة المتقدمة ، ولم تأل جهدا في تخفيف ظلمهم عن المسلمين وأهل ذمتهم في كل انحاء المملكة ، وحملهم على اجتناب كل ما ينكره الناس عليهم ، واقناعهم بخطر أعمالهم وما ستؤل اليه من ضياع البلاد وهلاك العباد ، وكنا نخلص النصح لرجالهم في الآستانة بمكاتبات محفوظة لدينا صورها وأعدادها وتواريخها ، لاسيما في السنين الاخيرة . ومن المتيسر لكل انسان ان يطلع عليها ، وكذلك كنا ننصح لولاتهم هنا بطريق المشافهة والمخاطبة ، وأوفدنا بعض أولادنا الى الاستانة والشام لهذا الغرض . ولكنهم لم تزدهم دعوتنا الا ظلما وطغيانا ، وبغيا وعدوانا

ومما زاد مسؤليتنا بين يدي الله عز وجل ، ثم امام واجب الوطنية والقومية ، ماوقع فيه قومي وأبناء جلدتي من الشدة التي لا تحتمل، حتى أمست بلادنا بسبب أولئك الاغرار الجاهلين منقطعة عن كل أقطار الدنيا ، وان قلب المؤمن لا يرضى في حال من الاحوال رؤية جيران بيت الله الحرام وهم يموتون من الجوع والعرى على قوارع الطريق . وذلك مما هو معلوم لدى الخاص والعام والبدوي والحضري، ولا ريب أن أهل بلادنا لم ينسوا تلك الحالة المؤلمة والهلكة التي لمستها الايدي وعاينتها الابصار . لان الحول لم يحل عليها بعد . وما كانت شدتها بالذي يستحق أن ينسى

حينئذ استخرنا الله عز وجل للقيام في وجوه الائمة الظالمين ، والحربين الملحدين، فرارا من عاقبة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه في حديث صحيح (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الطبراني (خذوا على أيدي سفهائكم من قبل أن يهلكوا أو يهلكوا) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (أيما وال ولي شيئا من أمر أمتي فلم ينصح لهم كنصيحته لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار) وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) وقوله صلوات الله عليه وسلامه فيما رواه أبو داود في سننه (خيركم المدافع عن

عشيرته) وقد خار الله لنا ان ننهض بأمتنا للاخذ على أيدي الظالمين ، واجلاء السفهاء المارقين ، عن البلاد والعباد . طالبين لهم ما طلبناه لانفسنا من جعل هوانا تبعا لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، ودفع السوء عن عشائرنا وجماعاتنا العربية التي صارحها هؤلاء الاغرار بعداوة جنسيتها ولغتها وتقاليدها وراحتها وهنائها في كل ما ظهر وما بطن من أقوالهم وأعمالهم

وها ان ماكنا نسمعه وتسمعونه من ضروب ظلمهم وبغيهم في عرب الشام والعراق ، لم يسلم منه أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فقد تواترت الانباء بمضاعفة بغيهم وظلمهم فيها ، وأخذوا في شنق النفوس البريئة وصلبها ، مستعملين ضروب الوحشية الطورانية ، وشرعوا بتشغيل بعض من وقع في أيديهم من سكان العوالي بالاشغال الشاقة بعد الفظائع الشنيعة التي أجروها لهم من قبل . ثم شنقوا أخيرا ثلاثة من أعيان المدينة المنورة ، و بدأوا بتجنيد الاهالي بالقوة، حتى استنجد بعض أهالي المدينة المنورة باخوانهم المكيين لينقذوهم مما هم فيه

فأي مروءة ترضى لحاكم مهما كان ظالما أن يسل سيف حقده وضغنه وانتقامه في سكان المدينة المنورة الذين آثروا جوار النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم على كل لذائذ الدنيا وصاروا أمانة الله في يد من يحكمهم ، واذا كان حقد المتغلبة وضغنهم قد وصل بهم الى حد أن يمدوا أيديهم بالاذى امانة سكان المدينة المنورة الذين لا حول لهم ولا طول في جانب القوة العسكرية المتسلطة عليهم فان أولى بهم أن يخرجوا لقتال أولادي الاربعة ومن معهم من أفلاذ أكباد العرب، فهنالك موضع الشجاعة والقوة لا في قتل الاهالي الابرياء والمجاورين الضعفاء ، وها ان جيوش الحق زاحفة عليهم من أربع جهات لا من جهة واحدة، مجيبة داعي الله بالاخذ على أيدي الظالمين ، وتأديب الملاحدة المارقين

وانه لا يفوتنا بهذه المناسبة أن نعلن أمتنا المخلصة بسرورنا من غيرتها الاسلامية وحميتها العربية ، وشكرنا لها على ما أبدته حتى الآن من البسالة والرجولية والشمم العربي ومشاركتها الفعلية في طرد المتغلبة المارقة من عقر دارنا وحصون بلادنا . فسطرت بذلك صفحة ذهبية جديدة في تاريخ البلاد العربية المجيدة، واستحقت أن

تكون صاحبة الفخر الاعظم باسترداد الاستقلال التام الدائم لبلادها مادامت السماء والارض ان شاء الله تعالى

وان نظرة واحدة فيا كانت بلادنا عليه بالامس وما صارت اليه اليوم بحول محول الاحوال كافية لترديد شكر الله تعالى منا جميعا على جزيل آلائه، وعظيم نعمائه، فقد أبدلها من العسر يسراء ومن الخوف أمنا ومن الضعف قوة ، وكانت مقدراتم تحت تصرف وصي جاهل لايراعي فيها إلا ولا ذمة فازاحه الله عنها . وصارت حكومتها منها وفيها ، وفتحت لرجالها على اختلاف طبقاتهم أبواب العمل لادارتها ، واستعمال عقولهم وذكائهم ومواهبهم في تحسين أحوالها ، كما فتح لابنائهم الطريق القويم اذا جدوا في ادراك الفضائل وتحصيل الكمالات ، حتى يبلغوا بقدرة الله عز وجل سعادة الدنيا بتولي المراتب العالية في دولتهم ، والمناصب الجليلة في حكومتهم ؟ ويحصلوا على سعادة الآخرة بايفاء ما يجب علينا من خدمة وفود الله وحجاج بيته الحرام، واستحصال جميع الاسباب التي تستلزمها راحتهم من كل الوجوه، وان عزائم حكومتنا معقودة للنهوض بأمر المعارف على أساس قويم يضمن تهذيب ناشئة البلاد ان شاء الله تعالى على الوجه الذي أشرنا اليه . وان كل ما حصل حتى الآن ليس الا جزءا قليلا مما ستناله البلاد من الخير التدريجي الدائم ، وان كان كثيرا بالنسبة الى ما نحن فيه من التدابير الحربية ، وبالنسبة الى الوقت القصير الذي تمتعت فيه الامة بالاستقلال

ومما لا يختلف فيه اثنان أن تأسيس الممالك يحتاج أن تبذل فيه كل طبقات الامة ما تستطيعه من السعي والجهد والعمل ، وأن يقوم كل فرد من أفرادها بما يحسنه من وسائل المساعدة للنهضة العامة، حتى يتم الخير العمم على أيديهم جميعا فتشترك الامة كلها في نتائجه بعد اشتراكها في مقدماته . وبهذا تقيم الامة صروح المجد ، وتهيئ لمالكها أسباب الهناء والسعد

وأهم ما ينتظر من الامة اخلاص النية والتناصح والتعاضد والدفاع عن الحق والمصلحة القومية والوطنية ، فقد ورد في صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي ومسند أحمد (ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وفي صحيح

مسلم (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يحقره ، التقوى هاهنا (ويشير الى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وفي سنن الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يد الله على الجماعة) فبالتعاون والتآزر والتناصح تنجح الامم وتفوز في معترك الحياة وتكتسب رضى الحق ورضى الخلق ، وبهذا يأمرنا ديننا الاسلامي الحنيف فلنكن مسلمين حقيقة، ومن كان مع الله كان الله معه، وان مانالته جيوشكم حتى الآن من النصر والفوز لم يكن الا بالاخلاص والنية الصالحة واستئصال شأفة الالحاد والفساد ، وشتان بين من يؤسس بنيانه على التقوى ومن يؤسس بنيانه على شفا جرف هار. وان من باب التحدث بالنعم الالهية، والتوفيقات الصمدانية، ماترونه من أني لم أضن بنفسي وراحتي وحياة أولادي، على الدفاع عن راحة أبناء جلدتي ومصلحة بلادي، وذلك لما علمته من أن الخدمة لا تتم الا بأن يعمل لها كل بما يستطيع

ومن نعم الله تعالى على بلادنا هذه العربية اتفاق مصالحها مع مصالح من والاها من حلفائها، واعلانهم المعطف عليها في آمالها وأمانيها، وتصريحهم بأن من النقط التي لا تقبل التغيير والبديل بقاؤها في أيدي حكومة اسلامية مستقلة أمينة من كل طارئ خارجي . وان من مقتضى أخلاقنا الاسلامية التي منها الاعتراف بالجميل شكر حلفائنا الكرام على اخلاصهم في صداقتنا وحسن سيرهم معنا وبذلهم الوسع فيما فيه خير هذه البلاد . وانا سنحرص على دوام ما يؤيد هذه المنافع المتبادلة الى ما شاء الله

ونستنهض همة أمتنا في الختام الى العمل على حفظ ما بأيديهم من نعم الله السابغة، والاستمرار فيما أخذوا به من أسباب النهوض والتقدم ، لان الزمان الحاضر زمان جد وعمل، وقد خاضت كل الامم في معامع الحروب والخطوب تأمينا لمصالحها وبقائها ، وضحت كل مرتخص وغال في سبيل عزها ومجدها ، وانا لجديرون بأن نكون في مقدمة الطامحين الى احياء الامجاد ، والسير في سبيل الاجداد، ورفع شأن البلاد ، واجتناب كل ما يخل بنعمة حاضرة، وسعادة مستقبلة ، ومن جهة ثانية فاني

أحث قومي على الاقتصاد والاخذ بأسبابه وترك البطالة المنهي عنها في الدين الاسلامي، ولنا معتبر في الحث وشدة الابرام على المثابرة في وسائل الا كتساب مهما كان حكمنا على حالة بلادنا في الوقت الحاضر من جهة ما يظهر في النظرة الاولى من قلة أسبابها الاقتصادية ، ولكن مباشرة العمل ستبين لكم أنها تأتي بثمرات لم تكن في الحسبان، فيكون بها تعديل الحاجة وتهوين الضرورة التي أحست البلاد بها في الشهر الاول بل في الاسبوع الاول من وقوع الحصر

وانه لم يبق لأحد عذر في التقصير بشيء من أسباب الارتقاء بعد ان فتحت أبواب الاكتساب الخارجية للرجال ، وأبواب المدارس للاطفال ، وسوف تستمر حكومتنا في هـذا السبيل ان شاء الله حتى تستكمل كل أسبابه ، لاسيما المدارس المساعدة على ذلك بكل أنواعها، كالمدارس التجارية والزراعية والصناعية والطبية والهندسية، وسائر ما تحتاج اليه في حياتنا الجديدة والعمران الحاضر على الطرز والوجه المناسب لقدسية بلادنا، حتى يسهل استثمار ما أعد الله تعالى فيها من لوازم الحياة على أيديكم وبواسطتكم في عهد قريب ان شاء الله تعالى ، وليس ذلك بعزيز عليكم بالنظر الى ما خصكم الله تعالى به من الذكاء والفطنة ، وان خطتنا الاسلامية هي المحافظة على ما نحن فيه والسعي لتنميته والتقدم به بالتدريج الذي تقتضيه حالة البلاد (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) شريف مكة المكرمة

وملك البلاد العربية

الحسين بن علي

[المنار]

كان المنشور الهاشمي الاول خطابا خاصا بالمسلمين وقد نشرنا خلاصته في الجزء الرابع ، والمنشور الثاني موجها الى الناس عامة والمسلمين خاصة وقد نشرناه بنصه في الجزء السادس ، وهذا المنشور الثالث خاص بأهل الحجاز وحدهم وكلهم مسلمون كما يعلم القراء ، الا أنه يوجد في جدة أفراد من أهل الكتاب المعاهدين تساهل الحكام من قبل بالسماح لهم بالاقامة فيها. وسبب جعل الحرمين وما يحيط بهما من جزيرة

العرب خاصا بالمسلمين مع ماهو معروف من تساهل الاسلام هو انهما أعظم المعابد الاسلامية وما حولها حرم لها . ومن المساواة في الاسلام انه لايجوز للمسلمين في دار الاسلام دخول معابد غيرهم ولو موقتاً الا أن يكون باذنهم ، فهل تجوز الاقامة فيها ؟ ولو كان لهذا الملك الشريف رعية من غير المسلمين لخصهم بخطاب يعلم منه القاصي والداني انه أوسع صدرا وأشد تسامحا من خلفاء العباسيين ، وانه لو حكم بينهم بما يأمره به دينه واجتهاده لكان حكمه خيرا لهم من دستور العثمانيين في دينهم ودنياهم . وقد كنت مع جمهور من المسلمين السوريين في مجلسه الشريف من دار حكومته بمكة المكرمة ومعنا عبدالعزيز بك المصري المشهور فذكرت في سياق الحديث عن العرب اخلاص القائمين بالنهضة العربية من المسلمين والنصارى وضربت الدكتور أمين المعلوف مثلا وشاهدا فقال حفظه الله تعالى : ياحضرة السيد انني لا أحب أن يفرق في هذا المقام بين مسلم وغيره، واذا كان أصل شرعنا في الذمي الغريب عنا أن له مالنا وعليه ماعلينا، فكيف اذا كان من أبناء جنسنا ؟ ثم أثنى على الدكتور وأعرب عن رضائه عنه، فسر الحاضرون بقوله سرورا عظيما .

عاقبة الحرب

ومكانة بريطانية العظمى منها

كتبنا في أول العهد بالحرب مقالة نشرت في (ج ١٢ م ١٧) الذي صدر في آخر ذي الحجة سنة ١٣٣٢ بينا فيها من استعداد الفريقين المتقاتلين ومن مقاصدهما ما ظهر لنا بعد سنتين أنه أصح من كل مانشر في الصحف مخالفا له . وقد رأينا أن نعيد أواخر تلك المقالة للمقارنة بينه و بين كلام حديث العهد نشر في جريدة التيمس . وهذا نص عبارتنا في تلك المقالة :

« فجملة القول في المجموعين المتقاتلين أن انكلترة وفرنسة وروسية وبلجيكة والصرب والجبل الاسود أكثر من ألمانية والنمسة والعثمانية رجالا ومالا وأساطيل بحرية وهوائية ، ولكن ألمانية وحدها أعلى منهن استعدادا ونظاما ، ولولا الاسطول

الانكليزي لرجحت على الجميع رجحانا ظاهرا ، بل لامكنها أن تحارب أوربة كلها وتنتصر عليها

« بيد أن هذا السبق في الاستعداد ليس مما ينتظم في سلك الخوارق والآيات ، بل يمكن لدول الاحلاف أن يلحقوها به ، اذا عجزت في أول العهد عن بطشة فاصلة في فرنسة . أما اذا وقف مدها عند تدويخ بلجيكة والاستيلاء عليها وعلى بضع ولايات من شمال فرنسة وجانب من بولاندة الروسية ، فما بعد المد الا الجزر ، فاذا أمكن للحلفاء أن يزيدوا عدد جندهم ويمدوه بما لم تستطع هي مثله عاد لهم الرجحان عليها في البر ، كما سبق لهم الرجحان عليها من قبل في البحر

فمحل الرجاء للحلفاء انما هو التغلب بالكثرة بقاعدة قول الشاعر العربي :

ولست بالاكثر منهم حصى　　وانمـــــا العزة للكاثر

« أما هذا المدد الذي يكون به الرجحان البري فلا يرجى الا من قبل بريطانية العظمى ، لان الفرنسيس قد بذلوا كل ما في وسعهم ، والروس — وان كانوا أكثر عددا — لا يجدون من الذخائر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجنيد العدد الذي تسمح لهم به كثرتهم ، فالانكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة جنودهم ، وعلى ايجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة لكثرة معاملهم وعمالهم وما لهم ، وليس عندهم جندية اجبارية تستغرق العمال ، وتوقف حركة الاعمال ، وانما يعز عليهم التعجيل بايجاد ضباط أكفاء لجيش كبير يجددون تنظيمه تجديدا ، ولكن الانكليز أهل صبر وأناة ، فما لا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنين ، وتاريخهم مرآة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كتشنر ناظر الحربية القائم بتجهيز الجيوش الانكليزية مدة هذه الحرب بثلاث سنين

« تبين لنا ما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست الا المظهر الاجلى للتنازع على السيادة والتفوق والاستعلاء في الارض بين الانكليز وأبناء عمهم الالمان ، وسائر الدول تبع لهما في عللها ومعلولاتها ، ومقدماتها ونتيجتها

« دع البحث في المقدمات فقد انتهى أمرها ، وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها ، وأما النتيجة فهي ان السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لانكلترة أو لالمانية

لامحالة، ويكون أحلافهما تبعا لهما، فتكون لانكلترة اذا فازت هي وأحلافها بالنصر التام، لانهم لن ينالوا ذلك الا بها، ولا تنتهي الحرب الا وقد انهكت قواهن من دونها، واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لها، اذ شرعت بتأليف قوة برية لم يكن لها مثلها في وقت من الاوقات، كما انها تزيد الاسطول قوة على قوة؛ وحينئذ تكون أعظم الدول ربحا وأقلهن خسارة، واذا كان من بواكر هذا الربح مصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات ألمانية في أفريقية أو جميعها كما هو المنتظر فكيف تكون أواخره؟

«وأما اذا كان النصر التام لالمانية وأحلافها فقد طالما لهجت الجرائد الانكليزية والفرنسية وغيرها بأن ألمانية حينئذ تجعل أوربة كلها تحت سيطرتها؛ وتنتزع منها جميع مستعمراتها، وانها بذلك تسود العالم كله، ولعلنا نعود الى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير، بقدر ماتسمح به المراقبة الرسمية على الصحف، ونلم في ذلك بأماني الشرقيين عامة والمسلمين خاصة [1]»؟

هذا ما كتبناه منذ سنتين وعدة أشهر وأما ما جاء في جريدة التيمس مؤيدا له فهو ما نشر في جزء المقتطف الذي صدر في آخر ديسمبر من السنة الماضية الموافق ٥ صفر الماضي وهذا نصه بحروفه الا ما غيرته لمطبعة من تأنيث أسماء الدول وأوربة بالتاء:

رأي الانكليز في عاقبة الحرب

«ان الالمان لجأوا الى الدفاع بعد الهجوم في كل الميادين تقريباً والحلفاء يفوقونهم في كل شيء عدداً ومادة ما عدا القوة العقلية، وفي يدهم زمام البحار فهم يضيقون على الالمان تضييقا لا يضعفه علم ولا تقوى على احتماله حمية وطنية مهما عظمت. وما من دولة محايدة يؤبه لها الا وهي تفضل الانضمام الينا على الانضمام اليهم. وستكون العاقبة لنا حتما ولكنها قد لا تزال بعيدة فان ألمانية لم تقهر حتى الآن. تجنبت بوارجها القتال قبل ان يقضى عليها. نعم أقفلت أسواق المسكونة في وجهها وأوصدت أبواب البحار أمام سفائنها؛ وقد حدث مثل ذلك لنوبوليون بونابرت في معركة الطرف الاغر ولكنه بقي في اوج مجده وبقيت ملوك الارض تخطب وده وتتسابق الى نيل رضاه

(١) قد وفينا بهذا الوعد ونشرنا في الاجزاء الماضية ما اذن لنا بنشره

« والانسان يعيش في البر لا في البحر والدولة البرية التي تتسلط على نصف أوربة وتمد سلطتها من البلجيك الى الاناضول لا يمكن اذلالها بقوة بحرية لانها لا تزال تستورد ما تحتاج اليه من البلدان الواسعة التي تحت سطوتها

« ولا مشاحة في ان ايصاد البحار دون ألمانية قد أضر بها كثيراً ولكن الضربة القاضية لا تكون الا في البر . هذا ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل (المقتطف : وقد مثلت ذلك مجلة لندن بصورة وقف فيها الجنرال جوفر الفرنسوي امام أمير البحر جاليكو الانكليزي وقال نعماً ما فعلت ولكن الضربة القاضية تكون في البر لا في البحر . كما ترى في الصورة التالية) (١)

« ولقد أخطأنا في إلقاء اعتمادنا كله على قوتنا البحرية واهمالنا لقوتنا البرية فكنا كالخراف امام الذئاب لما ذهبنا لمحاربة ألمانية في فرنسة لاننا اعتدنا الراحة والرفاهة فاسأنا الى أنفسنا والى أوربة كلها باهمالنا قوتنا البرية

« وسبيلنا الآن ان نعلم ان قوة ألمانية الحربية لم تضعف حتى الآن ولا دليل على انها لا تستطيع مواصلة الحرب وامداد جنودها بالرجال والسلاح سنة أخرى أوسنتين

« من المحتمل ان قيادة جيوش الالمان جعلت منذ الربيع الماضي تخفي عدد قتلاهم وجرحاهم ولا تذكر الا القليل منه حالما رأت اننا نعنى بذلك ونبني عليه أحكامنا . ولها غرض آخر أهم وهو ان لا يعلم الشعب الالماني ما حلّ برجاله . ومع ذلك فانها لم ترسل الى ميدان القتال حتى الآن الا القليل من مجندي سنة ١٩١٧ ولم ترسل أحداً من مجندي سنة ١٩١٨ . وهي تستطيع ان تجند كل سنة نحو نصف مليون من الشبان . وكثيرون من الجرحى يشفون ويعودون الى ميادين القتال . وقد يكون عندها الآن مليونان من الرجال المستعدين لحمل السلاح وانجاد الجنود المقاتلة . ولا جدال في انها خسرت هي والنمسا خسارة فادحة في الصيف الماضي ولكن خسارتهما هذه لا تستلزم أن يطرحا سلاحهما حالا ويطلبا الصلح ناهيك عن أن التزامهما خطة الدفاع تقلل خسارتهما من الرجال وتمد أجل الحرب كثيراً

« فلا ينبغي لنا ان نتوانى بل يجب علينا ان نزيد همةً وإقداماً ونوالي الهجوم

(١) المنار : نشرت الصورة في المقتطف كما نشرت في مجلة لندن

نحن وحلفاؤنا ونكثر من سبك المدافع والقنابل واعداد الجنود ونستعين بكل رجال الامبراطورية البريطانية . وما دامت حكومتنا قد أقرّت التجنيد الجبري ووزعت ادارة الاعمال على الاكفاء من الرجال فلا يهمنا بعد الآن من يدخل الوزارة أو من يخرج منها

« وستنتهي هذه الحرب حينما تتأكد ألمانية انها تخسر كثيراً باطالتها ولا تستفيد شيئا منها، ولكن ما من أحد يعلم متى يكون ذلك . من المرجح ان أولي الامر في ألمانية علموا الآن هذه الحقيقة ولكن يصعب عليهم ان يجاهروا بها قبلما تدور الدائرة على قوادهم في معركة كبيرة فاصلة لا سيما وان الشعب الالماني قد استهوي وأقنع ان الفوز في يده فيصعب عليه ان يصدق الآن ما يناقض ذلك »

(المقتطف) : واستطرد الكاتب الى ما يجب على الامة الانكليزية فعله بعد ان يعقد النصر للحلفاء فقال :

« ان الحرب ستنتهي يوماً ما فكيف يكون حالنا حينئذ؟ اذا اعتبرنا قوانا البرية والبحرية وخيرات بلادنا فسنصير أعظم دولة حربيـة في المسكونة ، ونكون معتمد حلفائنا ونمتلك ما مساحته مليون ميل مربع من مستعمرات الالمان، ويكون عندنا جيش محنك من الجنود والضباط يعدّ بالملايين ، ويزيد تفوّقنا البحري عما كان قبل الحرب، وتتحقق الامم كلها ان امبراطوريتنا مرتبطة بعضها ببعض، عراها لا تنفصم، وشعوبها لا تقهر ، وفعالها خليق بماضيها المجيد

« ولقد كان ضعفنا العسكري شوكاً في جنب جنودنا في السنوات الاخيرة وهو من أكبر الاسباب لنشوب هذه الحرب الا ان ذلك قد مضى وانقضى . لكننا قد نخسر كل ما اكتسبناه الآن اذا قامت فينا وزارة تطلب ان نطبع سيوفنا سككا ورماحنا مناجل قبل ان يحين الزمان الصالح لذلك . فيجب علينا ان نكون على حذر مدة خمسين سنة إلى ان تزول رزايا هذه الحرب وما أثرته في النفوس ويعود الأمن والسلام الى نصابيهما

« وعلينا ان نحذر الغرور كما نحذر الخمول لئلا نضيع ثمار الظفر، فقد اعطينا زعامة حلفائنا فصارت زعامة أوربة لنا بحق مكتسب، فلا ينبغي لنا ان نحل محل ألمانية

فنكون قوة حربية مستبدة مثلها لانا أصحاب البوارج والرجال والأموال ونتوخى التفوق الحربي على غيرنا. بل يجب ان يكون غرضنا النفع العام وخدمة نوع الانسان. أما البحر فيجب ان يبقى لنا التفوق فيه وأما البر فيجب ان يكون عندنا من القوة ما يكفي لحماية ثغورنا وبلداننا مهما اختلفت تصاريف الزمان. ولا نخدعن أنفسنا بأن القوة البحرية كافية وحدها كما فعلنا فيما مضى

« يجب ان نمرن شبابنا كلهم على استعمال السلاح ، لا لكي يضرموا نار الحرب به بل لكي يمنعوا اضطرامها ويحموا كل أملاكنا ومستعمراتنا ويحفظوا تاريخ أسلافهم المجيد

« والفوز في الحروب والتغلب على المكاره مغروسان في نفوسنا حتى ان جنودنا الذين دارت الدائرة عليهم في أول الحرب واضطروا أن يعودوا القهقرى أمام العدو لم يكن يخطر لهم ان يتفكروا أو يتكلموا الا بأن الفوز سيكون لهم أخيرا ، وقد دامت هذه العزائم كل مدة الحرب وستبقى أشرف ميراث نورثه لذريتنا من بعدنا »

(المقتطف) : هذا ولم نكد ننتهي من كتابة هذه السطور حتى طير الينا البرق ان ألمانية عزمت ان تجعل بلادها كلها معملا للاسلحة والمعدات الحربية أو ان تحسب البلاد كلها محلا تجاريا كبيراً وتستخدم كل ما في بلادها من الايدي العاملة ومعدات العمل لخدمة الجيش وان لا تكتفي باستخدام الرجال والاسرى بل تستخدم النساء أيضا ، ويقال انها عزمت على تجنيدهن أيضاً. وان انكلترة قررت انشاء ادارة للتموين برآسة رجل مطلق التصرف يحق له ان يرغم الناس على الاقتصاد وانها حظرت على السكان اتلاف المواد الغذائيـة واستعمال السكر في الكماليات وطحن الدقيق على الاسلوب الذي يزيل منه المادة السمراء فتقل تغذيته اه ما نقلناه عن المقتطف من ترجمته وتعليقه .

ومن قابل ما نقله عن جريدة التيمس التي هي أعظم الجرائد الانكليزية مكانة ومعرفة بما قلناه في أول العهد بالحرب في شأن ظفر انكلترة وحلفائها يجده شيئا واحدا

الحركة الطورانية الجديدة

في بلاد تركيا (*)

ننقل هـذه المقالة عن العدد ١٨ والعـدد ١٩ من جريدة القبلة الغراء مع تصحيح بعض الالفاظ — :

قرأنا في جريدة (نير إست) الانكليزية الصادرة في أول ذي القعدة مقالا خطيراً (؟) تحت عنوان الحركة الطورانية الجديدة فترجمناها (؟) الى لغتنا العربية الشريفة ونشرناها على صفحات القبلة لعل فيها عبرة ومزدجرا فان أسرار الاتحاديين والحمدلله قد ذاعت وشاعت حتى أصبحت حديث الشرق والغرب. وان وراءها لاشد منها وأفظع ، وأدهى وأمر ، وسيعلم النازحون عن المملكة العثمانية من حقائق الاتحاديين الطورانيين ما دامه العرب العثمانيون قبل ذلك بأعوام فاستعدوا للدفاع عن حياتهم وعن دينهم، و بعضهم سادرون في غفلاتهم هائمون في أودية الاوهام و لاضاليل واليك ترجمة المقال المذكور

ظهرت في تركية حركة جديدة عرّفها القوم باسم (يني طوران) أعني طوران الجديدة وقد بدأت في الاستانة سنة ١٣٣١ ثم أخذت تنتشر في أجزاء كثيرة من السلطنة ، وقد امتازت هذه الحركة بكونها مقصورة على فئة مخصوص غايتها توحيد القومية التركية بالعنصرية الجنسية دون الروابط الدينية الاسلامية. واليك بيان الغايات التي ترمي اليها في مساعيها وأعمالها :

(أولها) ان تجعل الاتراك أمة قائمة بذاتها مستقلة عن الدين الاسلامي تمام الاستقلال حتى يتهيأ لها أن تربي فيهم ذلك الشعور القومي الذي ذكره الدكتور الفرد نوبج في مقالة نشرها تحت توقيعه في جريدة (اندرنوخ)الالمانية على أثر حديث

*) قد لخص هذه المقالة صاحب المقتطف ناسبا اياها الى أحد أدباء الانكليز وابقى كلمة الطورانية بالتاء

دار بينه و بين زعماء الاتحاديين .(١)

(ثانيها) ترقية الروح العسكري التركي فقط(٢)

(ثالثها) انشاء العلاقات التجارية وغيرها من الصلات بين مسلمي بلاد العجم الشمالية (آذربيجان) و بلاد روسيا في آسيا والاجزاء الجنوبية منها .

(رابعاً) تطهير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية ومن آداب هاتين اللغتين .

ولهذه الجمعية التركية مطمع آخر ترمي اليه وان لم تجهر به رسمياً وهو تتريك العرب وإدغامهم في الترك حتى لا تبقى لهم قومية قائمة بذاتها. وأ كبر آمال هذه الجمعية ان تجعل التركي العثماني يعد نفسه تركياً قبل كل شيء وأما كونه مسلماً فيعد عنده من المسائل الثانوية التي لا تهمه كثيرا .

أما هذه الجمعية فانها تقوم بتلك الاعمال بايعاز من السلطة الحاكمة التي تؤيدها بكل وسيلة ممكنة وتدفع لها كل ما يلزمها من المال لاجل بلوغ هذه الغاية وهم يسمونها (ترك أوجاغى) أي جمعية الوطن التركي . وهي تقوم الآن بنشر دعوتها والقيام في أعمالها بهمة فائقة . أما الاطفال الترك فان المدارس الطورانية التي شرع في انشائها كفيلة بأن تغرس في نفوسهم تلك الروح التركية الجديدة

وقد بذلوا غاية الجهد في تدريس التاريخ القومي للطورانيين وأفرغوا كل عناية لنشره في المدارس العالية وحضوا الطلاب على التنافس فيه والتهافت عليه، وأخذوا بتأليف قوة كبيرة من فتيانهم سموها بالتركية (ايزجي) أي قافة الاثر . ووضعوها تحت رعاية أنور باشا وهم يدربونها على الفنون العسكرية حتى تكون قادرة على الانضمام للجيش العامل وتفوق غيرها من أبناء العناصر الاخرى كالعرب والاكراد واللاز ونحوهم . ولهذه القوة الصغيرة علامات مخصوصة وشارات معينة وألقاب معروفة وكلها تركية قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل العصر الاسلامي . أما الاولاد الذين

(١) عبارة المقتطف : وهذه العبارة هي عبارة الدكتور الفردنوسيج من حديث دار بينه و بين زعماء الاتحادين ونشر في جريدة درتاج الالمانية اهـ (٢) ترقية الروح العسكرية بين الترك اهـ م

أسماؤهم مأخوذة من العربية فقد استبدلوا بها ألفاظا تركية محضة بدعوى ان الكشافة تركية خالصة وان أسماءها يجب ان تكون كذلك اعلاما للقومية ورعاية للجنسية ، ومن الاسباب التي عملت على ايجاد هذه الحركة أمور علمية ولغوية لان الاتحاديين شرعوا في نقل كتب كثيرة من علمية وتاريخية الى لغتهم فكان لها في نفوسهم تأثير . وقد تفانوا في ذلك حتى عزموا على ترجمة القرآن الكريم الى التركية واستعماله في العبادة بها لا باللسان العربي، ولكن العلماء المسلمين من جميع النحل حتى بعض الترك أنفسهم عارضوا في ذلك أشد معارضة

وقد طبع الاتحاديون كتبا كثيرة لتأييد المبدإ العنصري ومن ذلك الروايات الكثيرة التي وضعوها وأهمها (يني طوران) وهي الرواية التي كتبتها احدى نسائهم المطالبات بحقوق الانتخاب واسمها (خالدة خانم) وقد حبذت فيها تلك الحركة الجنسية ونوهت بمطالب السيدات وحقوقهن ، ولا ريب ان مسئلة المطالبة بحقوق النساء وما يقوم به الاتراك من نشر دعوتهم والحث على العودة الى مدنية طوران من شأنه ان يعيد الى مخيلة الانسان ذكرى ما هو معروف عن الاقوام الطورانية وما كانت عليه من الاحوال الاجتماعية لان استبدادهم بالنساء وما ألحقوه بهن من ضروب القسوة والظلم يفوق ما فعلته جميع شعوب الارض في العصور المظلمة

يقال ان الحركة التركية بدأت بالظهور تحت صور شتى وأسباب مختلفة أولها اللغة التركية ومحاولة كتابتها بما يخالف الاحرف العربية حتى تعذرت قراءتها على كثيرين . على ان هذا الامر لا شأن لنا به على الاطلاق . وهنا لك أسلوب آخر أعني به توطيد العلاقات مع مسلمي روسيا والقوقاس دون غيرهم من سائر المسلمين بحجة أن هذه الاقوام ربما كانت من أصل تركي أو ان تتريكها ممكن في الاقل ولكن ذلك لم ينقذهم من خطر الاندماج في العرب وخسران قوميتهم مادام للاسلام سلطان على النفوس [1] ولذلك عالجوا أمرهم باحياء اللغة التركية والسعي في استقلالهم عن سواها .

---

(١) عبارة المقتطف :والا لابتلع العرب الترك العثمانيين في آخر الامر ولو فاز هؤلاء باستخدام الجامعة الاسلامية لبلوغ غاياتهم

أما الباعث الثالث الذي شدد عزائمهم فهو كتاب تلاه[1] الدكتور ناظم المرخص المسؤل لجمعية الاتحاد فكان كالجذوة أصابت هشيماً يابساً لانه أوقد في نفوسهم نار الحماسة والحمية . وذلك الكتاب مؤلف تاريخي وضعه الموسيو ليون كوهين بالفرنساوية عن آسيا والاتراك في منغوليا وأصلهم منذ سنة ١٤٠٥ ميلادية، وقد صدر ذلك الكتاب سنة ١٨٩٦ وبما ان الجمعية العلمية الفرنساوية قرظته وخصته بالعناية فقد حلّ عند الاتحاديين مكانا رفيعاً فنقلوه الى التركية بعبارات بالغوا فيها ما استطاعوا ولم يلتفتوا البتة الى صحة بعض الاحكام والآراء المذكورة في الكتاب بل عدوا ذلك أمراً ثانويًا بالنسبة لخطتهم المرسومة . ومن البديهي ان من مقتضيات تلك الحركة استقلال العنصرية التركية دون الاسلام تمام الاستقلال وانفصالها عنه أشد الانفصال، وان ذلك لأمر خطر عند المسلمين وغيرهم من الدول العظمى مثل روسيا وفرنسا وإيطاليا وانكلترا لان لهذه الدول عدداً كبيرا من الرعايا المسلمين وذلك ما يجعل لهذا الانقلاب أهمية كبيرة في الشرق والغرب . وهذه الحركة كما يقولون مقصورة على جمعية الاتحاد والترقي ومبنية على نظرات استاذهم المجري فيبري لما علق في ذهنه من المزاعم القديمة البالية من ان الاسلام ينافي الوطنية[2] . ويزعم الاتحاديون أن الاسلام باختلاطه مع التقاليد والمؤثرات العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية قد حول الترك الى عنصر شرقي مسلم ليس له مدنية (كلتور) خاصة به، وهم يقولون ان هذه الحقائق تحملهم على الاهتمام بمصيرهم والتفكير في عاقبة أمرهم وزيادة العناية في تمييز الحياة الوطنية التركية عن الاسلام

أما تيار المهاجرة التركية فقد بدأ منذ أوائل عهد النصرانية في آسيا من بلاد الصين والاكسوس . وكانت ديانتهم في ذلك الزمن على افتراض انهم كانوا يدينون بدين خاص ما يسمونه اليوم (السامانزم) أي العبادة الوثنية[3] . وكانت مدنيتهم

---

(١) أي اطلع عليه وقرأه (٢) عبارة المقتطف : ويقال ان احرار الترك يميلون اليها بوجه خاص بناء على القاعدة التي وضعها فيبري اليهودي المجري المعروف وهي أن «لا وطن في الاسلام» (٣) المقتطف : كانت القبائل التركية تقطن بلاد آسية من حدود الصين الى نهر جيحون (اوكسوس أو موداريا كما يسميه التتر) وكانت ديانتها ـ ان كان لها ديانة ـ ما يسمى «بالشامانية» أي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر

مؤلفة من المبادىء البسيطة المعروفة عند القبائل الرحالة المنتشرة في أواسط آسيا كما يقتضي بذلك مركزهم الجغرافي وحالتهم الاقتصادية المحيطة بهم. ولم يكن لهم من المزايا غير الصفات الحربية، ولم يكن لهم من الشرف القومي أيضا سوى ما يستعيرونه من شرف الامة التي تستخدمهم بالدراهم للمحاربة في صفوفها، وكانوا يعرفون بالطاعة لكل من أطعمهم وتولى قيادتهم في ساحة القتال. ولا مشاحة ان التركي لم يستطع تجاوز تلك الحدود من تلقاء نفسه. ولم يكن للتركي دين خاص به ولم يعمل شيئا لترقية شؤونه وبلوغ درجة رفيعة من المدنية، ولم يحاول الترك قط أن يمتزجوا ببقية اجناس قومهم، وان كان جنكيز المغولي قد حدث نفسه بهذا الامر وجعله نصب عينيه وأكبر آماله. ولم يكن التركي يقتبس من المدنية الا ما تلجئه الاحوال الضرورية اليه لاحتكاكه بها كرها كما وقع له مع المدنية الصينية فالفارسية فالعربية فالرومية فالالمانية. ولا يقع في وهم أحد أن ما استعاره التركي من مدنيات أولئك الاقوام ولاسيا مدنية الاسلام قد حال دون بلوغه (كلتور) مدنية خاصة به[1] وان التركي لم يظهر في عصر من العصور مقدرة خاصة أو استعدادا طبيعيا لاجل النهوض واظهار مدنية يستقل بها عما كان يقترضه اقتراضا ويقلده تقليدا مضحكا

وفي الحقيقة ان العثمانيين من بين قبائل التركمان أقل الناس لياقة لتمثيل أمة. يدلك على ذلك ان الاناضول عدا ما فيه من قبائل اليودوك والتركمان خال من آثار القبائل التركية الاصلية . لان القومية التركية فيه ليست الا لفظة أوجدتها الاحوال السياسية. وليس الدم التركي فيها سوى قطرة صغيرة في بحار تلك الدماء المتحدرة من الاقوام والشعوب القديمة الراجعة في تاريخها الى ماوراء تأسيس القسطنطينية باجيال كثيرة كاليونان القدماء والفريجيين والغلاطيين والاشوريين والكاريانس والحثيين ، وتلك الدماء هي التي تحركت في اعصاب ذلك المزيج المسمى بالعثماني فاوجدت فيه ميلا للزراعة وحرثة الارض ، ولا سيا العناية بالبحرية في القرن السادس عشر . وقد كان من جملة العوامل التي حفظت وجود الأتراك حتى اليوم بصفة شعب معروف أمران: الدين والطاعة العسكرية .فاذا ذهب الاسلام من تركيا فاذا عسى أن يبقى لها .وقد أجاب عن ذلك أصحاب (قوم جديد) فقالوا انه سيبقى لهم

(١) كذا في القبلة والمراد : دون انشائه مدنية خاصة

اتراك طوران والاسلام بصورة جديدة فيكون دينا وطنيا أهليا. على ان شعب طوران لم تظهر عليه دلائل الابتكار والاختراع فيستطيع قلب الاسلام رأسا على عقب وجعله كما نشاء عنصريته الطورانية وكما يزعم اقطاب القوم الجديد، وكل ما في الأمر ان للطورانيين سبقا في التدمير والتخريب والقتل كما فعل جدهم هولاكو فقد دمر الترع المائية التي كانت في العراق وجعل بقاعه المخصبة مجدبة حتى اليوم. أما الطورانيون العثمانيون فقد نسفوا المدنية البزنطية الزاهرة، ومثلهم جنكيز السفاح الذي ملأ بخارى بغيا وظلما، وقد لا يصدق الناس أن تيمور كان من الفرسان وان جنكيز من أقطاب السياسة.

ولقد أفاض المسيو كوهين في وصف المزايا العسكرية الطورانية ولكنه لم يذكر شيئا عن فظائعها الان الدكتور بيلر أصلح ذلك الخطأ فبين ما كانت تستعمله تلك البطون الطورانية من ضروب القسوة والظلم مع جميع الامم الخاضعة لاحكامهم، وليس للتركي لذة أو اهتمام خاص في الامور الدينية ولذلك لم يبذل شيئا في خدمة الاسلام الذي جد بين يديه فلم يتقدم خطوة ولذلك يستصعب العارفون قدرة (قوم جديد) على جعل الاسلام تركيا محضا

ومما لا ريب فيه ان التركي يخاف العرب اشد خوف و يدأب في استعمال كل الوسائل لجعلهم اتراكا ومحو قوميتهم تقليدا لما فعله شولرو يك هولستين مع ولايات الدانمرك التي انضمت لالمانيا ولقد صرح بذلك جلال نوري بك في أحد كتبه فقال «ان البلاد العربية بأسرها ولاسيما العراق واليمن يجب ان تكون تركية في اللغة والجنس وان تكون لغة الدين عندهم تركية أيضا، والاسراع في تتريك البلاد العربية من أهم الامور لحفظ وجودنا لان روحا جديدة بدأت تدب في نفوس العرب ورجال نهضتهم وأخذت تهدد وجودنا السياسي بضربة تقضي علينا قضاء مبرما، فالضرورة والحالة هذه توجب علينا ان نكون على تمام الاهبة والاستعداد لاتقاء هذا الخطر.» وكتب احمد شريف بك في جريدة طنين ما يأتي « يتحدث العرب كثيرا في هذه الايام عن نفسهم وقوميتهم وهم يجهلون اللغة التركيه جهلا تاما كأن بلادهم ليست خاضعة للاتراك، فالواجب يقضي على حكومة الباب العالي أن تهتم اهتماما فعليا في جعلهم ينسون هذه النغمة وتضطرهم لتعلم اللغة التركية الرسمية. فاذا أهمل الباب العالي ذلك كان كمن يحفر قبره بيديه. واذ بقي العرب على يقظتهم هذه

فلا يبعد ان يهبوا لاسترجاع ملكهم وفي ذلك القضاء على السيادة التركية في آسيا»
وهنالك أدلة أخرى عديدة على ان الاتراك يسعون بكل جهدهم للقضاء على أمة شريفة
كالامة العربية ومحو أثرها من عالم الوجود ولكن الحلفاء يدافعون عن مبدأ القومية ويؤيدونه»
وهم لا يسمحون بفناء أمة كريمة تريد البقاء ولا سيما اذا كانت أمة أخرى طاغية تريد محقها»
وذلك ما يجعل ميول الحلفاء عربية محضة وهو أمر لا يرتاب فيه أحد من المسلمين المتمتعين
بالعيش في ظل انكلترا وفرنسا. فالحلفاء أنصار العرب وهم يسعون لتأييدهم لأنهم اصحاب
الدين الاسلامي الحنيف ومنهم النبي الاعظم (صلى الله عليه وسلم) وفوق ذلك كله فان
هنالك صلة قرابة قوية بين العرب والمسلمين التابعين لحكومة فرنسا في شمال افريقيا» اه

باب المراسلة والمناظرة

« تأثير الصحافة في أخلاق الامة »

سيدي الاستاذ صاحب (المنار)

بمناسبة مقالكم الصريح عن حال المسلمين الاجتماعية ومكان الاغنياء وسائر الطبقات منها ربما جاز لي أن أتعرض بكلمة وجيزة لمسألة حيوية مرتبطة بهذا الموضوع وهي تأثير الصحافة في أخلاق الامة.

بديهي ان الصحافة من الموازين التي تقاس بها درجة الرقي في شعب من الشعوب، كما أنها احدى المكيفات له وأحد عوامل الاصلاح اذا قبض على زمامها من لهم خبرة به. ليس من الصعب على الإنسان اذا فحص حالة الجرائد في قطر من الاقطار أن يقرر حكما تقريبيا عن مبلغ نهضة أهل ذلك القطر وشكل مزاجهم، كذلك ليس من الصعب التنبؤ بمستقبل الحركة الفكرية في أمة ما استنتاجا من مشرب صحافتها التي هي أشبه بمربية ومهذب لها. والدارس لحال الصحافة في وادي النيل لا يتيسر له التفاؤل الحسن عن تقدمنا في الآداب والاخلاق.

عودت الصحافة المصرية الرأي العام على قبول المدح يزف لمستحقه ولغير مستحقه بغير حساب، وعودت الجمهور على أن لا يعمل عملا بغير جزاء مادي أو غير مادي أقله المدح سطورا لا تعد، فأصبحنا وليس بيننا من يعرف مبدأ التضحية ويعمل به

الاشرار فشقوا بسمو أخلاقهم وضاعت أتعابهم ومجهوداتهم النبيلة. وصار لا يعرف الاحسان الا الاقلية الضئيلة الصالحة، ومن عداها من المتظاهرين بالبر فنافقون تضطرهم الى ذلك الرهبة من الرؤساء والحكام أو متاجرون يرغبون في الاعلان عن أنفسهم بما ينفقونه. وليس من الغريب بعد هذا اذا أصبحت جميع مشروعاتنا الخيرية عرضة للفشل، كما أنه ليس من المدهشات أن يتصدى بعض الناس للقيام بعمل خيري دون أن يكون لهم في الواقع غيرة عليه بل كل قصدهم الاعلان عن أنفسهم سواء نجح العمل أم لم ينجح. ويتبع كل هذا بطبيعة الحال اساءة الظن من بعضنا ببعض، وتستُرنا في أعمالنا، وتسابقنا الى شهرة كاذبة وغرور باطل، واغراق أخلاق الامة ومصالحها في هذا التيار.

لم يقتصر كرم الصحافة بالاطراء المتناهي على العمد والاعيان بل شمل أيضا رجال مهنة الطب الشريفة وخلطت الشخصيات فيه بالعموميات فأصبحت أنهار الصحف مزدانة يوميا بالاعلانات الفخمة عن الاطباء مما يندى له جبين الحر، ومما ضر بسمعة هذه المهنة الجليلة في القطر المصري . وبعد هذا وذاك تشكو الصحف من المتاجرين بالطب من أهله ومن غير أهله . فكم قرأت من أوصاف المدح لاطبائنا ما لا يقال مثله لاوزلر أو رواستون أو ارلخ أو كارلس أو لين أو أوجل أو غيرهم من فطاحل علماء الاطباء بأوربا ! وأتذكر أني زرت وطني منذ ثلاث سنوات وكنت لا أزال حينئذ طالب علم فكتبت عني وقتئذ احدى الصحف العربية الكبرى بالقاهرة مالا يجوز أن يكتب الا عن ذي منزلة علمية كبيرة ! واضطررت على كره مني أن أحرر كتاب عتاب شديد اللهجة الى صديقي المحرر . . . . ولا تزال الصحف تعود طلبة العلم الناشئين حب الظهور الضار ولاسيما الطلبة في أوروبا. واني مع اعترافي بأن منا بعض الحاصلين على شهادات علمية عالية جليلة المنزلة وهم قليلون، وأن منا بعض المتفوقين على اقرانهم الاوروبيين في امتحانات المسابقة للجوائز العلمية وشهادات الشرف وهم أقل وأندر — أرى أن كل هذا لا يجيز للصحف أن تبالغ في فوز فائز وتنعته بأكبر النعوت التي لا تناسب مركزه لان هذا مزر بكرامتها وكرامة الممدوح ومؤد الى فساد اخلاق الناشئة

فهذه يا سيدي الاستاذ علة من علل اجتماعية كثيرة سببها الصحافة بتهاونها

بدل أن تقضي عليها وعلى أمثالها بالموعظة الحسنة والقدوة الصالحة، وأدت الى الكثير مما تشكو و يشكو منه الغيورون المصلحون الذين لا نعرف أقدارهم الا متى حرمنا من مساعيهم فنندم برهة على التفريط حين لا ينفع الندم، ثم نستمر في ضلالتنا، ومعظم الصحف تجاريه في ذلك حرصا على مودتنا لها، بدل أن تزجرنا وترشدنا حبا في نفعنا. فحبذا لو وجهتم عنايتكم بالاصلاح شطر رصفائكم الافاضل مرة قبل أن يستفحل الداء فقد أشرفنا على عهد لا يكاد يستطيع شريف النفس أن يضمن النجاح لعمله بعقله وجده في هذه الفوضى ما لم يقرن ذلك بالاعلان عن نفسه والسمسرة في هذا السبيل. واذا كان أحد أسباب هذا المصاب الجهل وضعف الاخلاق فثاني الاسباب هو انحطاط الصحافة

احمد زكي ابو شادي (طبيب)　　نادي مستشفى سانت جورج بلندن

[المنار] أحسن الكاتب وأصاب، ولا رجاء في ارجاع الصحف بالنقد الى محجة الصواب، لان أكثر اصحابها لا يقصدون الاصلاح، وجمهورهم يقصدون الكسب والجاه، والذين يميلون الى الاصلاح منهم يتحرون في كلامهم ما لا يسوء القراء كالمسائل النظرية والارشاد المجمل. ثم هي تمدح من يستحق الذم، وتسكت عما يجب من النقد. ولا يتسع هذا التعليق الوجيز للاطالة في تأييد رأي الكاتب في جنايتها على الاخلاق، ولكنني أنقل فيه كلمة تغني عن مقالات:

حدثني شيخنا الشيخ حسين الجسر عن حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني وكان قد لقيه في الآستانة بعد انشاء جريدة طرابلس الشام التي كان الشيخ شريكا ومحررا فيها ولكن مقالاته فيها لم تكن تعزى اليه قال

قال لي السيد ان جريدتكم « طرابلس » قد جمعت بين الكفر والايمان، ترى في صدرها مقالة في مدح الصدق وذم الكذب مثلا وأكثر ما فيها بعد تلك المقالة كذب — وأشار الى ما يذكر كل عدد من إطراء رجال الدولة والحكومة وغيرهم من الوجهاء — فقلت له ان مدير الجريدة يفعل هذا على سبيل التقية (وذكر الشيخ انه تنصل من مهنة الصحافة) فقال له السيد: التقية مذهب الشيعة... وأنكر على الشيخ تنصله من الصحافة وقال أنا صحفي ثم قال وهو المراد: إننا لا نخطو خطوة واحدة الى الامام الا اذا أعطينا كل ذي حق حقه فسمينا العالم عالما والمصلح مصلحا والمفسد مفسدا...

جمعية النهضة النسائية بمصر

اجتمع عدد من كرائم السيدات الوطنيات في ٢٧ يناير الماضي في منزل حضرة السيدة الفاضلة حرم صاحب العزة اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير فألفن جمعية أدبية غايتها السعي في ترقية المرأة الشرقية والاهتمام بمستقبلها بعد هذه الحرب

وقد افتتحت الحفلة حضرة ربة المنزل بالكلمات الآتية

أبدأ قولي بحمدالله، والصلاة والسلام على من اصطفاه

وبعد فاني ياسيداتي وياأخواتي الأعزاء أراني وانا في موقفي هـذا منشرحة الصدر بتشريفكن منزلي اجابة لدعوتي بالحضور الى هذه الحفلة المراد بها البحث في ترقية المرأة الشرقية لتساوى أختها الغربية في الحضارة والارتقاء

أقول الارتقاء ويعلم الله اني لا أريد بقولي هذا أنها في انحطاط أو مهضومة الجانب أوانها لا تصلح للرقي، حاشا فالمرأة الشرقية كانت ولا تزال عزيزة الجانب أهلا لكل فضيلة غيرانها ينقصها الآن اتقان العلم والعمل به اتقانا ينهض بها الى منزلة اسمى مما نحن عليه لأن العلم وحده لا يكفي. مثال ذلك ان كثيرات من أهل الطبقات الراقية أمثال حضراتكن ادخلن بناتهن المدارس وصرفن المصاريف الجمة ولكن ذلك لم يأت بالغرض المروم لانهن اقتصرن على تعلم العلم من دون عمل فتراهن يتكلمن باللغات وبأيديهن الشهادات ولكنهن اذا اجتمعن فلا حديث لهن الا الأزياء والخياطات والحرائر والدنتيلات والاعجاب بالأزياء الحديثة

هذا هو الموضوع الا كثر رواجا بيننا الآن . فماذا يؤخرنا اذاً ياحضرات الفاضلات وكلكن من المتعلمات الراقيات ولله الحمد عن النهوض نهضة علميـة عملية والتعاضد جميعا على البحث فيما يلزم لهذا الرقي ونحن الان في عصر النور والاصلاح. فلهذا قد اجتمعنا للمذاكرة في هذا الشأن الخطير وتقرير ما يلزم للهداية الى الطرق التي توصلنا الى هذا الغرض الشريف كقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) واني أسأل الله ان يكلل عملنا هذا بالنجاح وان يوفقنا جميعا لما فيه النفع والاصلاح . وان شاء الله سألقي في الاجتماع القادم محاضرة ادبية ابين فيها الادواء وما يلزم لها من الدواء لترقية الاخلاق والافكار والله المستعان

ثم دعت الكاتبة المجيدة صاحبة مجلة فتاة الشرق الزهراء للخطابة في موضوع ترقية اخلاق المرأة الشرقية فالقت خطابا مفيدا كان له اجمل وقع في نفوس السيدات وصفقن لها مرارا وما زلن يتسامرن ويتجاذبن الحديث في مواضيع ادبية مفيدة ثم انصرفن شاكرات ربة المنزل على السعي في هذه النهضة المفيدة وقد وعدن بالمداومة على الحضور فيها

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ تصحيح كتاب الاغاني ﴾

كان علامة اللغة وإمامها في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي قد صحح في نسخته من كتاب الاغاني المطبوعة بالمطبعة الاميرية كثيرا من الاغلاط التي كان يعثر عليها عند المطالعة والمراجعة وزاد عليها في بعض الاجزاء بعض الفوائد والابيات من الشعر كتبها على الهوامش فعني (محمد أفندي عبد الجواد الاصمعي) بجمع تلك التصحيحات والزوائد من نسخة الشنقيطي بعد ان صحح بها نسخة المكتبة الزكية باذن واقفها احمد زكي باشا وارشاده وأضاف اليها تصحيحات وزوائد أخرى لاحمد زكي باشا من نسخته وطبع ذلك كله مبينا مكان الغلط وتصحيحه من طبعة المطبعة الاميرية وطبعة الساسي وأضاف الى ذلك استدراكات على فهرس الكتاب ، فبلغ المطبوع سبعين صفحة كبيرة كصفحات الاغاني ، وكل من ينظر في كتاب الاغاني المطبوع من أهل العلم باللغة وفنونها يجزم بأن فيه من الغلط الكثير الذي لم يذكر في هذه التصحيحات ما لا يخفى مثله على الشنقيطي ، لذلك جزمت بأن الشنقيطي لم يصحح الكتاب كله بل بعض ما كان يعثر عليه عند المراجعة أو المطالعة ، ولكن جامع التصحيحات ظن أنه صححه كله بقصد وأن تصحيح زكي باشا جاء كالاستدراك عليه ، فهو مما خفي عليه أو مما ذهل عنه ، واني أؤيد رأيي بشاهد واحد بل شواهد كثيرة في قصيدة واحدة وهي قصيدة أبي دلامة الفائية المنشورة في ص ١٣٠ من جزء الاغاني التاسع من طبعة الساسي ، ففي هذه القصيدة أغلاط لا تحتمل التأويل ، وهي منشورة في الجزء الاول من العقد الفريد ، ومن راجعها عليه يرى بين ما فيه وما في الاغاني اختلافا كثيرا وزيادة ونقصا ، والشنقيطي كان مطلعا على العقد الفريد فلو كان ملتزما تصحيح الاغاني لصحح غلط القصيدة وأشار الى ما خالفت رواية الاغاني فيه رواية العقد ،
ومن التصحيف فيها قول الشاعر

وطالما اختلفت صيفا وشاتية الى معلمها باللوح والكتف

صحفت كلمتا «صيفا وشاتية» في الاغاني بجعلهما «ضيفا وشانية» ومن التحريف فيها قوله

« والحق في طرف والمين في طرف » حرفت فيه كلمة المين المراد بها النقد بكلمة العين؟

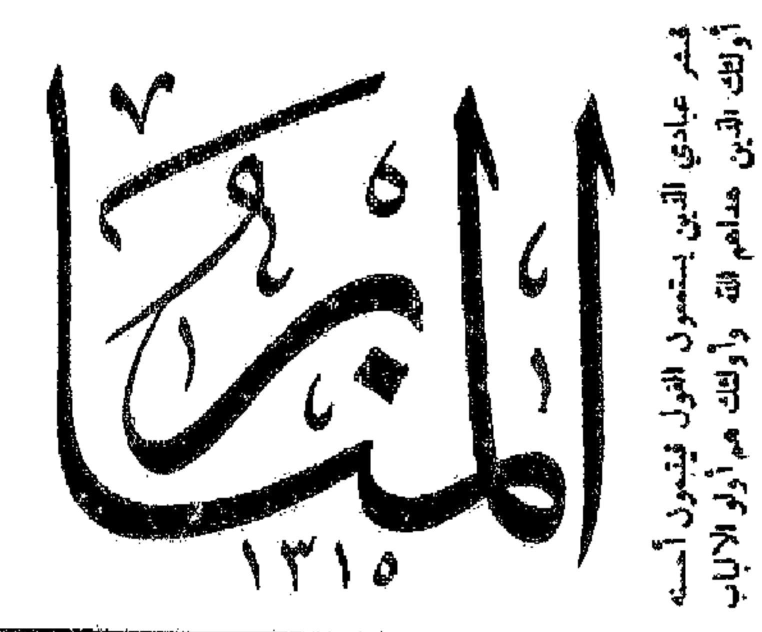
هذا وننا نشكر الاديب الاصمعي هذه الخدمة التي لا ينقص من قدرها ما ذكرنا من الحقيقة ، وننصح لكل مقتن لكتاب الاغاني بتصحيح نسخته على هذه الجداول

تصحيح كتاب لسان العرب

كتاب لسان العرب لابن منظور الافريقي أعظم معاجم اللغة التي أتحفتنا بها المطابع ولكن فيه غلطا طبعيا كثيرا ، على كونه قد طبع بالمطبعة الاميرية التي هي خير المطابع العربية تصحيحا ، وأذكر أنه لما سافر الاستاذ الامام سفره الاخير الى تونس والجزائر وصقلية وأوربة أنابني عنه بتصحيح كتاب المخصص مع الشيخ محمد محمود الشنقيطي (رحمهما الله تعالى) فكان هذا يذكر لي في أثناء التصحيح كثيرا من أغلاط لسان العرب التي اعتمد عليها مصححو المطبعة الاميرية في تصحيح المخصص فأخطأوا ، وقليلا من الاغلاط التي أخطأ فيها ابن منظور نفسه في النقل أو الاعتماد على بعض الروايات المرجوحة في اللغة . وقد انتدب صديقنا أحمد بك تيمور الباحث اللغوي الشهير بتدقيقه وسعة اطلاعه لجمع ما تيسر له من تلك الاغلاط وتصحيحها وكان ينشر ذلك في مقالات متفرقة في جريدة المؤيد ومجلتي الضياء والآثار ثم جمع شمل تلك المقالات وزاد عليها ما عثر عليه بعد نشرها ، وأذن لمحمد افندي عبد الجواد الاصمعي بطبع ما جمعه وحرره منها — وهو القسم الاول من التصحيح — فطبعه ووعد بنشر ما اطلع عليه من تصحيحات الامام الشنقيطي والشيخ حمزة فتح الله والشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ محمود مصطفى والشيخ محمد البليسي أيضا ، فنشكر له هذه العناية .

الكوكب

جريدة سياسية أدبية أسبوعية تصدر في القاهرة بشكل كراسة من قطع الكتب الكبير ذات ثماني صفحات مطبوعة طبعا جميلا بحروف المطبعة الأميرية الجديدة ، موضوعها تنشيط الحركة العربية ودعوة سائر عرب الجزيرة الى القيام بمثل ماقام به عرب الحجاز للقضاء على سلطة الترك وتقليص ظلهم الظليل عن سائر البلاد العربية ، والظاهر ان لها موارد خاصة تستقي منها أخبار مساوئ الترك وفظائعهم في سورية والعراق وكذا فظائع حلفائهم الالمان في أوربة ، وأنها كانت توزع في بلاد العرب دون مصر ، وأول عدد ظهر منها في مصر هو السابع عشر قرظه المقطم ، ثم اطلعنا عليه وعلى أعداد مما صدر بعده . وثمن كل عدد من هذه الجريدة قرش مصري صحيح (١٠ مليمات)



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٥ — ٢ الحوت (ش ٣) ١٢٩٥ هـ ش ٢٢ فبراير ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لايسع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعدذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يمير بماشاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ ربح صندوق التوفير ﴾

(س ١١) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الاستاذ الجليل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فانا كثيرا ما سمعنا من الناس اباحة وضع الاموال في صناديق التوفير بالبريد وأخذ الفوائد منها وذلك مما لا نشك أنه الربا المحرم باجماع المسلمين لا نعلم بينهم خلافا ثم اذا ناظرناهم فيه استندوا الى ان الاستاذ الامام رحمه الله وغفر له افتى بجوازه في فتوى رسمية ولما كنا لم نر هذه الفتوى ولم نعلم وجهها وكنتم أخص الناس بالامام وأعلمهم بأقوله وفتاويه لجأنا اليكم

تبينوا لنا فتوى الامام أولا وهل هي لا تعارض الكتاب والسنة ثانيا خصوصا وأن المجالس الحسبية قررت وضع أموال القاصرين في هذه الصناديق بناء على هذه الفتوى المزعومة كما يقولون وليكن بيانكم شافيا وافيا كما هو دأبكم ان شاء الله تعالى؟

كتبه

أبو الاشبال

عفا الله عنه

(ج) ان كان للاستاذ الامام فتوى رسمية في مسألة صندوق التوفير فهي توجد في مجموعة فتاويه بوزارة الحقانية ومنها تطلب ، وأنا لم أر له فتوى في ذلك ولكنني سمعت منه في سياق حديث عن مقاومة الخديو له ما حاصله: ان الحكومة أنشأت صندوق التوفير في مصلحة البريد بدكريتو خديوي (أمر عال) ليتيسر للفقراء حفظ ما زاد من دخلهم عن نفقاتهم وتثميره لهم وقد تبين لها ان زهاء ثلاثة آلاف فقير من واضعي الاموال في صندوق البريد لم يقبلوا أخذ الربح الذي استحقوه بمقتضى الدكريتو. فسألتني الحكومة هل توجد طريقة شرعية لجعل هذا الربح حلالا حتى لا يتأثم فقراء المسلمين من الانتفاع به فأجبتها مشافهة بامكان ذلك بمراعاة أحكام شركة المضاربة في استغلال النقود المودعة في الصندوق، فذاكر رئيس النظار الخديو في تحوير الدكريتو الخديوي وتطبيقه على الشرع فأظهر سموه الارتياح لذلك . ولما قال له رئيس النظار اننا استشرنا المفتي في ذلك غضب غضبا شديدا وقال كيف يبيح المفتي الربا ؟ لا بد أن أستشير غيره من العلماء في ذلك . ثم جمع سموه جمعية من علماء الازهر في قصر القبة وكلفهم وضع طريقة شرعية لصندوق التوفير ليظهر امام العامة بأنه هو الحامي عن الدين والمطبق للمشروع على الشريعة ، وان الحكومة كانت عازمة على إكراه المسلمين على أكل الربا بمساعدة المفتي لولا تداركه الامر . وقد وضع له العلماء مشروعا قدمته المعية لنظارة المالية . (قال) وان نظارة المالية عرضت عليّ ذلك المشروع لاقراره — أو قال للتصديق عليه — فوجدته مبنيا على ما كنت قلته للحكومة شفاها . هذا ما سمعت منه رحمه الله تعالى وأظن انه قال ان اولئك العلماء كانوا من فقهاء المذاهب الاربعة أو الثلاثة ولا أجزم بذلك

ومهما تكن صفة الطريقة التي وضعها العلماء لاستغلال أموال التوفير فلا يظهر عدها من الربا المجمع على تحريمه وهو ربا النسيئة الذي كان في الجاهلية وقد بينه الامام أحمد لما سئل عن الربا الذي لا يشك فيه بمثل ما بينه غيره من أخذ الزيادة في مقابلة التأجيل فقال: هو أن يكون له دين فيقول له — أي اذا حل أجل الدين — اما أن تقضي واما أن تربي ، فان لم يقض زاده هذا في المال وزاده هذا في الأجل . وذكر الفقيه ابن حجر في الزواجر ان الإنساء فيه كان بالشهور ، ولهذا كان يتضاعف ويخرب البيوت

﴿ شق صدر النبي (ص) وتطهير قلبه من حظ الشيطان ﴾

(س ١٧) من صاحب الامضاء في الاسكندرية

سيدي الحكيم قدوة العلماء وتاج الفصحاء

من لا أسميه اجلالا وتكرمة   فقدره المعتلي عن ذاك يغنيني

أتطفل على مائدتكم العلمية التي أبهرت العقلاء وأعجبت الفصحاء لما عليها من أصناف المعارف الحية وأنواع التعاليم الصحيحة — راجيا من علو آدابكم ومكارم أخلاقكم أن تفسحوا لي المقام فان لي لقلبا يصبو الى ما يفوه به فوكم من الدرر وما ينطق لسانكم من الحكم والعبر وما ينثره قلمكم من الفكر

في هذه الايام كثر الجدال حتى كاد يفضي الى الهلاك في مسألة (انشقاق صدر الرسول عليه الصلاة والسلام واخراج قلبه وتطهيره من حظ الشيطان الذي وجد معه من يوم أن ظهر على الارض ونزل من بطن أمه وامتلائه حكمة) — اختلفت آراء القوم وتباينت في تلك المسألة فمن مصدق عليها مقر بحدوثها ومن مكذب لها مفند لا يلوي الا على ما يثبته البرهان ويقبله الوجدان ويقربه العقل الرجيح — أما المصدق لها فأدلته ما جاء في البخاري بما معناه . ان النبي بينما كان يلعب في الصغر مع أقرانه اذ نزل عليه جبريل فصرعه وشق صدره فأخرج قلبه وطهره من خبائث الشيطان أو بالاحرى من موضع يوسوس له فيه الشيطان وملأ قلبه نورا وحكمة

ولم يكتف جبريل بشق صدره مرة بل شقه مرات تبعا لازدياد الحكمة ونموها

فيه كلما كبر — حتى كان ليلة الاسراء وهو نائم ناداه من أحد الثلاثة مناد (كما يقول البخاري) فقام اليه وأتى فاذا هو جبريل وقد أفرج صدره ونظف قلبه ثم أسرى به — وقد قال النبي بما معناه كل مولود يستهل معه الشيطان . فسئل حتى أنت يارسول الله ؟ قال « حتى أنا ولكني تغلبت على شيطاني » قال الله تعالى في سورة الحج (وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الآية

وأما المكذب لها فانه باق على تكذيبها ، وها هوقد كتب اليكم ليسترشد بنور علمكم الساطع لاعتقاده بأنك الزعيم الاكبر للمسلمين . تلك هي المسألة التي أرجو من حضرتكم إما تأييدها والسير على مقتضاها ، واما نفيها وبذلك تنتفي الشبه والاباطيل التي تشوه سمعة الرسول عليه الصلاة والسلام — والامل وطيد في ان يكون الرد سريعا لازلت محفوظا من الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته آمين

تلميذكم الخاضع

اسماعيل حسن خليه

(ج) لا بد أن يكون مرادكم بتكذيب المسألة تكذيب الرواية أو الروايات الواردة فيها التي أوردتم بعضها بالمعنى فخالفتم اللفظ والمعنى ، وقرنتم به آية الحج وليست من معناه في شيء بل معناها ان الرسل والانبياء اذا تمنوا لا يتم لهم موضوع أمانيهم بسبب وسوسة الشيطان للناس ولا محل لتفصيل ذلك هنا. وقد صرحتم بأن سبب التكذيب اعتقادكم ان مضمونها يعد طعنا في سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان ينزه عنه . ولكن لا ينبغي لمسلم أن يرد حديثا مرويا الا بعلة في سنده، أو معارضته ما هو أقوى منه لمتنه بشرطه، ومن أشكل عليه فهم شيء من الاحاديث فعليه أن يبحث ويسأل لا أن يرده بهواه، ويكذب من لا يعرف سيرته من الرواة. واننا نورد هنا ما روي في هذه المسألة أصحها سندا ونبين ما في أسانيدها ومتونها مما يمكن أن يتعلق به من ينفي وقوع شق الصدر حقيقة، ثم نبين ما ينبغي ان توجه به المسألة على تقدير صحة وقوعها فنقول

روى حديث شق الصدر في الصغر مسلم — لا البخاري — قال : حدثنا شيبان ابن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك (رض) ان

رسول (ص) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقا فقال هـذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره (أي مرضعه حليمة السعدية) فقالوا ان محمداً (ص) قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

وأقول ان في هذا السند مقالا . قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب في شيبان بن فروخ صدوق يهم (أي يخطئ) ورمي بالقدر ، قال أبو حاتم اضطر الناس اليه أخيراً . من صغار التاسعة . وقال في شيخه حماد بن سلمة : ثقة عابد أثبت الناس في ثابت ، وتغير حفظه بآخره ، من كبار الثامنة اه

وقال في تهذيب التهذيب بعد ثناء الائمة عليه : وقال البيهقي هو أحد أئمة المسلمين الا انه لما كبر ساء حفظه فلذا تركه البخاري وأما مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ماسمع منه قبل تغيره ، وما سوى حديثه عن ثابت لا يبلغ اثنى عشر حديثا ذكرها في الشواهد . ثم قال الحافظ : وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث وربما حدث بالحديث المنكر . وأقول يؤخذ من هذا الكتاب ومن ميزان الاعتدال انهم أنكروا من روايته عدة أحاديث شاذة في الصفات قيل انها دست في كتبه .

هذا أصح ما روي في هذا الباب وقد علمت مافي سنده ثم ان أنسا لم يرفعه وما كل ما يرويه الصحابي عن مجهول يحتج به بل يفرق في روايته بين أحكام الدين وبين الاخبار عما كان قبل الاسلام اذ يمكن ان ينتهي الخبر الى بعض المشركين ، وقد روي خبر شق الصدر عن حليمة السعدية مرضعته (ص) من طرق أخرى عند أهل السير والطبراني والبيهقي وأبي نعيم وابن عساكر كلها دون طريق مسلم منها الضعيف والموضوع كرواية البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس عن أبيه من طريق محمد بن زكريا الغلابي وكان كذابا يضع الحديث . ورواية أبي نعيم وأبي اسحق وغيرهما عن عبد الله بن جعفر عن حليمة من طريق جهم بن أبي الجهم قال الذهبي لا يعرف ، له قصة حليمة السعدية

فاذا كان السائل يرى أن هـذا الحديث لا يصح لما رآه في متنه غير لائق

بمنصب النبي (ص) فقد علم أيضا أن في سنده مقالا ، وليس هو من عقائد الدين ولا من أحكامه القطعية

وقد ورد خبر شق الصدر في أحاديث المعراج أيضا المروية في الصحيحين والسنن وغيرها وقد استشكلها بعض العلماء فنورد منها ما لا بد منه لبيان هذه المسألة

أحاديث قصة المعراج في الصحيحين مدارها على أنس بن مالك فمنها مارواه بنفسه ومنها ما رواه عن غيره . وقد ذكر في بعضها شق الصدر دون بعض فأما حديث أنس فلم تذكر قصة شق الصدر في طريق من طرقه الا طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر عنه وهو في صحيح البخاري وتفسير ابن جرير ، قال أنس : ليلة أسري برسول الله (ص) من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه فقال أولهم: أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم ، وقال أحدهم خذوا خيرهم[1] ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى [2] فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبرئيل فشق جبرئيل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا [3] ايمانا وحكمة فحشى به صدره ولغاديده — يعني عروق صدره — ثم أطبقه ثم عرج به. الخ الحديث وفي آخره « واستيقظ وهو في المسجد الحرام » وهذه الرواية صريحة في أن ذلك كله كان في النوم وليس فيها ذكر لحظ الشيطان واحتج بها من قالوا أن المعراج كان رؤيا منامية وأولها من قال أنه كان في اليقظة بالروح والجسد، ولايحتاج الى تأويلها من قالوا انه مشاهدة روحية. وفي نسخة من صحيح البخاري «فاستيقظت» بدل واستيقظ، وهي كما قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري التفات من الغيبة الى حكاية قول النبي (ص) والتور الذي ذكر انه كان في الطست اناء صغير يشرب فيه

وفي رواية شريك هذه مخالفة لغيرها في عدة أمور استشكلوها وأنكروها عليه

---

(١) وردانه كان نائما بين عمه حمزة وابن عمه جعفر (٢) كانت هذه بعد البعثة بلا خلاف (٣) حال وفي غير هذا الحديث ذكر وصف الطست نعتا لا حالا وليس فيه ذكر التور

وغلطوه فيها أهمها قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » مع أن الثابت في الصحيح ان آية (ثم دنا) نزلت في جبريل عليه السلام. وهاك ما في فتح الباري للحافظ ابن حجر في ذلك :

قال الخطابي : ليس في هذا الكتاب — يعني صحيح البخاري — حديث أشنع ظاهرا وأبشع مذاقا من هذا الفصل فانه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما — هذا الى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلق من فوق الى أسفل (قال) فمن لم يبلغه من هذا الحديث الا هذا القدر مقطوعا عن غيره ولم يعتبره بأول القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه إما رد الحديث من أصله وإما الوقوع في التشبيه ، وهما خطتان مرغوب عنهما. وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فانه يزول عنه الاشكال فانه مصرح فيهما بأنه كان رؤيا لقوله في أوله « وهو نائم » وفي آخره « استيقظ » وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف اليه معنى التعبير في مثله وبعض لا يحتاج الى ذلك بل يأتي كالمشاهدة.

(قال الحافظ بعد نقل ما تقدم) قلت : وهو كما قال ولا التفات الى من تعقب كلامه بقوله في الحديث الصحيح ان رؤيا الانبياء وحي فلا يحتاج الى تعبير. لانه كلام من لم يمعن النظر في هذا المحل. فقد تقدم في كتاب التعبير ان بعض رؤى الانبياء يقبل التعبير. وذكر الحافظ الامثلة من الصحيح على تأويل النبي (ص) لبعض الرؤى بغير ظاهرها. ثم ذكر أن الخطابي تعقب في جزمه بأن ما ذكر كان في المنام وقوله أن القصة بطولها انما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها الى النبي (ص) ولا نقلها عنه ولا أضافها الى قوله ، فحاصل الامر في النقل أنها من جهة الراوي إما من أنس وإما من شريك فأنه كثير التفرد بمناكر الالفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة انتهى — أي كلام الخطابي ثم أطال الحافظ البحث فيه ولا يعنينا من بحثه هنا الا قوله بأن للحديث حكم المرفوع لانه مرسل صحابي فيما لا مجال للرأي فيه ويفسر هذا ما يأتي

وأما ما رواه أنس عن غيره مشتملا على مسألة شق الصدر فليس في الصحيح

منها الا حديث مالك بن صعصعة الانصاري المرفوع الذي رواه أنس عنه ولم يرو أحد عنه غيره، وأوله كما في البخاري: « بينا أنا في الحطيم — وربما قال في الحجر — مضطجعا [قال الحافظ : زاد في بدء الخلق « بين النائم واليقظان »] اذا أتاني آت فقد قال سمعته يقول — فشق ما بين هذه الى هذه ... (١) فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل » الخ الحديث . والظاهر أن أنسا روى هذه القصة غير مرفوعة عن مالك هذا فصرح باسمه مرة وأرسلها مرة أو مرارا عند ما كان يحدث بها وذكر في بعض المرار ما سكت عنه في بعض . وهذه تؤكد أن القصة كانت في النوم وتضعف تأويل المؤولين الا من قال بحصولها مرة في اليقظة ومرة أو أكثر من مرة في الرؤيا ان أثبت ذلك

وقد روى أنس مسألة شق الصدر في أحاديث المعراج عن أبي ذر مرفوعة في الصحيحين قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ص) قال « فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء » الحديث فهذه الرواية لم يصرح فيها بأنه كان نائما ويمكن حملها على المصرحة بذلك دون العكس . ولذلك جزم الحافظ بأن القول بتعدد المعراج في اليقظة بعيد جدا تنافيه المراجعة في مسألة فرض الصلاة منافاة ظاهرة . واذا كان الجمع بين تعارض الروايات الصحيحة السند متعذرا بدون القول بالتعدد، وكان القول بالتعدد في اليقظة بعيدا بل غير معقول — فلا مندوحة عن القول بأنها كانت رؤيا منامية اما كلها أو يستثنى واحدة منها كانت في اليقظة ، والاكثرون على هذا ، فيمكن أن يقال اذاً ان شق الصدر كان في الرؤيا المنامية التي تكررت دون واقعة اليقظة الا أن تكون هذه مشاهدة روحية كما قال بعضهم

وأما حديث مس الشيطان المولود فهو مروي في الصحيحين عن أبي هريرة باستثناء عيسى في بعض الروايات وعيسى وأمه في بعض والحديث واحد وسيأتي نصه في

(١) يعني من ترقوته الى آخر مراق بطنه وفسر في هذه الرواية بلفظ آخر

تلخيص الجواب. وقد استشكل بعض العلماء معناه قال الحافظ في شرحه من الفتح ما نصه:

« وقد طعن صاحب الكشاف في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال ان صح هذا الحديث فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك من كان في صفتهما لقوله تعالى (الا عبادك منهم المخلصين) قال واستهلال الصبي صارخا من مس الشيطان تخييل لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه . وأما صفة النخس كما يتوهمه أهل الحشو فلا، ولو ملك ابليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا انتهى. وكلامه متعقب من وجوه والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الانبياء بل ظاهر الخبر ان ابليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا واستثنى من المخلصين مريم وابنها فانه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين . وأما قوله لو ملك ابليس الخ فلا يلزم من كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع ان يستمر ذلك في حق كل أحد. وقد أورد الفخر الرازي هذا الاشكال وبالغ في تقريره على عادته وأجمل الجواب فأزاد في تقريره على ان الحديث خبر واحد ورد على خلاف الدليل لان الشيطان انما يغوي من يعرف الخير والشر والمولود بخلاف ذلك وانه لو مكن من هذا القدر لفعل أكثر من ذلك من اهلاك وافساد وانه لا اختصاص لمريم وعيسى بذلك دون غيرهما الى آخر كلام الكشاف. ثم أجاب بأن هذه الوجوه محتملة ومع الاحتمال لا يجوز دفع الخبر انتهى. وقد فتح الله تعالى بالجواب كما تقدم والجواب عن اشكال الاغواء يعرف مما تقدم أيضا وحاصله ان ذلك جعل علامة في الابتداء على من يتمكن من اغوائه والله أعلم . انتهى كلام الحافظ

وأما حديث قرناء الناس من الشياطين الذي ذكر فيه اسلام شيطان النبي (ص) أو سلامته من وسوسته فهو مروي في صحيح مسلم من حديث عائشة وعبد الله بن مسعود ولفظ هذا « ما منكم أحد الا وقد وكل الله به قرينه من الجن » قالوا وإياك يارسول الله ؟ قال « وإياي الا ان الله أعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير » وقد

ضبط بعضهم « فاسلم» برفع الميم واختاره الخطابي ومعناه فأنا أسلم من شر وسوسته، وضبطها بعضهم بفتح الميم ومعناه فصار هو مسلما وقيل مستسلما . وهما روايتان وقوله « فلا يأمرني الا بخير » يرجح الثانية بل يوجب الجزم بها . قال النووي في شرحه: قال القاضي (أي عياض) واعلم أن الامة مجتمعة على عصمة النبي (ص) من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحذر من وسوسته بحسب الامكان اه

أقول وفي رواية أخرى لهذا الحديث «وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » ويوضح هذا حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه « ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق » الخ وهذا الملك الذي يقابل الشيطان يسمى ملك الالهام وهو الذي عبر عنه النبي (ص) بقوله « واعظ الله في قلب كل مؤمن » وقد بينا مسألة انقسام الخواطر النفسية الى شيطانية وملكية في الجزء الاول من التفسير وفي هذا الجزء (السابع) منه أيضا فليراجع السائل تفصيل ذلك في تفسير (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) من جزء المنار الثالث من هذا المجلد (ج ٣ م ١٩) فهو يقرب لذهنه ما لعله يراه بعيدا عنه اذا لم يكن قرأه

وملخص الجواب ان حديث شق صدر النبي (ص) في طفوليته وتطهيره من حظ الشيطان منه في سنده مقال ومتنه ليس مرفوعا الى النبي (ص) وليس له حكم المرفوع . وليس متنه لاينافي عصمة النبي (ص) لان حاصل معناه ان روح القدس قد طهر قلبه وقدسه منذ الطفولية وقبل ان يصل الى السن التي تكون فيها الوسوسة ، وان حديث شقه في قصة المعراج كانت رؤيا منامية في الراجح ولا ذكر فيها لحظ الشيطان فحاصل معناها انها رمز وتمثيل لتأييد الروح القدس والملائكة له (ص) واعدادهم إياه لمناجاة الله عز وجل مناجاة خاصة . وأما حديث مس الشيطان للمولود عند ولادته فسنده صحيح لا عبرة بمن تكلم في صحته ولكن استثناء عيسى وحده مرة فيه واستثناؤه هو وأمه مرة أخرى ان كانتا غير متعارضتين فلا عموم في الصيغة ، وينافي ذلك قولهم الاستثناء معيار العموم . وان كانتا متعارضتين سقط

الاستدلال بهما أو يقوم الدليل على ترجيح احداهما . وقد علمت ماقاله الزمخشري في الحديث وأقواه معارضة قوله تعالى (الا عبادك منهم المخلصين) له فانه صريح في ان الشيطان لاسلطان له على اغواء عباد الله المخلصين . وعلمت ما أجاب به الحافظ عن هذه المعارضة وهو ان هؤلاء العباد لا يضرهم ذلك المس اذ لا يدل الحديث على أن كل من مسه الشيطان يغويه . ونقول انه يجوز ان يكون المراد بالمس بيان توجه الشيطان الى التعرض للوسوسة للمولود واستعداد المولود لقبول الوسوسة التي هي تزيين الباطل والشر في النفس، وكيفية المس على القول بأنه حقيقية لا تمثيل بحث في عالم الغيب وهو مما أجمعوا على تفويض كيفيته الى الله تعالى اذا صح الخبر به وكان ممكنا في نفسه. وأما حديث القرين من الشياطين والقرين من الملائكة فهو أصح سندا وأقوى متنا لان له شاهدا من القرآن (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) والاحاديث التي وردت في توضيحه تدل على ان الانفس البشرية فيها داعيتان إحداهما للحق والخير والاخرى للباطل والشر ، وان الاولى ترجح بإلهام ملكي و الاخرى باغواء شيطاني . ولكن الانسان هو الذي يزكي نفسه ويهذبها حتى ترتقي الى التناسب مع روح الملك وتلقي إلهام الحق والخير منها — أو يدسيها ويفسدها حتى تهبط الى التناسب مع روح الشيطان وتلقي وسوسة الباطل والشر منها ، فمثل ملك الالهام كمثل القرين الصالح من الناس لا يماشر الا من يشاكله، ومثل الشيطان كمثل قرين السوء لا يصاحب الا من يشابهه، فكل قرين بالمقارن يقتدي» و «الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » كما ورد في الحديث الصحيح، واذا قارف الرجل الصالح خطيئة كان تأثيرها في نفسه معدا لوسوسة الشيطان أو يمحوه بعمل صالح يضاده « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (ان الحسنات يُذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)

﴿ بدع الجمعة والاذان وختم الصلاة والجنازة ﴾

(س ١٣ — ٢٠) من صاحب الامضاء بطملاي مركز منوف مديرية المنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذا من عبد الرحمن احمد الصعيدي الى دار الدعوة والارشاد بمصر يتشرف بالافادة عما سيذكر: في هذا العهد ظهر عندنا رجل ينهانا عما سيأتي

١ قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة

٢ والاذان المسمى عندنا بالاول من يوم الجمعة

٣ والاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب

٤ الترقية

٥ التبليغ في الصلاة

٦ ختام الصلاة جهارا في المسجد

٧ الصلاة والسلام على النبي عقب الاذان

٨ السير مع الجنازة بالذكر جهارا وقراءة البردة

وحيث اننا نفعل كل ماذكر من منذ وجدنا بالدنيا وهذا الرجل يجتهد في ابطال ذلك ولا نعلم اذا كان عمل هذا من البدع فنتركه أم من الدين فنتبعه

نرجو الافادة مع التوضيح وإفتائنا عما ذكرناه لان في نفوسنا (ريبا) من ذلك: وقال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مقدمه

عبد الرحمن احمد الصعيدي

الجواب عن هذه الاسئلة (*)

١ — قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة — بدعة ليس لها دليل من كتاب الله ولا من سنة رسوله (ص) ولم تؤثر عن سلف الامة الصالح. ولكن لقراءتها يوم الجمعة بدون تقييد بالجهر وبكونها في المسجد أصلا ضعيفا، قال الحافظ

(*) حذفنا سؤالا من هذه الاسئلة يتعلق بعادة مصرية بين العروسين

ابن حجر في تخريج أحاديث الاذكار: ان أقوى ماورد في قراءة الكهف يوم الجمعة حديث أبي سعيد الخدري عند الحاكم في التفسير والبيهقي في السنن « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجمعتين » وقد أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هاشم وصححه ولكن قال الذهبي في الميزان: بل نعيم ابن حماد ذو مناكير. أقول بل جرح بأكثر من هذا، وقد وردت أحاديث أقوى من هذا في قراءة آل عمران وهود في يوم الجمعة، فلماذا لا يعمل بها هؤلاء الناس المواظبون على قراءة الكهف ان كان غرضهم العمل بالاحاديث لا اتباع العادة

ثم ان الاتيان بالعبادة المشروعة على وجه مخصوص وفي وقت معين لم يرد في الشرع ما يدل عليهما بدعة في كيفية الاداء المبنية على الاتباع، واظهار ذلك يجعل ما ليس من شعائر الدين شعارا . وهذا ما يسميه الشاطبي في الاعتصام بالبدعة الاضافية وسيعاد ذكره قريبا، دع ما في رفع الصوت بقراءة الكهف أو غيرها في المسجد عند اجتماع الناس للصلاة من التهويش على المصلين وهو غير جائز وقد صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي وأنه حرام . وفي حديث أبي سعيد الخدري : اعتكف رسول الله (ص) في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال «ألا ان كلكم مناج لربه فلا يؤذ بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة » رواه أبو داود

٢ — الاذان الاول يوم الجمعة — أحدثه عثمان في خلافته وأقره الصحابة (رض) وما رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر انه قال: الاذان الاول يوم الجمعة بدعة — فالاظهر انه استعمل البدعة هنا بمعناها اللغوي لا للانكار ومعناه انه لم يكن في عهد النبي (ص) قيل ويحتمل انه للانكار، أي لان مقتضى إكمال الدين في عهده (ص) ان لايزاد في العبادات ولاسيما الشعائر بعده شيء، وانما الاجتهاد في مسائل المعاملات والمصالح التي تختلف باختلاف الزمان والمكان لا العبادات وشعائر الاسلام التي لايدخل فيها القياس الذي احتجوا به لفعل عثمان (رض) ويمكن ان يجاب عن هذا بأن الاذان للاعلام بالوقت وسيلة للصلاة اجتهادية لا عبادة مقصودة لذاتها وان النبي (ص) استشار المسلمين في أمر هذه الوسيلة واستحسن ما كان منهم من رأي ورؤيا فلا أجل

هذا رأى عثمان والصحابة ان هذه المسألة يصح العمل فيها برأي أولي الامر اذا احتيج الى ذلك. فلما حدثت الحاجة بكثرة المسلمين وعدم تبكيرهم الى المسجد على نحو ما كانوا يفعلون في عهده (ص) أمر عثمان المؤذن أن يؤذن بهم للجمعة على الزوراء — وهي موضع أو دار له بسوق المدينة — وأبقى ما كان من أذان المسجد عند جلوس الامام على المنبر كما كان ابقاء للعبادة كما كانت . قال السائب بن يزيد (رض) فيما رواه عنه البخاري وأبو داود والنسائي : كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ولم يكن للنبي (ص) غير مؤذن واحد . وفي رواية أخرى لهم زيادة فثبت الامر على ذلك . والمراد بقوله النداء الثالث هو الاذان الاول فهو أول بالنسبة الى تقديمه في العمل وثالث بالنسبة الى حدوثه بعد الاذانين المشروعين لكل صلاة أعني الاذان والاقامة وكانوا يطلقون عليهما « الاذانين » على طريق التغليب أو لان الاول اعلام بوقت الصلاة والآخر إعلام بالشروع فيها، ولكنهم اذا ذكروا الاقامة وحدها لا يسمونها أذانا بل إقامة . والمرجح المختار عندنا في هذه المسألة ان يتبع الناس في كل حالة ما كان عليه السلف الصالح فاذا علمنا ان المصلين اجتمعوا في المسجد على نحو ما كانوا عليه في زمن النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) اكتفينا بأذان المسجد ، واذا كانت الحال كما كانت في عهد عثمان وعلمنا ان الاذان الاول على المنارة أو في السوق مجلبة للمصلين فعلناه . ولا ينبغي لمسلم ان ينكر على أهل مسجد ما يختارونه من هذين العملين. اذ لا يصح ان يكون ما حدث في عهد عثمان ناسخا لما قبله ولا ان يكون ضلالة من بعض الراشدين أقره عليها الصحابة ، فليتق الله من تحدثه نفسه بهذا الانكار . وليعرف قيمة نفسه أولا . وأما قول السائب : لم يكن له (ص) غير مؤذن واحد فهو خاص بأذان الجمعة

٣ — الاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب — فيه أن فعله بين يدي الخطيب و بالتلقين المعهود في بعض المساجد بدعة لا فائدة فيها ولا نعرف الحامل لمبتدعها عليها. وقد علم مما قلنا، آنفا في مسألة الاذان الاول أن الاذان الثاني وهو الذي كان على عهد الرسول (ص) إنما يكون اذا جلس الامام على المنبر كما

صرح به السائب في حديثه الصحيح . وأما مكانه فقد روى الطبراني فيه أن بلالا كان يؤذن على باب المسجد . وذكره الحافظ في فتح الباري محتجا به وهو المشهور

٤ — الترقية المعهودة في يوم الجمعة بدعة لا نعرف لها أصلا من كتاب ولا سنة ولا اجتهاد أحد من الأئمة وانما أحدثها بنو أمية وأنكرها الفقهاء من جميع المذاهب (راجع المنار ص ٣١ م ٦)

وقد استفتي شيخ الجامع الازهر منذ بضع عشرة سنة في بعض المسائل المتعلقة بالجمعة مما تقدم فأفتى بأنها بدع منكرة . وقد أشار الاستاذ الامام الى هذه الفتوى ومقاومة بعض أصحاب النفوذ السياسي لها بقوله في كتاب الاسلام والنصرانية (ص ١٣٩ من الطبعة الثانية) فقال :

«سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الازهر عن حكم عمل من الاعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة — ومنزلة الشيخ من الرياسة في أهل العلم بالدين منزلته — فأفتى بما ينطبق على السنة وما يعرفه العارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها . أيظن ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا ؟ كلا ، حدث قيل وقال ، وكثرة تسآل ، ودخلت السياسة ، ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا ، وسكت السائل وماذا يصنع المجيب ؟ اه

٥ — التبليغ في الصلاة هو رفع المؤذنين اصواتهم بالتكبير للاحرام وأذكار الانتقال لاعلام من لم يسمع صوت الامام ولا يراه عند إحرامه وانتقاله من ركن الى آخر: وله أصل في السنة بما كان من صلاة رسول الله (ص) في مرض موته آخر جماعة اذ صلى قاعدا والناس خلفه قيام وأبو بكر (رض) يبلغهم تكبيره . وقد صرح علماء المذاهب المشهورة بجواز التبليغ اذا احتيج اليه فان لم يحتج اليه كان بدعة منكرة . على أن للمؤذنين فيه بدعا كثيرة كفعلهم له جماعة ورفعهم أصواتهم أكثر مما ينبغي متعرين فيها حسن النغم وإطالتهم المد حتى يضطر الامام الى انتظارهم أو سبقهم فينتقل الى السجدة الثانية قبل فراغهم من تكبير السجدة الاولى مثلا وقد بين الفقهاء ذلك وأطال فيه وفي غيره من هذه المسائل صاحب المدخل رحمه الله تعالى .

٦ — ختام الصلاة جهارا في المساجد بالاجتماع ورفع الصوت من البدع التي

أحدثها الناس فاذا التزموا فيها من الاذكار ما ورد في السنة كانت من البدع الاضافية وقد تساهل فيها كثير من مقلدة الفقهاء وأطال العلامة الشاطبي الكلام في انكارها في كتابه الاعتصام ونقلناه عنه في المنار فليراجعه من شاء

وهذه البدعة قد انتشرت في الاقطار الاسلامية منذ بضعة قرون حتى عمت الغرب والشرق والجنوب والشمال ، ولما أنكرها من أنكرها في الاندلس كثر فيها القيل والقال، وقد كنت فطنت لها قبل أن أرى لاحد من العلماء كلاما فيها فتركتها في أواخر زمان الطلب ولكنني لم أترك الاذكار الواردة بل كنت أقولها وأنا منصرف من الصلاة، ولم يخطر في بالي أن أنهى عنها أحداً ولا أنها يصح أن تسمى بدعة. ولما كنت في عليكده من الهند سنة ١٣٣٠ قدموني للخطبة وامامة الجمعة فلما فرغت من الصلاة لم أستطع الانصراف ولا التحول من شدة الزحام في المسجد ولا رأيت أحدا من الناس انصرف ولا قام لصلاة ولا غيرها، ثم خلص الي شاب من طلاب العلوم الدينية فأخبرني ان الناس ينتظرون أن يسمعوا مني أذكار ختم الصلاة ليتبعوني فيها ويقوموا الى صلاة السنة البعدية وغيرها من شؤونهم ، قلت ان هذا غير مشروع ، قال ألم يرد في الصحيح أن النبي (ص) كان يقول بعد السلام « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام » قلت نعم قد صح انه كان اذا سلم لم يقعد الا بمقدار ما يقول ذلك (رواه مسلم) ولكن لم يصح انه كان يقول ذلك رافعا صوته ليسمعه الناس ويقولونه بقوله، وأنا قد قلت ذلك سرا. ولما جئت بيروت عند منصرفي من الهند أقمت فيها أياما كنت أقرأ درسا بعد الظهر في مسجد الجيدية من كل يوم، فشغل المؤذن بعد صلاة الجمعة يوما عن الاذكار والادعية التي جرت العادة برفع صوته فيها واتباع جمهور المصلين له، شغلته عنها صلاة جنازة، فظل كثير من الناس ينتظرونه ملتفتين الى اليمين والى الشمال، فبدأت الدرس ببيان الحق في هذه المسألة وهو انه ليس من السنة أن يجلس الناس بعد الصلاة لقراءة شيء من الاذكار والادعية المأثورة ولا غير المأثورة برفع الصوت وهيئة الاجتماع كما اعتادوا في الاقطار المختلفة وان هذه العادة صارت عند الناس من قبيل شعائر الدين التي ينكر على تاركها والناهي عنها ، وانكار تركها هو المنكر . وان ما ورد في بعض الاحاديث من الاذكار كقول « اللهم أنت

السلام » الخ والاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل يستحب أن يقوله الافراد سرا في أي حالة يكونون عليها بعد الصلاة من قيام وقعود ومشي ، وان الاجتماع لذلك والاشتراك فيه ورفع الصوت بدع هونها على الناس التعود ، ولو دعاهم أحد الى مثل هذه الصفات في عبادة أخرى كصلاة تحية المسجد مثلا لأنكروا عليه أشد الانكار، ولما عدت الى مصر وشرعت في طبع كتاب الاعتصام للشاطبي رأيته وفى هذه المسألة حقها، فحمدت الله تعالى

٧ — الصلاة والسلام على النبي (ص) عقب الاذان— هي بدعة أيضا والقول فيها كالقول فيما تقدمها . قال صاحب المدخل : يطلب من امام المسجد أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبي (ص) عند الاذان وان كانت الصلاة والتسليم على النبي (ص) من أكبر العبادات ولكن ينبغي أن يسلك بها مسلكها فلا توضع الا في مواضعها التي جعلت لها ، ألا ترى ان قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه في الركوع ولا في السجود ولا في الجلوس — أعني الجلوس في الصلاة — لان ذلك لم يرد والخير كله في الاتباع ، وهي بدعة قريبة الحدوث جدا مما تقدم ذكره فيما أحدثه بعض الامراء من التغني بالأذان . الخ

٨ — السير مع الجنازة بالذكر جهارا وقراءة البردة — كل ذلك من البدع التي لم يسكت عنها المشتغلون بعلوم الشرع كما سكت جماهيرهم على الاذكار التي اتصلت بالاذان والصلاة . على ان جميع ما ذكر في هذه الاسئلة والاجوبة من البدع قد بينه أنصار السنة وخاذلو البدعة من العلماء منذ أحدثت الى هذا العصر .

والبلاء كل البلاء في جعل عمل الناس حجة على كتاب الله تعالى ودواوين السنة مع أن بعض الائمة قال بالاحتجاج بعمل أهل المدينة في زمن الصحابة والتابعين فخالفه في ذلك سائر الائمة وجمهور الامة وخص بعضهم ذلك بزمن الراشدين فقط ، والآن يحتج الناس بعمل العوام الطغام و بسكوت من لا حجة في قوله فضلا عن سكوته من المعممين ، أو بتأويل بعض المنافقين الذين يتقربون الى العامة بما يرضيهم طمعا ببعض الحطام أو الجاه الكاذب عندهم .

وقد استفتي شيخ علماء الاسكندرية لهذا العهد في المسألة الاخيرة من هـذه المسائل وفي مسائل أخرى مما أحدثه الناس في أمور الموتى فنذكر ذلك بنصه :

﴿ السؤال ﴾

ما قولكم فيما يفعله الناس الآن من الصياح أمام الجنازة بنشيد البردة وغيرها، والاجتماع للتعزية بنصب الخيام، وقراءة القرآن فيها أياما مخصوصة، وقراءة الصمدية بعدد مخصوص يسمونه (عتاقة) ويزعمون انها تعتق الميت من النار وتفريق الخبز للقراء على القبور، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرا على قراءة القرآن — فأهل العلم فينا بين محرم لذلك ومحلل، وقد لجأنا اليكم كي تفيدونا، هل هذا من الدين أم لا ؟ وماهي طريقة نبينا صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من الائمة في ذلك ؟ وما حكم الله فيمن يخالف طريقتهم أفيدونا بأدلة تشفينا، فلا زلتم هداة الحائرين

﴿ الفتوى ﴾

« الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد فما يفعله الناس الآن من الصياح امام الجنازة بنشيد البردة وقراءة القرآن ونحو ذلك غير جائز شرعا، وهو خلاف السنة، وخلاف عمل السلف الصالح، لان السنة في اتباع الجنائز الصمت والتفكر والاعتبار وعلى ذلك جرى العمل من السلف الصالح، وقد قال الامام مالك رضي الله عنه (لن يأتي آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها) وكذلك الاجتماع بنصب الخيام في التعزية مباهاة وافتخارا، وقراءة القرآن بالكيفية الجاري العمل بها الآن في هذه المجتمعات، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرة على ذلك واتخاذ ذلك سنة وعادة، فليس من السنة، ولا من عمل السلف الصالح، وانما شأنهم انهم كانوا يذهبون الى صاحب المصيبة في بيته لحمله على الصبر وعدم الجزع، من غير اطالة مكث، ويدعون لصاحب المصيبة بالصبر، وللميت بالمغفرة والرحمة، ثم ان الذي ينفع الميت انما هو الصدقة على روحه، والدعاء له بالمغفرة والرحمة، اما اهداء ثواب الفاتحة وغيرها مثل قراءة القرآن بغير الطريقة التي أخرجته الى حد الغناء فبعض العلماء رجح حصول الثواب الى الميت، وبعضهم قال بعدمه»

شيخ علماء الاسكندرية

مدرسة دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٨

أما نوبة الملاريا فلها ثلاثة أطوار : —

(١) طور البرودة — يشعر المريض بتعب وسآمة وصداع وآلام في الظهر وبرودة، وتبتدئ الرعدة فينكمش في فراشه ويرتجف جميع جسمه وتصطك أسنانه ويزرق وجهه وأنامله وينتصب شعر جسمه كما يحصل من شدة البرد أو الفزع ويصغر النبض ويسرع ويضطرب ويتوتر، ويكون التنفس سريعا غير عميق

ويكون سطح الجلد باردا حقيقة ولكن إذا وضع مقياس الحرارة في الفم أو في الدبر أو تحت الابط رأينا الحرارة مرتفعة، فانها تبدأ في الزيادة قبل الرعدة بدقائق بل بساعة أو ساعتين أحيانا، وانما ننشأ الاحساس ببرودة سطح الجسم من انقباض أوعية الدم فيه

ويكون مقدار البول كثيرا ولونه رائقا وكثافته قليلة. ويستمر هذا الطور نصف ساعة أو ساعتين. وترتفع الحرارة بسرعة في آخره إلى ما بعد ٤٠° سنتيجراد

(٢) طور السخونة — يبدأ بالاحساس بالسخونة التي تعم الجسم كله فتزداد الحمى، وتتمدد الشرايين، ويتوتر النبض ويسرع ويمتلئ، ويحتقن الوجه، ويتصدع الدماغ. وفي بعض الحالات يهذي المريض أو يعتريه الذهول. ويكون البول في هذا الطور قليلا قاتما كثيفا، وكثيرا ما تظهر [النملة Herpes] حول الفم. ويستمر هذا الطور ٣ — ٤ ساعات

(٣) طور العرق — يتندى الجسم أولا بالعرق بعد شدة جفافه ويعم الجسم كله ثم يصير غزيرا ويستمر ساعة أو ساعتين أو ثلاثا فيشعر المريض حينئذ بالراحة ويترطب لسانه، وتنخفض الحرارة أولا بالتدريج ثم تسرع حتى تصير طبيعية

ويعود المصاب الى حالته الصحية الاولى . ويكون البول في هذا الطور كثيفا جدا وترسب فيه أملاح كثيرة من حامض البوليك

ولا تحصل جميع هذه الاطوار لكل مصاب، بل قد تقتصر النوبة على واحد منها أو اثنين ، فمثلا قد يشعر ببرودة خفيفة تعقبها سخونة مدة ساعتين أو ثلاث ولا يحصل عرق ، وقد يبرد ويعرق ولا يشعر بسخونة، وقد يعرق فقط مع ارتفاع خفيف في الحرارة

أما الاطفال فيندر أن يحصل لهم رعدة بل يصابون بدلها بتشنج خفيف (قد لا يلاحظ) أو بتشنج شديد

وفي الاحوال المعتادة يكبر الطحال في طور البرودة والسخونة حتى قد يحس به تحت الضلوع

وتحصل أول نوب الحمى هذه إما في الصباح أو وقت الظهر ، أما النوب التي تليها فلا تكون دائما في وقت النوبة الأولى بل قد تتأخر عنها شيئا فشيئا حتى تحصل في المساء أو في الليل، وقد تتقدم عنها شيئا فشيئا حتى تحصل قبل الفجر ، ويسمى النوع الاول بالمتقهقر والثاني بالمتقدم

والاحوال المعتادة من هذه الحمى غير مميتة في الغالب إلا للاطفال الصغار أو الشيوخ أو السقماء . وقد يتمدد الطحال منها حتى ينفجر وينسكب الدم في تجويف البطن ، وقد ينزف الدم في منسوج الطحال نفسه ويتكون فيه خراج فينفجر في تجويف البريتون . ومضاعفات مثل هذه الاحوال ليست بكثيرة ، وأشهرها النزلة الشعبية والرعاف والبول الزلالي والآلام العصبية فوق الحاجب

أما الاحوال الخبيثة المسماة [بالصيفية الخريفية] فلا تكون نوبها منتظمة ولا متقطعة الا أحيانا قليلة تكون الفترة فيها قصيرة، ويقل حصول الرعدة للمصاب، وكثيرا ما يعتريه اليرقان والغثيان والقيء والاسهال ، حتى قد تشتبه هذه الحمى بالحمى التيفودية ، وقد تطول مدتها الى ثلاثة أسابيع وتنتهي كثيرا بالموت الذي يسبقه الهذيان أو الغيبوبة أو الاضطرابات العصبية أو البول الزلالي أو النزف الدموي أو الهمود (الهبوط)

ومن الانواع التي يتأثر منها المجموع العصبي بشدة نوع يمتاز بطول الغيبوبة فيه حتى تمكث نحو ١٢ ساعة أو أكثر ويكون الشخص كأنه مصاب بنزف في مخه ، ومنها نوع يشتد فيه الهذيان والهيجان . وقد شوهد بعض أحوال يكون فيها المصاب كأنه ميت حقيقة فيقف تنفسه ويضعف نبضه وضربات قلبه حتى لا يمكن إدراكهما

واعلم ان هذه الحمى اذا تكررت نوبها جعلت الشخص سقيما عليلا مصفرا (لابادة ميكروبها للكريات الدموية الحمراء) ويعتريه الدوار وقلة الميل للطعام وآلام بالعضلات والمفاصل والضعف والاستسقاء ، ويضخم الطحال والكبد أو يكثر منسوجه الليفي وييبس ويضمر ، وقد يصاب الشخص بالجنون أو بالتهاب الاعصاب أو بطنين الآذان أو الصمم أو فقدان الشم أو الذوق

التشخيص — إن أحسن الطرق للتحقق من تشخيص هذه الحمى البحث في الدم عن ميكروبها بواسطة المجهر . وليحترس من اعطاء الكينين للمريض قبل عمل هذا البحث فان هذا الدواء يذهب الميكروب من الدم . ويختفي الميكروب أيضا من الدم في الانواع الخبيثة وقت انخفاض الحرارة أعني في الفترات التي بين نوب الحمى ، وأحسن الاوقات لمشاهدته في تلك الانواع هو ان يبحث في الدم عند ابتداء النوبة وقت صعود الحرارة . أما في الانواع الحميدة فيكون الميكروب أكبر وأظهر في الفترات التي بين نوب الحمى

المعالجة — الغرض الذي يرمى اليه هو قتل الميكروب واخراج سمومه من الجسم واراحة المريض مما يحدثه من أعراض الداء . وأحسن الادوية وأشهرها لقتل هذا الميكروب هو [الكينين Quinine] (١) وأشهر أملاحه الكبريتات ،

(١) هذه الكلمة مأخوذة من لغة أهل بيرو Peru بامريكة الجنوبية ، ومعناها (القشر) لأن هذه المادة تستخرج من قشر شجرة « السنكونا Cinchona » وسميت هذه الشجرة بهذا الاسم لأن امرأة « شنكون Chinchon » زوجة حاكم بيرو عولجت بها من حمى فشفيت في سنة ١٦٣٨ وفي السنة التالية احضرتها الى اوربة ، وبعد ذلك ادخلها الجزويت الى رومية ، ولذلك سميت ايضا « قشر الجزويت »

وهي مادة بيضاء خفيفة شديدة المرارة قليلة الدوبان في الماء فتذوب فيه بنسبة ١ : ٨٠٠
ولكنها سهلة الذوبان فيه باضافة أحد الحوامض اليه . ومقدار تعاطيها في اليوم ٢٠
— ٣٠ قمحة تقسم على ثلاث دفعات ، والافضل أن تكون الدفعة الاخيرة قبل ميعاد
حضور النوبة بنحو ست ساعات ، ولا مانع من اعطائها بعد طعام الفطور والغداء
والعشاء ككثير من الادوية الاخرى . واذا قاءها المريض مزجت بقليل من
الافيون أو حقنت في المستقيم أو تحت الجلد ، والافضل أن تحقن داخل عضلات
الالية ، وأحسن الاملاح للحقن في الشرج أو تحت الجلد هو [هيدرو برومسد
الكينين الحمضي] فانه سهل الذوبان في الماء ولا يتهيج منه المكان المحقون ، وجرعته
من قمحتين الى عشر أو ١٥ قمحة

و [اليوكينين Euquinine] وهو إتيل كربونات الكينين يكاد يكون عديم
المرارة ولا يضر المعدة ولا الاعصاب ، ولذلك كان أحسن دواء للاطفال والنساء.
وجرعته تختلف من ٥ الى ١٠ قمحات بحسب السن

ويجب الاستمرار على تعاطي الكينين مدة بعد زوال الحمى لان بعض الميكروبات
قد ينجو من فعله ويختفي في الطحال ثم يعود الى الظهور ويكثر فيحدث النكس،
فلذا يجب الاستمرار على تعاطيه بعد الشفاء بمقادير يعينها الطبيب (كخمس قمحات
في اليوم) لمدة ثلاثة أشهر على الاقل

وهناك بعض أدوية أخرى نافعة في الملاريا ولكنها أقل قيمة من الكينين مثل
مركبات الزرنيخ

وكثيرا ما يحدث من الكينين أعراض ضارة مثل طنين الآذان والصداع
والصمم ، وقد تتقى هذه الاعراض بتقليل مقداره أو ابطاله مؤقتا أو اعطاء حامض
الهيدروبروميك أو الجويدار لمنع الاحتقان الناشئ من الكينين

الوقاية — تكون (١) بردم المستنقعات و (٢) بإبادة البعوض وذلك بصب
زيت البترول على المياه التي توجد فيهما البويضات والعلق لقتلهما ، ويكون ذلك
بنسبة أوقية لكل ١٥ قدماً مربعة من سطح الماء و (٣) باتقاء لدغ البعوض بمثل
الكلة (الناموسية) وخصوصاً بالليل وهو وقت لدغ هذا النوع من البعوض في

الغالب و (٤) بدوام استعمال الكينين في الاقاليم التي تكثر فيها الملاريا (بمقدار خمس قمحات يوميا)

حمى البول الاسود Blackwater Fever

تحدث هذه الحمى في الاقاليم الحارة التي تكثر فيها الملاريا لمن أقام بتلك البلاد سنة على الاقل فأكثر أو للذين أصيبوا بالملاريا ، ويقل حصولها لغير هذين السببين

بحث الاسباب تفصيلا — ذهب العلماء في حقيقة سبب هذه الحمى مذاهب أهمها — : (١) أنها نتيجة اصابة شديدة بالملاريا (٢) أنها ملاريا متضاعفة باصابة الكليتين (٣) أنها نتيجة ميكروب مجهول (٤) أنهـا ملاريا مع عامل آخر كتسمم الجسم بمثل الكينين أو بسُمّ مرض من الأمراض كالافرنجي وغيره ، أو كالتعرض للبرد

الاعراض — تتقدمها آلام في الاطراف والدماغ وتوعك ثم رعدة فقيء صفراوي فبول أحمر أو أسود بسبب ذوبان مادة الكريات الحمراء فيه ويكون فيه زلال كثير وترتفع الحرارة الى ٤٠ سنتجراد فأكثر ثم تنخفض قليلا بعد بضع ساعات ثم ترتفع مع رعدة أخرى، وهلم جرا. ويصاب المريض باليرقان، ويتضخم الطحال والكبد ويتألم المصاب من جسمه

وفي الحالات البسيطة تزول الاعراض بعد نحو أسبوع، وأما في الشديدة فيستمر القيء ويقل البول أو يبطل افرازه ويصاب المريض بالغيبوبة أو الهمود ويموت

وعدد الوفيات بهذا المرض هو من ١٦ الى ٥٠ في المئة

المعالجة — تكون بحسن التمريض والعناية بالمصاب والاكثار من شرب السوائل لادرار البول ، وتعطى المنبهات المقويات للقلب ، ولا يعطى المريض الكينين الا اذا وجد ميكروب الملاريا في الدم ، وحينئذ يعطى أي ملح من أملاحه غير الكبريتات فانها تساعد على اذابة الكريات الحمراء، ويكون مقدار أي ملح قليلا متكررا

الدوسنطاريا الاميبية Amœbic Dysentery

قلنا ان الدوسنطاريا نوعان : نوع ينشأ من ميكروب نباتي (وقد سبق الكلام

عليه في صفحة ١٠٢ من الجزء الثاني من هذا الكتاب) والآخر ينشأ من ميكروب حيواني وهو المراد بالكلام هنا

وكلمة [أميبا Amœba] يونانية معناها «المتغير» تطلق على حيوين دقيق ذي خلية واحدة دائم التغير لشكله بما يرسله من جسمه في جميع الجهات من الارجل [الكاذبة [1] Pseudopodia] التي يتحرك بها حركة ذاتية ، وهو من أبسط الحيوينات المسماة [الحيوانات الاولى Protozoa]

يتسلق الانسان ثلاثة أنواع من الاميبا : (١) نوع يوجد في فمه اذا أصاب أسنانه النقد (التسويس) (راجع ص٦٨ من الجزء الاول) (٢) ونوع يسكن الجزء الأعلى من الامعاء الغلاظ ، والظاهر أنه لاضرر منه (٣) والثالث هو أميبا الدوسنطاريا هذه

وهذا الاميبا يشاهد في براز المصاب وفي المدة التي قد تتكون في الكبد [2] بسبب هذا المرض ، وأكثر وجوده يكون في المواد المخاطية التي يتبرزها المريض وقت اشتداد المرض أي في زمن حدته . قطر هذا الميكروب الحيواني هو من ٢٥ — ٣٥ ميكرونا ، أي ان حجمه كحجم ثلاث أو أربع كريات حمراء من كريات الدم . وهو يثقب الغشاء المخاطي للامعاء الغلاظ ويسكن تحته ويتكاثر ويحدث المرض وقد يصل الى الأوعية اللمفاوية أو الأوردة فيسير فيها

اسباب الدوسنطاريا الاميبية — يوجد هذا النوع من الدوسنطاريا في الاقاليم الحارة والمعتدلة كمصر ، ولا ينتشر بشكل وبائي كالنوع الآخر السابق . وتنتقل الاميبا بواسطة الماء الذي يتلوث ببراز المصاب أو بواسطة الاطعمة الملوثة به أيضا خصوصا الخضر . ويصيب المرض جميع الاجناس البشرية اذا تعرضت للعدوى وكذلك الصغار والكبار بلا تمييز بينهم ، غير أن الظاهر أنه يصيب الذكور أكثر من الاناث لقلة تعرض هؤلاء له من أولئك . ولهذا النوع أيضا حملة كالنوع الاول يوجد الميكروب في أمعائهم ولا تحدث لهم أعراضه

الاعراض — لاتختلف أعراض هذا النوع كثيرا عن أعراض النوع الباسيلي

(١) سميت بذلك لانها ليست دائمة بل تنبعث وتنقبض (٢) خصوصاً بعد فتح خراج الكبد هذا بثلاثة أيام حينما تنقبض جدره

الذي سبق ذكره الا في أشياء قليلة ، وهي أنه لايكون ابتداؤه مفاجأة بل تدريجيا في الغالب ، وتكون مدته أطول فانه يميل لأن يكون مزمنا ، وتكون الحمى فيه أقل وكذلك الاضطراب العام وتكثر نكساته ولا يمنع ذلك من أن يكون أحياناً شديدا جدا ومميتاً بسرعة ، فترتفع الحمى ويقل البول ويكثر الزلال فيه . ومن الناس من توجد في أمعائه قروح ناشئة على هذا الميكروب ومع ذلك لاتظهر عليهم أعراض المرض ، ولكن ذلك قليل

المضاعفات — تحتقن الكبد أحيانًا وتلتهب وكذلك الكليتان ، ويندر حصول النزف المموي في هذا الشكل. وأم المضاعفات خراج الكبد الذي يكون غالبًا واحدا أو على الاكثر لا يزيد عن ثلاثة ، والسبب فيه وصول الميكروب الى الكبد بطريق الوريد الباب فيميت بسمه منسوجه

ومن العقابيل ضيق الامعاء بسبب انقباض آثار القروح التي تحدث فيها

الانذار — يراعى فيه مسألة خراج الكبد وشدة الاعراض. وتخشى النكسة والإزمان. والفواق علامة سيئة في الحالات الحادة لانه ينذر غالبًا بقرب الاضمحلال والموت

المعالجة — لاتختلف عن معالجة النوع الباسيلي الا في نفع [عرق الذهب] وشدة تأثيره في هذا المرض ، وهو جذور شجرة في بلاد البرازيل بأمريكة الجنوبية، في هذه الجذور مادة مقيئة تسمى لذلك باللغات الافرنجية [Emetine] ولكنها شافية لهذا الداء. والجرعة من مسحوق هذه الجذور هي ٢٠ — ٣٠ قمحة، ويستحسن اعطاء قليل من الافيون أو أحد مركباته قبلها بنحو نصف ساعة ويستلقي المريض على قفاه ولا يعطى له شيء آخر سوى قليل من الثلج لمصه، وذلك كله لمنع القيء الذي يحدث من الدواء، وتتكرر الجرعة بعد ٨ أو ١٠ ساعات، واذا كانت الاعراض شديدة أعطيت الجرعة ثلاث مرات في اليوم ، وبعد زوال أعراض الدوسنطاريا يكمل العلاج بمركبات البزموت والافيون ونحوها

ويفضل استعمال [الامتين Emetine] حقنًا تحت الجلد أو في داخل العضلات [١] بمقدار نصف قمحة مرة ليلاومرة نهارا، وعندماتتحسن الحال يحقن المريض

---

(١) ذلك أفضل لعدم إحداث ألم وورم وتيبس في مكان الحقن

مرة واحدة فقط في اليوم ، ولا يحدث القيء بهذه الطريقة كما يحدث من اعطاء مسحوق عرق الذهب نفسه بالفم . وهذا الدواء نافع أيضا في منع التهاب الكبد وخراجها لانه قاتل لميكروب الدوسنطاريا بسرعة عجيبة

والمعالجة بالامتين أو بعرق الذهب نافعة أيضا في الحالات المزمنة، وكذا نماصت حقن المريض أيضا بالمحاليل المطهرة أو القابضة في المستقيم ، ويكون مقدار الحقن نحو لتر من المحلول الدافئ

الوقاية — تكون بتطهير الماء بالغلي أو غيره ، وبالامتناع عن أكل الخضر وغيرها الا اذا طهرت ، وبابادة الذباب بقدر الامكان أو منعه من الوصول الى الطعام أو الشراب

الحمى الراجعة او ذات النكس Relapsing Fever

مرض معد شهير ينتشر عادة بشكل وبائي وليس له طفح مخصوص كبعض الحميات الاخرى وانما يمتاز بحصول حمى بضعة أيام تنتهي فجأة بعد نحو اسبوع ثم ترجع ثانية بعد مضي بضعة أيام وهكذا . وهي كثيرة الوجود في مصر وغيرها وقد كانت تنتشر بشكل مريع في السجون وغيرها حيث يكثر الازدحام

ينشأ الشكل المعتاد منها في مصر من ميكروب حيواني حلزوني الشكل اكتشفه [أبرميير Obermeier] في الدم سنة ١٨٧٣ وله أنواع يختلف بعضها عن بعض قليلا كما في بلاد الهند وأمريكة . طول هذا الميكروب يختلف من ١٦ — ٤٠ ميكرونا وعرضه ميكرون واحد . وهو يشاهد في دم المصاب بهذه الحمى بين كرياته لا في داخلها . ويقول بعض الباحثين انه يمكن مشاهدته في طور التفريخ قبل حصول الحمى بنحو ٤٨ ساعة، ويقول آخرون انه يشاهد أولا في اليوم الثاني للحمى ويكثر عدده كلما تقدمت الحمى ولا يقل إلا اذا بلغت الحمى أقصى شدتها وارتفاعها قبيل البحران ، فاذا انخفضت الحرارة لايشاهد الميكروب في الدم الى ان تقرب النوبة الثانية . وقد أمكن تلقيح الانسان والقرد بهذا الميكروب اذا حقن فيهما جزء من دم المصاب . وشاهد بعض العلماء أن الميكروب اذا اختفى من الدم ذهب الى الطحال وهنالك تبتلعه بعض الكريات البيضاء وتقتله ، فلذا استنتج انه اذا أقلت بعضها من

القتل وعاد الى الدم تكاثر فيه فتنتكس الحمى

والاصابة بهذه الحمى لا تحمي الشخص من عودتها بعد زمن الا قليلا ولكنها تحمي غالبا من الاصابة بالتيفوس . ومن الاسباب المهيئة للعدوى الفاقة والجوع والازدحام والقذارة . وذلك لانها تنتقل من شخص الى آخر بواسطة قمل الجسم فقد شوهد فيه نفس الميكروب ، وهو لا ينتقل الى الانسان بلسع القمل لجسمه، وانما ينتقل بطريقة أخرى، وهي أن المصاب بالقمل يكون كثير الحك لجسمه فيتسلخ جلده قليلا من أظافره أو غيرها فاذا سحقت قملة في أثناء الحك أو غيره كالنوم عليها وأصاب دمها بعض تلك الجروح التي بالجلد دخل منها الميكروب الى الدم وأصاب الانسان بالحمى. ويبقى الميكروب في جسم القملة مدة حياتها بل يصل الى بويضاتها (الصئبان) فتتلقح به أيضا . ولذلك وجب الاحتراس من القمل والصئبان فانهما ينقلان هذه الحمى

وهي تصيب الانسان في جميع الاعمار ولا تميز بين الذكر والانثى الا قليلا فان نسبة المصابين بها من الذكور الى الاناث تكون عادة كنسبة ٣ الى ٢ وهي كثيرة الحصول للفقراء والشحاذين ونحوهم لكثرة ضعفهم ووجود القمل فيهم، وقل أن تصيب الاغنياء الا اذا صادفتهم قملة انتقلت اليهم من مصاب بها اقتربوا منه

وهناك نوع من هذه الحمى يحصل في أفريقية ينتقل من شخص الى آخر بواسطة القراد ولكن مدة هذه الحمى أقصر فانها تكون عادة يومين أو ثلاثة ، ويوجد أيضا ميكروبها حتى في بويضات القردان ، ويجوز أن ينتقل الى الجيل الثالث من نسله

الاعراض — يتراوح طور التفريخ بين يوم و١٦ يوما ولكن في أكثر الاحوال يكون أقل من تسعة أيام . وتبدأ الحمى فجأة بقشعريرة أو برعدة يعقبها سريعا صداع في الجبهة وآلام في الظهر والاطراف . وبعد زمن يسير تزول القشعريرة ويخلفها احساس بحرارة في الجسم ويزداد الصداع والآلام المذكورة . وتكون درجة الحرارة في اليوم الاول ٣٩ أو أكثر فيضطر المريض الى التزام الفراش ويشتد به العطش والاقهاء وقد يعتريه الغثيان والقيء ويحتقن الوجه ويبيض اللسان وتزداد درجة الحرارة في الليل فتكون ٤٠ أو ٤١ وتنخفض قليلا في الصباح فتكون أقل بدرجة غالبا

وقد تتكرر الرعدة ويكثر العرق . ويسرع النبض وكذلك مرات التنفس. ويعتري المريض في بعض الاحوال اليرقان الشديد حتى يتكون البول بلون المرة (الصفراء) وتكبر الكبد والطحال خصوصا وتظهر [النملة Herpes] أحيانا على الشفتين وقد يحصل رعاف (نزف من الانف) . وتستمر هذه الحالة الى نحو من أسبوع، ويقل نوم المريض ويشتكي كثيرا من آلام المفاصل والعضلات ولكنه يبقى حافظا لقواه العقلية إلى قبيل النهاية وعندئذ يعتريه الهذيان، وتشتد الحمى جدا حتى قد تصل إلى ٤٢ و ٤٩ وحينئذ تنفرج الازمة فجأة ويحصل البحران فيكثر العرق وتقل مرات النبض والتنفس وتنخفض الحرارة بسرعة ويشفى المريض غير أنه قد يعتريه هبوط خصوصا اذا كان شيخا، وقد يصحب البحران اسهال أو رعاف وتكون الحرارة أقل من الدرجة الطبيعية ثم يتحسن الحال بسرعة وتشتد شهوة الطعام وتعود قوة المريض في ثلاثة أيام أو أربعة . وبعد أن يظن أنه شفي تماما تعود اليه الحمى فجأة كما بدأت ويكون ذلك بعد مضي اسبوع تقريبا، فيصير المريض في عين الحالة التي كان عليها في المرة الاولى ، وبعد بضعة أيام تنتهي النكسة بالبحران أيضا . وقد ينكس المريض ثانية وثالثة ورابعة وكذا خامسة في النادر . ومن المرضى من لا ينكس البتة. وتكون مدة النكس في الغالب أقل من مدة المرض الاولى فتكون عادة أربعة أيام أو خمسة وقد تكون يومين أو ثلاثة ، وتكون النكسة في الغالب أخف وطأة من الحمى الاولى ولكنها أحيانا تكون أشد بل قد يموت منها المريض

واعلم أن جميع المدد المذكورة سابقا هي تقريبية فانها تتفاوت تفاوتا عظيما باختلاف الاشخاص فقد رأينا في السجون المصرية أن مدة الحمى الاولى قد تتراوح من يوم الى ثمانية أيام أو تسعة والفترة الاولى من يومين الى واحد وعشرين يوما ومدة النكسة الاولى من يوم الى عشرة والثانية من يوم الى سبعة وهلم جرا في الاختلافات العظيمة في مدة الفترات وأيام النكس، ومن المسجونين من نكس أربع مرات (١)

وعدد الوفيات يختلف من ١٤ الى ١٨ في المئة ويحصل الموت عند اشتداد

(١) راجع تقرير جناب الدكتور (كرتون Kirton) رئيس القسم الطبي بمصلحة السجون المصرية عن سنة ١٩٠٧م

الكرب في الحمى الاولى أو عقب البحران مباشرة من الهمود خصوصا في الشيوخ كما تقدم . وقد يحصل الموت بسبب التسمم البولي والتشنج أو بالالتهاب الرئوي أو بالزحار أو غيره

ومن المضاعفات غير ما ذكر ضخامة الطحال وتمزقه ، والحمرة بالاطراف السفلى، والتهاب الغدد اللمابية أوتقيحها ، والتهاب العين الذي يعميها ، واجهاض الحبالى والنزف الرحمي الخطر

الجمعيات الاتحادية

لتكوين العصبية التركية

كتب بعض شبان العرب المتعلمين في مدارس الدولة العثمانية بالاستانة مقالات في الجرائد في موضوع هذا العنوان ثم رأينا في كتاب (ثورة العرب) الذي صدر بامريكة من عهد قريب كلاما مختصرا مفيدا في ذلك فنقلناه عنه لأجل الاعتبار به وإثبات مايحتاج الى الرجوع اليه من تاريخ هذا الانقلاب الخطر. قال المؤلف تحت عنوان (المعول الاتحادي العظيم) ما نصه :

أنشأ الاتحاديون جمعية تركية عظيمة سموها جمعية « ترك أوجاغي » — أي طائفة الترك أو العائلة التركية — وجعلوا غايتها محو الاسلام وتتريك العناصر العثمانية ومركزها في الآستانة ومصاريفها من تخصيصات وزارتي الأوقاف والداخلية ومن المشيخة الاسلامية أيضا وهي منتشرة في كل بلدة وقرية في الاناضول والقوقاس وتركستان وتراقية ومكدونية ولها أربعة فروع لكل منها مهمة خاصة به وهذه الفروع هي

أولا « ترك يوردي » — أي المملكة التركية — ومهمته العناية بالآداب التركية بطرق شتى أهمها « تطهير » اللغة التركية من الكلمات العربية وجعلها لغة مغولية بحتة وتأليف الكتب القومية بهذه اللغة وتعليمها في المدارس ونشرها في البلاد

التركية وكتابتها بحروف منفصلة لكي لا يبقى بينها وبين اللغة العربية أقل شبه [1]

ووظيفة أعضاء جمعية « ترك يوردي » مقاومة كل كاتب تركي أو غير تركي لا يرى رأيهم ولا يعتقد معتقدهم ونشر الكتب القوميــة والاناشيد الحماسية بين الترك وتدريسهم التاريخ التوراني القديم وافهامهم ان الترك أعظم أمة في العالم اختارتها الاقدار لسيادة الامم . وقد جرى لهم حوادث عديدة مع فريق من عقلاء الترك أنفسهم كعلي كمال بك والدكتور رضا نور بك ولطفي فكري بك وغيرهم فاتهموا هؤلاء بالخيانة وتهددوهم بالقتل وقالوا ان العنصر التركي يتبرأ منهم وانهم من أصل يوناني وانه لا وطنية لهم ولا قومية ولا شرف

ثانيا « ترك درنكي » — أي ثبات الترك — ومهمته بث الفكرة القومية في الترك العثمانيين وغير العثمانيين بشكل لم يسبق له مثيل في تواريخ الامم [2]

وأعضاء ترك درنكي من غلاة الاتحاديين وأشدهم كرهاً للعناصر ورغبة في تتريكها والقضاء على الفكرة القومية فيها . وهم على جانب عظيم من الهمة والنشاط ولكن الغرور أعمى أبصارهم وأسدل ستاراً من الجهل على عقولهم فكانت ثمرة نشاطهم

---

(١) المنار : قررت وزارة الحربية في عهد ناظرها أنورباشا استعمال الحروف المنفصلة في الامور العسكرية فقط ، ثم نقلت الينا الجرائد أخيراً ان الاتحاديين قرروا كتابة التركية بالحروف الافرنجية ولا ندري كيف ينفذون ذلك

(٢) المنار : اذكر ان هذه الجمعية تشتغل بتنقيح اللغة التركيــة وانها هي التي دعتني الى مجلس ادارتها في الاستانة لما بلغها ان بعض المسلمين كتبوا الي من جاوه انه بلغهم أن الدولة العثمانية تضطهد اللغة العربية وتصرح بانها تطهر التركية منها وانهم لا يصدقون هذا الخبر الا اذا أكدته أنا لهم وانهم حينئذ يحذفون اسم السلطان من الخطبة ، ولما اجتمعت بهم وتذاكرنا في المسألة قال لي رئيس الجمعية ان عملنا فني محض لا دخل له في السياسة ولا الدين فنتوسل اليك ان تستعمل بنفوذك الديني لازالة التهم السيئة التي حومت حوله . وجرى بيننا محاورة ليس هذا محلها

شراً على الدولة ووبالا (١)

ثالثا : ترك بلكيشي — أي العلم التركي — ومهمة أعضائه ترجمة الكتب العلمية الى اللغة التركية القديمة ونشر هذه اللغة بين الترك وبث الفكرة القومية التركية في تركستان والقوقاس وربطهما بدولة الاتحاديين برباط سياسي متين

رابعا « ترك كوجي » — أي القوة التركية — ومهمته العناية بصحة الترك وتقوية أجسامهم ونشر الالعاب الرياضة بينهم .

ويشترط للدخول في جمعية « ترك اوجاغي » أو في احد فروعها ان يكون طالب الدخول تركيا وان يدفع رسماً شهريا وان يتعهد ببذل حياته ونشاطه وماله لاعلاء شأن الترك وبسط سيادتهم على الامم الاخرى وان يغير اسمه باسم توراني يعرف به بين أصحابه فمن كان اسمه انور مثلا صار يعرف اليوم بين أصحابه باسم ايشلداق — أي أنور بالتركية القديمة — ومن كان اسمه محمداً أو سليما أو حسيناً أو سعيداً صار اسمه اليوم تيموراً أو جنكيزا أو هلاكو او اوغوز الخ

وقد بدّل كل الضباط الاتحاديين أسماءهم بأسماء تورانية وكذا رجال الحكومة الحالية لانهم كلهم من جمعية « ترك أوجاغي » ويعرفون بين أصحابهم الترك بأسماء تورانية غير أسمائهم التي يعرفهم بها غير الترك .

وقد أنشأت جمعية ترك أوجاغي وفروعها أندية عديدة في جميع المدن والقرى التركية لتدريس تاريخ الترك القديم ولا سيما تاريخ هلاكو وأوغوز وجنكيزخان و بث الفكرة التركية في الامة التركية وجعلها تعتقد بتفوقها على الامم الاخرى في كل شيء . وعينت هذه الجمعية ثلاثة أيام في الاسبوع لتعليم النساء التركيات التاريخ القديم وبث الفكرة العنصرية فيهن وحملهن على العناية بتربية أطفالهن تربية قومية تركية . وتبرعت وزارة أوقاف المسلمين أخيراً بخمسين ألف ليرا عثمانية لجمعية « ترك أوجاغي »

---

(١) بلغ منهم الغرور مبلغا لا يتصوره العقل فبينما كانت جيوش البلقانيين امام شطلجه تهدد كيان الدولة كان أحدهم — أحمد أغايف بك — ينشئ سلسلة مقالات في جريدة تصوير أفكار جاء فيها ما ترجمته « يجب أن تهتم تركيا بشؤون ايران أعظم اهتمام لان ايران طريقنا الى الهند والصين ! »

لاجل تأليف تواريخ مفصلة لهلاكو وواغوز وجنكيز وتيمورلنك

وأندية « ترك أوجاقي » محرم دخولها على غير الترك فكل من يود ان يدخل اليها يجب عليه ان يظهر للبواب ورقة عليها اسمه ورسمه وتاريخ ولادته وقد سمت جمعية ترك أوجاغي أخيراً في ترجمة القرآن الكريم الى التركية القديمة مع خطبة الجمعة والادعية الدينية وغيرها مما يوجب الدين الاسلامي تلاوته باللغة العربية وعزمت على نزع أسماء الصحابة من الجوامع لاعتقادها أن وجود هذه الاسماء العربية في الجوامع والاماكن المقدسة مما يضعف الفكرة القومية في الترك

وليست المدارس العثمانية رشدية كانت أو اعدادية ملكية أو عسكرية الاّ فروعا من فروع جمعية « ترك أوجاغي » وكذلك جمعية الاتحاد والترقي وجميع الجمعيات السياسية والعلمية والدينية والادبية التي تأسست في الآستانة والاناضول قبل الحرب الاوربية وبعدها

وقد أدخلت الحكومة في برنامج مدارسها العالية ولا سيا المدرسة الحربية ومدرسة اركان الحرب في الاستانة درس تاريخ التورانيين وعلومهم الحربية وآدابهم ونظاماتهم وعهدت الى احمد اغايف بك وأمين بك وخالد ضيا بك وحمد الله بك في إلقاء محاضرات يومية في هذه المواضيع على تلامذة المدارس الحربية ومدارس الحقوق والطب والهندسة وغيرها وترسيخ الفكرة التركية في نفوسهم . واستعاض التلامذة في جميع المدارس الابتدائية والاعدادية والعالية من الكتب العصرية بمجموعة « ترك يوردي » — المملكة التركية — وكتاب ترك قليجي — السيف التركي — وتاريخ توران وتاريخ تيمورلنك وهلاكو وجنكيز خان وغيرهم .

وفي كل يوم يجتمع تلامذة المدارس الحربية في ساحات مدارسهم ويستلون سيوفهم وينشدون نشيدهم الوطني الذي يبتدئ بهذه الابيات :

جنكز خانك بايراغي آنلي شانلي صانلاندي
آيت خانك بايراغي حربده بويله اكلاندي

أي : لقد تموجت أعلام جنكيز خان في جو المجد والشرف وأرشدتنا أعلام آيت خان الى نهج هذا الطريق المجيد في الحرب . الخ

والاغرب من هذا كله الدعاء الجديد الذي الفته جمعية « تورك يوردي » وجعلت الترك يستعملونه في منازلهم ومدارسهم، وقد قررت أخيرا استعماله في الجوامع في الاستانة والاناضول وهذه ترجمته :

« أيها الاله القادر على كل شيء أنعم على الترك بالصحة والعافيـة وأحسن اليهم بذئب أبيض [1] واشملهم برعاية مولانا السلطان الاعظم

« وأنت يامملكة توران الجميلة المحبوبة ارشدينا الى الطريق المؤدية اليك لان جدنا اوغوز الكبير ينادينا

« ايها الاله القادر على كل شيء انر طريق توران أمامنا واجعل امتنا كالورد الناضر واهدنا الصراط المستقيم »

﴿ الاناشيد الحماسية في الجيش ﴾

أما الجيش العثماني فمعظم ضباطه وجنوده الترك من الأتحاديين ومن المنتسبين الى جمعية ترك أوجاغي وهم يحتقرون الضباط والجنود من أبناء العناصر العثمانيـة الاخرى ولا يسمون الدولة الا الدولة التركية وينفرون من تسميتها الدولة العثمانية لاعتقادهم ان البلاد العثمانية غير التركية ليست الا مستعمرة فتحها الترك بالسيف . وهذا نموذج من الاناشيد الحماسية التي يترنمون بها في الجيش :

بزترکزسن ترکلکه امانتسك

هيج قورقمه هپ اولورسي ويرميز

أي: نحن ترك وأنت (يا آسيا) أمانة بيد الترك فلا تخشي شرا لاننا نفديك بارواحنا

اي ترك كنجي يتيشير ارتق أو يومه

قوش كويلينك امدادينه دورمه

أي : انهض ايها الفتى التركي فقد نمت طويلا وأسرع في الحال الى امداد بلاد اجدادك

جنكيز خانلك بايراغي   انلى شـانلى صالاندي

ايت خانك بايراغي   حربده بويله آ كلاندى

(١) الذئب الابيض اله من آلهة الترك الاقدمين وقدكان شعاراً لهم أيضا

وقد سبقت ترجمته

اتقامى آله مزسك تركلك بزه ناقله

صوصتره لم بايقوشلرى يتيشمز بو ولوله

أي : لا يحق لنا ان ندعى اتراكا ما لم ننتقم من أعدائنا . فلنسكت اليوم عن نعيقه وليكفنا ماسمعناهُ من الضجيج والنحيب

يور يبالم ايلرى يه اتلاية لم طاغ تپه

باطلاتالم بومبالرى جانلر كيرسون يرلره

أي : هلموا إلى الامام فتنبسط امامكم الجبال والاكام وتنفجر قنابل الديناميت وتفغر الارض فاها لابتلاع النواقيس والاجراس

آل بايراغك التنده اتا آرم يورودى

كوك بايراغك التنده يكى توران بيودى

أي لقد سار اجدادنا الى المجد تحت العلم الاحمر الذي هو مصدر عظمة توران الجديدة

يورين طاغلر اينسين التون اردوشان ويرسون

آل بايراق ! يانغيلر اوزرنده يوكسلسك

أي : سيروا لتنبسط الجبال وتكسبنا جيوش التاي [١] الشرف فان مجدنا سيشاد تحت العلم التركي على الانقاض والحرائق

بزايغورز دونميز قوناغمز طاغ اوه

توركز بزمدراسيا توركز توكز هيمز

أي : نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا الى الامام لان مسكننا الجبال والبطاح نحن ترك وآسيا كلها لنا نحن اتراك اتراك كلنا

﴿ كيف يعلمون الامة ﴾

هذا نموذج من الاناشيد التركية الوطنية التي يترنم بها الترك في ميادين القتال على مسمع من جنود العرب وضباطهم

(١) اسم الجبل آلتون طاغ الذي يعده الترك التورانيون بلادهم الاصلية

والى القراء نموذج من الخطب والدروس التي يلقيها على التلامذة العثمانيين في مدارس الدولة اساتذة من أعضاء جمعية « ترك اوجاغي » عينوا برواتب باهظة لتحريك ابناء العناصر العثمانية :

قال أستاذ التربية العسكرية في المدرسة الحربية في الاستانة في درس ألقاه على صف الضباط بعد اعلان الحرب العثمانية بايام ماخلاصته [أي خلاصة ترجمته] :

« اود ايها السادة ان القي عليكم كلة في غاية الاهمية بمناسبة الحوادث العظيمة التي وقعت في الغرب فاظهرت لنا معاشر الترك امورا لم تخطر في بالنا من قبل وعلينا أن نعتبر بها . فان البلجيك الصغيرة تجاسرت على محاربة المانيا العظيمة ووقفت بجيش لا يزيد على مئة الف جندى امام أعظم جيش ذكره تاريخ بني البشر فحالت دون القضاء على حليفتها فرنسا . لذلك لا يسعنا نحن الترك أعداء البلجيك إلا ان نطأطيء رؤوسنا اجلالا لها واحتراما لجيشها الباسل . ولكن اتعلمون ايها الاصدقاء لماذا وقفت البلجيك تيار الجيش الالماني العظيم ؟ وقفته لانها كانت تحاربه باسم القومية و باسم الوطن . او تعلمون لماذا عظمت فرنسا وانكلترا والمانيا وسدن العالم وصرن اعلى أمم الارض مقاما واكثرها ثراء ؟ لانهن خضن معترك الحياة باسم القومية لا باسم الدين . فعلينا ايها الاعزاء ان نظهر من الآن وصاعدا امام العالم بصبغة القومية المقدسة وان نضرب بالعصبية الدينية عرض الحائط

« نحن أيها السادة أتراك واني لأعجب من تسميتنا عثمانيين . فمن هو عثمان الذي ننتسب اليه ؟ انه تركي جاء من آلتاي واجتاح هذه البلاد بجيشه التركي . فانتسابنا الى أصله أشرف من انتسابنا اليه . ولقد خدعنا بجهل أسلافنا في الماضي فبئس الاسلاف الذين أنسونا قوميتنا انكم أيها الاعزاء ستلتحقون بالجيش قريبا وستكونون أساتذة جنودنا الابطال . فعلموهم انهم ترك وانهم اذا حاربوا العدو من أجل الترك وتحت العلم التركي ينتصرون عليه ويحرزون ما أحرزته البلجيك من المجد والفخر . وتأكدوا أن التركية خير لنا من الاسلام وان التعصب للجنسية من أكبر فضائل الهيئة الاجتماعية »

فأجابه أحد ضباط العرب قائلا : « تعلم أيها القائد ان للامم الشرقية تقاليد

لا يمكن الاغضاء عنها وقد حفظت الجنسية العثمانية هذه التقاليد وكفلت سلامة الدولة الى الآن. فتتريك العناصر العثمانية أو انكار قوميتها عليها يؤدي الى اضمحلال الدولة في القريب العاجل . فأنا أحتج على هذا الكلام وأقول بكل صراحة ان الرابطة الاسلامية العثمانية هي الرابطة الوحيدة التي تربطنا بالترك . ولما كنت حضرتك تعلمني الآن ان هذه الدولة دولة تركية وان هذا العلم الذي عهدت الي في الدفاع عنه هو علم تركي أي علم أجنبي عني فقد قضيت على قوتي المعنوية قضاء مبرماً وأخمدت كل عواطفي الوطنية لأني أنا وأبناء العرب وجميع أبناء العناصر غير التركية لا نحارب في جنب الترك الا لمقاصد متحدة وذياعن حياض الاسلام والعثمانية . »

فأجاب القائد قائلا : « اعلم أن الحقيقة غير العواطف وأنك وان تكن عربيا فأنت وعنصرك من تبعة تركيا. ألم يستعمر الترك بلادك ؟ ألم يفتحوها بالسيف ؟ ان العثمانية التي تتخذها حجة لك هي حيلة اجتماعية يستعملها الضعيف للوصول الى غايته . أما الدين فلا شأن له في السياسة، وسننهض قريبا باسم التركية وتحت العلم التركي ونترك الدين جانبا لانه من الامور الشخصية الثانوية، أما أنت وأبناء جنسك فعليكم أن تعرفوا انكم ترك وأنه ليس في العالم قومية عربية أو وطن عربي » (١)

وقد احتج ضباط العرب الذين سمعوا هذه الخطابة الى وزارة الحربية وطلبوا منها عزل القائد الاستاذ فلم تعبأ باحتجاجهم ولا أجابتهم الى طلبهم بل اتخذت التدابير اللازمة للتخلص منهم فقذفت بهم الى ميادين القتال وعرضتهم لرصاص العدو بلا سبب الا رغبتها في محوهم ليتسنى لها بعد ذلك قتل الفكرة القومية في بلادهم .

وهذه الرغبة — رغبة قتل العرب — قديمة العهد في الترك الاتحاديين . فقد عثر ضباط العرب سنة ١٩١٢ في بولاير على كتاب من أحد زعماء الاتحاديين الى قائد اتحادي كبير جاء فيه « عرضوا العرب لرصاص العدو واعملوا على التخلص منهم لأن قتلهم يفيدنا . أما الكرد فاحتفظوا بهم لانهم يلزمون لنا في بلاد الارمن » (٢)

(١) جرت هذه المناقشة على مسمع مئات من ضباط العرب في المدرسة الحربية في الاستانة وقد نقلها الينا غير واحد منهم فعربناها للقراء اه من هامش الاصل

(٢) نشر هذا الكتاب في حينه في معظم الصحف العربية اه من هامش الاصل

رحلة الحجاز

٣

﴿ باخرتا الحجاج — المنصورة والنجيلة ﴾

استأجرت الحكومة للحجاج باخرتي (المنصورة والنجيلة) وهما من أقدم سفن شركة البواخر الخديوية — وأما المحمل المصري فقد حمل مع أميره وعسكره على سفينة حربية انكليزية — ولما كنا آخر من جاء السويس من الحجاج علمنا من أصدقائنا الموظفين في هذا الشأن ان المنصورة أسرع الباخرتين وأنه لم يبق في الدرجة الاولى منها موضع لي وللسيدتين لأن وفد العلماء المرسل الى الحج على نفقة سلطان مصر المعظم قد ركب المنصورة قبل مجيئنا وتسابق اليها الناس وقد يوجد فيها موضع واحد لي ، وان النجيلة تفضل المنصورة بأنها أقل منها نودانا وانه يمكن أن نجد في الدرجة الاولى منها بيتا أومخدعا (قمره) خاصا بنا. فنزلنا فيها مع رفيقينا في يوم الاحد لأربع بقين من ذي القعدة ، وقد علمنا بعد سفرها أنها أبطأ بواخر الدنيا سيرا قيل لنا انها تقطع ثمانية أميال في الساعة ولعلها لا تتم الستة الا بالجهد ، وهي قديمة وسخة ليس فيها ضوء كهربائي ولا أجراس ولا مقاعد للاستراحة الا كراسي المائدة في الدرجة الاولى، ولكن المخدع الذي خصص لنا فيها واسع جدا قلما يوجد في البواخر الكبيرة مثله في سعته وهو معد لنوم ستة أو سبعة ، وفيه عدة نوافذ. ثم أن ربانها سالم افندي اليمن من أحسن الناس أخلاقا وعناية بالحجاج ، وهو من أقدم المستخدمين بهذه البواخر وقد حج مرارا ، وطبيبها مهذب حسن المعاشرة وهو طلياني يتكلم بالعربية العامية بطلاقة ولهجته فيهـا سورية ، فنشكر لهذين الرئيسين في الباخرة حسن عشرتهما وعنايتهما بنا خاصة وبسائر الحجاج أيضا ، ولا نبخس خدم الباخرة حقهم من الثناء على حسن خدمتهم . ولعل باخرتنا كانت تفضل المنصورة فيما عدا سرعة السير. وقد زارنا في الباخرة قبل سفرها محافظ السويس ثم صار الى المنصورة لزيارة وفد العلماء السلطاني فيها

﴿ حجاج باخرتنا النجيلة ﴾

وأنسنا في الباخرة بصحبة كثير من ركاب الدرجتين الاولى والثانية وحمدنا صحبتهم وعشرتهم وأخص بالذكر منهم عالما من أكبر علماء القطر المصري وأديبا من أفضل أدبائه . أما العالم فهو الاستاذ الشيخ عبد الفتاح الجمل شيخ علماء بور سعيد وقد كنت أسمع له ذكرا حسنا فرأيته فوق ما كنت أسمع علما وفضلا وهديا وأدبا وانصافا في المذاكرة واستقلالا في الفهم ، وله مشاركة حسنة في التاريخ والادب ومعرفة أحوال العصر ، ولعله يندر وجود مثله في علماء مصر . وأما الاديب فهو محمد توفيق علي (اليوزباشي) في الجيش المصري ، وهو يفضل من نعرف من أدباء مصر وضباطها في الاخلاق الدينية والمحافظة على العبادات ، وكثرة النظم في ذم الفواحش والمنكرات . وقد كان معه والدته وهي امرأة تقية زكية الفطرة واتفق ان كان مخدعهما ملاصقا لمخدعنا فكانت والدتي وشقيقتي تأنسان بالمامها بهما وصحبتها لهما ، وهي أقل منهما دوارا ، وأكثر على مشقة البحر اصطبارا ، وقد حجت قبل هذه المرة . وكذلك كنت أنا آنس به ، فقد كنا أكثر الرفاق تلازما قلما نفترق الا في وقت النوم ، وكان أكثر حديثنا وسمرنا أول الصحبة في الشعر والادب وأقلها في المسائل الدينية والعلمية والشؤون الاجتماعية ، الا اذا حضر المجلس الاستاذ الجمل فان الحديث يكون بعكس ذلك ، كما كان في أواخر العهد بالصحبة

وقد وزعت بعض نسخ المناسك على حجاج الباخرة قبل أن أقرأها وأصحح أغلاطها و بعضها بعد ذلك ، ولما علم الناس أنها بغير ثمن كثر الطلب لها حتى من الاميين فصرت أشترط على من يأخذها من القارئين ، ان يقرأها لمن يجاوره من الرفاق الأميين ، وكان انتشارها في المركب سببا لكثرة اختلاف الحجاج الينا للسؤال عن أحكام النسك ولاسيما واجبات الاحرام

كان سفرنا من مصر في أول الميزان وقد بدأ هواء الخريف المعتدل يطرد هواء الصيف الحار ويجليه عن أفق مصر ، وكأن ما كان يرحل منه عن مصر يذهب الى الحجاز ليحل محل هواء صيفه الذي هو أشد منه حرارة ، لذلك كنا كلما اوغلنا في الجنوب نشعر بأن جونا يرجع بنا القهقرى الى الصيف فكان عامة من في السفينة لا

يكادون يبرحون ظهرها الا الى حاجة غير النوم اذ كان جميع ركاب الدرجة الثالثة ينامون على الظهر وكذلك بعض ركاب الدرجة الثانية، وكان جل ركاب الدرجة الثالثة من أدنى طبقات المصريين قد دعهم الى الحج دعا ماكان من عناية الحكومة ببعث حجاج يحجون وحملها الاغنياء على مساعدة الفقراء على الحج بالمال، فوق ماكان من تسهيل سائر الاسباب، فكان أكثرهم يقطعون أوصال الليل باللهو واللعب، والغناء والطرب، ومنه ما يسمونه في اصطلاح أهل الطرق بالذكر ، وهو ان يقف جماعة يتثنون ويرقصون ويصيحون بأصوات منكرة : أَهْ أَهْ ، أو: هو هو ، أو حيّ حيّ ، على صوت مغن يغنيهم ببعض الاغاني الحديثة أو الاشعار القديمة ، فيكونون بذلك من الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، وأقبح اللهو وأنكره وأقربه من غضب الله وأبعده عن مرضاته ما جعل ديناً، فهؤلاء الذين يسمون أنفسهم ذاكرين لله يظنون أنهم خير من الذين يتغنون ببعض الاغاني لاجل التسلي عن فراق الاهل والولد مثلا ، وما ذلك اللهو الذي سموه ذكرا الا معصية ، وما هذا اللهو الا ظنوه حراما أو مكروها الا مباح ، ولهم في ذكرهم هذا شر مكانا ممن قال فيهم بعض العلماء

اقال الله حين عبدتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

وذكرهم هذا دون الذكر مع الغفلة أو الغيبة الذي قال فيه الشيخ محيي الدين ابن العربي

بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب

ومن مظاهر الدين الباطلة في هؤلاء العوام ما كان يمثله رجل منهم شر تمثيل: كنا نسمع كل ليلة صوتا منكرا أجش ينادي به صاحبه السيد البدوي بألقابه المشهورة في هذه البلاد، ويكثر من ذلك ويلح فيه بعد نوم الناس، متنقلا على ظهر السفينة من مكان الى مكان، وكثيرا ماكان يقف بالقرب من بعض نوافذ مخدعنا فيزعج السيدتين وينغص عليهما نومهما، ولما تكرر ذلك منه بحثنا عنه فاذا هو بزي أهل الطريق المتصنعين الذين يراءون الناس بلحاهم وثيابهم وحركاتهم وأصواتهم، فتلطفنا في وعظه واقناعه بترك ذلك الصياح ولكنه أقل منه ولم يتركه البتة.

هذا واننا لما حاذينا رابغ آذن ربان السفينة الحجاج ببلوغ ميقات الاحرام فطفقوا يحرمون ، واننا نرجئ الكلام على الاحرام الآن لنذكره في هذه الرحلة مع

غيره من أعمال المناسك متصلا بعضها ببعض ، ونسترسل في وصف السفر فنقول :

《 الوصول الى جده 》

وصلت المنصورة الى ثغرجدة ضحوة يوم الاربعاء وهو التاسع والعشرون من ذي القعدة ولم يلبث ركابها أن نزلوا منها، وأما باخرتنا النجيلة فوصلت عشاء ليلة الخميس فلم تستطع التقدم الى موقف البواخر من الميناء لكثرة الصخور الخفية هنالك فأرست في مكان بعيد عنه ، وانما دخلت الميناء وأرست فيه ضحوة يوم الخميس فكان تأخر ركابها عن ركاب أختها ٢٤ ساعة ، والسفن تُرسى على بعد شاسع من البر في ذلك الثغر لرقة الماء وكثرة الصخور، فلما رأت الوالدة والشقيقة ذلك عراهما الغم لان الدوار يشتد عليهما في الزوارق الصغيرة ذات الشرع أو المجاذيف و يؤلمهما طول المسافة فيها ، وخافتا أن لا تصلا الى البر الا بحالة لا ترضيهما، ولكننا لم نكد نستعد للنزول الا وكان صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف وكيل سيدنا الشريف الاعظم صاحب الحجاز[1] قدجاء الباخرة في زورق كهربائي أو بخاري (لنش) مع جماعة من سراة جدة وكبرائها لاجل استقبالنا ، وقد أخبرونا بعد السلام انهم قد نزلوا أمس للسؤال عنا في باخرة المنصورة، ثم اننا بعد استراحة الزائرين نزلنا وأنزلنا معنا في الزورق ما خف من متاعنا وصغر حجمه وأرسلنا ما بقي في مراكب النقل الشراعية — وكان الرفيقان الشيخ خالد ومحمد نجيب افندي قد نزلا في بعضها ، — فسار بنا الزورق كالسهم فوصلنا بغاية الراحة ، ونزلنا ضيوفا مكرمين في دار صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف ، وهي دار فسيحة واسعة الحجرات كثيرة النوافذ ، تفيض عليها الشمس أشعتها من الشرق والغرب، ويتخلل النسيم حجراتها من كل مهب ، فهي في الذروة من دور جدة ، وكان الهواء معتدلا في هذا الثغر ، لا يشتكى برد منه ولا حر، وقد بلغني الصديق المضيف تحية سيدنا الشريف، وصدور أمره العالي اليه بالعناية بنا ، وكان قد بلغ الديوان الهاشمي العالي موعد وصولنا كما بلغه مندوبه بمصر خبر سفرنا بالبرق ثم بلغ مضيفنا بمكة خبر وصولنا بالمسرة (التلفون) وتكلمت به مع

---

(١) يعلم القراء ان هذا وقع قبل مبايعة اهل الحجاز للشريف بالملك ونشر الرحلة بعد المبايعة لا يقتضي استعمال لقب الملك فيما يحكى فيها عما كان قبل ذلك

اخواننا محرري جريدة القبلة . وفي صبيحة اليوم التالي ورد على مضيفنا في البريد من المقام الهاشمي الاعلى رقمة شريفة هذا نصها :

نومرو ١٩٥

وكيل شرافة مكة المكرمة وامارتها بجده

معتمدنا الأعز

كتابك رقيم ٢٧ الجاري وصل وعلم ما آله لاسيما من خصوص السيد رشيد رضافقد أرسلناقبله و بتاريخه كان قصدنا نشعرك بالاستعداد لمقابلته بما يقتضي له من الحفاوة والمعلومية تحرر في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ شريف مكة وأميرها

الحسين بن علي

لم نكد نستقر في الدار الا وأقبل الزائرون المهنئون يفدون علينا أفرادا وجماعات وفي مقدمتهم الشيخ مصطفى فهمي معاون نائب الحضرة الهاشمية في جده جاء بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن سيادة رئيسه الشريف محسن معتذرا عنه بالاشتغال بشؤون المحمل المصري . وقد تذكرنا فتذاكرنا بعد التحية والسلام، فيما كان من تلاقينا أول مرة منذ بضعة أعوام ، ذلك اني زرت سورية عقب اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٧ فأقمت فيها أشهرا ثم عدت الى مصر على سفينة فرنسية من شركة المساجري واتفق ان كان في هذه السفينة مصطفى بك فهمي هذا قاصدا بور سعيد للسفر منها الى الحجاز فرأى اسمي بين ركاب الدرجة الاولى ولم يرني على مائدتها ولا على ظهرها مع الركاب لانني أصبت بدوار خفيف لزمت لاجله مخدعي ولم يكن معي أحد فيه ، فسأل عني فدل علي فالتقينا وتعارفنا ، قال لي إن سيادة أمير مكة الجديد سيدنا الشريف حسين طلبني لأ كون كاتب السر له — وكان موظفا بولاية حلب في عمل لا أذكره الآن — واني لما علمت بوجودك هنا رغبت في لقائك واغتنام الفرصة في الاستفادة من رأيك فيما ينبغي لبلاد الحجاز من الاصلاح في عهد الدستور فان أميره الجديد لا بد ان يوجه همته الى إصلاح عظيم في هذه البلاد المقدسة وأنت أولى من يستشار برأيه في هذا الامر ... فذكرت له ما خطر في بالي في ذلك الوقت القصير من وسائل حفظ الأمن ونشر العلم واصلاح حال البدو وسكة الحديد الحجازية ، وتواعدنا على المكاتبة في كل ما يتجدد من الشؤون بتجدد الاعمال ،

وقد بدأ بالوفاء بوعده بعد وصوله الى مكة المكرمة بمدة وجيزة فكتب الي كتابا ذكر فيه انه عرض ماسمعه مني من الآراء على سيد الجميع فصادف القبول والارتياح ، وقد أجبته بما اقتضته الحال ، وكان من غرائب عهد الدستور اني أرسلت اليه كتابا مسجلا فيه كلام يتعلق بخدمة الدولة وتمكين سيادتها في البلاد العربية فأعيد الي هذا الكتاب ولم توصله اليه ادارة البريد التركية ولا يزال عندي وقد وعدته باطلاعه عليه عند ما التقينا في جده لأنه كان في أوراقي ولكن لم يتيسر لي اخراجه في ذلك الوقت

أقمنا في جده من ضحوة يوم الخميس الى أصيل يوم السبت ولم أخرج من الدار في هذه المدة الا الى صلاة الجمعة في أقرب المساجد اليها، وقد سمعنا خطيب المسجد يدعو للسلطان محمد رشاد في خطبته كالعادة. ولم أرد الزيارة لأحد لان الزائرين كانوا لا يكادون يفارقوننا الا وقت النوم ، وكان جل حديثنا معهم في المسائل الدينية والعلمية ، والعبرة الاجتماعية والسياسية ، وانما اختلست منهم ساعات متفرقة كتبت فيها نبذة من التفسير المنار ومكتوبات أرسلتها الى مصر

كنت أتمنى لو ملكت وقتا أرد فيه الزيارة للزائرين الكرام فلما غلبت على الوقت قلت لعلي أملك بعد العودة من مكة المكرمة مالا أملكه الآن ، ولكن وقت العودة كان أضيق كما يعلم في محله، ولذلك طلبنا من صديقنا ان يكتب الينا أسماءهم لنؤدي لهم الشكر بالكتابة ، جزاء ما استحقوه علينا من الزيارة ، فكتب الينا زهاء ثلاثين منهم وهم الذين تذكرهم فمن أهل العلم منهم الاساتذة الشيخ محمد حسين ابراهيم والشيخ أحمد الزهره والشيخ أحمد طه رضوان والشيخ اسحق بن حسن العباسي والشيخ محمد سعيد دردير خطيب مسجد عكاش ،

ومن رجال الحكومة عدا من ذكرنا مدير الشرطة مساعد اليافي ومدير الصحة الدكتور امين معلوف وقائد حامية الثغر عبد الرؤف عبد الهادي ورئيس كتاب الحجر الصحي رشيد باغفار ومحمد راغب الصنعاني من الكتاب ، وحسين ملوخية مأمور نقل البريد، وكل هؤلاء يطلق عليهم لقب الشيخ للتكريم، وقد أعجبني من الدكتور معلوف وعبد الرؤف ومساعد زيهم العربي فكانوا به أبهج في عيني منهم في زيهم الافرنجي التركي

ومن كبراء الوجوه والتجار في الثغر الشيخ سليمان قابل رئيس البلدية والمشايخ زينل علي رضا وعبدالله علي رضا ومحمود زاهد ومصطفى درويش عبد ربه ومحمد بن احمد الهزاز ومحمد باحفظ الله وعبد الله المحمد الفضل ومحمد العبد الرحمن الفضل

ومن أصحاب الحرف ووكلاء الاعمال المشايخ حمزه جلال نقيب وكلاء المطوفين وحسين بحيري من المطوفين وبكر وخميس وسليمان عزابه من وكلاء المطوفين ومحمد سعيد كيال شيخ السماسرة وعبد الرحمن فائق من كتاب شركة البواخر العثمانية

فنشكر لهؤلاء ولسائر من تفضلوا بزيارتنا (كالشيخ عبد الرؤف الصبان من طلبة دار العلوم المصرية وقد فاتنا ذكره مع علماء جدة) مودتهم وفضلهم، وقد علموا ما حال دون ما كنا نبغي من زيارتهم، وان التقصير من الزمن لا منا، والعذر عند كرام الناس مقبول

﴿ عبرة المعتبرين * وجناية المفسدين على المصلحين ﴾

أظهر لي صديقي المضيف سروره وارتياحه لرؤيته إياي بثوبي الاحرام (الازار والرداء) وقد أثار عجبي وحزني أنه ظن أن من المحتمل أن أترخص بترك لباس الاحرام اعتمادا على الفدية . وقال لي لو رأيتك لابسا ثياب الحل لعزمت عليك أن لا تنزل جدة الا بلباس الاحرام ، لئلا يظن بعض الناس انك من قبيل هؤلاء المتهاونين الذين يجيئون هذه البلاد غير محرمين بحج ولا عمرة، وذكر لي شيئا يسيرا مما علمته بعد ذلك تفصيلا من حال بعض الشبان الذين جاؤا الحجاز ودخلوا مكة المكرمة نفسها، وكأنهم لا يعرفون شيئا من مكانتها، ولا حق بيت الله وشعائره فيها، فدخلوها غير محرمين، ومروا ببيت الله تعالى غير طائفين ولا مصلين، وترددوا بين الصفا والمروة غير ساعين ولا مرملين، فكانوا مضغة في أفواه الحجازيين ، ومثالا مشوّها لشبان المدنية العصريين ، وحجة قاطعة لألسنة الذين يلغطون منهم بتكفير الاتحاديين، لانهم يساوونهم في ضلالتهم، وهدمهم لشعائر ملتهم، ولكنهم يقصرون عنهم في الغيرة والاخلاص لأمتهم، والتفاني بخدمة دولتهم ، و بذل النفس والنفيس في احياء جنسيتهم

لقد احزنني وامضني وساءني وآسفني ما قاله هذا الصديق الذي أعتقد أنه ما أحبني في الله تعالى الا لاجل اعتصامي بديني وغيرتي عليه، ودعوتي الى احياء كتابه وسنته. وقلت في نفسي يا سبحان الله ! اذا كان مثل هذا المحب الحسن الاعتقاد قد بلغ

سوء تأثير بعض اولئك الشبان في نفسه أن تصور ذهنه في مثلي جواز دخول جدة بغير ثياب الاحرام ولو على سبيل الرخصة ، والقيام بما يجب بدل ذلك من الفدية ، فكيف يكون رأيه واعتقاده فيمن لا يعرف لأحد منهم حظا من علم أو عمل ، ولا يحفظ لاحد منهم في قلبه بعض ما يحفظ لي من الظن الحسن ؟

وقلت له محاولا كتمان اسفي ومكابرة امتعاضي : لو كان هذا اللباس (لباس الاحرام) مستحبا لا واجبا لما تركته تهاونا ولا إيثارا لما في اللباس المعتاد من الحشمة أو الزينة أو الرفاهة ، وأنا أرجو أن اكون من أعلم الناس بفوائده واحرصهم على ادراكها بالعمل ، ولو تركته لما استطعت انت ولا أحد من الناس ان يقنعني بإتيانه ، لانني لا أتركه — لو تركته — الا لعذر شرعي ملجئ ، كأن اعتقد أنه يضر بصحتي ضررا يجعل الواجب محظورا ، وأكون بلبسه عاصيا لله تعالى لا طائعا ، وأما نظر الناس فلا أبالي به في أمر الدين ، وأعوذ بالله ان أكون من المرائين ، بل تعودت — ولله الفضل والمنة — ان لا أتصنع للناس ولا ادهن لهم ولا اتحرى مدحهم ولا أخاف انتقادهم في المصالح الدنيوية والامور العادية بحيث يحملني ذلك على ترك شيء أراه حقا أو مصلحة أو فعل شيء أراه باطلا أو مفسدة ،

وأقول مستطردا إنه قد عاداني كثير من الناس في هذا الخلق وآذوني لأجله ولم أود أحدا منهم ، وأرى انني غير مغبون معهم ، وأن هذا الخلق خير لي من مودتهم ، ولا سيما من أعرف منهم سوء النيـة ، وفساد الطوية ، ولكن يسوءني أنه لا بد ان يوجد في أمثال هؤلاء من هو حسن النية يُخدع بالشبهة أو يقلد غيره فيما لا علم له به ، وأنه يعسر العثور على هؤلاء والتناصف معهم باقتناع كلامنا بحسن نية الآخر واخلاصه ، ورجوع المخطئ الى رأي المصيب ان ظهر صوابه ، وعذره إياه فيما لم يظهر له . ولم اذكر هذا التفصيل كله للصديق وانما خطر في بالي عند الكتابة ان بيانه مفيد لأن مثله يقع لكل صادق مستمسك بعروة الحق لا يحابي ولا يداهن الناس فيه .

ومن دقائق هذا البحث ان الانسان كثيرا ما تغشه نفسه وتخدعه بتسمية العجب والكبر والاصرار على الهوى اعتصاما بالحق وصلابة فيه وقلة اكتراث بالمبطلين ، فينبغي للمخلص في اعتقاد نفسه ان يمتحن نفسه و يناقشها الحساب فيما يعاب به و ينتقد منه ، وهذا أمر عسير غير يسير ، اذ يقل في الناس من يبلغ من يحب ما ينتقده

هو أو غيره عليه و يطلعه علي عيوب نفسه ، كما يقل فيهم من يسلم من غيبة صديقه .
واكثر مايبلغ الناس من الانتقاد عليهم اوانتقاصهم ،ماينقل اليهم عن خصومهم واعدائهم ، وقل من ينظر في مثل هذا نظر الروية والانصاف فيستفيد منه ، وانما يستحوذ على الاكثرين عند سماعة ثوران الغضب وخواطر الدفاع أو الانتقام ، واحمد الله تعالى أن وفقني في ريعان الشباب واوائل العهد بالرشد الى حمل اصدقائي على ارشادي الى عيوبي ومكاشفتي بما يرونه أو يسمعونه من الانتقاد علي ، ولا ازال أسأل عن ذلك من أتوسم فيه النصح وان كان اصغر مني سنا واقل تجربة ومعرفة ، واني لاحوج الى نصيحة واحدة استعين بها على اصلاح نفسي ، من سبعين مسألة استعين بها على إصلاح غيري . وقد توجد هذه النصيحة عند عامي يزيد ماعندي من العلم والاختبار على ماعنده منهما سبعين ضعفا ، فيكون أعلم مني بما أنا احوج اليه مما أفضله به

واما ما اكتبه فانني أطالب الناس بالانتقاد على مايرونه منه خطأ أو باطلا ، أطالبهم بذلك كتابة بما انشره في المنار كل عام ، وكل ما يكتب الي من ذلك أنشره في المنار على حسب الوعد الذي أعد به عند طلب الانتقاد ، فان تعمدت اغفال شيء — وذلك نادر جدا — فانما أغفله لتكريم غيري ، لا لإخفاء عيبي ، ولا اذكر من ذلك الآن الا رسالة ارسلها الي صديق مخلص من اشهر علماء الاقطار هفا فيها هفوات تزري بقدره لو نشرت ونقدت وان تلطف الناقد جهد الطاقة ، و بالغ في الادب حتى بلغ حد الاستطاعة ، فرأيت من الوفاء له ان اراجعه فيها ، واستأذنه بنشرها بعد التنبيه لما فيها ، فلم يأذن . من أجل هذا أعتقد كما يعتقد جمهور قراء المنار أن آية الاخلاص في انتقاد ماينشر فيه ان يكتب و يرسل اليه ، لا أن يقال أو ينشر في غيره من الصحف ، فان نشر النقد في المنار نفسه هو الوسيلة لتمحيص الحقيقة عند من اطلعوا على الكلام المنتقد فيه ، وانما فائدة الانتقاد عند المخلص فيه بيان الحق والصواب لمن ينتقد عليه باطله اوخطأه ، ولمن اطلع على ذلك وخشي ان قد يكون قد ضل به وهم قراء كلامه ، وأما انتقاد ذلك في بعض البيوت او الاندية او الصحف التي لا يطلع اكثر قرائها على مايدعي المنتقد انه باطل وضلال فهو إذاعة للباطل ضارة لايحمل عليها الا هوى النفس ، وذلك من شأن المرائين المفسدين ، لا من شأن الصادقين المصلحين ،

وقد ذكرني ماقاله الشيخ محمد نصيف في مسألة الاحرام والسبب الحامل له على هذا القول ما انبأني به اخي في الله عز وجل العلامة الشيخ محمد مكي بن عزوز التونسي في الاستانة سنة ١٣٢٨ قال رحمه الله تعالى ماحاصله : كتب الي أحد اخواني من علماء تونس بعد العلم بتلاقينا : انا نعرف قيمة السيد محمد رشيد رضا العلمية ومقاصده الاصلاحية من مناره ... ولكننا نرى بعض الذين يلهجون بطلب الاصلاح حتى الديني منه لاتنطبق أعمالهم على اقوالهم فهم لايؤدون فرائض الدين ولا يقيمون أركانه فضلا عمادونها من آدابه واحكامه ، فكيف رأيت صاحب المنار، بعد المعاشرة والاختبار؟ قال فكتبت اليه بعض مارأيت ومنه ان زيارته الاولى لي في داري كانت بعد العصر فصلى صلاة العصر عندي وكنت قد صليتها قبل قدومه منفردا فأعدتها مقتديا به ، فلم أر صلاة أكمل انطباقا على السنة من صلاته . وزرته مرة مع بعض الاخوان فقدم لنا الشاي ولم يشرب معنا لانه كان صائما . الخ

أليس من آية ضعف الدين ، وابتلاء الصادقين بالمنافقين ، وغمة الامر على المؤمنين ، ما دار من المكاتبة بين العالمين التونسيين في الصلاة والصيام، ومن الحديث بيني وبين محمد نصيف في مسألة لباس الاحرام ؟ بلى واني تذكرت في هذه اللحظة مسألة اخرى من هذا القبيل اذكرها اتماما للعبرة

دخلت مرة على الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد في نهار رمضان فرأيت عنده ابراهيم بك المويلحي جالسا يدخن بلفيفة من التبغ (سيكارة) فذكر المنار ومنع الحكومة الحميدية إياه من دخول البلاد العثمانية فجعل المويلحي يرميها بالجهل ويقسم ان المنار خير لها من فيلق من العسكر لما فيه من خدمة الدين الذي لاتنهض الامة بدونه، وأطنب في مدح الدين وتأثيره في الاصلاح وعدم الرجاء في نهضة المسلمين بدون مايدعو اليه المنار من الاصلاح الديني . علم بهذه الواقعة ابراهيم بك الهلباوي فاشار اليها في مقالة ارسلها الى المؤيد من أوربة يذكر فيها بعض عبر السفر، مستطردا الى العبرة بها على سبيل التشبيه والمثل، قال في وصف رجل — على ما أذكر — : كذلك الرجل الذي كان يكلم صاحب المنار في مدح الدين... في شهر رمضان ولفيفة التبغ بيده يدخن بها. — اوما هذا مؤداه — ففهم بعض الناس من عبارته ان الذي كان يدخن هو صاحب المنار المخاطب لا المتكلم

الذي يخاطبه، وان كان المتبادر من العبارة العكس وهو الذي يجري عليه الكتاب عادة في مثل هذه المسألة ، اعني أنهم لا يصرحون باسم من ينتقدونه في مقام الاعتبار، فاذا صرح احدهم باسم المنتقد عليه أو بوصفه بما يعرف به لهوى له وقصد الى ذمه، لا تواتيه الجرائد المعتبرة (كالمؤيد) ولا تنشر ذلك له، فلو ان صاحب المؤيد فهم من العبارة ما فهمه بعض الناس او خطر في باله انه قد يفهم منها ذلك لتصرف فيها بما يحول دون هذا الفهم

بلغني و بلغ صاحب المؤيد رحمه الله ذلك في وقته فلم نحفل به ، وقال هو ان هذا الفهم لا يخطر الا ببال بعض العوام ، وهو لا يؤثر أدنى تأثير في سمعة صاحب المنار حتى عند من لا يعرف مكانته من هداية الدين، واذا كتب شيء لإيضاح الحقيقة ربما كان سببا للقيل والقال. ثم علمنا ان هذا الفهم قد سبق الى اذهان بعض الناس في نائي الاقطار، جاءتني يوما برقية من عباي الثغر الهندي المشهور من محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين أحد ثغور نجد الجنوبية يقول فيه انه مسافر الى السويس في باخرة كذا بقصد الحج، فلما كان موعد وصول الباخرة رأيت من المروءة أن أذهب الى السويس للقائه وان لم أكن أعرفه أو أعرف عنه شيئا من قبل، فوافيته فيها وكان معه جمهور من العرب ومسلمي الهند جاء بهم ليحجوا على نفقته. فقدم لنا لفائف التبغ (السكاير) على حسب العادة فاعتذرت، فعرضوا عليّ النارجيلة (الشيشة) فاعتذرت أيضا. فسألني الباشا عن السبب فقلت اني أكره هذا الدخان وقد حفظني الله تعالى من اعتياد التدخين في الصغر، فلا أتكلفه بعد العلم بضرره في الكبر، فقال اذاً أنت لم تدخن في حياتك قط، قلت الامر كما ذكرت ، فالتفت الى أصحابه وذكرهم بما دار من الخلاف في عبارة الهلباوي وكيف ظهر ان الصواب ما قاله من نزه صاحب المنار عن ان يكون هو المفطر في رمضان . على ان المسألة مسألة مجاهرة بالفطر، وهي أفحش من الفطر في السر ، لما فيها من سوء القدوة ، وانتهاك الحرمة ،

بعد هذا الاستطراد الطويل أقول ان بعض شباننا الذين أفسدت المدارس التركية أو الافرنجية عقائدهم ، وشوهت حرية الكفر والفسق أخلاقهم وآدابهم ، ولم يكن لديهم من التجربة والنظر ، ولا من حكم العقل وصحة الفكر ، ما يفرقون به بين الحجاز وبين الاستانة ومصر ، لم يقفوا عند حد ترك الاحرام ، قبل دخول

البلد الحرام ، وترك الطواف والصلاة والصيام ، بل تجرأ احدهم على التصريح بالاعتراض على القرآن. وتجرأ آخر على الطعن في بعض الخلفاء الراشدين، بل على ما هو أكبر من ذلك من الضلال المبين ،

من اجل هذا صار بعض الحجازيين يسيء الظن بجميع افراد هذه النابتة الجديدة و بعضهم يجعل سيرة هؤلاء الغاوين، حجة حتى على من ظهرت عدالتهم من الوافدين، أما طبيعة الحرم بل طبيعة جزيرة العرب، فلا تطيق الصبر الطويل على إلحاد الملحدين، ولا على توسيد الاعمال الى الفساق المجاهرين، وأما ماعدا الجزيرة من البلاد العربية فستحذو نابتتها حذو النابتة التركية ، وان فيها من يود تقليد جمعية الأتحاد ، في السياسة والعصبية والالحاد، ولكن آمالهم أدنى من آمالهم ، ومآلهم شر من مآلهم ، فانهم لا يرجون ان يكون لهم دولة كالدولة العثمانية يغلبون على أمرها و يعتزون بقوة مالها وقوة جندها، وسيظهر حالهم ومقصدهم ، وما يكون من تأثيره في بلادهم وأمتهم.

تقريظ المطبوعات الجديدة

كتاب الحرب الاوربية — أو فلسفتها —

لا أعرف أحدا من العامة ولا من الخاصة يصدق جميع ما ينشر في الجرائد من أخبار الحرب والسياسة ولا أكثره ، وانما يصدق اناس ما يوافق عقولهم ، وآخرون ما يوافق أهواءهم . وأهل البصيرة يعلمون ان أصحاب الجرائد في بلادنا لا يعرفون جميع الحقائق التي يعرفها أصحاب الجرائد في أوربة ، وانه لا يباح لهؤلاء ولا لأولئك ان ينشروا كل ما عرفوا ، فان ما ينشر في الجرائد في هذه الحال يراد به عند جميع الامم ما يترتب عليه من التأثير ، لا تمحيص الحقائق ولا تدوين التاريخ ، وانما يرجى ان تدون الحقائق بعد الحرب بسنين ، بأقلام أركان الحرب وأحرار المؤرخين . وأجدر الناس باظهار الحقائق في كل زمن هم الحكماء ورجال الاصلاح الاجتماعي والتحقيق التاريخي، واذا قلت ان (غوستاف لوبون) هو أشهر حكماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ في هذا العصر لا أكون مبالغا، فانه قد اشتهر في الشرق كما اشتهر في الغرب بما تُرجم من كتبه الاجتماعية باللغات الشرقية ككتاب تطور الامم وكتاب

روح الاجتماع ، وما كتبه في تاريخ أعظم أمم الشرق ، ككتاب حضارة العرب وكتاب حضارة الهند . وقد كتب كتابا في فلسفة هذه الحرب بين فيه مناشئها النفسية وأسبابها الخفية والجلية، وكيفية تولدها وتمائها وسيرها في كل أمة من الامم المتقاتلة، وكونها معلولة لعلل خفية ما كان في استطاعة أحد أن يحول دون ترتبها عليها، ولم تكن بارادة دولة من الدول ولا ملك من الملوك، خلافا للكثيرين الذين غلطوا في ذلك . ومن مباحث الكتاب بيان انقلاب الطرق الحربية والعواطف التي توقظ داعية الحرب ، وتأثير الاخلاط النفسية والحربية فيها ، وايقاظها للشعور الديني ، والطرق الحربية الالمانية وتأثيرها ، ونتائج الحرب المجهولة وعقبات الصلح ، وغير ذلك من الفوائد ، مستنبطا مسائله وقواعده من الوثائق الرسمية ، وأجدر الاخبار بالثقة

مثل هذا الفيلسوف الكبير يكتب ما يعتقد ، وقد بدأ التمهيد الذي جعله مقدمة للكتاب بقوله : « ليس غرضي من هذا الكتاب درس حوادث الحرب الاوربية وإنما الذي أرمي اليه استقصاء الظواهر النفسية التي أدت اليها والتي رافقتها منذ نشأتها . فان تدوين وقائعها بانصاف واخلاص ليس بميسور لنا اليوم . وان الاهواء لا تزال متسلطة على نفوسنا ، ولا يتسنى للاجيال التي تخلق التاريخ أن تدونه . ولا بد من فترة تمر بعد انتهاء المآسي البشرية حتى يتمكن الانسان من اكتشاف سرها وادراك حقيقتها ، فان التاريخ لا ينصف الا الموتى »

ومن أراد أن يستفيد من هذه الحرب علما وفلسفة وعبرة وبصيرة فعليه بهذا الكتاب وهو قد ترجم بالعربية وطبع في مطبعة الهلال

﴿ كتاب ثورة العرب — مقدماتها وأسبابها ونتائجها ﴾

ألف هذا الكتاب عضو من أعضاء بعض الجمعيات العربية ، هو سوري أقام في الآستانة عدة سنين وفي مصر عدة سنين لا عمل له الا الاشتغال بالسياسة ، والاقطاب التي تدور عليها مباحث الكتاب تنحصر فيما يأتي :

الحرب الاوربية والشرق . المسألة الشرقية وفروعها . المسألة العربية وأدوارها . العرب والترك في الماضي . العرب والاتحاديون . تأليف الجمعيات العربية وأسبابه . المؤتمر العربي الاول ونتائجه . نيات الاتحاديين ومعداتهم ، الاتحاديون والاسلام

والعرب ، تفاقم الخطب ، انفجار البركان . المبايعة بالملك على العرب . مستقبل العرب .

ما من مسألة من مسائل هذا الكتاب الا ولدينا علم تفصيلي فيها. وقد قرأت نبذا متفرقة منه لاقف على منهاج مؤلفه فيه ، فظهر لي مما قرأت ومما أعلم من اخلاق المؤلف وآدابه أنه اجتهد وتحرى الحق فيما كتبه بحسب ما وصل اليه علمه وفهمه مما رأى وروى ، ومما سمع وقرأ . ومما بينه في كتابه أن أذكياء العرب قد ألجأتهم سيرة الاتحاديين وسيرهم بالدولة والاحداث التي حدثت في عهد دستورهم الى تأليف الجمعيات والاحزاب للمحافظة على مقومات أمتهم وترقيتها في عهد الدستور في ظل الدولة العثمانية مع الاخلاص لها والحرص على دوام الارتباط بها. وقد صدق .

نقلنا في هذا الجزء فصلا من فصول الكتاب وربما ننقل عنه غيره ، وقد بلغت صفحاته ٢٤٦ صفحة من قطع المنار وثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

﴿ المذابح في ارمينية ﴾

كتيب للشيخ فائز الغصين بين فيه مارآه بعينيه وسمعه بأذنيه من رجال الحكومة الاتحادية الطورانية وضباطها من حوادث واخبار الفتك بالارمن . والكاتب من أبناء رؤساء عشائر العرب في حوران تخرج في مكتب الدولة الملكي بالاستانة وانتظم في سلك حكومتها الادارية، وقد كان حظه من تنكيل حكومته بأمثاله من نجباء العرب النفي الى أرضروم ، ولكنه سجن في ديار بكر بضعة اشهر وهي قطب الرحى لتلك الاحداث وفيها وفي طريقها رأى وروى مادونه في كتيبه من الفظائع التي تقشعر منها الجلود ، ثم تيسر له الفرار الى البصرة ثم الى الحجاز فمصر وغرضه من الكتاب تبرئة الاسلام والمسلمين من قتل احد بغير حق ولا سيما النساء والاطفال وبيان ان تبعة مذابح الارمن في اعناق الحكومة الاتحادية دون سواها.

﴿ الكنز المفقود ﴾

قصة خيالية كتبت ببعض اللغات الافرنجية وترجمتها بالعربية الكاتبة المشهورة (ماري نجار) وغاية مؤلفها منها بيان شأن المرأة المهذبة وان جمال المرأة وذكاءها وثروتها لا تغني عنها شيئا اذا لم تكن مقرونة بالتهذيب. ولذلك قدمتها المترجمة الى الصحف العربية التي يعنى أصحابها « برفع شأن المرأة ومساواتها بالرجل وتشجيعها على رفع صوتها والسماح لها بنشر أفكارها على صفحاتها» وصفحات القصة ٢٣٥ من القطع الصغير وثمن النسخة منها ٥ قروش.

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٥ — ٥ الحمل (را) ١٢٩٥هـ ش ١٨ ابريل ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او بعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ استدارة الزمان والنسيئة في الحج ﴾

(س ٢١) من أحد قراء المنار من كبراء مكة المكرمة

الذي أحيط به علم حضرة الفاضل الاستاذ اني أستفسر عما رسخ بفكري عند تلاوة قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قال صلى الله عليه وسلم « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » قال أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري : المراد بالزمان النسبة وقوله كهيئته أي استدار استدارة مثل حالته ... ولفظ الزمان يطلق على قليل الوقت

وكثيره والمراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوي الليل والنهار » فلا يخفى ان مفهوم منطوق الحديث الشريف استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض مع ما تضمنه شرح ابن حجر بقوله المراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوي الليل والنهار ان وقت الوقوف بعرفة لا يكون الا في ذلك اليوم الذي تحل فيه الشمس برج الحمل لا يتقدم ولا يتأخر واذا تقدم أو تأخر دخلت النسيئة معنى اذ لاغرو ان وقت الوقوف من بعد ذلك اليوم لم يقع في ذلك الوقت لانه لا أقل من تأخر الوقوف كل عام عشرة ايام بحسب الفصول على حساب الاشهر الهلالية. فان قلتم هذا امر مقرر مشى عليه الصحابة والتابعون من بعده صلى الله عليه وسلم وهلم جرا الى الآن وعليه جاء في تفسير قوله تعالى (يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج) ان المعتبر في الحج الاشهر الهلالية . قلنا حينئذ يترتب على هذا أنه لافائدة لما افهمه منطوق الحديث الشريف وهو لا ينطق عن الهوى، ولا معنى لما شرحه ابن حجر في قوله في ذلك اليوم الذي حلت فيه الشمس برج الحمل. وهذا اذا كان السؤال في الآية الشريفة عن الهلال فقط وأما اذا جرينا على ان السؤال كان عن جميع الاهلة حيث دخلت الشمس في هذا الجمع فحينئذ السؤال قد توجه بلا اشتباه حيث ان ماذكر من مفهوم الآية والحديث المتقدم ذكرهما يؤيد أن المراد بقوله والحج أن ميقات الحج الشمس حينما تحل في برج الحمل افتونا مأجورين آمين

(ج) ليس في منطوق الحديث الشريف ولا مفهومه أن استدارة الزمان هي وقوع تاسع ذي الحجة في أول يوم من برج الحمل ، ولا ذلك مطابق للواقع . وانما أخذه الحافظ من قول بعض العلماء لا من حديث آخر فقد قال في شرح الحديث من كتاب بدء الخلق من الفتح : وزعم يوسف ابن عبد الملك في كتابه تفضيل الازمنة ان هذه المقالة صدرت من النبي (ص) في شهر مارس وهو آذار وهو برمهات بالقبطية وفيه يستوي الليل والنهار عند حلول الشمس في برج الحمل . اه ومنه يعلم انه ذكر هذا لبيان الواقع ، ولا أدري من ابن اخذ الحافظ ان تاسع ذي الحجة وافق

في تلك السنة دخول الشمس في برج الحمل فهو لم ينقل عن يوسف بن عبد الملك ذلك. والواقع ان أول ذي الحجة من تلك السنة وهي العاشرة كان يوم الخميس كما ثبت في كتب الحديث وهو يوافق ٢٧ فبراير وثاني برمهات ، وفي بعض كتب التقويم ان أوله الجمعة ٢٨ فبراير ٣ برمهات وعلى كل من الحسابين يكون دخول الشمس في برج الحمل بعد اليوم التاسع ، وهب انه كان فيه فما ذكرتم له الا بيان الواقع. وكل من موافقة وقوع الوقوف في أول يوم من برج الحمل وموافقة عام حجة الوداع لاول عام انتظم فيه حساب السنين في اثر تكوين السموات والارض بهذه الحالة لادخل له في فريضة الحج. على أننا ان سلمنا أن هذا المفهوم المدعى في السؤال هو مفهوم الحديث نقول أنه مفهوم مخالفة اشترط من يحتجون به ان لا يعارضه ماهو أقوى منه من منطوق أو مفهوم موافقة ، وهذا المفهوم يعارضه الكتاب والسنة اذ لو جعل الحج في فصل الربيع تابعا للحساب الشمسي لخرج من الاشهر الحرم المعلومات عند العرب بالتواتر من عهد ابراهيم واسماعيل اللذين فرض الله الحج على ألسنتهما وهو قوله تعالى (الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج) الخ وهن الاشهر المتواليات في حديث الاستدارة. وكانت حكمة جعل الحج في الاشهر الحرم ان يأمن الحجاج على انفسهم في ذهابهم الى مكة وإيابهم منها الى أوطانهم فلا يغير عليهم احد من الاعراب كعادتهم .

واما فائدة الحديث فهي تقرير إبطال النسيء ولوازمه . قال تعالى بعد الآية المذكورة في أول السؤال (٩ : ٣٧ انما النسيء زيادة في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله) وهو ماجروا عليه من تأخير بعض الاشهر الحرم الى غيره أي استحلال الشهر الحرام نفسه وتحريم شهر آخر بدلا منه لما كانوا يرون من الحاجة الى الاغارة في الشهر الحرام. مثال ذلك أنهم كانوا يؤخرون تحريم القتال في المحرم الذي يعودون فيه من الحج الى صفر و يعلنون ذلك في (منى) قبل انصرافهم من الحج ، واذا احتاجوا اخروا صفر الى ربيع وهلم جرًّا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها . وروي ان القلمس بن امية بن عوف نسأ لهم الشهور اربعين سنة، فترتب على ذلك أنهم أحلوا جميع ماحرم الله واخروا

الحج عن وقته الذي شرعه الله فيه حتى ان السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بأمر النبي (ص) كان الوقوف فيها في شهر ذي القعدة كما قال مجاهد، وتلتها حجة الوداع فكان فيها الوقوف في ذي الحجة وهو الشهر الذي فرض الله الوقوف فيه . فكانت استدارة الزمان أن رجع حساب الحج الى أصله وحرم النسيء البتة فزال السبب الذي كان يتأخر فيه الحج من الاشهر المعلومات التي فرضه الله فيها . وافاد الحديث أن هذا الحساب حقيقي صحيح في نفسه ليس فيه من خطأ النسيء شيء . وقد قرأت بعد كتابة ماذكر ما كتبه الحافظ على الحديث في تفسير سورة براءة فاذا به قد نقل هذا المعنى عن الخطابي

وأما ماذكرتم من الفرق بين الهلال والاهلة فلا نعلم له مأخذا من اللغة ولا أصلا من الرواية فالاهلة جمع هلال وهو اسم للقمر عند مايبدو في أول ليلة من الشهر الى ثلاث ليال وقيل الى سبع وفي الليلتين الاخيرتين أو الثلاث الاخيرة منه. فاذا كان هذا اللفظ لايطلق مفردا على الشمس فكيف تدخل الشمس في مفهوم جمعه؟

﴿ تصحيح في تفسير هذا الجزء من المنار ﴾

بعد ان طبع تفسير هذا الجزء وأردنا طبعه على حدته أعدنا النظر فيه فرأينا فيه ما يحتاج الى التصحيح والتنقيح . ومما صححناه فيه ما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٨٧	٢٤	القياس الجلي	القياس
«	٢٥	أو السنة هو	أو السنة وما قطع فيه بنفي الفارق هو
«	«	الصحيح	الصحيح الذي لاوجه للخلاف فيه
٥٩١	١	والله أعلم بالظالمين[1]	أليس الله بأعلم بالشاكرين
٥٩٦	١٠	عاقبتهم عنه	عاقبتهم عنده
٥٩٧	١١	من طردهم	عن طرد

(١) سبب هذا الخطأ انه نقل عن كتاب الدر المنثور المطبوع بلا تأمل

ذكرى المولد النبوي

٣

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في تلك اللَّيلةِ من دارهِ إلى دار أبي بكرٍ، ثُمَّ خرجا متردِّدَين من خوخة [1] فيها واستخفيا في الغار المعروف بغار ثور [2]، وكانا قد استأجرا دليلاً ماهرًا من المشركين ليرحل بهما، وأعطياه راحلتيهما وأمَّناه على سرِّهما [3] وواعداه غار ثور بعد ثلاث، فكتم أمرهما ووافاهما في الميعاد، ولمَّا علمت قريش بخروجهما، خرجت بالقافة في طلبهما [4] حتى إذا ما انتهوا إلى باب الغار، صرف اللهُ عنه القلوب والأبصار، وفي الصحيحين أن أبا بكر قال يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا» ولمَّا كان بعد ثلاث جاء الدليل فرحل بهما، وأردف أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة فهاجر معهما، وكانت نار الطلب قد خمدت عنهما، وجعل المشركون

---

*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٤٧٣

(١) الخوخة الكوة النافذة والباب الصغير في الباب الكبير

(٢) ثور اسم جبل معروف من جبال مكة والغار لا يزال فيه الى اليوم

(٣) فيه من العبرة ما كان عند العرب من الامانة والصدق والوفاء

(٤) القافة جمع قائف وهو الذي يعرف الآثار فاذا رأى أثر الاقدام أو الاخفاف أو الحوافر في الارض استدل بها على عددها ووجهة سيرها

لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِمَا دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنْ حِفْظِ اللهِ وَإِكْرَامِهِ لَهُمَا ،

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ خُرُوجُهُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، كَانُوا يَخْرُجُونَ صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ يَنْتَظِرُونَهُ فِي الْحَرَّةِ ،[1] وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى الدِّيَارِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَغْلِبَهُمُ الشَّمْسُ عَلَى الظِّلَالِ[2] حَتَّى وَافَاهُمْ بِقُبَاءَ[3] يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ثَامِنَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فَتَلَقَّوْهُ بِالْإِكْرَامِ ، وَأَقَامَ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ نُزُولُهُ فِي بَنِي عَمْرِو ابْنِ عَوْفٍ ، وَبَنَى فِيهَا مَسْجِدَهَا الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ دُخُولِ الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الْمِيزَانِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْاعْتِدَالِ الْخَرِيفِيِّ فِي الزَّمَانِ ، فَكَانَ ذَلِكَ رَمْزًا لِمَا فِي شَرِيعَتِهِ مِنَ الْاعْتِدَالِ ، وَكَوْنِهَا آخِرَ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا الدِّينُ غَايَةَ التَّمَامِ وَالْكَمَالِ ، وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَجَمَّعَ بِهِمْ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِ ، ثُمَّ رَكِبَ فَأَخَذُوا بِخِطَامِ نَاقَتِهِ : هَلُمَّ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَنَعَةِ وَالسِّلَاحِ[4] ، فَقَالَ « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » ، وَكُلَّمَا مَرَّتْ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي النُّزُولِ

(١) الحرة موضع بظاهر المدينة من جهة مكة فيه حجارة سود

(٢) أي عند ما يقرب وقت الظهر ويتقلص ظلال الجدر حتى كأن الشمس تغالب المستظل بها عليها (٣) موضع بظاهر المدينة فيه قرية واصله اسم لبئر كانت هناك فهو مؤنث ممنوع من الصرف ويصرف بمعنى الموضع ، ويقصر أيضا

(٤) الخطام الحبل الذي يوضع في خطم الراحلة أي أنفها لتقاد به و: هلم الخ حكاية لقولهم أي قائلين هلم أي أقبل وتعال الى قوتي الكثرة والاستعداد

عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ « دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » وَمَا زَالَتْ تَمُرُّ بِدَارٍ بَعْدَ دَارٍ، إِلَى أَنْ بَرَكَتْ فِي مَوْضِعِ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ مِنْ دُورِ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ[1] فَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي بَيْتِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ « الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ » ؛ وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى بَنَى حُجْرَتَهُ وَمَسْجِدَهُ، وَاسْتَحْضَرَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ،[2] وَلَمْ يَفْرَحِ الْأَنْصَارُ بِشَيْءٍ كَفَرَحِهِمْ بِقُدُومِهِ ﷺ، وَمِثْلُهُ عَوْدَتُهُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ[3] وَأَيُّ شَرَفٍ وَفَخْرٍ وَسَعَادَةٍ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، أَعْظَمُ مِنْ هٰذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي افْتَخَرَ بِهَا شَاعِرُهُمْ بِهٰذِهِ الْأَبْيَاتِ :

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً		يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيباً مُوَاتِيَا[4]

وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ		فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا[5]

---

(١) هم قبيلة من الانصار وهم أخواله (ص) من جهة جده عبد المطلب فان أمه سلمى بنت عمرو منهم (٢) أرسل (ص) زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم فاحضرا فاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجه التي تزوجها بعد خديجة وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن. وأما بنته زينب فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج . وقد خرج مع هؤلاء عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان (٣) هو فتح مكة (٤) ثوى أقام والحجة بالكسر السنة والبضع ما بين ٣ الى ٩ أي أقام ثلاث عشرة سنة بمكة يذكر و يعظ بالدعوة الى الله في أثنائها وانما دعا في عشر منها (٥) المواسم مجامع الحج . فلم ير من يؤويه أي يجعل له مأوى أي منزلا يامن فيه على نفسه ولم ير داعيا الى ذلك أو الى الله بمساعدته ونصره

فَلَمَّا أَتَانَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةَ رَاضِيَا[1]

وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظَلَامَةَ ظَالِمٍ بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاغِيَا[2]

بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلِّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى وَالتَّآسِيَا[3]

نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ

جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا[4]

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا[5]

انصرافه وسيرته بعد الهجرة مع المؤمنين

وحاله مع أهل الكتاب والمشركين

كَانَ صلى الله عليه وسلم أَكْرَمَ الْخَلْقِ أَخْلَاقًا، وَأَعْلَاهُمْ فَضَائِلَ وَآدَابًا، امْتَازَ بِذَلِكَ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْرَكُ كُنْهُهُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَقَدْ خَاطَبَهُ الْعَلِيُّ الْعَلِيمُ، بِقَوْلِهِ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، كَانَ جَامِعًا بَيْنَ اللُّطْفِ وَالتَّوَاضُعِ وَالدَّمَاثَةِ، وَبَيْنَ الْعِزَّةِ وَالْوَقَارِ وَالْمَهَابَةِ، مَنْ رَآه

(١) النوى وجهة المسافر التي ينويها بسفره. وطيبة المدينة. ويروى البيت في سيرة ابن هشام هكذا: فلما أتانا أظهر الله دينه فاصبح مسرورا بطيبة راضيا

(٢) الباغي المعتدي ويروى البيت هكذا

فاصبح لايخشى من الناس واحدا قريباً ولا يخشى من الناس نائيا

(٣) الوغى الحرب والتآسي مثل التعازي ما يتسلى به المرء عن المكاره

(٤) أي نعادي الذي عاداه من جميع الناس وان كان من قبل حبيباً لنا لا نؤثر عليه أحدا

(٥) يروى هـذا البيت بالفاظ أخرى في سيرة ابن هشام وفيها أبيات أخرى ايضا

بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ،(١) وَجَامِعاً بَيْنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحَيَاءِ، وَبَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْحَزْمِ وَالْمَضَاءِ، فَكَانَ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى أَثْبَتَ النَّاسِ، وَكَانُوا يَلُوذُونَ بِهِ إِذَا اشْتَدَّ الْبَاسُ(٢)، حَتَّى إِنَّهُ ثَبَتَ وَحْدَهُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ بِيَدِهِ غَيْرَ أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ(٣)، وَإِنَّمَا كَانَ يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ دِفَاعاً، وَيُرْشِدُ الْمُقَاتِلِينَ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّثْبِيتِ إِرْشَاداً، وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يُحَابِي فِي الْحَقِّ عَشِيرَتَهُ وَلَا أَبْنَاءَ جِنْسِهِ، وَكَانَ عَلَى حِلْمِهِ الْوَاسِعِ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَكَانَ أَجْوَدَ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، وَالسُّحُبِ الْمُنْهَمِلَةِ، وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ صَبْراً، وَأَحْسَنَهُمْ لِلهِ وَلِلنَّاسِ شُكْراً،(٤) وَكَانَ

---

(١) البديهة الفجاءة أي من رآه مفاجاة من غير سابق معرفة خافه او وقره واجله لما يتجلى في شمائله من الروعة والهيبة، ومن خالطه اي عاشره مخالطة معرفة احبه لحسن خلقه وكمال آدابه وشدة رحمته وعنايته بامر معاشره. وهذا الكلام من وصف علي رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم (٢) البأس بالهمز ويخفف هنا للتناسب وهو الشدة والمكروه والمراد هنا الحرب ونحوها من المكاره الشديدة (٣) كان أبي من رءوس المشركين وصناديدهم وكان يعلف فرساً له بمكة اسمه العود ويقول اقتل عليه محمدا فبلغ النبي «ص» خبره فقال « بل انا اقتله ان شاء الله » فلما كان يوم احد ونكب المسلمون وانكشفوا عن النبي «ص» اقبل ابي مقنعاً بالحديد لا يرى من بدنه شيء وجعل يقول اين هذا الذي يزعم انه نبي فليبرز لي فانه ان كان نبيا قتلني، فلما دنا من النبي «ص» اخذ النبي حربة من الحارث بن الصمة فطعنه بها طعنة جاءت في ترقوته من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة التي على الراس فكر الخبيث منهزما ومات من ذلك الجرح في طريقهم الى مكة قيل بسرف وقيل برابغ (٤) قال «ص» «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» رواه احمد والترمذي عن ابي سعيد

يُحِبُّ الْيُسْرَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَكْرَهُ الْعُسْرَ وَيَنْهَى عَنْهُ [١]، وَيَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ مَا وَجَدَ، لا يَأْبَى الْمُسْتَلَذَّ مِنْهُ نُسُكًا، وَلا يَتَحَرَّاهُ تَنَعُّمًا وَتَرَفًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَمْتَنِي بِأَمْرِ الْمَاءِ [٢]، وَيُحِبُّ الطِّيبَ وَالنِّسَاءَ، وَكَانَ يُكْثِرُ الْوَصِيَّةَ بِهِنَّ وَبِالْيَتَامَى وَالْأَرِقَّاءِ، لِيَمْحُوَ مِنْ أَنْفُسِ النَّاسِ احْتِقَارَ الضُّعَفَاءِ،

كَانَ ﷺ يُرَبِّي الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْعِرْفَانِ، فَآخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَتَقَاسَمُونَ الْمَالَ وَالْعَقَارَ، وَأَلَّفَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فَأَصْبَحُوا بِنِعْمَتِهِ تَعَالَى إِخْوَانًا، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْدَاءً لا يَأْلُو أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بَغْيًا وَعُدْوَانًا، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي الْأَمْرِ، وَيُسَاوِي بَيْنَهُمْ فِي الْإِقْبَالِ وَالْبِشْرِ، وَيُوَقِّرُ كَبِيرَهُمْ وَيَرْحَمُ صَغِيرَهُمْ، وَيُكْرِمُ فَقِيرَهُمْ، وَيَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيُشَيِّعُ مَيِّتَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ، وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَيَكُونُ مَعَهُمْ كَأَحَدِهِمْ

فَأَمَّا الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي تِلْكَ الرِّحَابِ، فَقَدْ وَادَعَهُمْ وَأَقَرَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَمَّنَهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، عَلَى أَنْ لا يُحَارِبُوهُ، وَلا يُظَاهِرُوا وَلا يُوَالُوا [٣] عَدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ لَهُمْ

---

(١) من وصاياه « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » رواه البخاري ومسلم وغيرهما (٢) كان احب الشراب اليه الحلو البارد كما في حديث عائشة في الشمائل وكان يستعذب له الماء من بيوت السقيا كما روى ابو داود والسقيا بالضم عين على بعد يوم من المدينة او اكثر (٣) أي لا يعاونوا ولا يناصروا

النَّصْرَ عَلَى الْمُؤْمِنِين، وَيُنْفِقُونَ مَعَهُمْ مَادَامُوا مُحَارِبِين، وَأَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينَهُم ، سَوَاء فِي ذَٰلِكَ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُم ، وَلَكِنَّهُمْ مَا لَبِثُوا أَنْ نَقَضُوا عَهْدَه ، وَظَاهَرُوا عَلَيْهِ عَدُوَّه ،

وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَاشْتَدَّتْ عَدَاوَتُهُمْ لَه ، وَكَانُوا حَرْبًا لَهُ وَلِمَنْ آمَنَ بِه ، فَلَمْ يَشْتَفُوا بِإِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَمَا كَانَ مِنْ تَعْذِيبِهِمْ لِمَوَالِيهِمْ وَضُعَفَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ ، لِأَجْلِ إِرْجَاعِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامْ، إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الاصنام، حَتَّى صَارَحُوهُمُ الْبَغْيَ وَالْعُدْوَان ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِ أَمَانٌ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَكَان ، إِلَّا أَنْ يَمْنَعَهُ أَحَدُ الْأَقْوَام ، أَوْ يَصُدُّهُمْ عَنْهُ الشَّهْرُ الْحَرَامُ أَوِ الْمَسْجِدُ الْحَرَام ؛ عَلَى أَنَّ قُرَيْشًا صَدَّتْهُمْ عَنِ الْبَيْت، بَعْدَ أَنْ قَلَّدُوا الْهَدْيَ وَأَحْرَمُوا بِالْعُمْرَةِ سَنَةَ سِتٍّ[1] ، حَتَّى صَالَحَهُمْ ﷺ فِي الْحُدَيْبِيَةِ[2] ، — وَالْإِسْلَامُ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَعَةِ وَالْقُوَّةِ[3] — ، عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِين ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِين ، وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْهُمْ ذَٰلِكَ الْعَام ، وَيُخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ ثَلَاثَةَ أَيَّام ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَلَوْ بِقَصْدِ الْإِسْلَام ،

(١) الاحرام وتقليد الهدي أي ما يهدى الى الحرم من الانعام دليل على عدم ارادة القتال (٢) الحديبية بالتخفيف كدويبة ويشدده أكثر المحدثين بئر سمي باسمها الموضع الذي حولها (وقيل واد هنالك) وهو على نحو مرحلة من مكة من أسفلها عن طريق جدة .وكان هنالك قرية، قيل هي في الحل وقيل في الحرم وقيل بعضها في الحل و بعضها في الحرم وهو أبعده عن مكة

(٣) كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٠٠ رجل أو ١٥٠٠

وَلاَ يَرُدُّوا عَلَيْهِ مَنْ أَتَاهُم مِنْ أَصْحَابِهِ الكِرَامِ ، وَكَانَ ﷺ قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ ، أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، فَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ، وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الاسْتِيَاءُ مِنَ الصُّلْحِ حَتَّى خِيفَتْ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةُ ،(١) لَوْلاَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ ، وَعَجَّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا وَعَدَهُمْ ثُمَّ مِنَ الْمَغَانِمِ الْكَثِيرَةِ ،(٢) وَذَلِكَ بُرْهَانٌ عَلَى إِيثَارِهِ ﷺ لِلسَّلاَمِ ، وَمَا كَانَتْ حُرُوبُهُ إِلاَّ دِفَاعًا وَتَأْمِينًا لِدَعْوَةِ الإِسْلاَمِ ، وَكَانَ أَكْبَرَ فَوَائِدِ ذَلِكَ الصُّلْحِ اخْتِلاَطُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُشْرِكِينَ ، وَإِسْمَاعُهُمُ الْقُرْآنَ وَتَبْلِيغُهُمْ حَقِيقَةَ الدِّينِ ، وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لِتَبْلِيغِ الْمُلُوكِ الْمُجَاوِرِينَ ،(٣) فَصَارَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِيهِ آمِنِينَ مُقْتَنِعِينَ ، وَأَظْهَرَ الإِسْلاَمَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ ، مَنْ كَانَ يُخْفِيهِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ سُورَةَ الْفَتْحِ ، فِي تَعْظِيمِ شَأْنِ هَذَا الصُّلْحِ ، مُبَيِّنَةً مَا فِيهِ مِنَ الْحِكَمِ وَالْمَصَالِحِ ، وَمُشْتَمِلَةً عَلَى أَخْبَارِ الْغَيْبِ وَالْوَعْدِ بِالنَّصْرِ وَالْمَغَانِمِ ، فَسَمَّاهُ فَتْحًا مُبِينًا ، وَأَعْقَبَهُ كَمَا وَعَدَ نَصْرًا عَزِيزًا ، إِذْ كَانَ تَمْهِيدًا لِفَتْحِ

---

(١) لما صالح (ص) المشركين أمر المؤمنين بالتحلل من عمرتهم فلم يبادروا الى الامتثال لما عراهم من ذهول الحزن ، فدخل (ص) على أم سلمة وقال لها هلك المسلمون ، وذكر لها ما كان فأشارت عليه بأن يخرج ولا يكلم أحدا حتى ينحر هديه ويحلق رأسه ، فخرج ففعل ذلك فتبعوه فنحروا وصار يحلق بعضهم بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا من الغم

(٢) عجل لهم فتح خيبر فقد عاد (ص) من الحديبية في ذي الحجة فأقام في المدينة زهاء عشرين ليلة ثم خرج الى خيبر ففتحها في المحرم أول سنة سبع

(٣) ملوك جزيرة العرب والشام ومصر وفارس

مكة، الذي أتم به النعمة، وازداد المؤمنون بذلك إيمانا، وصار الناس يدخلون في دين الله أفواجا،

وكان فتح مكة سنة ثمان، وفي سنة عشر حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، التي هدم فيها قواعد الشرك والجاهلية وقرر قواعد الإسلام، وعلّم الألوف أحكام المناسك [1]، وأمر بأن يبلّغ الشاهد منهم الغائب، وأشهد الله تعالى والمؤمنين على أنه بلّغ ما نزّل إليه وبيّنه تبيينا، وأنزل تعالى عليه في مساء عرفة (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)

وكان ﷺ قد أقام في مكة بعد بدء التبليغ عشر سنين، يدعو إلى أصول الإيمان وكليات الدين، وتزكية النفس بتطهيرها من أدران الرذائل، وتحليتها بأحاسن الأخلاق وعقائل الفضائل، واستعمال نعم الله تعالى من بدنية وعقلية، وسماوية وأرضية، فيما تظهر به حكمه وتشاهد آياته في الخلق، وتتسع بها العلوم التي يعرف بها الحق وتكثر موارد الرزق، صابرا مع السابقين من

(١) المناسك أحكام الحج، وقد اختلف في عدد من حج مع الرسول (ص) حجة الوداع من ٤٠ ألفا الى مئة وعشرين ألفا . وسبب هذا الاختلاف انه خرج من المدينة بجماهير المسلمين فيها وفيما حولها وكان الناس ينضمون اليهم في الطريق عدا من حج من سائر بلاد العرب

الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى الاضْطِهَادِ وَالأَذَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ دَخَلَ الإِسْلَامُ بِالْهِجْرَةِ فِي عَهْدِ الْحُرِّيَّةِ، وَتَكَوَّنَتْ لَهُ قُوَّةُ الْعَصَبِيَّةِ، وَجَاءَ الْوَحْيُ فِيهِ مُفَصِّلاً لِمَا أُجْمِلَ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ مِنَ الأَحْكَامِ، وَبَيَانُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَبَيَّنَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ جَمِيعَ فُرُوعِ الْعِبَادَاتِ. وَكُلَّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ النُّصُوصِ وَالْقَوَاعِدِ لِلسِّيَاسَةِ وَفُرُوعِ الْمُعَامَلَاتِ، فَبِذَلِكَ كُلِّهِ أَكْمَلَ اللهُ الدِّينَ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ تَرَبَّى عَلَى ذَلِكَ الأُلُوفُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَنَشَرُوا هَذَا الدِّينَ الْقَوِيمَ فِي الأَقْطَارِ وَالأَمْصَارِ، فَارُوا أُمَمَ الْحَضَارَةِ وَالأَدْيَانِ الْقَدِيمَةِ، مِنَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسِّيرَةِ الْقَوِيمَةِ، مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ بِأَعْيُنِهِمْ، وَلَا رَوَوْا نَظِيرَهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَقَدْ كَانَتْ مُدَّةُ التَّشْرِيعِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، كَمُدَّةِ التَّبْلِيغِ بِمَكَّةَ الْبِعْثَةِ [1] فَبَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ [2] قَبَضَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ نَبِيَّهُ الْمُصْطَفَى، وَرَسُولَهُ الْمُجْتَبَى، وَرَفَعَ رُوحَهُ الطَّاهِرَةَ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى، فَتُوُفِّيَ ﷺ تَارِكًا لِلأُمَّةِ مَا إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ لَنْ يَضِلُّوا مِنْ بَعْدِهِ، كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتَهُ فِي تَبْيِينِهِ وَعِتْرَتَهُ الْعَامِلِينَ بِهِمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، [3]

(١) أي عشر سنين (٢) توفي (ص) يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة احدى عشرة وكذلك كانت ولادته وبعثته وهجرته في يوم الاثنين. وفي ذلك اشارة الى ان الايمان به يلي الايمان بالله تعالى، والشهادتان شاهدتان على ذلك (٣) روى مسلم في صحيحه من طرق عن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله (ص) خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أما بعد الا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به — فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال — وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، —

وَكَذَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُون، [1] وَعُلَمَاءُ أَصْحَابِهِ الْعَامِلُون [2] ، مُؤَسِّسًا

ـ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في اهل بيتي » وفسر زيد أهل بيته بمن حرم عليهم الصدقة قال وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام . ولعمري انهم كانوا أحفظ الناس لهديه حتى عند ظهور البدع وفتن الدنيا ولا يخلو عصر من طائفة منهم أو أفراد من الهداة المصلحين ، وان فتن الكثيرون منهم بغلاة المحبين ، فكانت فتنتهم لهم أعم وأدوم من فتنة الامراء الظالمين، اذ كان من أثرها في ذريتهم أن ترك أكثرهم العلم والاعمال النافعة استغناء عنهما بشرف النسب، غافلين عن قول جدهم علي المرتضى كرم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسنه . ولله در بيت الامامة في اليمن منهم فانهم لم يتركوا الاجتهاد في علوم الدين والمحافظة على الامامة الى اليوم. والثقل بالضم وبفتحتين الشيء النفيس المصون وكذا متاع المسافر وحشمه . قال النووي قال العلماء سميا ثقلين لعظمهما وكبير شانهما وقيل لثقل العمل بهما . وروى الترمذي من حديث جابر قال رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ـ أحدهما أعظم من الاخر ـ كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » وروى احمد والطبراني من حديث زيد بن ثابت مرفوعا « اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وعلم عليه السيوطي بالصحة. وروي نحوه من حديث أبي سعيد وحذيفة بن اسيد ورواته كثيرون وطرقه متعددة ذكرنا أصحها. وروي حديث بمعناه عن أبي هريرة وفيه لفظ السنة بدل العترة ومعناه صحيح ولا معارضة بينه و بين الآخر الذي هو أصح منه رواية. و يؤيده حديث مرسل في الموطأ

(١) ورد في مناقب الخلفاء الاربعة أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها وورد لفظ الخلفاء الراشدين في حديث العرباض بن سارية عند أبي داود والترمذي « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » الخ

(٢) ورد في فضل أصحابه «ص» أحاديث كثيرة منها في صحيح مسلم انهم أمنة لأمته فاذا ذهبوا أتاهم ما يوعدون . ومعنى أمنة حفظة على الدين، ومنها الحديث الصحيح « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الخ رواه الشيخان وغيرها . والقرن العصر طال أو قصر

لَهُمْ أُمَّةً عَظِيمَةً ، وَدَوْلَةً عَادِلَةً رَحِيمَةً ، وَحُكُومَةً شُورَوِيَّةً حَكِيمَةً ، تُقَيَّدُ فِيهَا سُلْطَةُ الْفَرْدِ ، بِالشَّرِيعَةِ الْعَادِلَةِ وَسَيْطَرَةِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ،[١] مُبَشِّرًا بِأَنَّ مُلْكَهَا سَيَعُمُّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ ، وَيَنْتَظِمُ مُلْكَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَنَّهُ يَظَلُّ عَزِيزًا مَا أَقَامُوا الْحَقَّ وَاعْتَصَمُوا بِالْعَدْلِ، فَإِذَا وَسَّدُوا الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، فَلْيَنْتَظِرُوا سَاعَتَهُمُ الْمَضْرُوبَةَ لِفَقْدِهِ ،[٢] وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرَةً عَلَى الْحَقِّ قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَيَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ[٣]

وَقَدْ تَمَّ كُلُّ مَا بَشَّرَ بِهِ وَأَنْذَرَ ، وَلَا تَزَالُ آيَاتُ نُبُوَّتِهِ تَتَجَدَّدُ وَتَتَكَرَّرُ ، فَجَزَاهُ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ قَوْمِهِ ، وَرَسُولًا عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ،[٤] وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

---

(١) الاسلام هو الذي شرع للناس شكل الحكومة التي يسمونها الديمقراطية فاقامها الراشدون بالعمل ثم هدمت بالتدريج (٢) اشارة الى حديث أبي هريرة عند البخاري « اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة » (٣) اشارة الى ما ورد في الصحيحين والسنن من الاحاديث كحديث ثوبان « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » وحديث المغيرة « لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » واللفظان هنا لمسلم وليس في البخاري « على الناس » وفي أحاديث أخرى ذكر عصابة تقاتل على الدين أي على حفظه. وذكر النووي ان الطائفة لا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل يجوز اجتماعهم في قطر أو بلد ويجوز تفرقهم، وذكر ان منهم الفقيه والمحدث والمفسر والمقاتل والقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزاهد والعابد . اي لان اقامة الحق تكون بالعلم بالكتاب والسنة وبثهما وبالعمل بهما وبالدفاع عنه بالحجة وبالقوة (٤) ذكر المباركة هنا مع الصلاة لموافقة الصلاة الابراهيمية المشروعة في الصلوات، والحمد لله على نعمه التي تتم بها الصالحات

علماء بغداد في القرن السادس

ومكانتهم في الوعظ والتذكير

قال الرحالة ابن جبير الاندلسي بعد ان وصف بغداد بأنها أمست بالنسبة الى ما كانت كالطلل الدارس وانتقد أخلاق أهلها ومعاملتهم وغرورهم ببلدهم ما نصه :

استغفر الله الا فقهاءهم المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لاجرم ان لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبيه والتبصير، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالموفق منهم لايزال في مجلس ذكر أيامه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة ، فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقيه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقدم في العلوم الاصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور ، فصعد المنبر وأخذ القراء امامه في القراءة على كراسي موضوعة ، فتوّقوا وشوّقوا وأتوا بتلاحين معجبة ، ونغمات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار ، وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل ، وايراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه ، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع منها ، فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على

كل واحدة منها وينبذها الى أن فرغ منها، وحان المساء فنزل وافترق الجمع، فكان مجلسه مجلس علم ووعظ ووقورا هينا لينا، ظهرت فيه البركة والسكينة، ولا سيما آخر مجلسه، فانه سرت حميا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا، وفجرتها دموعا، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا، فكم ناصية جز، وكم مفصل من مفاصل التائبين طبق بالموعظة وحز، فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة، وتتغمد الجناة، وتستدام العصمة والنجاة، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه، ويتغمد ببركة العلماء الاولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لا رب سواه ولا معبود الا إياه

وشهدنا له مجلسا ثانيا أثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور، وحضر ذلك اليوم سيدُ العلماء الخراسانية، ورئيس الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بهز عظيم وتطريف آماق تشوقت له النفوس، فأخذ الامام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره ومتجملا به، فأتى بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر، ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخُجَنْديّ المتقدم الذكر في هذا التقييد المشتهر المآثر والمكارم، المقدم بين الاكابر والاعاظم،

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبي الفضائل ابن علي الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو يجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفرا كل الصيد، آية الزمان،

وقرة عين الايمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ، مالك أزمة الكلام في النظم والنثر ، والغائص في بحر فكره على نفائس الدر

فأما نظمه فرضيُّ الطباع، مهياري الانطباع، وأما نثره فيصدع بسحر البيان ، ويعطل المثل بقس وسحبان، ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، انه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقراءة وعددهم نيف على العشرين قارئا، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات، الى ان يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشتبهات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدداء أو يسميها نسقا، فاذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشان في ايراد خطبته عجلا مبتدراء وأفرغ في أصداف الاسماع من ألفاظه درراء وانتظم أوائل الآيات المقروآت في أثناء خطبته فقراء وأتى بها على نسق القراءة لها لا مقدما ولا مؤخراء ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو ان أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك ، فكيف عن ينتظمها مرتجلاء ويوردها الخطبة الغراء بها عجلا ؟ (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟) انّ هذا لهو الفضل المبين. فحدث ولا حرج عن البحر، وهيهات ليس الخبرُ عنه كالخُبْر، ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاء وذابت بها الانفس احتراقاء الى ان علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا

عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها، ويمسح على رأسه داعيا له، ومنهم من يغشى عليه، فيرفع في الاذرع اليه، فشاهدنا هَولاً يملأ النفوس انابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلولم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة، والوِجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على ان منّ بلقاء مَن يشهد الجماداتُ بفضله، ويضيق الوجود عن مثله، وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه .

ثم شاهدنا مجلساً ثانيا له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر بباب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخصّ بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم، ويفتح الباب للعامة فيدخلون الى ذلك الموضع، وقد بُسط بالحصر وجلوسه بهذا الموضع كلّ يوم خميس، فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا الى أن وصل هذا الحبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه على رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطّر القراء امامه على كراسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ماشاؤا، وأطربوا ماأرادوا، وبادرت العيون بارسال الدموع، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات، من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء الغراء وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات، ومشّى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكملها، وكانت الآية (الله

الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس) فتمادى على هذا السين ، وحسّن أيّ تحسين ، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته ، وكني عنها بالستر الاشرف ، والجناب الارأف، ثم سلك سبيله في الوعظ ، كلُّ ذلك بديهة لا رويّة، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروآت على النسق مرة أخرى، فأرسلت وابلها العيون وأبدت النفوس سرّشوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الالباب والعقول، وكثر الوّله والذهول ، وصارت النفوس لا تملك تحصيلا، ولا تميز معقولا ، ولا تجد للصبر سبيلا ، ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرّحة التشويق، بديعة الترقيق ، تشعل القلوب وجدا، ويعود موضوعها النسيبي زهدًا. وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابت المقاتلَ سهامُ ذلك الكلام

أين فؤادي أذابه الوجدُ وأين قلبي فما صحا بعدُ

ياسعد زدني جوى بذكرهم بالله قل لي فديت ياسعدُ

ولم يزل يرددها والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ، الى أن خاف الافحام فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دَهِشا عجِلا ، وقد أطار القلوب وجلا ، وترك الناس على أحر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ، فمن معلن بالانتحاب، ومن متعفر في التراب ، فياله من مشهد ما أهول مرآه ، وما أسعد من رآه ، نفعنا الله ببركته ، وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته ، بمنه وفضله .

وفي أول مجلسه أنشد قصيدا نيّرالقبس عراقي النفس في الخليفة أوله

في شغـل من الغرام شاغل ... من هاجه البرق بسفح عاقل

يقول فيها عند ذكر الخليفة

ياكلمات الله كوني عوذة ... من العيون للامام الكامل

فلما فرغ من انشاده وقد هز المجلس طربا ثم أخذ في شانه، وتمادى في ايراد سحر بيانه، وما كنا نحسب أن متكلما في الدنيا يعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكمال من يشاء من عباده لا إله غيره

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه بالاضافة لما عهدناه من متكلمي الغرب، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة شرفهما الله مجالس من قدذكرناه في هذا التقييد فصغرت بالاضافة لمجلس هذا الرجل الفذ في نفوسنا قدرا، ولم نستطب لهاذكرا، وأين ثمان مما أريد، وشتان بين اليزيدين، وهيهات الفتيان كثير، والمثل بمالك يسير،

ونزلنا بعده بمجلس يطيب سماعه، ويروق استطلاعه، وحضرنا له مجلسا ثالثا يوم السبت الثالث عشر لصفر بالموضع المذكور بازاء داره على الشط الشرقي فأخذت معجزاته البيانية مأخذها، فشاهدنا من أمره عجبا، صعّد بوعظه أنفاس الحاضرين سحبا، وأسال من أدمعهم وابلا سكبا، ثم جعل يردد في آخر مجلسه أبياتا من النسيب شوقا زهديا وطربا، الى أن غلبته الرقة فوثب من أعلى منبره والها مكتئبا، وغادر الكل متندما على نفسه منتحبا، لهفان ينادي ياحسرتا واحربا، والنادبون يدورون بنحيبهم دور الرحى، وكل منهم بعدُ من سكرته ما صحا، فسبحان من خلقه عبرة لأولي الالباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الاسباب، لا إله سواه .

الدكتور شبلي شميل

في اليوم الاول من هذه السنة الميلادية سنة (١٩١٧) اغتالت المنية الطبيب النطاسي، الحكيم الاجتماعي، العالم الطبيعي، الاديب الكاتب، الناظم الناثر، الدكتورشبلي شميل الشهير بتصانيفه ومقالاته العلمية والاجتماعية في المجلات والجرائد العربية والفرنسية

كان شبلي فذا نادر المثل في مجموعة علومه واعماله وأفكاره وأخلاقه والذي يحملنا على ترجمته انه كان من طلاب الاصلاح المدني والتجديد الاجتماعي المخلصين — وقليل ماهم — لامن الذين اتخذوا العلم ذريعة لجمع المال ولا وسيلة للجاه كما هو شأن السواد الاعظم من المتعلمين، فهو لم يدخر مالا ولم يتأثل عقارا، ولم يصرف جل أوقاته للكسب، بل كان اشتغاله بالامور الاجتماعية أكثر من اشتغاله بالطب، ومثل هذا يكون مؤثرا في أهل جيله تأثيرا نافعا أو ضارا لا كالذين يعدون من العلماء بورقة شهادة يحملها كل منهم بيده ونرى أنه يعيش عمرا طويلا ثم يموت كما يموت العصفور لايترك أثرا في جيله ينسب اليه. لهذا نذكر عن هذا الرجل أهم مانرى فيه العبرة من ترجمته فنقول:

كان أول من نشر مذهب دارون باللغة العربية وانتصر له وناضل دونه اذ كان رجال الدين ولا سيما الكاثوليك الذين نشأ شميل على مذهبهم يعدون هذا المذهب من دعائم الكفر، ولم يكتف الرجل بذلك بل كان يصرح قولا وكتابة بالتعطيل والالحاد، ولم يتجرأ أحد قبله على ما تجرأ عليه من ذلك فيما نعلم مع كثرة الذين زاغت عقائدهم من المتعلمين على الطريقة الاوربية الحديثة. ومن الغريب أن نرى المحامين عن النصرانية وكتبها الدينية كاليسوعيين (الجزويت) لم يتصدوا للرد على الدكتور شميل كدأبهم في الرد على أمثاله من كتاب الشرق والغرب، وقد كانت مجلتهم (المشرق) واقفة بالمرصاد للمقتطف والهلال وغيرهما من الصحف المنتشرة كلما نشر فيها شيء يخالف الدين أو المذهب الكاثوليكي ردوا عليه أشد الرد. فاذا كان

الجزويت لم يشنعوا على الدكتور شبلي شميل كما شنعوا على من لم يجهر بمثل ماجهر به فلا عجب اذا سكت عنه من دونهم عصبية وعناية بهذا الامر ، وأكبر ما بلغنا من مقاومة بعض القسيسين له أنهم كانوا ينهون بعض الناس سرًّا عن دعوته لمعالجة مرضاهم ـ وجمهور المتعلمين على الطريقة العصرية من السوريين في مصر وسورية وأمريكة يحبون الدكتور شميل ويعدونه من دعاة الاصلاح الاجتماعي المخلصين ومنهم من يغلو فيه ، أما النصارى منهم — وهم الاكثرون — فلا يرون عدم تدينه ما نعا من اصلاحه الاجتماعي اذ لا علاقة للدين بذلك عندهم ، ولا شك في كون هذا من تساهلهم الذي قاربوا به الافرنج. وأما المسلمون فلا يرون مروقه من عقيدته التي نشأ عليها مبعدا له عنهم لانها ليست عقيدتهم فهو في نظرهم طبيب عالم اجتماعي غير مسلم، ولكنه أقرب من غيره من المخالفين لهم الى التساهل والانصاف لحريته واستقلال فكره . وله أصدقاء من مسلمي مصر لعلهم يزيدون على أصدقائه من مسلمي سورية الذين لا يعرفه أكثرهم الا بالسماع

وأما مذهب دارون فقد تكلم بعض علماء المسلمين فيه وفي مخالفته لظواهر النصوص في خلق آدم عليه السلام، ولم يجعلوا ذلك ردا على الدكتور شميل لانه لم يكن صاحب المذهب . وقد سبق أشياخنا الى الرد على مذهب دارون وأول ما رأيناه في ذلك ما أبرزه لنا الاستاذ الامام في ترجمته لرسالة استاذه الحكيم السيد جمال الدين التي سماها الرد على الدهريين . ثم ما كتبه استاذي الذي تخرجت على يديه الشيخ حسين الجسر في الرسالة الحميدية فهو قد لخص هذا المذهب وبين أن دلائله في أصل البشر ظنية لم تصل الى درجة القطع ، وأنها لو ثبتت وصارت يقينية لا تكون حجة على الاسلام لإمكان تأويل ظواهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة في خلق آدم . وقد أقر أكابر علماء سورية شيخنا على تلك الرسالة وترجمت بالتركية فأقرها علماء الترك ، وكافأه السلطان عبد الحميد على خدمته للاسلام بها برتبة علمية عالية وراتب شهري. ورغب اليه ان يكون من شيوخ قصره فاعتذر وعاد الى طرابلس الشام بعد ان أقام في قصر يلدز عدة شهرا ضيفا مكرما عند السلطان . وأما علماء الازهر فقد اطلع كثير منهم على الرسالة الحميدية وأعجب بها . ولكن لم

نسمع ان أحداً منهم كتب في موضوعها شيئا

بينا رأي المسلمين الذين يعرفون الدكتور شبلي فيه وانهم كانوا يرونه أقرب الى التساهل والانصاف، وبيان ذلك انه كان يقول انه لا يوجد دين اجتماعي يتفق مع مصالح البشر المدنية الا دين القرآن. سمعت هذا منه غير مرة، وأخبرني أنه طالما خطر في باله ان يجمع ما في القرآن من الآيات الواردة في المسائل الاجتماعية والادبية ويفسرها تفسيرا علميا اجتماعيا . وانه قد حاول هذا الجمع فصعب عليه تجريد ما أراده لما في القرآن من المزج بين هذه المسائل والمسائل الروحية الاخروية . وقال لي انك أقدر مني على تجريد ما أريد فلو فعلت لكان تفسيري نافعا لك فيما تتوخاه من التوفيق بين الاسلام والعلم العصري والحضارة العصرية ومن نشر محاسن الاسلام بين الناس لان الوفا من الناس يقرؤن تفسيري ولا يقرؤن تفسيرك

وأما رأيه في نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهو انه كان يفضله على جميع البشر، وقد كتب الي منذ تسع سنين كتابا أودعه أبياتا من الشعر في ذلك : هذا نصه :

الى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

أنت تنظر الى محمد كنبي فتجعله عظيما وانا أنظر اليه كرجل واجعله أعظم . ونحن وان كنا في الاعتقاد (الدين أو المبدأ الديني) على طرفي نقيض فالجامع بيننا العقل الواسع والاخلاص في القول وذلك أوثق بيننا لعرى المودة .

من صديقك الدكتور شميل

﴿ الحق أولى أن يقال ﴾

دع من محمد في صدى قرآنه	ما قد نحاه للحمة الغايات
اني وان أك قد كفرت بدينه	هل أكفرن بمحكم الآيات
أوما حوت في ناصع الالفاظ من	حكم روادع للهوى وعظات
وشرائع لو انهم عقلوا بها	ما قيدوا العمران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وانه	رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجا رجل السياسة والدها	بطل حليف النصر في الغارات
ببلاغة القرآن قد خلب النهى	وبسيفه أنحى على الهامات

من دونه الابطال في كل الورى من سابق أو لاحق أو آت

وقد نشرنا هذا الكتاب والابيات في (ج ١ م ١١) في معرض الرد على البرنس كايتاني في زعمه أن نجاح النبي (ص) كان في كفاءته من حيث هو سياسي عنك أكثر من نجاحه من حيث هو نبي،وان حنكته وسياسته أفادا أكثر من افادة القرآن. رددنا على صاحب هذا القول وعلى المؤيد الذي نقل كلامه وأقره وعلى الدكتور شميل فيما زعمه من أن النبي (ص) أفضل من حيث كونه رجلا منه من حيث كونه نبيا. وسألنا الله تعالى أن يهديه الى الباقي من مزايا كتابنا ورسولنا (ص) وهو المهم الاعظم المتعلق بأمر الدين والآخرة الذي أشار اليه في البيت الاول وكفر به في البيت الثاني ، فقد صرح لنا بأن مراده بلحمة الغايات أمور الآخرة

ان الدكتور شبلي شميل قد اهتدى بالاطلاع على القرآن الحكيم الى مافيه من الحكم الروادع للهوى والشرائع الموافقة لاصول العمران حتى في هذا الزمان . وبالاطلاع على سيرة النبي (ص) الى كونه قد فاق جميع أبطال البشر وعظمائهم — ويدخل فيهم عنده أكابر الانبياء عليهم السلام وكبار الساسة وقواد الحروب وأهل الفصاحة والادب . فلو ان الدكتور تأمل فيما اهتدى اليه من هذين الامرين وكان مؤمنا بالله تعالى لجزم بكونه نبيا مرسلا من عنده عز وجل ، لان ما امتاز به كتابه وما امتاز به شخصه على جميع البشر من سابق أو لاحق أو آت انما كان بعد ان بلغ أربعين سنة في الامية بين أهل الشرك والجاهلية فهل يعقل أن تحدث هذه المزايا العلمية العملية الادبية العمرانية الحربية السياسية الاجتماعية لرجل في سن الكهولة دفعة واحدة ؟ كلا ان هذا لا يعقل أن يكون الا بوحي وتأييد من الله عز وجل . ولكن كثيرا من الباحثين في مثل هذه المسألة يبحثون فيها من جهة واحدة منصرفين عن سائر الجهات فلا يحيطون بسائر أطراف المسألة . والصوارف عن أمثال هذه المباحث كثيرة أظهرها كون انكار الاديان عندهم من القضايا المسلمات، وكنت أرى ان للدكتور شبلي شميل مانعا قلما يشاركه فيه غيره في بلاده وهو عده الجرأة على التصريح بالتعطيل مزية من المزايا العظيمة التي انفرد بها، وحب الامتياز من غرائز البشر الراسخة فمن رأى نفسه قد انفردت بشيء منه قلما يفكر ويبحث في شيء من شأنه أن يذهب

بما انفرد به . على ان رجال الدين الذين على مذهب أسرته الذي نشأ عليه ثم ارتد عنه قد حكموا بأنه تاب من ردته وعاد قبل الموت الى دينه ومذهبه الاولين ولذلك جنّزوه وصلوا عليه في كنيستهم ودفنوه في مقابرهم ، وجماهير الناس يرتابون في ذلك أو يجزمون بخلافه ويعدون هذا من غرائب تساهل الكاثوليك

كان الدكتور شبلي شميل من دعاة الاشتراكية وهو مستقل برأيه فيها غير مقلد لطائفة من طوائفها ، وكان ماديا في آرائه وأفكاره الا انه كان متحليا بكثير من الاخلاق الحسنة المحمودة التي يضاد بعضها ما تقتضيه الافكار المادية التي غلبت على عقله وخياله، كالرأفة والسخاء والصدق والوفاء والنجدة والمروءة والشجاعة وغير ذلك . وان تحلي بعض المعطلين بالفضائل من أقوى الشبهات على الدين في هذا العصر ، فاننا نسمع كثيرا من المرتابين أو الراسخين في الكفر يقولون أي حاجة للناس في الدين واننا نرى كثيرا من المصلين الصائمين منغمسين في المعاصي والرذائل، بل نرى كثيرا من رؤساء الاديان الرسميين كذابين طماعين أدنياء بخلاء لا يرجى منهم معروف، ونرى فلانا وفلانا ممن لا دين لهم متحلين بالاخلاق الفاضلة والآداب العالية والسبق الى عمل المعروف وقد أجبت عن هذه الشبهة في المنار غير مرة واتخذت تأبين الدكتور فرصة لبيان ذلك للجمهور

في اليوم المتمم الاربعين من تاريخ وفاته أقام النادي السوري في القاهرة حفلة تأبين للدكتور الذي هو من نوابغ السوريين بلا خلاف أجاب الدعوة اليها مئات من أهل العلم والادب والوجاهة من سكان القاهرة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم فغص النادي بهم ؛ وافتتح الجلسة رئيسها احمد حشمت باشا بخطبة وجيزة أطرى فيها المؤبن اطراء كبيرا . ثم دعي الدكتور يعقوب صروف الى الكلام في علم الدكتور شميل وهو أعلم الناس به و بعلمه فجاء من ذلك بخلاصة جمعت فأوعت . ثم دعيت الى الكلام على أخلاقه فقلت ماخلاصته على ما أتذكر الآن :

« أشكر لادارة النادي السوري اختيارهم اياي للكلام في أخلاق الدكتور شبلي شميل فان الكلام في الاخلاق أحب اليّ لان أثرها في حياة الناس العملية أعظم من أثر العلم، لان العلم يبين طرق العمل، والاخلاق هي التي تبعث عليه وتهدي

الى الغاية منه، فحسن الاخلاق هو الذي يجعل العلم نافعا وسوء الاخلاق قد يجعله ضارا، ولذلك شبه حكماؤنا علم فاسد الاخلاق بالسيف في يد المجنون ، وانما نرى مبلغ تأثير ضرر العلم بسوء استعماله في الحرب الاوربية الحاضرة التي كان الموقد لنيرانها بعض الاخلاق المذمومة من الطمع والكبر وحب العلو واستعباد الاقوياء للضعفاء

على ان العمل النافع لا يرتقي الا بالعلم ، وما ساد بعض الامم على بعض الا بالعلم، (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) وانما تظهر حقيقة المرء وتعرف ترجمته ببيان علمه وأخلاقه وأعماله ، وقد أحسن النادي باختيار العلامة الدكتور صروف للكلام على علم الدكتور شميل فهو أعلم منا بهذه العلوم و بمكان الرجل منها وقد جاء بفصل الخطاب في ذلك

كان الدكتور شميل متحليا بعدة من الاخلاق الحميدة التي لا يرتقي العمران البشري الا بكثرة المتحلين بها في الامم كالصدق واستقلال الرأي والشجاعة والثبات والسخاء والوفاء والنجدة والمروءة والرأفة ، يعرف له ذلك كل من عرفه ، وكل خلق من هذه الاخلاق له تأثير في أعمال الناس ومعاملاتهم ولا يمكن بيان ذلك بالتفصيل في وقت قصير محدود كوقتنا هذا وانما أشير الى بعض ذلك بالايجاز فأقول :

ان من أضر مفاسد الكذب طمس الحقائق وابطال ثقة الناس بعضهم ببعض فالكذاب لا يوثق بخبره ولا بعلمه ولا برأيه ولا يمكن أن يرتقي قوم فقدت الثقة من بينهم . ومن أكبر بواعث الكذب الجبن ولولا ما أوتي الدكتور شميل من الجرأة والشجاعة لما أمكنه أن يكون صادقا يقول ما يعتقد وان كان مما ينكره عليه و يكرهه منه أهله وقومه والسواد الاعظم من أهل وطنه ، والشاهد على هذا تصريحه قولا وكتابة بالآراء التي تخالف عقائد هؤلاء الذين يعيش معهم، والمعروف أن الخوف من عاقبة قول الصدق ، هو الذي يحمل الناس على الكذب ، ولذلك يكثر في عهد الاستبداد والظلم ، ولكننا نرى كثيرا من كبراء الحكام ورؤساء الناس في بلاد كثيرة يكذبون على رعاياهم ومرءوسيهم ، فلا يتجرءون على التصريح لهم بما لا يرضيهم ، وان كان التصريح خيرا لهم، وهكذا يعيش كثير من أكابر الناس وأصاغرهم عيشة الكذب والغش والرياء والنفاق لجبنهم وضعف ملكة الاستقلال

فيهم ، ولم يكن شميل مرائيا ولا منافقا بل كان مستقلا شجاعا يقول ما يعتقده حقا وصوابا غير هياب ولا وجل

وكان على جرأته وشدته في آرائه رقيق القلب سخي النفس، فكان اذا دعي الى معالجة فقير يخف اليه مرتاحا ويعالجه مجانا وربما اشترى له الدواء ، وزاده ثمن الغذاء ، على انه لم يكن ذا فضل من المال ، واننا نرى كثيرا من الاغنياء البخلاء ، يحتالون على أكل أموال الناس حتى الفقراء والادباء ، ونحن أصحاب الصحف قد جربنا جميع أصناف الناس فوجدنا في كل صنف منهم (حتى علماء الدين وكبار الحكام من قضاة وغيرهم) اناسا يتعمدون هضم الحق فيعدون جابي الصحيفة ويمطلون ، حتى تمر الشهور والسنون ، ولا يصدقون ولا يفون . فهل يمكن ان ترتقي أمة الا بزوال هؤلاء أو زوال النعمة من أيديهم ؟ ان السخي لا يمنع حق أحد ، لان من يعطي الناس من ماله ما ليس لهم ، لا يعقل ان يمسك عنهم ما هو لهم ، وفي مثل شائع بين كثير من المسلمين : ان الذي يزكي لا يسرق .

وههنا مسألة مهمة تخفى على كثير من الناس، وهي ان اكثر مكارم الاخلاق لا تنطبع في النفس الا بالتربية الدينية ، وتكون عرضة للفساد بالتعطيل والافكار المادية، فكيف اتصف الدكتور شميل بتلك الاخلاق الحسنة مع كونه كان ماديا معطلا ؟ يحتج بهذه الشبهة بعض الملاحدة على عدم الحاجة الى الدين قائلين إننا نرى فلانا وفلانا ممن مرقوا من الدين أفضل أخلاقا وآدابا من المتدينين الذين نرى من رؤسائهم وعلمائهم من فشا فيهم الكذب والطمع والدناءة والبخل والجبن والرياء والنفاق ، والجواب عن هذه الشبهة ان فاسدي الاخلاق من المنسوبين الى الدين لم يتربوا تربية دينية صحيحة بل لم يكن لهم حظ من الدين الا الاسم أو تعود بعض العبادات من غير فهم لحكمها ولا قيام بحقها ، وان أولئك المعطلين الحسني الاخلاق قد تربوا تربية دينية تكونت بها أخلاقهم الفاضلة ثم طرأت عليهم فكرة التعطيل في الكبر فلم تطمس ماطبع في النفس من أخلاقهم ، فقد حدثني الدكتور شميل عن نفسه انه كان في نشأته الاولى مبالغا في التدين مواظبا على العبادة ، وان فكرة التعطيل ماطرأت عليه الا بعد سفره الى أوربة، فقد لقي في فرنسة عالما ماديا قال له كلمة هدمت عقيدته الدينية

هدماء ولم يذكر لي تلك الكلمة. وأقول انها لم تهدم تأثير التربية الدينية في نفسه، ولا ماورثه من أخلاق أهل بيته ، ولاعجب فقد ثبت في العلم الحديث ان لكل نوع من المدركات الفكرية والوجدانية مركزا خاصا في دماغ الانسان ، وما كل فكر يأخذه المرء بالتسليم يؤثر في أخلاقه وآدابه العملية بل لا بد في هذا التأثير من التربية العملية أو كونه عقيدة يجزم صاحبها عقلا ووجدانا بأن العمل بمقتضاها سعادة، وتركها شقاوة لا تعدلها شقاوة ، وفكرة الإلحاد ليست كذلك ، فهي قد كانت محصورة في مركز صغير من دماغ الدكتور شميل له صلة بلسانه ولاسلطان له على قلبه ، ولذلك كانت تظهر أحيانا في كلامه ولكنها لم تنزع من نفســه ما تربى عليه في بيته من الاخلاق الدينية كالصدق والرحمة والسخاء وغير ذلك »

ثم ذكرت في التأبين رأي الدكتور في الاسلام وفي نبينا عليه الصلاة والسلام وقرأت كتابه وأبياته في ذلك وقد تقدم ذكرها في هذه الترجمة

هذا ما أتذكره من كلامي في أخلاق الدكتور شميل لم أترك منه شيئا ولكنني زدت مسألة الشبهة الاخيرة إيضاحا لانني رأيت بعض الناس لم يفهمها حتى قال لي بعضهم ان التأبين يقصد به المدح وأنت ذممت الرجل وجعلته مجنونا ، وأما أخذ جعلي إياه مجنونا من قولي ان فكرة الكفر والالحاد قد طرأت على دماغه في الكبر، وقد عبرت بكلمة المخ بدل الدماغ ففهم ذلك الرجل وغيره من ذلك ما فهموا ولغطوا به

ثم دعي الدكتور تخيل الى الكلام في سيرة شميل الطبية فقرأ خطبة طويلة بالفرنسية بين فيها ذلك . ودعي محمد حافظ بك ابراهيم فأنشد قصيدة بليغة استعاد الجمهور كثيرا من أبياتها مرارا. ودعي أيضا كل من انطون جميل الاديب المشهور وحسن افندي الشريف وهو شاب من أبيار وأميل افندي زيدان صاحب الهلال فألقى كل منهما خطبة فصيحة أطرى فيها الفقيد إطراء الشاب الممتلئ اعجابا بآرائه وأفكاره ونشاطه وهمته ، فدل ذلك على تأثير الرجل في أنفس النابتة الجديدة . ثم قام ابن أخيه رشيد بك شميل صاحب جريدة البصير فشكر للنادي السوري والمؤبنين عملهم ، وانفضت الحفلة

عمران بغداد في القرن الثالث

﴿ وصف دار الخلافة فيها ﴾

نشرنا في هذا الجزء انارة من تاريخ بغداد العلمي الديني في القرن السادس بعد تخريب التتار لسوانها وننشر هنا أثارة أخرى من تاريخ عمرانها قبل ذلك سبق لنا نشره في (ص ٢٨٥ م ١٣) منقولا عن تاريخ مدينة السلام للخطيب الحافظ قال

حدثني أبو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر معلّى قديما للحسن بن سهل ويسمى القصر الحسني فلما توفي صارت لبوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنظرته أياما في تفريغها وتسليمها ثم رمتها وعمرتها وجصصتها وبيضتها وفرشتها بأجل الفرش وأحسنه وعلقت أصناف الستور على أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به ورتبت فيها من الخدم والجواري ماتدعو الحالة اليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل المعتضد الى الدار ووجد ما استكثره واستحسنه، ثم استضاف المعتضد بالله الى الدار مما جاورها كل ما وسعها به و كبرها وعمل عليها سورا جمعها به وحصنها وقام المكتفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تناهى في توسعته وتعليته ووافى المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما أنشأه واستحدثه وكان الميدان والثريا وحير الوحوش (بستانها) متصلا بالدار، كذا ذكر لي هلال بن المحسن أن بوران سلمت المعتضد الدار الى المعتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تعش الى وقت المعتضد وذكر محمد ابن أحمد بن مهدي الاسكافي في تاريخه انها ماتت في سنة احدى وسبعين ومئتين وقد بلغت ثمانين سنة ويشبه أن تكون سلمت الدار الى المعتمد على الله والله أعلم

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني أبو الفتح أحمد ابن علي بن هرون المنجم قال حدثني أبي قال قال أبو القاسم علي بن محمد الحواري في بعض أيام المقتدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره : قد اشتملت الجريدة الى هذا الوقت على أحد عشر الف خادم خصي وكذا من صقلبي ورومي وأسود وقال هذا جنس واحد مما تضمه الدار فدع الآن الغلمان الحجرية وهم ألوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضا حدثني أبو الفتح عن أبيه وعمه عن

أبيهما أبي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من الفراشين في دار المتوكل على الله أربعة آلاف فراش، قالا فذهب علينا أن نسأله كم نوبة كانوا . حدثني هلال بن المحسن قال حدثني أبو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرمها وما يجاورها ويتاخمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين خبيرين

ولقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله ففرشت الدار بالفرش الجميلة وزينت بالآلات الجليلة ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين أيديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد أظهروا العدد الكثير والاسلحة المختلفة فكانوا من أعلى باب الشماسية الى قريب من دار الخلافة، وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالبزة الرائقة والسيوف والمناطق المحلاة وأسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظارة[1] وقد اكتري كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة، وفي دجلة الشذاءات والطيارات والدباذب والزلالات والسمريات[2] بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة، وسار الرسول ومن معه من المواكب الى أن وصلوا الى الدار ودخل الرسول فمر به على دار نصر القشوري الحاجب ورأى صففا كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخلت له هيبة وروعة حتى قيل له انه الحاجب، وحمل من بعد ذلك الى الدار التي كانت برسم الوزير وفيها مجلس أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات يومئذ فرأى أكثر مما رآه (عند) نصر الحاجب ولم يشك انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير، وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالاعمدة والسيوف ، ثم استدعي بعد ان طيف به في الدار الى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانبيه فشاهد من الامر ما هاله ثم انصرف الى دار قد أعدت له

حدثني الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة قال حدثني

---

(١) النظارة المتفرجون (٢) أنواع من السفن

أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين القادر بالله قال حدثتني جدتي أم أبي اسحاق بن المقتدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل الى تكريت أمر امير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ولما وصل الى بغداد انزل دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين قصره وترتيب آلته ثم صف العسكر من دار صاعد الى دار الخلافة وكان عدد الجيش مئة وستين الف فارس وراجل ، فسار الرسول بينهم الى أن بلغ الدار ، ثم أدخل في أزج [1] تحت الارض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقتدر بالله وأدى رسالة صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من العسكر أحد البتة وانما فيها الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن العرائس وقد علقت الستور ونظم جوهر الخلافة في قلابات على درج غشيت بالديباج الاسود .

ولما دخل الرسول الى دار الشجرة ورآها كثر تعجبه منها وكانت شجرة من الفضة وزنها خمس مئة ألف درهم عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبه من جميع ما شاهده .

قال لي هلال بن المحسن ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه أنه نقله من خط القاضي أبي الحسين بن أم شيبان الهاشمي وذكر أبو الحسين أنه نقله من خط الامير وأحسبه الامير ابا محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله قال كان عدد ما علق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرز المذهبة الجليلة المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطيور والستور الكبار البصنائية والارمنية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والدبيقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر — منها الستور الديباج المذهبة المقدم وصفها اثنا عشر ألفا وخمس مئة ستر — وعدد البسط والنخاخ [2] الجهرمية والدرابجردية والدورقية في الممرات والصحون التي

(١) بيت مستطيل أخص من النفق (٢) الصواب الانخاخ وهو ضرب من البسط

وطيء عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الجديد الى حضرة المقتدر بالله سوى ما في المقاصير والمجالس من الانماط الطبري والديبقي التي لحقها النظر دون الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة، وادخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخيل وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهبا وفضة بغير أغشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الديباج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبزة الجميلة ثم أدخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجت اليها من الحير قطعان تقرب من الناس وتشممهم وتأكل من أيديهم. ثم أخرجوا الى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي على كل فيل ثمانية نفر من السند والزراقين بالنار فهال الرسل أمرها، ثم أخرجوا الى دار فيها مئة سبع: خمسون يمنة وخمسون يسرة كل سبع منها في يد سباع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد

ثم أخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بستانين في وسطها بركة رصاص قلعي حواليها نهر رصاص قلعي أحسن من الفضة المجلوة، طول البركة ثلاثون ذراعا في عشرين ذراعا، فيها أربع طيارات لطاف بمجالس مذهبة مزينة بالديبقي المطرز وأغشيتها ديبقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بميادين فيه نخل قيل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد لبس جميعها ساجا منقوشا من أصلها والى حد الجُمّارة بحلق من شبه مذهبة وجميع النخل حامل بغرائب البسر الذي أكثره خلال لم يتغير وفي جوانب البستان اترج حامل ودستنبو ومقفع وغير ذلك

ثم أخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف والشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تتمايل في أوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر، وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فرسا قد ألبسوا الديباج وغيره وفي أيديهم

مطارد على رماح يدورون على خط واحد في الناورد خببا وتقريبا وفي الجانب الايسر مثل ذلك ،

ثم أدخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش والالات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ثم أخرجوا منه الى ممر طوله ثلاث مئة ذراع قد علق من جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة و بيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة وقسي، وقد أقيم نحو الفي خادم بيضا وسودا صفين يمنة و يسرة ثم اخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسعيني وفيه الغلمان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي أيديهم الشروخ والطبرزينات والاعمدة. ثم مروا بمصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجند والرجالة وأصاغير القواد ودخلوا دار السلام. وكانت عدة كثير من الخدم الصقالبة في سائر القصور يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والفقاع ومنهم من كان يطوف مع الرسل ولطول المشي بهم جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا

وكان أبو عمر عدي بن أحمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء أسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى المقتدر بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجلة بعد ان لبس بالثياب الدبيقية المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالدبيقي المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السبح معلقة ومن يسرته تسعة اخرى من افخر الجواهر واعظمها قيمة غالبة الضوء على ضوء النهار و بين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان يسرة. ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر بالله فكفّر له (اي سجد) وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجمان عن المقتدر لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقبلته ولكنني فعلت ما لا يطالب رسولكم بمثله لان التكفير من رسم شريعتنا ، ووقفا ساعة وكانا شابا وشيخا فالشاب الرسول المتقدم والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت ، وناوله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم وكان ضخما كبيرا فتناوله وقبله إعظاما له واخرجا من باب الخاصة الى دجلة واقعدا وسائر اصحابهما في شذا من الشذاوات الخاصة وصعدا الى حيث أنزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم وخلع على أبي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة اه

خاتمة السنة التاسعة عشرة للمنار

بحمد الله تعالى نختتم المجلد التاسع عشر جاعلين حجمه وعدد أجزائه كما بينا في خاتمة المجلد الذي قبله لان الورق قد قل وروده وزاد غلاء ثمنه حتى ان ما كنا نشتريه قبل الحرب بمئة قد صار ثمن مثله أربعمائة أو خمسمائة

وقد جرينا في إصدار أجزاء هذا المجلد على ترتيب الشهور الذي اضطررنا اليه في العام الماضي حتى إننا بدأنا بطبع هذا الجزء في الشهر السادس من سنة ١٣٣٥ إذ كان هو الشهر العاشر لسنة المجلد التي كان بدؤها شهر شعبان سنة ١٣٣٤ ولكننا اضطررنا بعد طبع أكثره الى تأخير إصداره الى شعبان، وكان من أسباب ذلك وعكة عرضت لنا، وتلتها وثأة أصابت يدنا اليمنى، ومنها مرض عرض لمن يتوقف عليه العمل في المطبعة، وأقوى الاسباب التي لم أكن أكره مثل هذا التأخير في هذه السنين النحسات التي حجب فيها المنار عن قرائه في بلاد كثيرة فقلت الاستفادة منه وقل دخله من حيث كثرت نفقته ونفقتنا، لم أكن أكره هذا ولم أكن أتعمده، فلما عرضت الاسباب له لم أجتهد في مقاومة ما يمكن مقاومته منها، فاذا رحم الله تعالى البشر فصرف عنهم شر هذه الحرب عن قريب وعادت المياه الى مجاريها فلنا الرجاء بأن نتدارك ما فات باصدار جزئين في كل شهر الى ان تعود سنة المنار الى ماكانت عليه من غير ان تنقص مجلداته عن عدد سنيه القمرية، واذا أراد الله ان يطول أجل الحرب فالارجح ان نتعمد تأخير بعض الاجزاء من المجلد العشرين الى ينتهي بانتهاء سنة ١٣٣٦ فيضيع بذلك مجلد من حساب السنين القمرية، ولاتلبث مجلدات المنار أن توافق عدد سنيها الشمسية، ونحن إنما نتقاضى اشتراك المنار عن المجلدات لا عن السنين فلا يضر المشتركين تأخر بعض الاجزاء. على ان بدء المجلد العشرين سيكون في التاريخ الذي بدء فيه المجلد التاسع عشر فلا تأخير جديد

هذا وان ما كنا قد ادخرناه من الورق لهذا المجلد قد اضطررنا الى استعمال بعضه لمطبوعات أخرى (كذكرى المولد النبوي) فلم يكن كافيا، وقد وفقنا لابتياع

طائفة أخرى من ورق خير من ورقه لاجل المجلد العشرين تكفيه اذا صدر بحجم هذا المجلد فلا يخشى ان يتوقف صدوره من عدم الورق وان انقطاع الوارد عن مصر انقطاعا تاما ، وليس هذا الانقطاع ببعيد اذا اشتدت وطأة الحرب فقد علمنا من أخبار أوربة أن أعظم دول الصناعة تشكو من قلة الورق وقد نقصت صحفها من عدد أوراقها وقيل ان بعضها سيحتجب أو يبطل صدوره، فما القول في بلادنا التي تجلب كل الورق الذي تحتاج اليه من أوربة وقد تضاعف ثمنه هنالك وتضاعفت اجرة نقله ، وما كل ما ينقل يصل بل تغرق الغواصات بعض السفن التي تحمله. فعسى ان يكون علم المشتركين بهذه الاحوال باعثا لهم على أداء قيمة الاشتراك بلا مطال ولا تسويف

ونذكر المشتركين الكرام بشيء ربما يغفل الكثيرون عنه، هو نفقة الجباة أو وكلاء التحصيل فان الذي كان يرضى بعشرين في المئة مما يجمعه أصبح لا يرضى بخمسة وعشرين ، وقد طاف بعض اخواننا في بعض البلاد طوفة للتحصيل على نفقتنا فبلغت نفقته أربعين في المئة مما جمعه ، ويا ليته جمع من كل مدينة أو قرية جميع ما يطلب من مشتركيها واستغنى عن العودة اليها بقية العام . كلا ان بعضهم لوى وسوف وطلب النظرة مع الميسرة لا اليها ، فاذا كان أهل كل بلد لا يؤدون ما عليهم الا بعد أن يسافر اليهم الجابي مرارا بمثل تلك النفقة أو بما دونها قليلا فماذا يبقى لصاحب الصحيفة في مقابلة سائر النفقات ثم ماذا يبقى له بعدها في مقابلة عمله لاجل نفقته ؟ فمن تأمل هذا نهاه قلبه (ضميره) أن يسوف في أداء ما عليه ، وأن يلجئ الجابي الى تكرار العودة اليه ، وان كان قد اعتاد الارجاء والتسويف

الانتقاد على المنار

لم يكتب الينا في هذه السنة انتقاد ما على شيء من مباحث المنار إلا ما كتبه بعض إخواننا من إخبارنا بكراهة كثير من الناس لما يكتب في المنار من الفلسفة السياسية (كذا كتب بعضهم) وقد كلمنا غير واحد من الاخوان في ذلك مشافهة وصرحوا بأن ما يكرهون من المنار هو طعنه في الحكومة التركية الاتحادية على علاتها التي يصدق اخبارها السوءى بعضهم دون بعض، وتأييده للحركة العربية الحجازية . وقد أجبت عن هذا الانتقاد بأني كتبت في ذلك ما أعتقد انه حق

وان بيانه واجب علي لمالي وأمتي وسيعلم من لا يكره أن يعلم انني كنت ناصحا مخلصا وعلى حق وصواب، وقد كنت كتبت لهذا الجزء مقالة تاريخية طويلة للمسألة العربية بينت فيه اخلاص العرب للدولة الى ان اضطرتهم الحكومة الاتحادية الى ما اضطرتهم اليه من مقاومة بغيهم، ضاق عنها هذا الجزء وستنشر في الاول من المجلد العشرين ان شاء الله تعالى

وانتقد بعض الاخوان والمحبين شدة العبارة التي انتقدنا بها بعض الشبان الذين ذهبوا الى الحجاز وأخلوا فيه بالواجبات وفاهوا بالمنكرات قائلين ان بعض الناس قد أولوها بغير ما قصد بها من النصح ثم علمنا ان ذلك التأويل كان في بلد نحن من أشد الناس اخلاصا له وغيرة عليه اذ عد الانتقاد طعنا في حكومة الحجاز نفسها . واقترح علينا ان نصرح بغرضنا من ذلك النقد فنقول :

إننا لم نكن نظن انه يخطر ببال أحد يقرأ المنار أو يعرف مشربنا في الجملة انا نقصد بتلك العبارة غير النصح لمن اعتادوا التهاون بأمور الدين ان يراعوا الفرق بين البلاد المقدسة وغيرها وان لا يجعلوا أنفسهم حجة لاهل الحجاز — ولا لغيرهم — على رجال النهضة الجديدة وطلاب الاصلاح للامة العربية فتبطل الثقة بهم ، وربما يكون سببا لسوء الظن بالحكومة العربية الجديدة اذا انتظم أولئك المنتقدون فيها على ان ماحكيناه عن بعضهم كان قبل تأسيس هذه الحكومة فليس في عبارة الانتقاد ذكر لها ولا لكون المنتقدين انتظموا في سلك خدمتها وكلامنا صريح في هذا لا يكاد يتبادر الى الذهن غيره ، وقد كنا نسدي مثل هذه النصيحة لمن نراه من أولئك الشبان قبل سفرهم ولكن يتعذر رؤية كل من يسافر لهذا الغرض فتعين النصح بالكتابة، ونحن العرب أحوج الناس الى الوحدة والاتفاق ونبذ الخلاف والشقاق والاجتهاد في جعل الحكومة التي تجددت لنا في أحسن حال ممكنة، وهذا ما نقصده من نصحنا والله يعلم حسن نيتنا

ونقل الينا ان بعض الناس استنبط من عبارة المنار في هذا الموضوع اننا نقول بوجوب لباس الاحرام على كل من يسافر الى مكة ولو بقصد التجارة، وهذا من سوء الفهم، ومعاذ الله أن نقول بذلك، وانما يجب لباس الاحرام على من قصد الحج أو العمرة دون غيره. ومن شأن المتدين أن يغتنم فرصة ذهابه الى الحرم فيحج أو يعتمر، وأسأل الله تعالى ان يوفق كلاً منا للقيام بما يجب عليه، والاخلاص فيه، والحمد لله أولا وآخرا.